

٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري

فوائد شهر جماد الأولى

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أ. د. خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

الجزء الخامس

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ

ح خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن ، ١٤٤٥هـ

عبد الرحمن ، أ.د. خالد عبد الغفارعبد الله
فوائد شهر جمادى الأولى الجزءالخامس من سلسلة كتاب ٣٦٠ فائدة علي مدار العام الهجري./ أ.د. خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن
ط ١.- الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٣٨ ص ! ١٧ x ٢٤ سم.- (٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري)

رقم الإيداع : ١٩٩٨٧ / ١٤٤٥
ردمك : ٠-٠٣٠٧-٠٥-٦٠٣-٩٧٨



بسم الله الرحمن الرحيم



إهــداء

إلى زوجتي وأبنائي الأوفياء الذين كان لهم الفضل بعد الله عز وجل بتشجيعي ودعمي المتواصل لإعداد هذه السلسلة من الفوائد التي تُحفّز المسلم والمسلمة للعمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما ينفع ويرضي الله عز وجل.





مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. فبين يديك أخي القاري الكريم الجزء الخامس من كتاب " ٣٦٠ فائدة " على مدار العام الهجري، وهو كتاب يَضمُّ فوائد ودروسًا تُحفِّز المسلم والمسلمة على العمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما يَنفع ويُرضي اللهَ عزَّ وجلَّ . تمَّ تقسيمُها على أيام السنة الهجرية بحيث يستطيع القارئ أن يبدأ بالقراءة من تاريخ اليوم الذي عزم أن يقرأ الكتاب فيه، ويقطف من ثمرات وفوائد ذلك اليوم. وفي كل يوم يجد القارئ جملة من المقتطفات التي تدور حول موضوع واحد قد يكون له ارتباط بذلك اليوم أو الأيام أو الشهر تحديدًا وقد لا يكون. ولكن الموضوعات تُشكِّل في مجملها خلاصة الفوائد والخواطر والدروس التي تُعين المسلم على التجارة مع الله والعمل الصالح؛ الذي يكون بإذن الله زادًا له في الدنيا، ونجاة له في الآخرة برحمة الله ومِنَّته وفضله. وهذا الجزء مُخصَّصٌ لفوائد شهر جمادى الأولى، أسأل الله أن يكون فيه النفع والفائدة، وحُجَّة لكاتبه وقارئه وكلِّ مَن أعان على نشْره وتوزيعه.

كتبه الفقير إلى عفو ربِّه

أ.د.خالد بن عبد الغفَّار آل عبد الرحمن

drkhalid3@gmail.com

الرياض

شهر جمادى الأولى ١٤٤٥هـ



فهرس فوائد شهر جمادى الأولى



١ جمادى الأولى

الإيثار

الإيثار: معناه تفضيل الآخرين وتقديمهم، وهو أكمل أنواع الجود، وذلك بأن يُقدِّم الإنسان غيره على نفسه فيما هو في حاجةٍ إليه من أمور الدنيا من الأموال وغيرها، ويبذلها لغيره مع حاجته إليها، بل مع الضرورة والخصاصة، وهذا لا يكون إلَّا مِن خُلُقٍ زكي، ومحبةٍ لله تعالى مُقَدَّمَةٍ على محبَّة شهوات النفس ولذاتها، ويُقابله الأثرة؛ التي هي استبداد المرء بالفضل، واستحواذه عليه دون غيره.

والإيثار على النفس مع الحاجة قمةٌ عُليا، بلَغها الأنصارُ على صفة لم تشهد البشرية لها نظيرًا قبلهم، وإن بلغ بعضَها بعدهم مَن استنَّ بسُنَّتهم، فرضي الله عنهم وأرضاهم، حتَّى يُروى أنَّه لم ينزل مهاجرٌ في دار أنصاريٍّ إلَّا بقُرْعة.

يقول الله تعالى مُثنيًا على الأنصار- رضي الله عنهم-: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَصَابَنِي الْجَهْدُ، فَأَرْسَلَ إِلَى نِسَائِهِ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُنَّ شَيْئًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" أَلَا رَجُلٌ يُضَيِّفُ هَذَا اللَّيْلَةَ يَرْحَمُهُ اللَّهُ" فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: ضَيْفُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَا تَدَّخِرِيهِ شَيْئًا. قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ الصِّبْيَةِ، قَالَ: فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ الْعَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ، وَتَعَالَيْ فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ، فقَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ فَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، ثُمَّ غَدَا الرَّجُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ:" لَقَدْ عَجِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَوْ ضَحِكَ مِنْ فُلَانٍ وَفُلَانَةٍ" فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. رواه البخاري[٢].

---

(١) الحشر: ٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٤٨) برقم (٤٨٨٩) كتاب تفسير القرآن باب قوله "ويؤثرون على أنفسهم". الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

ومن إيثار النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ما رواه سهل بن سعد- رضي الله عنه- قال: جاءتْ امرأة ببردةٍ، قال: أتدرون ما البردة؟ فقيل له: نعم، هي الشَّملة منسوجٌ في حاشيتها. قال: فقالتْ: يا رسول الله؛ إنِّي نسجتُ هذه بيدي أكسوكها، فأخذها النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مُحتاجًا إليها، فخرج إلينا وإنَّها إزاره، فقال رجُلٌ مِن القوم: يا رسول الله؛ اكسنيها. فقال: نعم. فجلس النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم في المجلس، ثمَّ رجع فطواها، ثمَّ أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنتَ، سألتَها إيَّاه، ولقد علمتَ أنَّه لا يردُّ سائلًا. فقال الرَّجُل: والله ما سألتُه إلَّا لتكون كفني يوم أموت. قال سهل: فكانتْ كفنَه. رواه البخاري(١).

وقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ- رضي الله عنه-: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ آخَى رَسُولُ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدٌ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَانْظُرْ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوِيتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا، فَإِذَا حَلَّتْ تَزَوَّجْتَهَا، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلُّونِي عَلَى السُّوقِ. رواه البخاري(٢).

وفي صحيح البخاري أيضًا عَنْ أَبِي مُوسَى- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ؛ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ"(٣).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ- رضي الله عنهما- قَالَ: أُهْدِيَ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم رَأْسُ شَاةٍ فَقَالَ: إِنَّ أَخِي فُلَانًا وَعِيَالَهُ أَحْوَجُ إِلَى هَذَا مِنَّا، قَالَ: فَبَعَثَه إِلَيْهِ، فَلَمْ يَزَلْ يَبْعَثُ بِهِ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٦١) برقم (٢٠٩٣) كتاب البيوع باب ذكر النساج.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٣١) برقم (٣٧٨٠) كتاب مناقب الأنصار باب إخاء النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين، والأنصار.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٨) برقم (٢٤٨٦) كتاب الشركة باب الشركة في الطعام والنهد والعروض. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٤٤) برقم (٢٥٠٠) كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم باب من فضائل الأشعريين رضي الله عنهم. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.



وَاحِدٌ إِلَى آخَرَ حَتَّى تَدَاوَلَتْهَا سَبْعَةُ أَبْيَاتٍ حَتَّى رَجَعَتْ إِلَى الأَوَّلِ، وَنَزَلَتْ: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾(١)(٢).

وحدَّث حُذَيْفَةُ الْعَدَوِيُّ فقالَ:" انْطَلَقْتُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ أَطْلُبُ ابْنَ عَمِّي، وَمَعِي شَنَّةٌ مِنْ مَاءٍ، فَقُلْتُ: إِنْ كَانَ بِهِ رَمَقٌ سَقَيْتُهُ مِنَ الْمَاءِ، وَمَسَحْتُ بِهِ وَجْهَهُ، فَإِذَا أَنَا بِهِ يَنْشَغُ، فَقُلْتُ: أَسْقِيكَ؟ فَأَشَارَ: أَيْ نَعَمْ، فَإِذَا رَجُلٌ يَقُولُ: آهٍ، فَأَشَارَ ابْنُ عَمِّي أَنْ أَنْطَلِقَ بِهِ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ هِشَامُ بْنُ الْعَاصِ أَخُو عَمْرٍو، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَسْقِيكَ؟ فَأَشَارَ: أَيْ نَعَمْ، فَسَمِعَ آخَرَ فَقَالَ: آهٍ، فَأَشَارَ هِشَامٌ أَنْ أَنْطَلِقَ بِهِ إِلَيْهِ، فَجِئْتُهُ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ، فَرَجَعْتُ إِلَى هِشَامٍ فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ، فَرَجَعْتُ إِلَى ابْنِ عَمِّي فَإِذَا هُوَ قَدْ مَاتَ"(٣).

أُسْـدٌ ولكـن يُـؤثرون بِـزَادِهِمْ والأُسْدُ ليس تدينُ بِالإيثَارِ
يتزيَّنُ النَّادي بحُسْنِ وُجُوهِهِـم كتزيُّنِ الهَالاتِ بِالأقمَـارِ

وقال الإمام ابن القيم- رحمه الله-: السَّخاء أعلى مراتب العطاء والبذْل، وهذه المراتب هي:
الأولى: ألَّا ينقصَه البذْلُ، ولا يصعبُ عليه العطاء، وهذه مرتبة السَّخاء.
الثانية: أن يُعطي الأكثرَ ويُبقي له شيئًا، أو يُبقي مثل ما أعطى، وهذا هو الجود.
الثالثة: أن يُؤثر غيره بالشيء مع حاجته إليه، وهذه مرتبة الإيثار(٤).

---

(١) الحشر: ٩.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٢/ ٥٢٦) برقم (٣٧٩٩). المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ– ١٩٩٠م.

(٣) رواه ابن المبارك الزهد والرقائق (١/ ١٨٥) برقم (٥٢٥). الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ»)، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٧٨). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.



وقال أيضًا: والإيثار أن تُؤثر الخلق على نفسك فيما لا يحرم عليك دينًا، ولا يقطع عليك طريقًا، ولا يفسد عليك وقتًا[١]، ولا يُستطاع الإيثار إلَّا بثلاثة أشياء: تعظيم الحقوق، ومقْت الشُّحِّ، والرغبة في مكارم الأخلاق[٢].

ويقول ابن عمر- رضي الله عنه-: أتى علينا زمانٌ؛ وما يرى أحدٌ منَّا أنَّه أحقُّ بالدينار والدرهم من أخيه المسلم، وإنَّا في زمانٍ؛ الدينار والدرهم أحبُّ إلينا من أخينا المسلم[٣].

ومن أمثلة الإيثار المباح المستحَبِّ:

١- قول عباس بن دهقان: ما خرج أحدٌ من الدنيا كما دخلها إلَّا بشر بن الحارث، فإنَّه أتاه رجُلٌ في مرضه فشكا إليه الحاجة، فنزع قميصه وأعطاه إياه، واستعار ثوبًا فمات فيه[٤].

٢- وقال حماد بن أبي حنيفة: إنَّ مولاة كانت لداود الطائي تخدمه، قالتْ: لو طبختُ لك دسمًا تأكله؟ فقال: ودِدتُ. فطبختْ له دسمًا ثم أتتْه به، فقال لها: ما فعل أيتام بني فلان؟ قالتْ: على حالهم. قال: اذهبي بهذا إليهم، فقالتْ: أنتَ لم تأكل أدمًا منذ كذا وكذا. فقال: إنَّ هذا إذا أكلوه صار إلى العرش، وإذا أكلتُه صار إلى الحُشِّ[٥].

٣- وعن أبي الحسن الأنطاكي: أنَّه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفسًا، ولهم أرغفة معدودة لم تُشبع جميعَهم، فكسروا الأرغفة وأطفؤوا السراج وجلسوا للطعام، فلما رُفع فإذا الطعام بحاله، ولم يأكل أحدٌ منه شيئًا؛ إيثارًا لصاحبه على نفسه[٦].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٨٣).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٨٤).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٢/ ٤٣٢) برقم (١٣٥٨٥). المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٢٥٨). إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في الجوع (ص: ١٧٩) برقم (٢٩٩). الجوع، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار ابن حزم، بيروت لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٦) ينظر: تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (٩/ ٢٧٩). الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

والخلاصة: ما قاله ابن تيمية- رحمه الله-: الإيثار مع الخصاصة أكمل من مجرد التَّصدُّق مع المحبَّة، فإنَّه ليس كلُّ متصدِّقٍ مُحِبًّا مُؤثِرًا، ولا كلُّ مُتصدِّقٍ يكون به خصاصة، بل قد يتصدَّق بما يُحبُّ مع اكتفائه ببعضه مع محبَّةٍ لا تبلغ به الخصاصة(١).

قال ابن القيم- رحمه الله-: فالمحِبُّ وصْفُه الإيثار، والمدَّعِي طبعُه الاستئثار(٢).

المـــالُ للرَّجـــلِ الكـــريمِ ذرائـــعُ   يبغي بهنَّ جلائلَ الأخطـارِ
والنَّـاسُ شـتَّى في الخِـلَالِ وخـيرُهُمْ   مَن كـانَ ذا فضـلٍ وذا إيثـارِ(٣)

---

(١) ينظر: منهاج السنة النبوية (٧/ ١٨٤).

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٢٧٧). روضة المحبين ونزهة المشتاقين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٣) موسوعة الأخلاق الإسلامية (١/ ١١٦). موسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنتdorar.net .

٢ جمادى الأولى

الأمانة

الأمانة لغة: مصدر أَمِن يأمَن أمانة؛ أي: صار أمينًا، والمصدر مأخوذ من مادَّة (أ م ن) التي تدلُّ على سكون القلب، ورجُلٌ أمنة: إذا كان يأمنه النَّاس ولا يخافون غائلته(١)، وقال الجوهريُّ: الأمنة الذي يُصدِّق بكلِّ شيء(٢).

واصطلاحًا: كلُّ ما افترض الله على العباد فهو أمانة؛ كالصلاة والزكاة، والصيام وأداء الدَّين، وأوكَدُها الودائع، وأوكَدُ الودائع كتْمُ الأسرار(٣)، وقيل: كلُّ ما يُؤتَمَن عليه من أموال وحُرُم وأسرار فهو أمانة(٤).

هذا وقد عُرِف النبيُّ صلى الله عليه وسلم بالأمانة والصِّدق، حتَّى لُقِّب بالصادق الأمين، وكان أهل مكَّة في جاهليتهم إذا ذهب النبي صلى الله عليه وسلم أو جاء يَقولون: جاء الأمين، وذهب الأمين.

ويدلُّ على ذلك قصَّة وضْع الحجر الأسود في محلِّه بعد بناء الكعبة المشرَّفة، حيث تنازعوا في استِحقاق شرف رفْعه ووضْعِه، حتَّى كادوا يقتتلون لولا اتِّفاقهم على تحكيم أول مَن يدخل المسجد الحرام، فكان الداخل هو مُحمَّدًا صلى الله عليه وسلم، فلمَّا رأوه قالوا: هذا الأمين؛ رضينا، هذا مُحمَّدٌ، فلما أخبَروه الخبر، قال صلى الله عليه وسلم: "هلُمَّ إليَّ ثوبًا"، فأُتِي به، فأخذه فوضعه بيده ثم قال:" لِتأخذْ كلُّ قبيلةٍ بناحيةٍ من الثوب، ثم ارفعوه جميعًا"، ففعلوا حتى إذا بلَغوا به موضعه، وضَعه هو بيده الشريفة ثم بُني عليه(٥).

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (١/ ١٣٤). معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٢) الذي وقفت عليه في الصحاح للجوهري (٥/ ٢٠٧١) قوله: "الأَمَنَةُ أيضًا: الذي يثق بكلِّ أحد". وما ذكر هنا نسبوه في نضرة النعيم (٣/ ٥٠٧) للجوهري بهذا اللفظ، والله أعلم. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، المؤلف: عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة: الرابعة.

(٣) الكليات (ص: ١٨٧). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، سنة النشر: بدون.

(٤) الكليات (ص: ١٧٦).

(٥) ينظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٩٧). السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م.



كما حرص النبيُّ صلى الله عليه وسلم عند الهجرة على ردِّ الأمانات إلى أهلها؛ فعن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت: وأمَر- تعني رسول الله صلى الله عليه وسلم- عليًّا- رضي الله عنه- أن يتخلَّف عنه بمكَّة؛ حتَّى يُؤدِّيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بمكَّة أحدٌ عنده شيءٌ يُخشى عليه إلَّا وضَعه عنده؛ لِما يعلم مِن صدْقه وأمانته، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقام عليٌّ بن أبي طالب- رضي الله عنه- ثلاث ليالٍ وأيامها، حتَّى أدَّى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لَحِق برسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

وفي فتح مكَّة أيضًا حرص النبي صلى الله عليه وسلم على ردِّ الأمانات إلى أهلها؛ فردَّ مفتاح الكعبة إلى عثمان بن طلحة؛ فعن ابن جريج في سبب نزول قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾(٢)، قال: نزلتْ في عُثمان بن طلحة بن أبي طلحة، قَبض منه النبي صلى الله عليه وسلم مفتاحَ الكعبة، ودخلَ به البيت يوم الفتح، فخرج وهو يَتْلو هذه الآية، فدعا عثمان فدفع إليه المفتاح(٣).

وقد شهد بأمانة الرسول صلى الله عليه وسلم أعداؤه قبل أصدقائه وصحابته، فها هو أبو سفيان زعيم مكَّة قبل إسلامه يقف أمام هرقل ملك الروم، ويَعجِز عن نفْي صفة الأمانة عن النبي- صلى الله عليه وسلم-، رغم حرصه عندئذٍ أن يطعن فيه، ولكن ما إن سأله هرقل عمَّا يدعو إليه النبيُّ صلى الله عليه وسلم، حتَّى أجاب أبو سفيان:" يأمر بالصلاة والصدْق، والعفاف والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة" رواه البخاري ومسلم(٤).

---

(١) ينظر: سيرة ابن هشام (١/ ٤٨٥).

(٢) النساء: ٥٨.

(٣) ينظر: أخبار مكة للأزرقي (١/ ٢٦٥). أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، المؤلف: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي (المتوفى: ٢٥٠هـ)، المحقق: رشدي الصالح ملحس، الناشر: دار الأندلس للنشر – بيروت.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٤٥) برقم (٢٩٤٠) كتاب الجهاد والسير باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضا أربابا من دون الله. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٩٣) برقم (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام.

وعندما شكَّك بعض المنافقين تلميحًا بعدم أمانته صلى الله عليه وسلم قال:" ألا تأمَنُوني؟! وأنا أمينُ مَن في السَّماءِ، يأتيني خبرُ السَّماء صباحًا ومساءً" رواه البخاري(١).

والأمانة سبب البركة والنماء، وعكسها الخيانة سببٌ في انعدام البركة؛ فقد أخرج البخاريُّ ومسلمٌ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" البيِّعانِ بالخِيارِ ما لم يتفرَّقا، فإنْ صَدَقَا وبيَّنا بُورِكَ لهما في بيعهما، وإنْ كتَما وكذَبا مُحِقتْ بركةُ بيعهما"(٢).

لذا إذا ذهبت الأمانة وكانت الخيانة فقد ذهَبت البركة؛ فقد أخرج أبو داود أنَّ النبيَّ- صلى الله عليه وسلم- قال: قال الله تعالى:" أنا ثالثُ الشريكين ما لم يخنْ أحدُهما صاحبَه، فإذا خانَه خرجتُ من بينهما"(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يَحكي لأصحابه- رضي الله عنهم-:" اشترى رجُلٌ من رجلٍ عقارًا له، فوجد الذي اشترى العقارَ في عقارِهِ جرَّةً فيها ذهبٌ، فقال له الذي اشترى العقارَ: خُذْ ذهبك منِّي، إنَّما اشتريتُ منك الأرض، ولم أبتعْ منك الذهب، فقال الذي شرى الأرضَ (أي الذي باعها): إنَّما بعتُك الأرضَ وما فيها، قال: فتحاكما إلى رجُلٍ، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولدٌ؟ فقال أحدُهما: لي غلامٌ، وقال الآخر: لي جاريةٌ، قال: أنكِحوا الغلامَ الجاريةَ، وأنفقوا على أنفسكما منه، وتصدَّقا" رواه البخاري(٤).

وبأمانة التُّجَّار المسلمين وصِدقهم دخَل الناس في دِين الله أفواجًا، فأثَرُ التُّجَّار الأمناء الصادقين في انتشار الإسلام لا يقلُّ عن أثَر الجيوش في الفتوحات الإسلاميَّة، بل إنَّه فاقَ أثَر هذه الجيوش،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٦٣) برقم (٤٣٥١) كتاب المغازي باب بعث علي بن أبي طالب عليه السلام، وخالد بن الوليد رضي الله عنه، إلى اليمن قبل حجة الوداع. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٤٢) برقم (١٠٦٤) كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٥٨) برقم (٢٠٧٩) كتاب البيوع باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا. ومسلم في صحيحه (٣/ ١١٦٤) برقم (١٥٣٢) كتاب البيوع باب الصدق في البيع والبيان.

(٣) رواه أبو داود في سننه (٣/ ٢٥٦) برقم (٣٣٨٣) كتاب البيوع باب في الشركة. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٧/ ٣٨٣). سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. صحيح وضعيف سنن أبي داود، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب : برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٤) برقم (٣٤٧٢) كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٥) برقم (١٧٢١) كتاب الأقضية باب استحباب إصلاح الحاكم بين الخصمين.



ووصَل إلى مناطق لم تدخُلها جيوش المسلمين، وإنَّما دخَلها التُّجَّار المسلمون بأمانتهم؛ كمناطق جنوب شرق آسيا، وغرب إفريقيا ووسطها.

ومن الأمانة أيضًا التكاليفُ الشرعية، التي هي حقوقُ الله وحقوق العباد، فمن أدَّاها فله الثواب، ومن ضيَّعها فعليه العقاب، فقد روى أحمد عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه- أنه قال: الصلاةُ أمانة، والوضوءُ أمانة، والوزن أمانةٌ، والكيل أمانة، وأشياء عدَّدها، وأشدُّ ذلك الودائع(١).

وقال أبو الدرداء- رضي الله عنه-: والغُسْلُ من الجنابة أمانة(٢).

وكان عبد اللَّه بن عمر- رضي الله عنهما- يقول للرجل إذا أراد سفرًا: ادنُ منِّي أودِّعْك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُودِّعنا:" أستودعُ اللَّه دينَك وأمانتَك وخواتيمَ عملك" رواه الترمذي وأبو داود(٣).

---

(١) رواه المنذري في الترغيب والترهيب (٢/ ٣٥٨) برقم (٢٧١٦). والأثر حسنه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣٣٣). الترغيب والترهيب من الحديث الشريف، المؤلف: عبد العظيم بن عبد القوي بن عبد الله، أبو محمد، زكي الدين المنذري (المتوفى: ٦٥٦هـ)، المحقق: إبراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ صحيح الترغيب والترهيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) رواه بهذا المعنى محمد بن نصر المروزي في مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر (ص: ٢٧٢). مختصر [قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر]، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ)، اختصرها: العلامة أحمد بن علي المقريزي، الناشر: حديث أكادمي، فيصل اباد – باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٨/ ١١٩) برقم (٤٥٢٤). وأبو داود في سننه (٣/ ٤٣) برقم (٢٦٠٠) كتاب الجهاد باب في الدعاء عند الوداع. والترمذي في جامعه (٥/ ٤٩٩) برقم (٣٤٤٢) أبواب الدعوات باب ما يقول إذا ودع إنسانًا. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٩٠) (بدون رقم) كتاب عمل اليوم والليلة ذكر الاختلاف على عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز في هذا الحديث. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٦/ ١٠٠). مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م. سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت. سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م. السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.



وَمَا حُمِّلَ الإنسانُ مثلَ أمانةٍ أشقَّ عليه حين يحملُها حملا عليها
فإن أنتَ حُمِّلتَ الأمَانَةَ فاصطبرْ فقد حُمِّلتَ مِن أمرِها ثقلا
ولا تقبلنَّ فيما رضيتَ نميمة وقُلْ للذي يأتيك يحملُها: مهلا[(١)]

أما الخيانة فآية المنافق، ودليل نفاقه وعصيانه، عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذبَ، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان" متفق عليه[(٢)].

والخلاصة: أن الأمانة واجبة مع الجميع، فلا تجوز الخيانة حتَّى مع الخائنين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[(٣)]، وقد أمَرَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بأداء الأمانة وعدم خيانة الخائنين؛ فقَالَ صلى الله عليه وسلم:" أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ" رواه أبو داود[(٤)].

وقال ميمون بن مهران: ثلاثةٌ يُؤَدَّينَ إلى البَرِّ والفاجر: الأمانة، والعهد، وصلة الرحم[(٥)].

وعن عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- قال: لا تَغُرُّني صلاةُ امرئٍ ولا صومُه، مَن شاء صام ومَن شاء صلَّى، لا دِينَ لمن لا أمانة له[(٦)].

أدِّ الأمَانَةَ، والخيانةَ فاجْتَنِبْ واعْدِلْ ولا تظلمْ؛ يَطِبْ لك مكسبُ[(٧)]

---

(١) ينظر: لباب الآداب لأسامة بن منقذ (١/ ٢٥٠). لباب الآداب، المؤلف: أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الكلبي الشيزري (المتوفى: ٥٨٤هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مكتبة السنة، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٣) كتاب الإيمان باب علامة المنافق. ومسلم في صحيحه (١/ ٧٨) برقم (٥٩) كتاب الإيمان باب بيان خصال المنافق.

(٣) الأنفال: ٢٧.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ١٥٠) برقم (١٥٤٢٤). وأبو داود في سننه (٣/ ٢٩٠) برقم (٣٥٣٤) أبواب الإجارة باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده. والترمذي في جامعه (٣/ ٥٥٦) برقم (١٢٦٤) أبواب البيوع باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٥/ ٣٨١). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى : ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥م.

(٥) رواه سعيد بن منصور في سننه (٢/ ٢٧٢) برقم (٢٦٠١) بلفظ: "ثلاث يؤدين إلى البر والفاجر: العهد تفي به إلى البر والفاجر، والرحم تصلها برة كانت أو فاجرة، والأمانة تؤديها إلى البر والفاجر". سنن سعيد بن منصور، المؤلف: أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني الجوزجاني (المتوفى: ٢٢٧هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: الدار السلفية - الهند، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ -١٩٨٢م.

(٦) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (ص: ٦٩) برقم (١٦٢). مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، المؤلف: أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٧) القصيدة الزينبية (ضمن مجموعة القصائد الزهدية) (٢/ ٤٨١). مجموعة القصائد الزهديات، المؤلف: أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (ت ١٤٢٢هـ)، الناشر: مطابع الخالد للأوفسيت - الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.



٣ جمادى الأولى

البشاشة

البَشَاشَة هي: طلاقة الوجه مع الفرح والتَّبسُّم، وحُسن الإقبال، واللُّطف في المسألة، وقد وردت أحاديث عديدة من السُّنَّة النَّبويَّة؛ تحثُّ على البَشَاشَة وطلاقة الوجه، منها:

١- عن أبي ذرٍّ- رضي الله عنه- قال: قال لي النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم:" لا تحقرنَّ من المعروف شيئًا، ولو أن تلقى أخاك بوجه طَلْق" رواه مسلم[١].

هذا وقد رُوي لفظ (طَلْق) على ثلاثة أوجه: إسكان اللام، وكسرها، وطليق بزيادة ياء، ومعناه: سهلٌ مُنبسطٌ. وفيه الحثُّ على فضل المعروف، وما تيسَّر منه وإن قلَّ، حتَّى طلاقة الوجه عند اللِّقاء.

٢- عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" كلُّ معروف صدقة، وإنَّ من المعروف أن تلقى أخاك بوجهٍ طَلْق" رواه الترمذي[٢].

قال المباركفوري: طَلْق معناه: تلقاه مُنبسطَ الوجه مُتهلِّلَه[٣].

وقيل: أي بوجهٍ ضاحكٍ مُستبشرٍ، وذلك لما فيه من إيناس الأخ المؤمن، ودفع الإيحاش عنه، وجبر خاطره، وبذلك يحصل التَّأليف المطلوب بين المؤمنين.

٣- عن أبي ذرٍّ- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" تبسُّمك في وجه أخيك لك صدقة، وأمرُك بالمعروف ونهيُك عن المنكر صدقة، وإرشادُك الرَّجُلَ في أرض الضَّلال لك صدقة، وبصرُك للرَّجُل الرَّديء البصر لك صدقة، وإماطتك الحجر والشَّوكة والعظم عن الطريق لك صدقة، وإفراغك من دلوك في دلو أخيك لك صدقة" رواه الترمذي[٤].

قال ابن عيينة: والبَشَاشَة مصيدة المودَّة، والبِرُّ شيءٌ هيِّنٌ: وجهٌ طليقٌ، وكلامٌ ليِّنٌ. وفيه رَدٌّ على العالِمِ الذي يُصَعِّرُ خدَّه للناس، كأنَّه مُعرِضٌ عنهم، وعلى العابد الذي يُعبِّس وجهَه ويُقطِّب جبينَه،

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٢٦) برقم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٤٧) برقم (١٩٧٠) كتاب البر والصلة باب ما جاء في طلاقة الوجه وحسن البشر. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ٤٧٠). صحيح وضعيف سنن الترمذي، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب : برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٣) تحفة الأحوذي (٦/ ٩٠). تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٣٩) برقم (١٩٥٦) كتاب البر والصلة باب ما جاء في صنائع المعروف. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ٤٥٦).



كأنَّه منزَّهٌ عن النَّاس، مُستقذِرٌ لهم، أو غضبان عليهم. قال الغزالي: ولا يعلم المسكينُ أنَّ الورع ليس في الجبهة حتى يُقَطَّب، ولا في الوجه حتى يُعَفَّر، ولا في الخدِّ حتى يُصَعَّر، ولا في الظَّهر حتى ينحني، ولا في الذَّيل حتى يُضَمَّ، إنَّما الورع في القلب[١].

ومن آداب المضيف: أن يخدم أضيافه، ويُظهِر لهم الغِنى، والبسط بوجهه، فقد قيل: البَشَاشَة خيرٌ من القِرَى. وقد ضمَّن شمس الدِّين البديوي هذا المعنى بأبيات، فقال:

إذا المرءُ وافى منزلًا منك قاصدًا ... قِرَاكَ وأرمَتْهُ لديكَ المسالِكُ وقُلْ:
فكُنْ باسمًا في وجْهه مُتهلِّلًا ... مرحبًا أهلًا ويومٌ مُبارَكُ
وقدِّمْ له ما تستطيعُ مِنَ القِرَى ... عجولًا ولا تبخلْ بما هو هالِكُ
فقد قيلَ بيتٌ سالفٌ مُتقدِّمٌ ... تداولَهُ زيدٌ وعمرو ومَالِكُ
بَشَاشَةُ وجْهِ المرءِ خيرٌ من القِرَى ... فكيفَ بمَن يَأتي به وهو ضاحِكُ[٢]

ومن بَشَاشَة النبي صلى الله عليه وسلم عند مقابلته للناس؛ ما رواه عبد الله بن الحارث- رضي الله عنه- حين قال:" مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَكْثَرَ تَبَسُّمًا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم" رواه الترمذي[٣].

وعن جرير بن عبد الله البجلي- رضي الله عنه- قال:" ما حجبَني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم منذُ أسلمتُ، ولا رآني إلَّا تبسَّمَ في وجهي" رواه البخاري ومسلم[٤].

وقال صلى الله عليه وسلم:" إنَّكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فلْيسعْهم منكم بسْطُ الوجه وحُسْنُ الخُلُق" رواه مسلم[٥].

---

(١) ينظر: بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية (٣/ ٢٥٤). بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، المؤلف: محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمى الحنفي (المتوفى: ١١٥٦هـ)، الناشر: مطبعة الحلبي، الطبعة: بدون طبعة، ١٣٤٨هـ.

(٢) مجاني الأدب في حدائق العرب (٣/ ١٤٨). مجاني الأدب في حدائق العرب، المؤلف: رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو (المتوفى: ١٣٤٦هـ)، الناشر: مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، عام النشر: ١٩١٣ م.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢٩/ ٢٥٢) برقم (١٧٧١٣). والترمذي في جامعه (٥/ ٦٠١) برقم (٣٦٤١) أبواب المناقب باب في بشاشة النبي صلى الله عليه وسلم. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ١٤١).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٦٥) برقم (٣٠٣٥) كتاب الجهاد والسير باب من لا يثبت على الخيل. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٢٥) برقم (٢٤٧٥) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٥) لم أقف عليه في مسلم، وإنما رواه إسحاق بن راهويه في مسنده (١/ ٤٦١) برقم (٥٣٦). والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٢/ ٩٥). سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.



وكان ذلك حاله صلى الله عليه وسلم دائمًا حتى مع الجفاة الشداد، فذاك رجُلٌ أعرابيٌّ يأتي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فيجبذه بردائه جبذة شديدة تُؤثِّر في عاتقه، ثم يقول له في غلظة: يا محمد؛ مُرْ لي مِن مال الله الذي عندك، وإذا بالنبي صلى الله عليه وسلم يُقابل هذه الغلظة والجفاء ببشاشة وجهٍ، ورحابة صدرٍ، ثم يأمر له بعطاء. رواه البخاري ومسلم(١).

وإذا كان نبيُّ الله سليمان عليه السلام قد تبسَّم لنملةٍ في وادٍ مُترامي الأطراف؛ عندما سمعها تُحذِّر قومها مِن جيشه كما قال تعالى: ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾(٢)، فما أحوجَنا إلى تبسُّم الأخ في وجه أخيه، والجار في وجه جاره، والرجل في وجه زوجته والمرأة في وجه زوجها، والمديرِ في وجه موظَّفيه، في زمن طغت فيه المادة، وقلَّت فيه الألفة، وكثرت فيه الصراعات، والمشاكل الاجتماعية.

فلا ترى إلَّا عُبوس الوجه، وتقطيب الجبين، وكأنَّك في حلبة صراعٍ من أجل البقاء.

أزورُ خليـلـي مَـا بَـدَا لي هشُّـه ... وقَابـلني منـه البَشَاشَـةُ والبِشـرُ ولـو
فـإن لم يكـن هـشٌ وبـشٌ تركتُـه ... كـان في اللُّقيـا الولايـةُ والبِشـرُ
وحـقُّ الذي ينتـابُ داري زائرًا ... طعـامٌ وبرٌ وقـد تَقَدَّمَـهُ بِشرُ(٣)

وها نحن ننقل قصَّة عن دور الابتسامة في التسويق والبيع؛ بينما تجهُّم الوجه وعبوسه يُؤدِّي إلى تقلُّص المبيعات، ونفور الزبائن والمتسوّقين.

إذ طلب عُمَّال أحد المحلَّات التجارية الكبيرة في باريس رفْع أجورهم، فرفض ذلك صاحب العمل وأصرَّ على ذلك، فما كان من عُمَّاله إلَّا أن اتَّفقوا على أن لا يتسموا للزبائن كردٍّ على صاحب المحلّ، ممَّا أدَّى ذلك إلى انخفاض دخْل المحلِ في الأسبوع الأول حوالي ٦٠% عن متوسط

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٩٤) برقم (٣١٤٩) كتاب فرض الخمس باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٣٠) برقم (١٠٥٧) كتاب الزكاة باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة.

(٢) النمل: ١٩.

(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: ٥٤، بترقيم الشاملة آليا). بهجة المجالس وأنس المجالس، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ).

دخْله في الأسابيع السابقة. لذا يقول الصينيون فى حكمةٍ يُردِّدونها:" إنَّ الرجل الذي لا يعرف كيف يبتسم؛ لا ينبغي له أن يفتح متجرًا".

بل تقوم كثيرٌ من الدول المتقدِّمة والشركات العالمية بإنفاق ملايين الدولارات؛ من أجل تدريب موظَّفيها على الابتسامة في وجه الزبائن والعملاء، وهم بذلك يرجون ثواب الدنيا، فكيف بالمسلم عندما يتخلَّق بهذا الخلق فيجمع بين ثواب الدنيا والآخرة؟!

والخلاصة: قول ابن القيِّم- رحمه الله-: طلاقة الوجه والبِشْر المحمود؛ وسط بين التَّعبيس والتَّقطيب، وتصعير الخدِّ، وطيِّ البِشْر عن البَشَر، وبين الاسترسال مع كلِّ أحد، بحيث يُذهب الهيبة، ويُزيل الوقار، ويُطمع في الجانب، كما أنَّ الانحراف الأوَّل يُوقِع الوحشة والبغضة، والنُّفرة في قلوب الخَلْق، وصاحب الخُلُق الوسط: مهيبٌ محبوبٌ، عزيزٌ جانبُه، حبيبٌ لقاؤه. وفي صفة نبيِّنا صلى الله عليه وسلم: مَن رآه بديهةً هابه، ومَن خالطه عِشْرَةً أحبَّه[١].

وقال عبد الله بن المبارك: حُسْن الخُلُق: طلاقة الوجه، وبذْل المعروف، وكفُّ الأذى[٢].

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: مكتوبٌ في الحكمة: لِيكنْ وجهُك بسطًا، وكلمتك طيبة؛ تكن أحبَّ إلى النَّاس مِن الذي يُعطيهم العطاء[٣].

وقال معاذ بن جبل- رضي الله عنه-: إنَّ المسلمَيْنِ إذا التقيا؛ فضحك كلُّ واحدٍ منهما في وجه صاحبه، ثم أخذ بيده، تَحاتَّتْ ذنوبُهما كتحاتِّ ورق الشجر[٤].

قالَ: البَشَاشَةُ ليسَ تُسعِدُ كائنًا ... يأتي إلى الدُّنيا ويَذهبُ مُرغمًا
قلتُ: ابتسمْ ما دامَ بينك والرَّدَى ... شِبرٌ، فإنَّك بعدُ لن تتبسَّما[٥]

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٩٦). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٦٣) برقم (٢٠٠٥) أبواب البر والصلة باب ما جاء في حسن الخلق.

(٣) رواه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه (٢/ ٢٣١). الفقيه والمتفقه، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ.

(٤) ينظر: التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٢٨) برقم (٥٥٧). التذكرة الحمدونية، المؤلف: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: ٥٦٢هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ.

(٥)لا تحزن (ص: ٨٥). لا تحزن، المؤلف: عائض بن عبد الله القرني، الناشر: مكتبة العبيكان.



٤ جمادى الأولى

الأناة

التَّأنِّي والأناة أي: التَّثبُّت وترْك العَجَلَة، وقال أبو هلال العسكريُّ: الأناة: هي المبالغة في الرِّفق بالأمور والتَّسبُّب إليها، وفرَّق بين الأناة والحلم بأنَّ الأناة هي: التَّمهُّل في تدبير الأمور، وترْك التَّعجُّل. والحِلْم: هو الإمهال بتأخير العقاب المستحَقِّ[(١)].

وقال العلَّامة ابن عثيمين- رحمه الله-: الأناة: التَّأنِّي في الأمور وعدم التَّسرُّع، وما أكثر ما يهلك الإنسان ويزلُّ بسبب التَّعجُّل في الأمور، سواء في نقل الأخبار، أم في الحكم على ما سمع، أم في غير ذلك. فمِن النَّاس مثلًا مَن يتخطَّف الأخبار؛ فبمجرِّد ما يسمع الخبر يُحدِّث به وينقله، ومِن النَّاس مَن يتسرَّع في الحكم، سمع عن شخصٍ ما شيئًا مِن الأشياء، ويتأكَّد أنَّه قاله، أو أنَّه فعله ثمَّ يتسرَّع في الحكم عليه أنَّه أخطأ أو ضلَّ أو ما أشبه ذلك، وهذا غلط، فالتَّأنِّي في الأمور كلُّه خيرٌ[(٢)].

لَا تَعجلنَّ فرُبَّما ... عَجِلَ الفتَى فيما يضرُّه

ولرُبَّما كرِه الفتَى ... أمرًا عواقبُه تَسرُّه[(٣)]

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾[(٤)].

---

(١) ذكره في موضعين متفرقين: الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٠٠؛ ٢٠٤). الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

(٢) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٧٧). شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.

(٣) الفرج بعد الشدة للتنوخي (٥/ ٢٢). الفرج بعد الشدة للتنوخي، المؤلف: المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي البصري، أبو علي (المتوفى: ٣٨٤هـ)، تحقيق: عبود الشالجى، الناشر: دار صادر، بيروت، عام النشر: ١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م.

(٤) النِّساء: ٩٤.



قال الطبري: فتبيَّنوا، يقول: فتأنَّوا في قتْل مَن أشكل عليكم أمرُه، فلم تعلموا حقيقة إسلامه ولا كفره، ولا تعجلوا فتقتلوا مَن الْتَبَس عليكم أمرُه، ولا تتقدَّموا على قتل أحدٍ إلَّا على قتل مَن علمتموه يقينًا حرْبًا لكم ولله ولرسوله صلى الله عليه وسلم(١).

وقال سبحانه وتعالى أيضًا: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾(٢).

قال ابن عطيَّة: هذا الفعل مِن يوسف- عليه السَّلام- أناةً وصبرًا وطلبًا لبراءة السَّاحة، وذلك أنَّه- فيما رُوِي- خشي أن يخرج وينال مِن الملك مرتبة، ويسكت عن أمر ذنبه صفحًا، فيراه النَّاس بتلك العين أبدًا، ويقولون: هذا الذي راوَدَ امرأة مولاه، فأراد يوسف عليه السَّلام أن تَبِينَ براءتُه، وتتحقَّقَ منزلتُه مِن العفَّة والخير(٣).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾(٤).خلقها الله تعالى في ستَّة أيام - والله أعلم- لحكمٍ عظيمةٍ بالغةٍ؛ منها أن يُعلِّم عباده التُّؤدة والتَّأنِّي، وأنَّ الأهمَّ إحكام الشَّيء لا الفراغ منه، حتى يتأنَّ الإنسان فيما يصنعه، فعلَّم الله سبحانه وتعالى عباده التَّأنِّي في الأمور التي هم قادرون عليها.

وقال عزَّ مِن قائل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ﴾(٥).

(١) تفسير الطبري = جامع البيان (٧/ ٣٥١). تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

(٢) يوسف: ٥٠.

(٣) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٢٥٢). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

(٤) الحديد: ٤.

(٥) الحجرات: ٦.



قرأ الجمهور:" فتبيَّنوا" مِن التَّبيُّن، وقرأ حمزة والكسائي:" فتثبَّتوا" مِن التَّثبُّت، والمراد مِن التَّبيُّن: التَّعرُّف والتَّفحُّص، ومِن التَّثبُّت: الأناة وعدم العَجَلَة، والتَّبصُّر في الأمر الواقع، والخبر الوارد حتى يتَّضح ويظهر(١).

وعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأشجِّ- أشجِّ عبد القيس-:"إنَّ فيك خصلتين يحبُّهما الله: الحِلْم، والأناة" رواه مسلم(٢).

وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال:"التَّأنِّي مِن الله، والعَجَلة مِن الشَّيطان" رواه البيهقي(٣).

قال ابن القيِّم- رحمه الله-: العَجَلَة مِن الشَّيطان فإنَّها خفَّةٌ وطيشٌ وحدَّةٌ في العبد تمنعه مِن التَّثبُّت والوقار والحِلْم، وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها، وتجلب عليه أنواعًا من الشُّرور، وتمنع عنه أنواعًا من الخير(٤).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لو لبثتُ في السِّجن ما لبث يوسف لأجبتُ الدَّاعي" رواه البخاري ومسلم(٥).

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٧١). فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٨) برقم (١٧) كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه.

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ١٧٨) برقم (٢٠٢٧٠) كتاب آداب القاضي باب التثبت في الحكم. والحديث حسن إسناده الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ٤٠٤). السنن الكبرى، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عام النشر: جـ ١ - ٤: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، جـ ٦: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، جـ ٧: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٤) الروح (ص: ٢٥٨). الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، سنة النشر: بدون.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٧٧) برقم (٤٦٩٤) كتاب تفسير القرآن باب قوله: ﴿فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله﴾ [يوسف: ٥١]. ومسلم في صحيحه (١/ ١٣٣) برقم (١٥١) كتاب الإيمان باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة.



وعن أمِّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالتْ: لما أُمِر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتخيير أزواجه بدأ بي، فقال:" إِنِّي ذاكرٌ لكِ أمرًا، فلا عليكِ أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويكِ" رواه البخاري ومسلم(١).

قال ابن حجر: قوله:" فلا عليكِ أن لا تعجلي" أي: فلا بأس عليكِ في التَّأنِّي، وعدم العَجَلَة حتى تشاوري أبويكِ"(٢).

والتَّأنِّي مطلوبٌ في كثير من الأحوال والمواقف التي تمرُّ على الإنسان، ومِن هذه الأحوال التي يتطلَّب فيها التَّأنِّي:

١- عند الذهاب إلى الصَّلاة: فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال:"إذا سمعتم الإقامة، فامشوا إلى الصَّلاة وعليكم بالسَّكينة والوقار، ولا تُسرعوا، فما أدركتم فصلُّوا، وما فاتكم فأتمُّوا" رواه البخاري(٣).

٢- التَّأنِّي في طلب العلم: قال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾(٤). قال ابن القيِّم- رحمه الله- في هذه الآية: مِن آداب الرَّبِّ التي أدَّب بها نبيَّه- صلى الله عليه وسلم- أَمْرُه بترْك الاستعجال على تلقِّي الوحي، بل يصبر إلى أن يفرغ جبريل مِن قراءته، ثمَّ يقرأه بعد فراغه عليه، فهكذا ينبغي لطالب العلم ولسامعه أن يصبر على معلِّمه حتى يقضي كلامه(٥).

٣- التَّأنِّي في التَّحدُّث مع الآخرين: عن أمِّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت:" إنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يُحدِّث حديثًا لو عدَّه العادُّ لأحصاه" رواه البخاري ومسلم(٦).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١١٧) برقم (٤٧٨٥) كتاب تفسير القرآن باب قوله: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا﴾ [الأحزاب: ٢٨]. ومسلم في صحيحه (٢/ ١١٠٣) برقم (١٤٧٥) كتاب الطلاق باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقًا إلا بالنية.

(٢) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٢١). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٩) برقم (٦٣٦) كتاب الأذان باب لا يسعى إلى الصلاة، وليأت بالسكينة والوقار.

(٤) القيامة: ١٦.

(٥) التبيان في أقسام القرآن (ص: ١٥٩). التبيان في أقسام القرآن، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٩٠) برقم (٣٥٦٧) كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٩٨) برقم (٢٤٩٣) كتاب الزهد والرقائق باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم.



٤- عند الفصل في المنازعات وإنزال العقوبات: ففي قصَّة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- في قضائه بين علي بن أبي طالب والعبَّاس- رضي الله عنهما- في فيء الرَّسول صلى الله عليه وسلم مِن بني النَّضير؛ قال لهما عمر- رضي الله عنه-: اتَّئِدوا[١]. قال ابن حجر: المراد: التَّأنِّي والرَّزانة[٢].

والخلاصة: أنَّ التأني مِن الله عزَّ وجلَّ، ويُحبُّه الله سبحانه وتعالى، والتَّأنِّي خيرٌ في الأمور كلِّها إلَّا في أمور الآخرة. وعن سعد بن أبي وقَّاص- رضي الله عنه- أنَّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" التُّؤدة في كلِّ شيءٍ إلَّا في عمل الآخرة" رواه أبو داود[٣].

قال إبراهيم بن أدهم- رحمه الله-: ذكروا الأناة في الأشياء كلِّها، فقال الأحنف: أمَّا أنا فإذا حضرتْ جنازة لم أتأنَّ، وإذا وجدتُ كفؤًا زوَّجتُ ولم أتأنَّ، وإذا حضرت الصَّلاة لم أتأنَّ[٤].

قد يُدركُ المتأنِّي بعضَ حاجتِه ... وقد يكونُ مع المستعجِلِ الزَّللُ
وربَّما فاتَ قومًا بعضُ أمرِهِمُ ... مِنَ التَّأنِّي وكان الحزمُ لو عجلُوا[٥]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٨٩) برقم (٤٠٣٣) كتاب المغازي باب حديث بني النضير ومخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم في دية الرجلين، وما أرادوا من الغدر برسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) فتح الباري لابن حجر (١/ ٩١).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٥٥) برقم (٤٨١٠) كتاب الأدب باب في الرفق. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣١٠).

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١١/ ٤٥٩) برقم (٨٨٣١). شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

(٥) أحسن ما سمعت (ص: ٨٧). أحسن ما سمعت، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، وضع حواشيه: خليل عمران المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.



٥ جمادى الأولى

الألفة

الأُلْفَة من قولهم: أَلِفتُه إلفًا أي أنِسْتُ به، ولزمتُه وأحببتُه، وهو من الائتلاف، وهو الالتئام والاجتماع[١]، وأَلَّفْتُ بينهم تأْلِيفًا إذا جَمَعْتُ بينَهم بعد تَفَرُّقٍ.

وقال الراغب الأصفهاني: الإلْفُ هو اجتماعٌ مع التئامٍ[٢].

وقيل: الألفة هي اتِّفاق الآراء في المعاونة على تدبير المعاش[٣].

قال الله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٤] .

قال السعدي: "وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ" أي اجتمعوا وائتلفوا، وازدادت قوَّتهم بسبب اجتماعهم، ولم يكن هذا بسعي أحدٍ، ولا بقوَّةٍ غير قوَّة الله، فلو أنفقتَ ما في الأرض جميعًا مِن ذهبٍ وفضَّةٍ وغيرهما لتأليفهم بعد تلك النُّفرة والفُرقة الشَّديدة؛ "مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ" لأنَّه لا يقدر على تقليب القلوب إلَّا الله تعالى، "وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" ومِن عزَّته أن ألَّف بين قلوبهم، وجمعها بعد الفرقة[٥].

وعن عبد الله بن زيد بن عاصم- رضي الله عنه- قال: لمَّا أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين قسم في النَّاس في المؤلَّفة قلوبهم، ولم يُعطِ الأنصار شيئًا، فكأنَّهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب النَّاس، فخطبهم فقال: يا معشر الأنصار؛ ألم أجدكم ضُلَّالًا فهداكم الله بي، وكنتم مُتفرِّقين فألَّفكم الله بي، وعالة فأغناكم الله بي؟ ... إلى آخر الحديث. رواه البخاري ومسلم[٦].

---

(١) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ١٨). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٨١). المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.

(٣) التعريفات (ص: ٣٤). كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

(٤) الأنفال: ٦٣.

(٥) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٣٢٥). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٥٧) برقم (٤٣٣٠) كتاب المغازي باب غزوة الطائف. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٣٧) برقم (١٠٦١) كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه.



فهذه النعمة مِن أكبر نعم الله في بعثة رسول الله ﷺ؛ أن ألَّف به بين قومٍ قويت بينهم العصبيَّات، وينبغي أن يكون شأن المسلم هكذا، يُؤلِّف بين المتفرِّقين ويأتلف حوله المحبُّون.

رُوي عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله ﷺ قال:" المؤمن يأْلَف ويُؤْلَف، ولا خيرَ فيمن لا يأْلَف ولا يُؤْلَف" رواه أحمد(١).

قال المناوي في شرح قوله ﷺ: "المؤمن يأْلَف" قال: لِحُسْنِ أخلاقه وسهولة طباعه ولين جانبه. وفي رواية: "إِلْفٌ مَأْلُوفٌ" والإِلْف هو اللَّازم للشَّيء، فالمؤمن يأْلَف الخير وأهله، ويألفونه بمناسبة الإيمان، قال الطِّيبي: وقوله "المؤمن إِلْفٌ" يحتمل كونه مصدرًا على سبيل المبالغة، كرجل عدْل، أو اسم كان أي: يكون مكان الأُلْفَة ومنتهاها، ومنه إنشاؤها وإليه مرجعها، "ولا خير فيمَن لا يأْلَف ولا يُؤْلَف" لضعف إيمانه، وعُسْر أخلاقه، وسوء طباعه(٢).

وعن عوف بن مالك- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :" خيارُ أئمتِكم الذين تُحبُّونهم ويُحبُّونكم، ويُصلُّون عليكم، وتُصلُّون عليهم، وشرارُ أئمتِكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم" رواه مسلم(٣).

إنَّ خيار النَّاس في نظر الشَّرع هم الذين يأْلَفون ويُؤْلَفون، وخاصَّة حين يكونون في منصبٍ أو مسؤوليَّةٍ، إذ قد ينزلقون إلى صورٍ مِن الغلظة والجفوة حين يكونون مطلوبين لا طالبين.

الأُلْفَة سببٌ للاعتصام بالله وبحبله، وبه يحصل الإجماع بين المسلمين، وبضِدِّه تحصل النُّفْرة بينهم، وإنَّما تحصل الأُلْفَة بتوفيقٍ إلٰهي، ومِن التَّآلف: ترْك المداعاة والاعتذار عند توهُّم شيءٍ في النَّفس، وتَرْك الجدال والمراء وكثرة المزاح.

ومن الأسباب المؤدِّية للألفة:-

١- التَّعارُف ومُعاشرة الناس: قال رسول الله ﷺ:" الأرواح جنودٌ مُجنَّدة، ما تعارفَ منها ائتلفَ، وما تناكرَ منها اختلفَ" رواه مسلم(٤).

---

(١) لم أقف عليه عند الإمام أحمد. لكن رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٦/ ٥٨) برقم (٥٧٨٧). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٧٨٧). المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.

(٢) فيض القدير (٦/ ٢٥٣). فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٨١) برقم (١٨٥٥) كتاب الإمارة باب خيار الأئمة وشرارهم.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٣٣) برقم (٣٣٣٦) كتاب أحاديث الأنبياء باب الأرواح جنود مجندة. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٣١) برقم (٢٦٣٨) كتاب البر والصلة والآداب باب الأرواح جنود مجندة.

رأى عبد الله بن عبَّاس- رضي الله عنهما- رجلًا فقال: إنَّ هذا لَيُحبُّني، قالوا: وما علمُك؟ قال: إنِّي لَأحبُّه، والأرواح جنودٌ مُجنَّدة، فما تعارفَ منها ائتلفَ، وما تناكرَ منها اختلفَ(١).

تَعــارُفُ أرواحِ الرِّجــالِ إذا التقَــوا فمــنهمْ عــدوٌّ يُــتَّقَى وَخَليــلُ
كذاكَ أمورُ النَّاسِ، والنَّاسُ منهمُ خفيفٌ إذا صاحبتَهُ وثقيــلُ(٢)

٢- التَّواضُع: إنَّ خفض الجنَاح ولين الكَلِمَة وتَرْك الإغلاظ؛ مِن أَسبَاب الأُلْفَة واجتماع الكَلِمَة وانتظام الأَمر، ولهذا قيل: مَن لانتْ كلمتُه وجبتْ محبَّتُه وحَسُنَتْ أُحدُوثَتُه، وظمئتِ الْقُلُوبُ إلى لقائِهِ وتنافستْ في موَّدته.

٣- القيام بحقوق المسلمين والالتزام بها: عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله ﷺ قال:" حقُّ المسلم على المسلم خمسٌ: ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتِّباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس" رواه البخاري ومسلم(٣).

فهذه الحقوق التي بيَّنَها النَّبيُّ ﷺ ؛ إذا قام بها النَّاسُ بعضُهم مع بعضٍ؛ حَصلتْ بذلك الأُلْفَة والمودَّة، وزال ما في القلوب والنُّفوس مِن الضَّغائن والأحقاد.

٤- الكلام اللَّين: فالكلام الطَّيب مِن أقوى الأسباب التي تُؤلِّف بين القلوب، قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾(٤).

٥- التَّعفُّف عن سؤال النَّاس: قال رسول الله ﷺ:" وازهد فيما في أيدي النَّاس يُحبَّك النَّاس" رواه ابن ماجه(٥).

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٠٨). روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١١٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٧١) برقم (١٢٤٠) كتاب الجنائز باب الأمر باتباع الجنائز. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٤) برقم (٢١٦٢) كتاب السلام باب من حق المسلم للمسلم رد السلام.

(٤) الإسراء: ٥٣.

(٥) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٧٣) برقم (٤١٠٢) كتاب الزهد باب الزهد في الدنيا. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٢٢٠). صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)/ الناشر: المكتب الإسلامي.



٦- السَّعي في الإصلاح بين النَّاس: قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[١].

٧- الاهتمام بأمور المسلمين والإحساس بقضاياهم: قال رسول الله ﷺ:" المؤمنون كرجُلٍ واحدٍ، إذا اشتكى رأسُه تداعى له سائرُ الجسدِ بالحُمَّى والسَّهر" رواه البخاري[٢].

٨- التَّهادي: لا شكَّ أنَّ تقديم الهديَّة يزيد مِن الأُلْفَة والمحبَّة والتَّقارُب بين المهدِي والمُهْدَى إليه، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النَّبيِّ ﷺ قال:" تَهادوا تحابُّوا" رواه البخاري في (الأدب المفرد) [٣].

والخلاصة: أنَّ للألفة فوائد عديدة؛ منها:

١- الأُلْفَة بين المؤمنين مِن أسباب النَّصر على الأعداء، وسبب التَّمكين في الأرض.

٢- الأُلْفَة تجمع شمل الأمَّة، وتمنع ذلَّهم، وتمنحهم العزَّة والقوَّة.

٣- الأُلْفَة سببٌ للاعتصام بالله وبحبله المتين.

٤- الألفة من أسباب محبَّة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

وممَّا يُنسب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- قوله:

عليكَ بإخوانِ الصَّفاءِ فإنَّهُمْ ... عمادٌ إذا استنجدتَهمْ وظُهورُ
وإنَّ قليلًا ألْفُ خِلٍّ وصاحِبٍ ... وإنَّ عَدُوًّا واحدًا لكثيرُ[٤]

---

(١) الأنفال: ١.

(٢) رواه لهذا اللفظ مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠٠) برقم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم. ورواه قريبًا منه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠) برقم (٦٠١١) كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم.

(٣) رواه البخاري في الأدب المفرد (ص ٢٠٨) برقم (٥٩٤). والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٢٢١). الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

(٤) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: ١٣٠). المستطرف في كل فن مستطرف، المؤلف: شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ.

٦ جمادى الأولى

التضحية

التضحية هي بذْل النَّفس أو الوقت أو المال، لأجل غايةٍ أسمى، مع احتساب الأجر والثواب على ذلك عند الله عزَّ وجلَّ، ومن معانيها: البذْل والجهاد والفداء.

وهناك مجالاتٌ مُتنوِّعةٌ ومُتعدِّدةٌ للتضحية:

المجال الأول: التضحية من أجل الدِّين: وهذا المجال هو أساس التضحية، وكل تضحية دونه هباء، والله تعالى أمَرنا وحثَّنا على التضحية؛ من أجْل رفْع لواء دِينه، ونُصرة شرْعه، وعقَد مع المضحِّين عقدًا بموجبه يبذُلُ المضحِّي نفسَه وَمَالَه لله تعالى، ويجزيه الله تعالى جناتٍ تجري من تحتها الأنهار؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[١].

ويقول عزَّ وجلَّ أيضًا: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[٢].

دَفَعُوا ضَرِيبَةَ نصْرِ الدينِ مِنْ دَمِهِمْ　　　وَالنَّاسُ تَزعُمُ نَصْرَ الدِّينِ مجَّانَا

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" مَا مِنْ مَجْرُوحٍ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِ اللهِ- وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُجْرَحُ فِي سَبِيلِهِ- إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْجُرْحُ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ جُرِحَ، اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسْكٍ" رواه البخاري ومسلم[٣].

المجال الثاني: التضحية من أجل الوطن: فمتى كان وطنُ المرء وطنًا مُسلمًا يُقيم شعائر الله تعالى؛ فإنَّ التضحية في سبيله واجبةٌ على جميع أفراده، وللوطن في نفس المرء قيمة وقامة، ومنزلة عظيمة، ولِمَ لا؟ والله تعالى سوَّى بين القتل وبين الخروج من الأوطان؛ قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّا كَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَنِ ٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ أَوِ ٱخۡرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡۖ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا﴾[٤].

---

(١) التوبة: ١١١

(٢) البقرة: ٢٤٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٩٦) برقم (٥٥٣) كتاب الذبائح والصيد باب المسك. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٩٥) برقم (١٨٧٦) كتاب الإمارة باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.

(٤) النساء: ٦٦.



مَــا نَالَ مَرتبــةَ الخُلُــودِ بغــيرِ تَضْــحيةٍ رَضــيَّة
عاشتْ نفـوسٌ في سـبيلِ بِلادِهـا ذهبتْ ضَحيَّة[١]

فالدفاع عن البلاد وأهلها من الجهاد المشروع، ومَن يُقتل في سبيل ذلك وهو مُسلِمٌ يُعَدُّ شهيدًا؛ عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ- رضي الله عنه- سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" مَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دَونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دَونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دَونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ" رواه الترمذي[٢].

والمرابطة على الثغور، وحفْظ أمْنِ الأوطان؛ سببُ الفلاح والنجاح؛ قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾[٣].

فجنودنا البواسل الذين يسهرون ليلهم، ويُكابدون نهارهم؛ أجرهم عظيمٌ، وثوابهم جزيلٌ، عَنْ سَلْمَانَ- رضي الله عنه- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ" رواه مسلم[٤].

وفي الصحيحين عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ- رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صلى الله عليه وسلم- قَالَ:" رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا"[٥].

المجال الثالث: التضحية من أجل النفْس والعِرْض والمال: وهذا ما يُسمَّى" دفع الصائل"، فواجبٌ على المسـلم أن يصون نفْسه وعِرْضه، ويحمي ماله، وأن يُضحِّي من أجــل ذلك. جاء رجُلٌ فقال: يا رسولَ الله؛ أرأَيْتَ إنْ جَاءَ رجُلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مالِي؟ قال: فَلا تُعْطِه مالَكَ، قال: أرأَيْتَ إنْ قَاتَلَني؟ قال: قاتِلْهُ، قال: أرَأَيْتَ إن قَتَلَنِي؟ قال: فأنتَ شهيدٌ، قال: أرأيْتَ إن قتلتُه؟ قال:" هو في النار" رَوَاهُ مسلمٌ[٦].

---

(١) البيتان لإبراهيم طوقان، ينظر: التضحية في واحة الشعر، موقع الدرر السنية.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٠) برقم (١٤٢١) أبواب الديات باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد. والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٤٥٥) برقم (٣٥٤٤) كتاب المحاربة من قاتل دون دينه. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٣/ ١٦٤).

(٣) آل عمران: ٢٠٠

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٢٠) برقم (١٩١٣) كتاب الإمارة باب فضل الرباط في سبيل الله عز وجل.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٣٥) برقم (٢٨٩٢) كتاب الجهاد والسير باب فضل رباط يوم في سبيل الله.

(٦) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٢٤) برقم (١٤٠) كتاب الإيمان باب الدليل على أن من قصد أخذ مال غيره بغير حق، كان القاصد مهدر الدم في حقه، وإن قتل كان في النار، وأن من قتل دون ماله فهو شهيد.



والدفاع عن العِرْض واجبٌ باتفاق الفقهاء، فلا تحلُّ إباحتُه بحالٍ؛ لأنَّه لا يقلُّ أهميةً عن غيره من الضروريات، بل إنَّ عادة العقلاء بذْلُ نفوسهم وأموالهم دون أعراضهم، وما فُدِي بالضروري فهو بالضرورة أَوْلى، ولهذا قال قائلهم:

يَهُونُ عَلَيْنَا أَنْ تُصَابَ جُسُومُنَا وَتَسْلَمَ أَعْرَاضٌ لَنَا وَعُقُولُ[١]

والتضحية على مراتب متفاوتة:-

١- التَّضْحية بالنَّفس، وهي من أعلى مراتب التَّضْحية: عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: مِن خير معاش النَّاس لهم؛ رجُلٌ مُمسِكٌ عنان فرسه في سبيل الله، يطير على متنه، كلَّما سمع هَيْعَةً أو فزعةً طار عليه، يبتغي القتل والموت مظانَّه، أو رجُلٌ في غنيمةٍ في رأس شَعَفَةٍ من هذه الشَّعَف، أو بطن وادٍ من هذه الأودية، يُقيم الصَّلاة، ويُؤتي الزَّكاة، ويعبُد ربَّه حتَّى يأتيَه اليقين، ليس من النَّاس إلَّا في خيرٍ" رواه مسلم[٢].

٢- التَّضْحية بالمال: كما في حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أجودَ النَّاس، وكان أجودَ ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كلِّ ليلةٍ من رمضان فيدارسه القرآن، فلَرسولُ الله صلى الله عليه وسلم أجودُ بالخير من الرِّيح المرسَلة" رواه البخاري[٣].

وعن عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- قال: أمَرَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدَّق، فوافقَ ذلك عندي مالًا، فقلتُ: اليوم أسبقُ أبا بكرٍ إن سبقتُه يومًا، قال: فجئتُ بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أبقيتَ لأهلك؟ قلتُ: مثلَه، وأتى أبو بكرٍ بكلِّ ما عنده، فقال: يا أبا بكرٍ؛ ما أبقيتَ لأهلك؟ قال: أبقيتُ لهم اللهَ ورسولَه، قلتُ: لا أسبقُه إلى شيءٍ أبدًا. رواه أبو داود[٤].

٣- التَّضْحية بالوقت والبدن: فالتضحية تكون بكل غالٍ ونفيسٍ في سبيل غايةٍ أسمى وأرجى عند الله عز وجل.

بيتٌ دعائمُه نُبْلٌ وتَضْحيةٌ إذا بَنَى النَّاسُ مِن صَخْرٍ ومن شِيدِ[٥]

---

(١) الدر الفريد وبيت القصيد (١٠/ ١٦٣).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٠٣) برقم (١٨٨٩) كتاب الإمارة باب فضل الجهاد والرباط.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨) برقم (٦) كتاب بدء الوحي كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟.

(٤) رواه أبو داود في سننه (٢/ ١٢٩) برقم (١٦٧٨) كتاب الزكاة باب في الرخصة في ذلك. الترمذي في جامعه (٥/ ٦١٤) برقم (٣٦٧٥) أبواب المناقب باب بدون ترجمة. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٤/ ١٧٨).

(٥) البيت لعلي جارم. ينظر: التضحية في واحة الشعر، موقع الدرر السنية.



والخلاصة: ما قاله ابن القيم- رحمه الله-: يا مُخَنَّثَ العزمِ؛ أين أنتَ؟ والطريقُ طريق تعِب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمِي في النار الخليل، وأُضجع للذِّبح إسماعيلُ، وبيع يوسفُ بثمنٍ بخسٍ، ولبثَ في السجنِ بضع سنين، ونُشِر بالمنشار زكريا، وذُبِح السيد الحصورُ يَحيى، وقاسى الضُّرَّ أيوبُ، وزاد على المقدار بكاءُ داودَ، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقرَ وأنواعَ الأذى محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، تُزهى أنت باللهو واللعب؟[1]

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ٤٢). الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

٧ جمادى الأولى

التعاون

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: حياة بني آدم وعيشهم في الدنيا لا يتم إلَّا بمعاونة بعضهم لبعض في الأقوال، أخبارها وغير أخبارها، وفي الأعمال أيضًا[١]. وأمَّا في مسائل الدِّين والشَّرع؛ فالأمر كذلك، فلم يقُمْ نبيٌّ من الأنبياء بالدعوة إلَّا واحتاج مَن يُعينُه على تحقيق التوحيد، ودحْر الشرك، وفي الجهاد يظهر أثر ذلك جليًّا، وقُلْ مثل ذلك في التعليم، ورعاية المساكين، والقيام على الأرامل والأيتام .

وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي- رحمه الله-: الإعانة هي: الإتيان بكلِّ خصلةٍ من خصال الخير المأمور بفعلها، والامتناع عن كلِّ خصلةٍ من خصال الشرِّ المأمور بتركها، فإنَّ العبد مأمورٌ بفعلها بنفسه، وبمعاونة غيره عليها من إخوانه المسلمين بكلِّ قولٍ يبعث عليها، وبكلِّ فعلٍ كذلك[٢].

قال سبحانه:﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[٣].

قال ابن كثير: يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعْل الخيرات، وهو البرُّ، وترْك المنكرات، وهو التَّقوى، وينهاهم عن التَّناصر على الباطل، والتَّعاون على المآثم والمحارم[٤].

وقال القرطبيُّ: هو أمرٌ لجميع الخَلْق بالتَّعاون على البِرِّ والتَّقوى، أي لِيُعِنْ بعضُكم بعضًا، وتحاثُّوا على ما أمر الله تعالى واعملوا به، وانتهُوا عمَّا نهى الله عنه وامتنعوا منه، وهذا مُوافِقٌ لما رُوِي عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" مَن دَلَّ على خيرٍ فَلَهُ مِثْلُ أجْرِ فَاعِلِهِ" رواه مسلم[٥][٦].

---

(١) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ٣٦٤). الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

(٢) ينظر: تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢١٩).

(٣) المائدة: ٢.

(٤) تفسير ابن كثير (٢/ ١٢). تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٠٦) برقم (١٨٩٣) كتاب الإمارة باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير.

(٦) تفسير القرطبي (٦/ ٤٦). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.



وقال الماورديُّ: ندَبَ الله سبحانه إلى التَّعاون بالبرِّ، وَقَرَنَهُ بالتَّقوى له؛ لأنَّ في التَّقوى رضا الله تعالى، وفي البرِّ رضا النَّاس، ومَن جمَعَ بين رضا الله تعالى ورضا النَّاس فقد تمَّتْ سعادتُه، وعمَّتْ نعمتُه[١].

وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " مَن جهَّز غازيًّا في سبيل الله فقد غزا، ومَن خلَّف غازيًا في أهله بخيرٍ فقد غزا" رواه مسلم[٣].

قال العلَّامة ابن عثيمين: هذا مِن التَّعاون على البرِّ والتَّقوى، فإذا جهَّز الإنسانُ غازيًا- يعني براحلته ومتاعه وسلاحه- إذا جهَّزه بذلك فقد غزا، أي كُتِب له أجرُ الغازي؛ لأنَّه أعانه على الخير. وكذلك مَن خَلَفَه في أهله بخيرٍ فقد غزا، يعني لو أنَّ الغازي أراد أن يغزو ولكنَّه أُشْكِل عليه أهله؛ مَن يكون عند حاجاتهم؟ فانتدب رجلًا مِن المسلمين وقال: اخلُفني في أهلي بخيرٍ، فإنَّ هذا الذي خلفه يكون له أجر الغازي؛ لأنَّه أعانه[٤].

قال ابن تيمية- رحمه الله-: التَّعاون نوعان: الأوَّل: تعاونٌ على البرِّ والتَّقوى؛ مِن الجهاد وإقامة الحدود، واستيفاء الحقوق، وإعطاء المستحِقِّين؛ فهذا ممَّا أمرَ اللهُ به ورسولُهُ صلى الله عليه وسلم. ومَن أمسك عنه خشية أن يكون مِن أعوان الظَّلمة فقد ترَكَ فرْضًا على الأعيان، أو على الكفاية مُتوهِّمًا أنَّه مُتورِّعٌ. وما أكثرَ ما يشتبه الجبن والفشل بالورع؛ إذ كلٌّ منهما كفٌّ وإمساكٌ.

والثَّاني: تعاونٌ على الإثم والعدوان؛ كالإعانة على دمٍ معصومٍ، أو أخذ مالٍ معصومٍ، أو ضرْب مَن لا يستحِقُّ الضَّرب، ونحو ذلك؛ فهذا الذي حرَّمه اللهُ ورسولُهُ صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أدب الدنيا والدين (ص: ١٨٢). أدب الدنيا والدين، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٧) برقم (٢٨٤٣) كتاب الجهاد والسير باب فضل من جهز غازيًا أو خلفه بخير. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٠٦) برقم (١٨٩٥) كتاب الإمارة باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير.

(٤) ينظر: شرح رياض الصالحين (٢/ ٣٧٤).

نعم، إذا كانت الأموال قد أُخِذَت بغير حقٍّ، وقد تعذَّر ردُّها إلى أصحابها، ككثيرٍ مِن الأموال السُّلطانيَّة؛ فالإعانة على صرْف هذه الأموال في مصالح المسلمين كسداد الثُّغور، ونفقة المقاتلة، ونحو ذلك؛ مِن الإعانة على البرِّ والتَّقوى[1].

ومن صور التعاون التي وردتْ في القرآن الكريم:

١- أمَرَ الله سبحانه وتعالى إبراهيم- عليه السَّلام- ببناء الكعبة، فقام إبراهيم- عليه السَّلام- استجابةً لأمر الله، وطلب مِن ابنه إسماعيل أن يساعده على تنفيذ هذا الأمر الإلٰهي، ويُعينه في بناء الكعبة، فقال له: يا إسماعيل؛ إنَّ الله أمرني بأمْرٍ، قال: فاصنعْ ما أمرَكَ ربُّكَ، قال: وتُعينُني؟ قال: وأُعينُك، قال: فإنَّ الله أمرَني أن أبنيَ هاهنا بيتًا، وأشار إلى أكمةٍ مرتفعةٍ على ما حولها، قال: فعند ذلك رفعا القواعد مِن البيت، فجعل إسماعيل يأتي بالحجارة وإبراهيم يبني، حتى إذا ارتفع البناء؛ جاء بهذا الحجر فوضعه له فقام عليه، وهو يَبني وإسماعيل يُناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[2]، قال: فجعلا يبنيانِ حتى يدورا حول البيت.

٢- لقد مكَّن الله عزَّ وجلَّ لذي القرنين في الأرض، وآتاه مِن كلِّ شيءٍ سببًا، فتوفَّرت القدرة والسُّلطة، وتهيَّأتْ أمامه أسبابُ القوَّة والنُّفُوذ التي لم تتوفَّرْ لكثيرٍ غيره. قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾[3]، ومع ذلك لم يستغن ذو القرنين عن معونة الآخرين حينما أراد أن يقوم بعملٍ كبيرٍ، وإنجازٍ عظيمٍ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾[4]، فصارحهم ذو القرنين بأنَّ مِثل هذا العمل الضَّخم يحتاج إلى التَّعاون، ولا يَتمُّ دونه؛ ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٨٣). مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٢) البقرة: ١٢٧.

(٣) الكهف: ٨٣-٨٤.

(٤) الكهف: ٩٣-٩٤.



جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرًا﴾ (١)، فماذا كانتْ نتيجة هذا التّعاون العظيم؟ كانت نتيجتُه إتمامَ عملٍ عظيمٍ، سدٌّ منيعٌ، لا يستطيع مُهاجموه أن يَعلوا ظهره، ولا أن يُحدِثوا فيه خَرْقًا. والدَّرس الذي نخرج به أنَّ التَّعاون إذا أخلص له أهلُهُ، وبذلوا فيه بصدْقٍ ما استطاعوا؛ حقَّق لهم مِن النتائج ما يكفي ويشفي.

بل إنَّ التعاون ظاهرةٌ كونيةٌ بين العديد من المخلوقات حتى الحيوانات، وكلُّنا يعلم مظاهر التعاون في عالم النمل، وصدَقَ الشاعر حين صوَّر ذلك قائلًا:

إِنِّي رأيـــــتُ نملــــــةً	فِي حـيرةٍ بـين الجبـالْ
لمْ تستطعْ حمْلَ الطَّعامِ	وحْـدَها فـوقَ الرِّمـالْ
نادتْ على أختٍ لها	تُعينُهـا فالحمْـلُ مَـالْ
لمْ يســـتطيعا حمْلَــه	تــذكَّرا قــولًا يُقَــالْ
تَعـــاونُوا جمــــيعُكمْ	فــالخيرُ يأتي بالوصــالْ
نادتْ علــى إخوانِهــا	جــاءُوا جميعًـا بالجِبـالْ
جرُّوا معًا طعامَهــــــمْ	لمْ يَعــرِفوا شيئًا مُحَالْ (٢)

الخلاصة: كان الصَّحابة- رضوان الله عليهم- والتابعون وتابعوهم والصالحون في كل زمان ومكان؛ مثالًا يُحْتَذى بهم في التَّعاون، وكانوا في ذلك المثل الأسمى، فكانوا كخليَّة النَّحل في تكاتُفها وتعاونها، ففي الوقت الذي كان فيه أبو عبيدة بن الجرَّاح، وسعد بن أبي وقَّاص، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص؛ يفتحون مصر والشَّام والعراق، كان أبو بكر وعمر وعثمان وعلي يسوسون النَّاس، ويرعون شؤونهم، وكان معاذ بن جبل وابن عبَّاس وابن عمر يُعلِّمون النَّاس، ويُفتونهم ويُربُّونهم، وكان أبو هريرة وأنس وعائشة يحفظون الحديث ويروونه، وكان أبو ذرٍّ وأبو الدَّرداء يَعظُون النَّاس والحُكَّام وينصحونهم، فتعاوَنوا ولم يتعاتبوا، وتناصروا ولم يتدابروا. - رضي الله عنهم جميعًا-.

ولله درُّ القائل:

كُونـوا جميعًـا يَا بَـنِيَّ إذا اعـترى	خَطْــبٌ وَلَا تتفرَّقــوا آحَــادَا
تَأبَى القِداحُ إذا اجتمعْنَ تكَسُّرًا	وإذا افترَقنَ تكسَّرتْ أفْرَادَا (٣)

---

(١) الكهف: ٩٥-٩٦.

(٢) إني رأيت نملة. للشاعر: إيهاب عبدالسلام. https://www.modars١.com/t٦٨٠٨٥-topic.

(٣) فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء (ص: ٧٩). فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء، المؤلف: أبو محمد أحمد بن محمد، المعروف بابن عربشاه (المتوفى: ٨٥٤هـ)، حققه وعلق عليه: أيمن عبد الجابر البحيري، الناشر: دار الآفاق العربية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٨ جمادى الأولى

الكرم

الكرم إنفاق المال الكثير بسهولة من النفس في الأمور الجليلة القدر، الكثيرة النفع[١].

وقيل: هو التبرُّع بالمعروف قبل السؤال، والإطعام في المحل، والرأفة بالسائل مع بذْل النائل[٢].

ومن أفضل ما قيل في تعريف الكرم: هو البذْل والسخاء بالنفس والوقت، والمال والجاه، في جميع الأحوال.

والكرم أولًا صفة من صفات الله تعالى ثابتة له عزَّ وجلَّ بالكتاب والسُّنَّة، فمن أسمائه الحسنى الكريم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾[٣]، وقوله أيضًا: ﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ﴾[٤]، وقوله سبحانه: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾[٥].

وعَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ- رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" إِنَّ اللَّهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ" رواه الترمذي وابن ماجه[٦].

ومن كرمه عزَّ وجلَّ أن وفَّقنا إلى الطاعة، وهدانا إلى الصراط المستقيم، ويُثيبُنا على ذلك بالحياة الطيبة في الدنيا، وبالجنة في الآخرة.

ومن كرمه أيضًا أنْ جعل الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وجعل السيئة بواحدة ويعفو، سبحانك يا كريم: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾[٧].

---

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق (ص: ٣١). تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، المؤلف: أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (المتوفى: ٤٢١هـ)، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، الناشر: مكتبة الثقافة الدينية، الطبعة: الأولى.

(٢) ينظر: البصائر والذخائر (٤/ ١٨٥). البصائر والذخائر، المؤلف: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ)، المحقق: د/ وداد القاضي، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٣) الانفطار: ٦.

(٤) الفجر: ١٥.

(٥) العلق: ٣.

(٦) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٧٨) برقم (١٤٨٨) باب تفريع أبواب الوتر باب الدعاء. والترمذي في جامعه (٥/ ٥٥٦) برقم (٣٥٥٦) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٧١) برقم (٣٨٦٥) كتاب الدعاء باب رفع اليدين في الدعاء. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٣/ ٤٨٨).

(٧) الأنعام: ١٦٠.



والكرم ثانيًا صفة من صفات الأنبياء والمرسَلين، فهم صفوة خلق الله تعالى، وقد اتَّصفوا بمعالي الأمور، وإليكم بعض شواهد الكرم في حياة الأنبياء والصالحين:

١- كرم خليل الرحمن إبراهيم- عليه السلام-: فهو أول من ضيَّف الضيفان، حتَّى سُمِّي أبا الضيفان، وقيل: هو أول مَن بَنَى دار الضيافة، وجعل لها بابين، فقد رُوي عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه قال: إنَّ الله وسَّع على خليله إبراهيم- عليه السلام- في المال والخدم، فاتَّخذ بيتًا للضيافة له بابان: يدخل الغريب مِن أحدهما ويخرج مِن الآخر، وجعل في ذلك البيت كسوة الشتاء والصيف، ومائدة منصوبة عليها طعام، فيأكل الضيف إن كان جائعًا، ويلبس إن كان عُريانًا[١].

وقد أثنى الله تعالى عليه في كتابه العزيز في إكرام ضيفه من الملائكة حيث يقول سبحانه: ﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴾[٢].

٢- كرم رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقد كان صلى الله عليه وسلم يُعطي عطاءً يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر، عطاء مَن لا يخشى الفقر.

فقد غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة الفتح- فتح مكة-، ثم خرج بمَن معه من المسلمين، فاقتتلوا بحُنين، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذٍ صفوان بن أمية مائةً من النعم ثم مائةً ثم مائةً، حتَّى قال صفوان:" والله لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وإنه لأبغضُ الناس إليَّ، فما برِحَ يُعطيني حتَّى أنَّه لأحبُّ الناسِ إليَّ" رواه مسلم[٣].

وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: أُتي النبيُّ صلى الله عليه وسلم بمالٍ من البحرين، فقال: انثروه في المسجد، فكان أكثر مال أُتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ جاءه العبَّاس فقال: يا رسول الله؛ أعطني إني فاديتُ نفسي وفاديتُ عقيلًا، فقال: خُذ، فحثا في ثوبه، ثم ذهبَ يُقِلُّه فلم يستطع، فقال: اؤمرْ بعضَهم يَرفعه إليَّ، قال: لا، قال: فارفعْه أنتَ عليَّ، قال: لا، فنثرَ منه

---

(١) ينظر: إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى (٢/ ٧٠). إتحاف الأخِصّا بفَضَائل المسجد الأقصى، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن علي بن عبد الخالق، المنهاجي الأسيوطي ثم القاهري الشافعي (المتوفى: ٨٨٠هـ)، المحقق: د/ أحمد رمضان أحمد، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتب، عام النشر: ١٩٨٢ - ١٩٨٤م.

(٢) الذاريات: ٢٤-٢٧.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٦) برقم (٢٣١٣) كتاب الفضائل باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك.

ثم ذهبَ يُقِلُّه فلم يرفعْه (يستطع)، فقال: فمُرْ (اؤمرْ) بعضَهم يَرفعه عليَّ، قال: لا، قال: فارفعْه أنتَ عليَّ، قال: لا، فنثرَ منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلقَ، فما زالَ يتبعه بصره حتَّى خفي علينا، عجبًا مِن حرصه، فما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وَثَمَّ مِنْهَا دِرْهَمٌ" رواه البخاري[١].

كَرِيمٌ إِذا ما جِئتَ طالِبَ فَضْلِهِ حَباكَ بِما تَحوي عَلَيهِ أَنامِلُه

فَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيرُ رُوحِهِ لَجَادَ بِهَا فَلْيَتَّقِ اللَّهَ سائِلُه

وَمَا بُعِثَتْ فِي العَالَمِينَ فَضيلَةٌ مِنَ المجدِ إِلَّا مَجْدُهُ وَفَضائِلُه[٢]

٣- يقول المؤرّخ والمفكّر المعاصِر أورخان محمد عليٌّ، في الجزء الأول من كتابه (جوامع إسطنبول): كان هناك شخصٌ ورِعٌ يعيش في منطقة (الفاتح)، واسمه (خير الدين كججي أفندي)، كان يتمنَّى أن يبنِيَ جامعًا في مكانٍ مِن أفضل الأماكن، فكان عندما تتوق نفسُه لشراءِ فاكهةٍ أو لحمٍ أو حلوى؛ كان يقول في نفسه: سأفترض أنَّني أكلتُه، ثم يضع ثمنَ تلك الفاكهة أو اللحم أو الحلوى في صندوقٍ عنده. ثم مضت الأشهر والسنوات وهو على هذه الحال، يمنع نفسه عن كثيرٍ من لذائذ الأكل، وبالتالي تزداد النقود في صندوقه الكبير شيئًا فشيئًا، حتَّى استطاع ذاتَ يومٍ أن يشتري الأرض الصالحة للبناء، ثم أخذ في بناء المسجد وحدَه دون طلب معونةٍ من أحد، ولَمَّا كان أهل المكان يَعرفون فقرَ هذا الشخص؛ فقد فُوجئوا بهذا، ولَمَّا عَرَفوا قصَّته انبهروا بها، وأطلقوا على الجامع الذي تمَّ بناؤه اسم (جامع كأنَّني أكلتُه)، وما زال الجامعُ معروفًا هناك باللغة التركية باسم (جامع صانكي يدم)؛ أي: جامع (أفترض أنَّني أكلتُ).

يَجودُ بالنفسِ إذ ضنَّ البخيلُ بها والجودُ بالنَّفسِ أقصى غايةِ الجودِ[٣]

الخلاصة: ما قاله ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-: ساداتُ النَّاس في الدُّنيا الأسخياءُ، وفي الآخرة الأتقياءُ[١]. وما قاله سلمان الفارسي- رضي الله عنه-: إذا ماتَ السَّخيُّ قالت الأرضُ والحفظةُ: ربِّ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٩١) برقم (٤٢١) كتاب الصلاة باب القسمة، وتعليق القنو في المسجد.

(٢) ينظر: الوحشيات = الحماسة الصغرى (ص: ٢٤٧) دون البيت الأخير، والبيت الأخير والذي قبله ذكرهما ابن المعتز في طبقات الشعراء (ص: ٤٣٥). الوَحشيَّات وهوَ الحمَاسَة الصُّغرى، المؤلف: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: الشاعر، الأديب (المتوفى: ٢٣١هـ)، علق عليه وحققه: عبد العزيز الميمني الراجكوتي، وزاد في حواشيه: محمود محمد شاكر، الناشر: دار المعارف، القاهرة، الطبعة: الثالثة. طبقات الشعراء، المؤلف: عبد الله بن محمد ابن المعتز العباسي (المتوفى: ٢٩٦هـ)، المحقق: عبد الستار أحمد فراج، الناشر: دار المعارف – القاهرة، الطبعة: الثالثة.

(٣) ينظر: تاريخ الإسلام (٤/ ١٢٠٧). تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣م.



تجاوَزْ عن عبدك في الدنيا بسخائه، وإذا ماتَ البخيلُ قالتا: اللَّهُمَّ احجبْ هذا العبد عن الجنَّة، كما حجبَ عبادك عمَّا جعلتَ في يديه من الدنيا(٢).

وفي الختام؛ رسالة إلى البخلاء الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله:

قـلْ لي بِربِّـكَ مـاذا يَنفـعُ المـالُ ... إنْ لمْ يُزيِّنْهُ إحْســانٌ وإفْضـــالُ
المـالُ كالمـاءِ إنْ تُحْـبَسْ سَـواقِيهِ ... يَأْسَنْ، وإنْ يَجْرِ يَعْذُبْ منْهُ سَلْسَالُ
تَحيَـا عَلَـى المـاءِ أَعْـرَاسُ الـرِّيَاضِ ... تَحيـا عَلَى المالِ أرْواحٌ وَآمَـالُ
كَمَـا إنَّ الثَّـرَاءَ إذا حِيلتْ مَوارِدُهُ ... دُونَ الفَقـيرِ فَخَيرٌ منْهُ إقْـلَالُ
اللهُ أعْطاكَ فابــذُلْ مِنْ عَطِيَّتِهِ ... فَالمـالُ عَارِيَةٌ والعُمرُ رَحَّـالُ(٣)

---

(١) العقد الفريد (١/ ١٩١). العقد الفريد، المؤلف: أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه ابن حبيب ابن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (المتوفى: ٣٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.

(٢) البخلاء للخطيب البغدادي (ص: ٧٣). البخلاء للخطيب البغدادي، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، بعناية: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي، دار ابن حزم، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠ م.

(٣) موارد الظمآن لدروس الزمان (٣/ ٧٤). موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، المؤلف: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الطبعة: الثلاثون، ١٤٢٤هـ.

٩ جمادى الأولى

الحلم

ما أجمل العفو عند المقدرة، وما أجمل الحِلْم والصَّفْح بدلًا من الغضب والثأر، إنَّ إيذاء أو مقاتلة أولئك الجُهَّال لم يَطِشْ له حِلْمُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الشُّقَّة بعيدةٌ بين رَجُلٍ اصطفاه الله رسولًا خاتمًا؛ وبين قوم سفَّهوا أنفسهم وتهاووا على عبادة الأصنام.

إنَّها جاهليةٌ عالج رسول الله صلى الله عليه وسلم داءها، حيث كانت تقوم على نوعَيْن من الجهالة: جهالة ضد العلم، وأخرى ضد الحِلْم، فأمَّا الأولى فعلاجها يتمُّ بأنواع المعرفة وفنون الإرشاد، وأمَّا الأخرى فدواؤها يعتمد على كَبْح الهوى ومنع الفساد والجهل الذي كان العرب يفتخرون بأنَّهم يلقونه بجهلٍ أشدَّ، حتى قال قائلُهم فخرًا وتيهًا:

أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا[١]

فجاء الإسلام يُكفكف من هذه النزوات، ويقيم أركان المجتمع على الفضل، فإن تعذَّر فالعدل، ولن تتحقَّق هذه الغاية إلَّا إذا هَيْمَن العقل الرَّاشد على غريزة الجهل والغضب.

لذا جاء الإسلام بالحِلم، وهو ضبطُ النفس عند الغضب، وكفُّها عن مقابلة الإساءة بالإساءة، مع تحكيم المسلم دينَه وعقله عند إيذاء الآخرين له، مع قدرته على ردِّ الإيذاء بمثله.

والحليم اسمٌ من أسماء الله الحسنى، قال تعالى: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ﴾[٢].

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو عند الكرب يقول:" لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله ربُّ السموات والأرض، وربُّ العرش العظيم" متفق عليه[٣].

---

(١) جمهرة أشعار العرب (ص: ٨٧). جمهرة أشعار العرب، المؤلف: أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (المتوفى: ١٧٠هـ)، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

(٢) البقرة: ٢٣٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧٥) برقم (٦٣٤٥) كتاب الدعوات باب الدعاء عند الكرب. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٢) برقم (٢٧٣٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب دعاء الكرب.



يقول الإمام أبو حامد الغزالي في بيان معنى اسم الله الحليم: الحليم هو الذي يشاهد معصية العصاة، ويرى مخالفة الأمْر، ثم لا يستفزُّه غضبٌ، ولا يعتريه غيظٌ، ولا يحمله على المشاركة إلى الانتقام، مع غاية الاقتدار(١).

كما وَصَفَ الله عزَّ وجلَّ بعضَ أنبيائه بالحلم؛ فقال عن إبراهيم- عليه السلام-: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ﴾(٢).

كما وصف إسماعيل- عليه السلام- بالحلم في قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾(٣). كما وردتْ آيات قرآنية عديدةٌ تشير إلى هذا الخُلُق الفاضل، وتدعو المسلمين إلى ضرورة التحلِّي به؛ قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٤)، وقال عز وجل: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(٥)

كما بلَغَ سيدُنا محمدٌ صلى الله عليه وسلم قمَّةَ هذا الخُلُق العظيم، وذروة هذا الأدب الرفيع، فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: كنتُ أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه بُرْدٌ نجراني غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة، حتى نظرتُ إلى صفحة عاتق رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قد أثَّرت بها حاشية البرد؛ من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد؛ مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفتَ إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أمر له بعطاء. متفق عليه(٦).

كما دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى التحلِّي بهذا الخُلق؛ فعن سهل بن معاذ عن أبيه- رضي الله عنه- أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" من كظَم غيظًا وهو قادرٌ على أن يُنفذه؛ دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق، حتى يُخيِّره من أي الحور العين شاء" رواه أحمد(٧).

---

(١) المقصد الأسنى (ص: ١٠٣). المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، المحقق: بسام عبد الوهاب الجابي، الناشر: الجفان والجابي – قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ – ١٩٨٧.

(٢) هود: ٧٥.

(٣) الصافات: ١٠١

(٤) آل عمران: ١٣٣، ١٣٤

(٥) الأعراف: ١٩٩.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٩٤) برقم (٣١٤٩) كتاب فرض الخمس باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٣٠) برقم (١٠٥٧) كتاب الزكاة باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة.

(٧) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ٣٩٨) برقم (١٥٦٣٧). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٤٨) برقم (٤٧٧٧) كتاب الأدب باب من كظم غيظًا. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠٠) برقم (٤١٨٦) كتاب الزهد باب الحلم. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٢٧٧).

ومِمَّا ورد من بعض الرجال الذين اتَّصفوا بهذا الخلق الرفيع والأدب الجمّ؛ أنَّ رجلًا سبَّ الأحنف بن قيس وهو يُماشيه في الطريق، فلما قرُب من المنزل؛ وقف الأحنف وقال: يا هذا؛ إن كان بقي معك شيءٌ؛ فقُلْه هاهنا، فإنِّي أخاف إن سمعك فتيانُ الحيِّ أن يُؤذوك[١].

وقيل للأحنف يومًا: ممَّن تعلمتَ الحلم؟ قال: مِن قيس بن عاصم المنقري، بينا نحن عنده يومًا، وهو قاعد بفنائه مُحتبٍ بكسائه؛ أتتْه جماعةٌ فيهم مقتولٌ ومكتوفٌ، فقالوا: هذا ابنُك قتلَه ابنُ أخيك، فوالله ما حلَّ حبوتَه حتى فرغَ من كلامه، ثم التفتَ إلى ابنٍ له في المسجد فقال له: اطلقْ ابن عمِّك، ووارِ أخاك، واحملْ إلى أمِّه مائةً من الإبل، فإنَّها غريبةٌ[٢].

وقيل لقيس بن عاصم: ما الحلم؟ قال: أن تَصِلَ مَن قطعكَ، وتُعطيَ مَن حرَمكَ، وتعفوَ عمَّن ظلمكَ[٣].

وقال عليٌّ- رضي الله عنه-: "مَن لانتْ كلمتُه وجبتْ محبَّتُه، وحلْمُك على السفيه يُكثرُ أنصارَكَ عليه"[٤].

وقال الحسن- رحمه الله-: المؤمن حليمٌ لا يجهلُ؛ وإنْ جهلَ الناسُ عليه، وتلا قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا﴾[٥][٦].

وشتم رجلٌ الشعبيَّ، فقال له: إن كنتَ صادقًا فغفرَ الله لي، وإن كنتَ كاذبًا فغفرَ الله لك[٧].

وأسمع رجلٌ عمرَ بن عبد العزيز- رحمه الله- بعضَ ما يكره، فقال: لا عليك؛ إنَّما أردتَ أن يستفزَّني الشيطان بعزَّة السلطان، فأنال منك اليومَ ما تناله مني غدًا، انصرفْ إذا شئتَ[٨].

---

(١) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: ٢٠٣).

(٢) المجالسة وجواهر العلم (٣/ ١٦٧). المجالسة وجواهر العلم، المؤلف : أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: جمعية التربية الإسلامية (البحرين – أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت – لبنان)، تاريخ النشر: ١٤١٩هـ.

(٣) العقد الفريد (٢/ ١٣٧).

(٤) العقد الفريد (٢/ ١٣٨).

(٥) الفرقان: ٦٣.

(٦) العقد الفريد (٢/ ١٣٧).

(٧) العقد الفريد (٢/ ١٣٥).

(٨) العقد الفريد (٢/ ١٣٨).



والحليم إمَّا أن يكون حليمًا مفطورًا على الخير، مجبولًا عليه، وهذا كأَشَجّ عبد القيس، الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم:" إنَّ فيك خَصْلَتَيْن يحبُّهما الله ورسوله؛ الحِلْمُ والأناة" فقال: أشيءٌ تخلَّقْتُ به أم جُبِلْتُ عليه يا رسول الله؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا؛ بل جُبِلْتَ عليه"، فقال:" الحمدُ لله، الذي جَبَلَني على خَصْلَتَيْن يحبُّهما الله ورسوله" رواه مسلم(١).

وإما أن يحاول المسلم أن يجاهد نفسه حتى يتحلَّى بهذه الصفة العظيمة، فيقول الرسول صلى الله عليه وسلم:" ليس الشَّديدُ بالصُّرَعَة، ولكنَّ الشَّديدَ الذي يملك نفسَه عندَ الغضبِ" رواه البخاريُّ ومسلم(٢).

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ- رحمه الله-: مَن اتَّصف بالحلم والأناة كان حكيمًا، ولهذا فالغضوب لا يصلح أن يكون مُعالِجًا للأمور، بل يحتاج إلى أن يهدأ حتى يكون حكيمًا(٣).

والخلاصة: ما أحوجَنا إلى التحلّي بهذا الخلق الفضيل، والسلوك القويم؛ حتى نكون من الذين يُنعِم عليهم الخالقُ عزَّ وجلَّ بالثواب العظيم، فقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" إذا جمع الله الخلائق؛ نادى منادٍ: أين أهل الفضل؟ قال: فيقوم ناس وهم يسير، فينطلقون سراعًا إلى الجنة، فتتلقَّاهم الملائكة فيقولون: ما فضلُكم؟ فيقولون: كنَّا إذا ظُلمنا صَبرْنا، وإذا أُسيء إلينا حلُمنا، فيقال لهم: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين" رواه البيهقي وابن أبي الدنيا(٤).

لَا يُدرِكُ المجدَ أقوامٌ وَإِنْ كَرُمُوا ... حــتَّى يَــذِلُّوا وإنْ عَــزُّوا لأقــوَامِ
ويُشتَموا فترى الألوانَ مُسـفِرَةً ... لَا صَفحَ ذُلٍّ ولكنْ صفحُ أحْلَامِ(٥)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٨) برقم (١٧) كتاب الإيمان باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٨) برقم (٦١١٤) كتاب الأدب باب الحذر من الغضب. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠١٤) برقم (٢٦٠٩) كتاب البر والصلة والآداب باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب.

(٣) ينظر: من أقوال السلف في الحلم والرفق، فهد بن عبد العزيز بن عبد االله الشويرخ. ينظر موقع صيد الفوائد http://www.saaid.net/Doat/alshwairek/١٩٥.htm.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في الحلم (ص: ٥١) برقم (٥٦). وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ١٤٠). والبيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٤٢٢) برقم (٧٧٣١). والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٤/ ٣٨٧). الحلم، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: محمد عبد القادر أحمد عطا، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٣. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

(٥) ينظر: الحلم لابن أبي الدنيا (ص: ٥٤).

١٠ جمادى الأولى

التودد

التَّودُّد لغةً: من الوُدِّ، وهو مصدر المَوَدَّة، وهو الحُبُّ. ويكون في جميع مداخل الخير، والتوادُّ التحابُّ. وتَودَّدَ إليه: تَحَبَّبَ. وتَوَدَّدَه: اجْتَلَبَ وُدَّه[١].

ومعنى التَّودُّد اصطلاحًا: هو طلب مَوَدَّة الأكفاء بما يوجب ذلك[٢].

وقال ابن حجر: هو تقرُّب شخصٍ من آخر بما يُحِبُّ. وقال ابن أبي جمرة: التَّوَادُد هو التَّواصل الجالب للمحبَّة[٣].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ- رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" الاقْتِصَادُ فِي النَّفَقَةِ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ، وَالتَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ نِصْفُ الْعَقْلِ، وَحُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ" رواه الطبراني[٤].

وقال ابن الأثير: الودود في أسماء الله تعالى فعول بمعنى مفعول، من الوُدِّ والمحبَّة، فالله تعالى ودودٌ أي: محبوبٌ في قلوب أوليائه، أو هو فعول بمعنى فاعل، أي يُحبُّ عباده الصالحين بمعنى يرضى عنهم[٥]. قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾[٦].

قال عمر- رضي الله عنه-: ثلاثٌ يُصفينَ لك وُدَّ أخيك: أن تُسلِّمَ عليه إذا لقيتَه أوَّلًا، وتُوسِّعَ له في المجلس، وتدعوه بأحبِّ أسمائه إليه[٧].

---

(١) ينظر: لسان العرب (٣/ ٤٥٣). لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

(٢) التعريفات (ص: ٧١).

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٣٩).

(٤) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٢٥) برقم (٦٧٤٤). والبيهقي في شعب الإيمان (٨/ ٥٠٤) برقم (٦١٤٨). والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١/ ٢٩٠).

(٥) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١٦٥). النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٦) البروج: ١٤.

(٧) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٨/ ١٩٢) برقم (٨٣٦٩). والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٣/ ٤٨٥) برقم (٥٨١٥). والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف الجامع الصغير (٣/ ٢٩٤). صحيح وضعيف الجامع الصغير، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾(١).

قيل لابن عقيل: أسمعُ وصيةَ الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٢)، وأسمعُ النَّاسَ يَعُدُّون مَن يُظهِرُ خلافَ ما يُبطِنُ مُنافقًا، فكيف لي بطاعة الله تعالى، والتَّخلُّص من النِّفاق؟ فقال: النِّفاق هو إظهار الجميل وإبطان القبيح، وإضمار الشَّر مع إظهار الخير لإيقاع الشَّر. والذي تضمَّنتْه الآية: إظهار الحُسن في مقابلة القبيح لاستدعاء الحسن(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(٤). لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا أي: تستأنسوا بها، وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً أي: محبَّة، وَرَحْمَةً يعني: الولد.

وقال السدي: المودَّة: المحبَّة، والرحمة: الشفقة، ورُوي معناه عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال : المودَّة حُبُّ الرجُلِ امرأتَه، والرحمة رحمته إياها أن يُصيبها بسوء(٥).

وقال الطبري: وقوله:﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ يقول: جعل بينكم بالمصاهرة والخُتُونة؛ مَوَدَّة تتوادُّون بها، وتتواصلون مِن أجلها، وَرَحْمَةً رحمَكم بها، فعطف بعضكم بذلك على بعض(٦).

وقال تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا﴾ (٧). عن مجاهد قال: يُحبُّهم ويُحبِّبُهم إلى المؤمنين(٨).

وعن النُّعمان بن بَشير- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم؛ مثَلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ؛ تداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمَّى" رواه البخاري ومسلم(٩).

---

(١) فصلت: ٣٤.

(٢) فصلت: ٣٤.

(٣) الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٥١). الآداب الشرعية والمنح المرعية، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب.

(٤) الروم: ٢١.

(٥) تفسير القرطبي (١٤/ ١٧).

(٦) تفسير الطبري = جامع البيان (٢٠/ ٨٦).

(٧) مريم: ٩٦.

(٨) تفسير الطبري = جامع البيان (١٨/ ٢٦٢).

(٩) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠) برقم (٦٠١١) كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٩) برقم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.



ففي هذا الحديث: تعظيم حقوق المسلمين، والحضُّ على تعاونهم، وملاطفة بعضهم بعضًا.

وعن معقل بن يسار- رضي الله عنه- قال: جاء رجُلٌ إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إنِّي أصبتُ امرأةً ذاتَ حسبٍ وجمالٍ، وإنَّها لا تلدُ، أفأتزوجُها؟ قال: لا. ثم أتاه الثَّانية فنهاه، ثم أتاه الثَّالثة، فقال: تزوَّجوا الوَدُود الولود؛ فإنِّي مكاثرٌ بكم الأمم. رواه أبو داود(١).

والوَلُود: كثيرة الولد، والوَدُود: المَوْدُودَة، لما هي عليه من حُسْن الخُلُق، والتَّوَدُّد إلى الزَّوج.

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه-: أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله؛ إنَّ لي قرابةً أصِلُهم ويقطعوني، وأُحسنُ إليهم ويُسيئون إليَّ، وأَحْلُم عنهم ويجهلون عليَّ، فقال:" لئن كنتَ كما قلتَ فكأنَّما تُسِفُّهم الملَّ، ولا يزال معك مِن الله ظهيرٌ عليهم ما دُمتَ على ذلك" رواه مُسلمٌ(٢).

فأيَّده النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم على تَوَدُّدِه إليهم، وإن لم يجدْ منهم مُقابلًا لما يقوم به إلَّا الإساءة إليه.

وعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أنَّ رجلًا من الأعراب لقيه بطريق مكَّة، فسلَّم عليه عبد الله، وحمله على حمارٍ كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه، فقيل له: أصلحك الله، إنَّهم الأعراب، وإنَّهم يرضون باليسير، فقال عبد الله: إنَّ أبا هذا كان وُدًّا لعمر بن الخطَّاب، وإنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إنَّ أبَرَّ البِرِّ صِلَةُ الولدِ أهلَ وُدِّ أبيه" رواه مسلم(٣).

قال النَّووي: (إنَّ أبا هذا كان وُدًّا لعمر) قال القاضي: رويناه بضم الواو وكسرها، أي: صديقًا من أهل مَوَدَّته، وهي محبَّتُه. وقوله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ أبَرَّ البِرِّ صِلَةُ الولدِ أهلَ وُدِّ أبيه"، وفي رواية: "إنَّ مِن أبَرِّ البِرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أهلَ وُدِّ أبيه بعد أنْ يُوَلِّيَ"، الوُدُّ هنا مضموم الواو، وفي هذا فضل صِلَة أصدقاء الأب، والإحسان إليهم وإكرامهم، وهو متضمِّنٌ لبِرِّ الأب وإكرامه؛ لكونه بسببه، وتلتحق به أصدقاء الأُمِّ والأجداد والمشايخ، والزَّوج والزَّوجة(٤).

لذا كان الصَّحابة- رضي الله عنهم- حريصين على أن يتَّصفوا بهذه الصِّفة، فهذا أبو هريرة- رضي الله عنه- يأتي النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم ليدعو له أن يُحبِّبَه هو وأمَّه إلى المؤمنين، ويُحبِّب المؤمنين إليهم، فقال: يا رسول الله؛ ادعُ الله أن يُحبِّبني أنا وأمِّي إلى عباده المؤمنين، ويُحبِّبهم إلينا. قال:

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٢٢٠) برقم (٢٠٥٠) كتاب النكاح باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء. والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ١٦٠) برقم (٥٣٢٣) كتاب النكاح، النهي عن تزويج المرأة التي لا تلد. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٥/ ٥٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٢) برقم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة والآداب باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٧٩) برقم (٢٥٥٢) كتاب البر والصلة والآداب باب صلة أصدقاء الأب والأم، ونحوهما.

(٤) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٠٩). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" اللهمَّ حبِّب عُبَيدك هذا- يعني أبا هريرة- وأمَّه إلى عبادك المؤمنين، وحبِّب إليهم المؤمنين". فما خُلِقَ مؤمنٌ يسمعُ بي ولا يراني إلَّا أحبَّني. رواه مسلم(١).

وسُئل الحسن عن حُسن الخُلُق فقال: الكرم، والبذلة، والتَّودُّد إلى النَّاس(٢).

وعن ميمون بن مهران قال: المروءة طلاقة الوجه، والتَّودُّد إلى النَّاس، وقضاء الحوائج(٣).

والخلاصة: أنَّ التودُّد نوعان:

١- تودُّد محمود: وهو ما كان ناشئًا من محبَّة مُعتدلة لأهل الخير والصلاح.

٢- تودُّد مذموم: وهو التودُّد إلى الكفَّار والظالمين وفسقة الناس.

قال المنصور أمير المؤمنين لابنه المهدي: اعلمْ أنَّ رضاءَ النَّاس غايةٌ لا تُدرَك، فتحبَّبْ إليهم بالإحسان جهدَكَ، وتودَّدْ إليهم بالإفضال، واقصدْ بإفضالك موضع الحاجة منهم(٤).

تغــيَّرتِ الأحبـــةُ والإخـــاءُ ... وَقَـلَّ الصِّـدقُ وانقطـعَ الرَّجـاءُ
وأسـلمَني الزَّمـانُ إلى صـديقٍ ... كثـيرِ الغـدرِ لـيسَ لَـهُ وَفـاءُ
يُـــديمونَ المـــوَدَّةَ مَـــا رَأَوني ... ويبقـى الـوُدُّ مـا بقِـيَ اللِّقـاءُ
وكــــلُّ مَـــوَدَّةٍ للهِ تصـــفو ... ولا يصـفو علـى الخلـقِ الإخـاءُ
وكـــــلُّ جراحـــةٍ فلها دواءٌ ... وخُلُـقُ السُّـوءِ لـيس لـه دواءُ(٥)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٣٨) برقم (٢٤٩١) كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم صحيح باب من فضائل أبي هريرة الدوسي رضي الله عنه.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في كتابه الإخوان (ص: ٢١٢). الإخوان، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م.

(٣) المروءة (ص: ٧٠). المروءة، تصنيف: أبي بكر محمد بن خلف بن المرزبان المتوفى سنة ٣٠٩هـ، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩م.

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ٢٣٥). روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٥) مفيد العلوم ومبيد الهموم (ص: ٢٧٠). مفيد العلوم ومبيد الهموم، المؤلف: ينسب لأبي بكر الخوارزمي محمد بن العباس (المتوفى: ٣٨٣هـ)، الناشر: المكتبة العنصرية، بيروت، عام النشر: ١٤١٨هـ.



١١ جمادى الأولى

التغافل

سُئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: أين نجد العافية؟ فقال: تسعة أعشار العافية في التغافُل عن الزلات، ثم قال: بل هي العافية كلُّها[١].

فالتغافل: حبٌّ واحترام، لا تجاهل ولا إهمال ولا ازدراء. ويحكي القرآن الكريم عن قمة الرُّقي في التغافل، فيقول الله تعالى عن إخوة نبي الله يوسف- عليه السلام-:﴿قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ وَلَمۡ يُبۡدِهَا لَهُمۡۚ قَالَ أَنتُمۡ شَرّٞ مَّكَانٗاۖ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾[٢]، فهاهو يوسف البريء يتغافل عن اتهامه بالسرقة، لأنه يريد حبَّ إخوته وكسب قلوبهم، مع قدرته على الردِّ، فالتغافل قوَّةٌ لا ضعف.

وكفَّار قريش يشتمون النبيَّ الكريم صلى الله عليه وسلم وينادونه مُذمَّمًا، فما كان منه إلَّا أن قال:" أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ؛ يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ" رواه البخاري[٣]. فأصحاب النفوس الراقية والهمم العالية يتغافلون؛ لأنَّ لهم أهدافًا عُظمى يريدون تحقيقها. أيضًا ممَّا أرشدنا إليه ديننا الحنيف في قوله تعالى:﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾[٤]، والجاهل: هو السفيه الذي لا يَزِنُ الكلام، ولا يضع الكلمة في موضعها، ولا يُدرك مقاييس الأمور، لا في الخُلُقِ ولا في الأدب.

قال السعدي: ومَن تغافل عن عيوب الناس وأمسك لسانه عن تتبُّع أحوالهم التي لا يُحبُّون إظهارها؛ سلم دينه وعِرْضه[٥].

---

(١) ينظر: شعب الإيمان (١٠/ ٥٧٥).

(٢) يوسف: ٧٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٨٥) برقم (٣٥٣٣) كتاب المناقب باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٤) الفرقان: ٦٣.

(٥) الفواكه الشهية في الخطب المنبرية والخطب المنبرية على المناسبات (ص: ١١١). الفواكه الشهية في الخطب المنبرية والخطب المنبرية على المناسبات، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.



ويقول ابن الجوزي: ما يزال التغافُل عن الزَّلَّات من أرقى شيم الكرام، فإنَّ الناس مجبولون على الزَّلَّات والأخطاء، فإنِ اهتمَّ المرء بكلِّ زلَّةٍ وخطيئةٍ تعبَ وأتعبَ، والعاقل الذَّكيُّ مَن لا يُدقِّقُ في كلِّ صغيرةٍ وكبيرةٍ؛ مع أهله وأحبابه، وأصحابه وزملائه، وجيرانه، كي تحلو مُجالستُه، وتصفو عشرتُه(١).

وقد قيل عن التغافُل: هو أن تغُضَّ الطرف عن الهفوات، وألا تُحصي السيئات، وأن تترفَّع عن الصغائر، ولا تُركِّز على اصطياد السلبيات، فهو فنٌّ راقٍ لا يُتقنه إلَّا مُحترفو السعادة، وقد قالت العرب قديمًا:

لَيْسَ الْغَبِيُّ بِسَيِّدٍ فِي قَوْمِهِ ... لكِنَّ سَيِّدَ قَوْمِهِ المتَغَابِي(٢)

أَي: المتَغَافِل.

وقد كان التغافُل خُلُقَ النبى صلى الله عليه وسلم، ومن الأمثلة والشواهد على ذلك:

قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾(٣)، أي أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة- رضي الله عنها- ببعض ما أخبرتْ به عائشة - رضي الله عنه-ا مُعاتبًا لها، ولم يُخبرها بجميع ما حصل منها؛ حياءً منه وكرمًا.

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-: مَن لم يتغافلْ تنغَّصتْ عيشتُه.

وقد قال عيسى- عليه السلام- للحواريين: كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائمًا وقد كشف الريحُ ثوبَه عنه؟ قالوا: نسترُه ونُغطِّيه، قال: بل تكشفون عورته، قالوا: سبحان الله، مَن يفعل هذا؟ فقال: أحدُكم يسمعُ بالكلمة في أخيه، فيزيد عليها، ويشيعها بأعظم منها(٤).

تَغافَلْ في الأمُورِ ولَا تُناقِشْ ... فيقْطعَكَ القريبُ وذو المودة(٥)

---

(١) ذكر بعضهم أنه في صفة الصفوة لابن الجوزي، ولم أقف عليه فيه والله أعلم.

(٢) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٨/ ٢٥، بترقيم الشاملة آليا).

(٣) التحريم: ٣.

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين (٢/ ١٧٨).

(٥) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٥/ ٥٥٤). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر- بيروت - لبنان ص. ب ١٠، الطبعة: الجزء: ١ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٢ - الطبعة: ١، ١٩٩٧، الجزء: ٣ - الطبعة: ١، ١٩٩٧، الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٩٧، الجزء: ٥ - الطبعة: ١، ١٩٩٧.



يقول ابن الأثير مُتحدِّثًا عن صلاح الدين الأيوبي: وكان صبورًا على ما يكره، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه، يسمع مِن أحدهم ما يكره، ولا يُعلِّقُ رغم ذلك ولا يتغيَّرُ عليه[١].

وعن أحد الحكماء: أنَّ رجلًا جاءه فقال له: فلانٌ شتمك في أحد المجالس، فردَّ عليه: إن كان فلانٌ رماني بسهمٍ فلم يُصبني، فلماذا حملتَ السهمَ وغرستَه في قلبي؟![٢]

قال القائل:

ولقدْ أمرُّ على السفيهِ يَسبُّنِي　　　فمضيتُ ثمةَ قلتُ: لَا يَعنيني[٣]

وقال معاوية- رضي الله عنه-: العقل مكيال: ثلثه الفطنة، وثلثاه التغافل[٤].

وهذا قدوتنا ورسولنا صلى الله عليه وسلم يُعلِّمنا هذا الأدب العظيم؛ فيقول لأصحابه:" لَا يُبلِّغني أحدٌ عن أحدٍ شيئًا؛ فإنِّي أحبُّ أن أخرجَ إليكم وأنا سليم الصدر" رواه أبو داود[٥].

فلم يكن صلى الله عليه وسلم يتتبَّع زلَّات أصحابه، أو يبحث عن أخطائهم؛ بل كان ينهى عن التجسُّس، وعن تتبُّع العورات، وتفسير المقاصد، ولم يرض أن يُخبره أحدٌ عن أحدٍ شيئًا؛ حتى يبقى صدره سليمًا مُحبًّا لهم جميعًا.

فالذي يتغافل عن الزلَّات يعيش مُحبًّا لمن حوله، محبوبًا منهم، سليم الصدر من الأحقاد والأضغان؛ ولهذا كانت العافية كلُّها في التغافل.

قال أنسُ بنُ مالكٍ- رضي الله عنه-: " خَدَمْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَشْرَ سِنِينَ، وَاللهِ مَا قَالَ لِي: أُفٍّ قَطُّ، وَلَا قَالَ لِي لِشَيْءٍ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَهَلَّا فَعَلْتَ كَذَا؟ رواه البخاري ومسلم[٦].

---

(١) ينظر: التاريخ المعتبر في أنباء من غبر (٢/ ١٠٠). التاريخ المعتبر في أنباء من غبر «وهو كتاب جامع لتاريخ الأنبياء وتاريخ الإسلام وتراجم أئمته العظام إلى مبتدأ القرن العاشر الهجري»، المؤلف: مجير الدين العليمي عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن المقدسي الحنبلي (المولود بالقدس سنة ٨٦٠ هـ والمتوفى بها سنة ٩٢٨ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين، إشراف: نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣١ هـ - ٢٠١١ م.

(٢) لم أقف عليه.

(٣) ينظر: تحقيق الفوائد الغياثية (١/ ٣١٦). تحقيق الفوائد الغياثية، المؤلف: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرماني (المتوفى: ٧٨٦ هـ)، تحقيق ودراسة: د. علي بن دخيل الله بن عجيان العوفي، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ.

(٤) العقد الفريد (٢/ ١٠٥).

(٥) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٣٠١) برقم (٣٧٥٩). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٦٥) برقم (٤٨٦٠) كتاب الأدب باب في رفع الحديث من المجلس. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣٦٠).

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٤) برقم (٦٠٣٨) كتاب الأدب باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٤) برقم (٢٣٠٩) كتاب الفضائل باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا.



وتغافلْ عن أمورٍ إنَّه لم يَفُزْ بالحمدِ إلَّا مَن غَفل[١]

قال الإمام الغزاليُّ: سَتْرُ الْعُيُوبِ وَالتَّجَاهُلُ والتغافلُ عنها؛ شيمةُ أهلِ الدِّينِ[٢].

جاءتِ امرأةٌ فسألتْ حاتِمًا عن مسألةٍ، فخرجَ منها صوتٌ في تلك الحالة، فَخَجِلَتْ، فقال حاتمٌ: ارفعِي صوتَكِ، فأوهَمَها أنه أصمُّ، فَسُرَّتِ المرأةُ بذلك، وقالتْ: إنَّه لم يسمع الصوتَ، فلُقِّب بـ"حاتم الأصمّ"[٣].

الخلاصة: أنَّ التغافُلَ خُلُقٌ كريمٌ، فكم نحن بحاجة إليه في حياتنا اليوميَّة، كثيرٌ من الخلافات والمشاكل التي تقع بين الزوجين؛ سببُها أنَّ الزوج يُعاتب زوجته على كلِّ خطأ، والزوجة كذلك تتتبَّع زلَّات زوجها، وتتصيَّد عليه الهفوات، وكثيرٌ من حالات الطلاق كان هذا سببها.

ولو أنَّ كلًّا منهما تغافل عن زلَّات صاحبه، وغضَّ طرفَه عن هفواته؛ لاستدامت لهم العِشرة، وبقيت بينهم المودة؛ لكنهم حين فقدوا التغافل حصل ما حصل.

تَغَافَـلْ فِي الأُمُـورِ وَلَا تُكثـرْ تَقصِّـيها فَالاستقصـاءُ فرقَـهْ
وسَامِحْ فِي حقوقِكَ بعضَ شيءٍ فمَا اسـتوفى كريمٌ قطُّ حقَّهْ[٤]

---

(١) من لامية ابن الوردي. ينظر مجموعة القصائد الزهديات (٢/ ١٤٣).

(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ١٧٨).

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٢٨).

(٤) بدائع السلك في طبائع الملك (١/ ٥١٠). بدائع السلك في طبائع الملك، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق (المتوفى: ٨٩٦هـ)، المحقق: د. علي سامي النشار، الناشر: وزارة الإعلام – العراق، الطبعة: الأولى.

١٢ جمادى الأولى

الحياء

المسلم عفيفٌ حيي، والحياء خُلُقٌ له، والحياء من الإيمان، والإيمان عقيدة المسلم وقوام حياته، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شُعبة؛ فأفضلُها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شُعبة من الإيمان" رواه البخاري ومسلم(١).

وسرُّ كون الحياء من الإيمان أن كلًّا منهما داعٍ إلى الخير، صارفٌ عن الشر، مُبعِدٌ عنه، فالإيمان يبعث المؤمن على فعل الطاعات وترْك المعاصي، والحياء يمنع صاحبه من التقصير في الشكر للمُنعم، ومن التفريط في حقّ ذي الحقِّ، كما يمنع الحيي مِن فعل القبيح؛ اتِّقاء للذمِّ والملامة، ومن هنا كان الحياء خيرًا، ولا يأتي إلَّا بخير، كما صحَّ ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله:" الحياء لا يأتي إلَّا بخير" رواه البخاري ومسلم(٢).

إذا قَلَّ ماءُ الوجهِ قَلَّ حَياؤُهُ ... ولا خيرَ في وجْهٍ إذا قَلَّ مَاؤُهُ
حَيَاءَكَ فاحفظْهُ عليكَ وإنَّمَا ... يَدلُّ على فعلِ الكريمِ حَيَاؤُهُ(٣)

ويُعرَفُ الحياءُ: بأنَّه خُلُقٌ يبعث على ترْك القبيح، ويمنع من التقصير في حقٍّ من الحقوق(٤)، وهو خُلُقٌ جميلٌ يدعو إلى التحلِّي بالفضائل، والبُعد عن الرذائل، والحياءُ من الحياة، ومنه الحيا للمطر، وقِلَّةُ الحياءِ من موت القلب والروح، وكلَّما كان القلبُ أحيا كان الحياءُ أتمَّ.

قال الفضيل بن عياض: خمس علاماتٍ من الشقاوة: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلَّة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١) برقم (٩) كتاب الإيمان باب أمور الإيمان. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٣) برقم (٣٥) كتاب الإيمان باب شعب الإيمان.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٩) برقم (٦١١٧) كتاب الأدب باب الحياء. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٤) برقم (٣٧) كتاب الإيمان باب شعب الإيمان.

(٣) لباب الآداب لأسامة بن منقذ (١/ ٢٨٥) إلا أنه قدم البيت الثاني وأخّر الأول.

(٤) ينظر: توضيح الأحكام من بلوغ المرام (٧/ ٤٨٩). توضِيحُ الأحكَامِ مِن بُلوُغ المَرَام، المؤلف: أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح بن حمد بن محمد بن حمد بن إبراهيم البسام التميمي (المتوفى: ١٤٢٣هـ)، الناشر: مكتَبة الأسدي، مكّة المكرّمة، الطبعة: الخامِسَة، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

(٥) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ١٨٢) برقم (٧٣٥٤).



والمسلم إذ يدعو إلى المحافظة على خُلُق الحياء في الناس وتنميته فيهم؛ إنَّما يدعو إلى خيرٍ، ويُرشِد إلى برٍّ؛ إذ الحياء من الإيمان، والإيمان مَجْمَع كُلِّ الفضائل، وفي الصحيح من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مرَّ على رجُلٍ من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: دعْه؛ فإنَّ الحياء من الإيمان"(١). فدعا بذلك إلى الإبقاء على الحياء في المسلم، ونهى عن إزالته؛ ولو منع صاحبه من استيفاء بعض حقوقه، إذ ضياع بعض حقوق المرء خيرٌ له من أن يفقد الحياء الذي هو جزءُ إيمانِهِ، وميزة إنسانيته، ورحم الله امرأة كانت قد فقدتْ طفلها، فوقفتْ على قومٍ تسألُهم عن طفلها، فقال أحدُهم: تسألُ عن ولدِها وهي مُنتقبة!! فسمعتْه فقالتْ: لئن أرزأ في ولدي خيرٌ لي من أرزأ في حيائي(٢).

ولم يمنع الحياء الصحابية الجليلة أم سليم الأنصارية- رضي الله عنها- أن تقول: يا رسول الله؛ إنَّ الله لا يستحيي من الحق؛ فهل على المرأة مِن غُسْلٍ إذا هي احتلمتْ؟ فيقول لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يمنعه الحياء من جوابها:" نعم، إذا رأتِ الماء" رواه البخاري ومسلم(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ ممَّا أدرك الناس من كلام النبوة الأولى؛ يا ابن آدم؛ إذا لم تستحي فاصنعْ ما شئت" رواه البخاري(٤).

إذا لمْ تخشَ عاقبةَ الليالي ... ولمْ تستحي فاصنعْ ما تشاءُ
فلا واللهِ ما في العيشِ خيرٌ ... ولا الدُّنيا إذا ذهبَ الحَيَاءُ
يعيشُ المرءُ مَا استحيا بخيرٍ ... ويبقى العودُ ما بَقِي اللحَاء(٥)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٤) برقم (٢٤) كتاب الإيمان باب الحياء من الإيمان. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٣) برقم (٣٦) كتاب الإيمان باب شعب الإيمان.

(٢) رواه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢/ ٩٦٦). معرفة الصحابة، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٦٤) برقم (٢٨٢) كتاب الغسل باب إذا احتلمت المرأة. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٥١) برقم (٣١٣) كتاب الحيض باب وجوب الغسل على المرأة بخروج المني منها.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٧) برقم (٣٤٨٣) كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار.

(٥) الإشراف في منازل الأشراف لابن أبي الدنيا (ص: ٣٠٦). الإشراف في منازل الأشراف، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: د نجم عبد الرحمن خلف، الناشر: مكتبة الرشد - الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ ١٩٩٠م.

قال أبو الحسن الماوردي: والحياء في الإنسان قد يكون من ثلاثة أوجه؛ أحدها: حياؤه من الله تعالى، والثاني : حياؤه من الناس، والثالث: حياؤه من نفسه.

فأما حياؤه من الله تعالى فيكون بامتثال أوامره والكفِّ عن زواجره، كما روى ابن مسعود- رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" استحيوا من الله عزَّ وجلَّ حقَّ الحياء، قيل: يا رسول الله؛ فكيف نستحي من الله عزَّ وجلَّ حقَّ الحياء؟ قال: مَن حفظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وترَك زينة الحياة الدنيا، وذكر الموت والبلى؛ فقد استحيا من الله عزَّ وجلَّ حقَّ الحياء" رواه أحمد والترمذي[١]. وهذا الحديث من أبلغ الوصايا.

وأما حياؤه من الناس: فيكون بكفِّ الأذى، وترْك المجاهرة بالقبيح، وقد رُوي أن حذيفة بن اليمان- رضي الله عنه- أتى الجمعة فوجد الناس قد انصرفوا، فتنكَّب الطريق عن الناس، وقال: لا خيرَ فيمَن لا يستحيي من الناس.

وأما حياؤه من نفسه: فيكون بالعفَّة وصيانة الخلوات. وقال بعض الحكماء: ليكن استحياؤك مِن نفسك أكثرَ من استحيائك مِن غيرك[٢].

وبيَّن ابن القيم- رحمه الله- أفضليةَ خُلُقِ الحياء بقوله: وخُلقُ الحياءِ من أفضل الأخلاق وأجلِّها، وأعظمِها قدرًا، وأكثرِها نفعًا، بل هو خاصَّة الإنسانية، فمَنْ لا حياءَ فيه ليس معه من الإنسانية إلَّا اللحم والدم وصورتهم الظاهرة، كما أنَّه ليس معه من الخير شيء، ولولا هذا الخُلق لم يُقْرَ الضيف، ولم يُوفَ بالوعد، ولم تُؤدَّ الأمانة، ولم يُقض لأحدٍ حاجة[٣].

ومن فضائل الحياء: أنَّه من صفات الله سبحانه وتعالى، قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرْفَعَ إِلَيْهِ يَدَيْهِ، فَيَرُدَّهُمَا صِفْرًا، أَوْ خَائِبَتَيْنِ" رواه ابن ماجه[٤].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٦/ ١٨٧) برقم (٣٦٧١). والترمذي في جامعه (٤/ ٦٣٧) برقم (٢٤٥٨) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ٤٥٨).

(٢) ينظر: أدب الدنيا والدين (ص: ٢٤٨).

(٣) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٢٧٧). مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٤) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٧٨) برقم (١٤٨٨) باب تفريع أبواب الوتر باب الدعاء. والترمذي في جامعه (٥/ ٥٥٦) برقم (٣٥٥٦) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٧١) برقم (٣٨٦٥) كتاب الدعاء باب رفع اليدين في الدعاء. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٣/ ٤٨٨).



وقال ابن القيم- رحمه الله- أيضًا: وأمَّا حياءُ الربِّ تعالى مِن عبده فنوعٌ آخَر، لا تُدركُه الأفهام، ولا تُكيِّفُه العقول؛ فإنَّه حياءُ كرمٍ وبرٍّ وجودٍ، فإنَّه تبارك وتعالى حييٌّ كريمٌ، يستحيي من عبده إذا رفع إليه يديه أن يرُدَّهما صِفرًا، ويستحيي أن يُعذِّب ذا شيبةٍ شابتْ في الإسلام[1].

والحياءُ من خُلُقِ الملائكة والأنبياء والصالحين: قال النبي صلى الله عليه وسلم في عثمان- رضي الله عنه-:" أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ؟" رواه مسلم[2]. وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلًا حَيِيًّا سِتِّيرًا، لَا يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ؛ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ" رواه البخاري[3].

وقد اتَّصف نبيُّنا الكريم صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة الجليلة، فقد وصفه أبو سعيدٍ الخدري- رضي الله عنه- بقوله:" كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا، فَإِذَا رَأَى شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ فِي وَجْهِهِ" رواه البخاري ومسلم[4].

والحياء خُلُق الإسلام، وبه يتميَّز المسلمون عن غيرهم؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلَامِ الْحَيَاءُ» رواه ابن ماجه[5].

والخلاصة: أنَّ الحياء خُلُقٌ جميلٌ وأصيلٌ، وهو إن كان في الرجال جميلًا؛ فهو في النساء أجمل؛ لأنَّه لها أستر وأكمل، قال الله تعالى: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾[6]. أي:مُستحْيِيَة في مشيها، غير مُتبخترة، ولا مُظهِرة زينة، فهذا يدلُّ على كريم عنصرها، وخُلُقِها الحسن؛ فإنَّ الحياء من الأخلاق الحسنة، وخصوصًا في النساء.

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٢٥٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٦٦) برقم (٢٤٠١) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب من فضائل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٥٦) برقم (٣٤٠٤) كتاب الغسل باب حديث الخضر مع موسى عليهما السلام.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٦) برقم (٦١٠٢) كتاب الأدب باب من لم يواجه الناس بالعتاب. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٩) برقم (٢٣٢٠) كتاب الفضائل باب كثرة حيائه صلى الله عليه وسلم.

(٥) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٩٩) برقم (٤١٨١) كتاب الزهد باب الحياء. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ١٨١). سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

(٦) القصص: ٢٥.

١٣ جمادى الأولى

الرفق

الرفق لغةً: ضد العنْف، وهو لين الجانب، ويقال: رَفَق به أي لان له جانبه وحسن صنيعه.

ومعنى الرِّفق اصطلاحًا كما قال ابن حجر: هو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف(١).

وقال القاري: هو المداراة مع الرفقاء، ولين الجانب، واللطف في أخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها(٢).

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعيش الرفق ويتمثَّل به في سائر أحواله وشؤون حياته كما قالت أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-:" ما خُيِّرَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بين أمرَينِ قطُّ إلَّا أخذ أيسرهما؛ ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ الناسِ منه" متفق عليه(٣).

وقد ثبت ذلك عنه في مجالات كثيرة منها:

١- الرفق مع الأهل: قالت عائشة- رضي الله عنها-:" ما ضرب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- شيئًا قطُّ بيده ولا امرأة ولا خادمًا؛ إلَّا أن يُجاهد في سبيل الله، وما نيل شيءٌ منه قطُّ فينتقم من صاحبه؛ إلَّا أن يُنتهك شيءٌ من محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالى" رواه مسلم(٤).

٢- الرفق مع الخادم: فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال:" خدمتُ رسول الله- صلى الله عليه وسلم- عشر سنين، والله ما قال لي: أفٍّ قطُّ، ولا قال لي لشيءٍ: لمَ فعلتَ كذا؟ وهلا فعلتَ كذا" رواه مسلم(٥).

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٤٩).

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣١٧٠). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٨٩) برقم (٣٥٦٠) كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨١٣) برقم (٢٣٢٧) كتاب الفضائل باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح، أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨١٤) برقم (٢٣٢٨) كتاب الفضائل باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح، أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٤) برقم (٦٠٣٨) كتاب الأدب باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٤) برقم (٢٣٠٩) كتاب الفضائل باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا.



٣- الرفق مع الأطفال: فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت:" كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- يُؤتَى بالصبيان، فيُبرِّك عليهم، ويُحنِّكهم ويدعو لهم" رواه البخاري(١).

وعن أنس- رضي الله عنه- قال:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور الأنصار، ويُسلِّم على صبيانهم، ويمسح على رؤوسهم" رواه النسائي(٢). وكان دائمًا ما يُقبِّل الحسن والحُسين ويُلاعبهما. وحمل أمامة بنت زينب في الصلاة رفقًا بها.

٤- الرفق مع السائل: قال أنس- رضي الله عنه-:" كنتُ أمشي مع رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وعليه بردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة، فنظرتُ إلى صفحة عاتق النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أثَّرتْ بها حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد؛ مُرْ لي من مال الله الذي عندك، فالتفتَ إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء" متفق عليه(٣).

٥- الرفق في تعليم الجاهل: عن معاوية بن الحكم السلمي- رضي الله عنه- يقول:" بينا أنا أصلِّي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ عطس رجلٌ من القوم، فقلتُ: يرحمُكَ الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلتُ: واثكل أميَّاه، ما شأنكم تنظرون إليَّ، فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتُهم يُصمِّتونني لكني سكتُّ، فلما صلَّى النبي صلى الله عليه وسلم، فبأبي هو وأمي، ما رأيتُ مُعلِّمًا قبله ولا بعده أحسنَ تعليمًا منه، فوالله ما كهرني ولا ضربني، ولا شتمني، قال: إنَّ هذه الصلاة لا يصلح فيها شيءٌ من كلام الناس، إنَّما هو التسبيح والتكبير، وقراءة القرآن" رواه مسلم(٤).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٦٩١) برقم (٢١٤٧) كتاب الآداب باب استحباب تحنيك المولود عند ولادته وحمله إلى صالح يحنكه، وجواز تسميته يوم ولادته، واستحباب التسمية بعبد الله وإبراهيم وسائر أسماء الأنبياء عليهم السلام. دون قوله (ويدعو له). ولم أقف عليه بهذا اللفظ عند البخاري. فالله أعلم

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٣١) برقم (١٠٠٨٨) كتاب عمل اليوم والليلة التسليم على الصبيان، والدعاء لهم وممازحتهم.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٩٤) برقم (٣١٤٩) كتاب فرض الخمس باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٣٠) برقم (١٠٥٧) كتاب الزكاة باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٣٨١) برقم (٥٣٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته.



٦- الرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: عن أَبي هريرة- رضي الله عنه- قَالَ: بَالَ أعرابيٌّ في المسجد فقام الناس إليه ليقعوا فيه، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم:" دعوه وأريقوا على بوله سجلًا من ماء، أو ذنوبًا من ماء، إنَّما بُعثتم مُيسِّرين، ولم تُبعثوا مُعسِّرين" رواه البخاري(١).

٧- الرفق مع العاصي التائب: عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّه قال:" بينما نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاءه رجل، فقال: يا رسول الله؛ هلكتُ، قال: ما لك؟ قال: وقعتُ على امرأتي وأنا صائم، فقال صلى الله عليه وسلم: هل تجد رقبة تُعتقها؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، فقال: فهل تجد إطعام ستين مسكينًا؟ قال: لا، فمكث النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: فبينما نحن على ذلك؛ أُتي النبي صلى الله عليه وسلم بعرقٍ فيه تمرٌ، والعرق المكتل، فقال: أين السائل؟ فقال: أنا، فقال: خذه فتصدَّق به" متفق عليه(٢).

وكذلك رفقه صلى الله عليه وسلم مع الرجل الذي قبَّل امرأة وجاء نادمًا، فبيَّن له أن الصلاة كفَّارةٌ لذنبه، ولم يُعنِّف عليه، وهذا ثابتٌ في الصحيح(٣).

٨- الرفق في التعامل مع الكفَّار: فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت:" دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: السام عليك، ففهمتُها فقلتُ: عليكم السام واللعنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مهلًا يا عائشة؛ فإنَّ الله يُحبُّ الرفق في الأمر كلِّه، فقلتُ: يا رسول الله؛ أوَلم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقد قلتُ: عليكم" متفق عليه(٤).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٥٤) برقم (٢٢٠) كتاب الوضوء باب صب الماء على البول في المسجد.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٢) برقم (١٩٣٦) كتاب الصوم باب إذا جامع في رمضان، ولم يكن له شيء، فتصدق عليه فليكفر. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٨١) برقم (١١١١) كتاب الصيام باب تغليظ تحريم الجماع في نهار رمضان على الصائم، ووجوب الكفارة الكبرى فيه وبيانها، وأنها تجب على الموسر والمعسر وتثبت في ذمة المعسر حتى يستطيع.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١١) برقم (٥٢٦) كتاب مواقيت الصلاة باب الصلاة كفارة. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١١٥) برقم (٢٧٦٣) كتاب التوبة باب قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود: ١١٤]. ولفظه عند البخاري: عن ابن مسعود، أن رجلا أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره فأنزل الله عز وجل: ﴿أقم الصلاة [ص:١١٢] طرفي النهار وزلفا من الليل، إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود: ١١٤] فقال الرجل: يا رسول الله ألي هذا؟ قال: «لجميع أمتي كلهم».

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٢) برقم (٦٠٢٤) كتاب الأدب باب الرفق في الأمر كله. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٦) برقم (١١١١) كتاب السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم.



٩- الرفق بالناس في العبادات: قال جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما-:" أقبل رجلٌ بناضِحَينِ وقد جنح الليل فوافق مُعاذًا يُصلِّي، فترك ناضحه وأقبل إلى مُعاذ، فقرأ بسورة البقرة أو النساء، فانطلق الرجل وبَلَغَه أنَّ مُعاذًا نال منه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فَشَكَا إليه مُعاذًا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا مُعاذ؛ أفتَّانٌ أنت أو فاتن ثلاث مرار، فلولا صلَّيتَ بـ" سبح اسم ربك" "والشمس وضحاها" "والليل إذا يغشى"، فإنَّه يُصلِّي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة" متفق عليه[١].

وعن أنس- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إنِّي لأدخلُ الصلاةَ أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي، فأخفِّف من شدَّة وجْد أمِّه به" رواه مسلم[٢].

وعن عائشة- رضي الله عنها- قالتْ:" سمعتُ مِن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا: اللهمَّ مَن ولي مِن أمر أمَّتي شيئًا فشقَّ عليهم فاشقق عليه، ومَن ولي مِن أمر أمَّتي شيئًا فرفق بهم فارفق به" رواه مسلم[٣].

يقول الشيخ العلَّامة ابن عثيمين- رحمه الله- في شرحه لهذا الحديث: قد يظنُّ بعض النَّاس أنَّ معنى الرِّفق أن تأتي للناس على ما يشتهون ويريدون، وليس الأمر كذلك، بل الرِّفق أن تسير بالنَّاس حسب أوامر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأن تسلك أقرب الطرق وأرفق الطرق بالنَّاس، ولا تشق عليهم في شيء ليس عليه أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فإن شققت عليهم في شيء ليس عليه أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؛ فإنَّك تدخل في الطرف الثاني من الحديث، وهو الدعاء عليك بأن يشق الله عليك[٤].

خُـذِ الأمـورَ برفـقٍ واتئـدْ أبـدًا ... إياكَ مِـن عَجَـلٍ يـدعو إلى وَصَـبِ
الرفقُ أحسنُ ما تُؤتَى الأمورُ به ... يُصيبُ ذو الرفقِ أو ينجو مِن العَطَبِ[٥]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٤٢) برقم (٧٠٥) كتاب الأذان باب من شكا إمامه إذا طول. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٣٩) برقم (٤٦٥) كتاب الصلاة باب القراءة في العشاء.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٤٣) برقم (٧٠٧) كتاب الأذان باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٤٣) برقم (٤٧٠) كتاب الصلاة باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٥٨) برقم (١٨٢٨) كتاب الإمارة باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، والحث على الرفق بالرعية، والنهي عن إدخال المشقة عليهم.

(٤) شرح رياض الصالحين (٣/ ٦٣٤).

(٥) نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب (٥/ ٥٨٢).



والخلاصة: على المسلم أن يتحلَّى بخُلُق الرفق، ففيه الخير كلُّه، عن أبي الدرداء- رضي الله عنه- عن النَّبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" مَن أُعطي حظَّه من الرِّفق فقد أُعطي حظَّه مِن الخير، ومَن حُرِمَ حظَّه مِن الرِّفق حُرِمَ حظَّه من الخير" رواه الترمذي[١].

(١) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٦٧) برقم (٢٠١٣) أبواب البر والصلة باب ما جاء في الرفق. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ١٣).



١٤ جمادى الأولى

الستر

السَّتر لغة: هو تَغَطية الشَّيء، وهو مصدَر سَتَر الشَّيء يَسْتُرُه أي: غَطَّاهُ أو أخفاهُ، وكلُّ شَيْء سَتَرْتَه فالشَّيء مَسْتُور، والذي تَسْتُرُه به سِتْرٌ له، والسِّتْرُ والسُّتْرَةُ والمسْتَرُ والسِّتَارُ والسِّتَارَةُ: ما يُستتَر به. قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٍ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرًا﴾[١].

والمراد بالسَّتْر في الاصطلاح هو: السَّتْرُ على المسلم إن وقع في معصية، شريطة أن لا يُعلنها ويجهر بها، وقالوا أيضًا: السَّتْرُ هو إخفاء العيب، وعدم إظهاره، فمن كان معروفًا بالاستقامة، وحصل منه الوقوع في المعصية؛ نُوصِح وسُتِر عليه.

والستر معناه أيضًا: تغطية المسلم عيوبه وإخفاء هناته، وعدم كشفها للناس مع طلب التوبة والندم عليها[٢]، وها هي أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- جاءتْها امرأةٌ، فأخبرتْها أنَّ رجلًا قد أخذ بساقها وهي مُحرِمة- أي حاول كشف عورتها- فقاطعتْها عائشةُ- رضي الله عنها- وأعرضتْ بوجهها، وقالتْ: يا نساءَ المؤمنين؛ إذا أذنبتْ إحداكُنَّ ذنبًا، فلا تُخبرنَّ به النَّاس، ولتستغفر الله، ولتتبْ إليه؛ فإنَّ العباد يُعيِّرونَ ولا يُغيِّرون، والله يُغَيِّر ولا يُعيِّر[٣].

ومن صفات الله تعالى أنه سِتِّير، يحب الستر على عباده، وهذا من كمال رحمته سبحانه ومن تمام فضله، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ﴾[٤]، وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾[٥].

---

(١) الكهف: ٩٠.

(٢) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (٦/ ٢٢٣٥).

(٣) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (ص: ١٥٣) برقم (٤٥١). مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، المؤلف: أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.

(٤) الشورى: ٢٥.

(٥) الشورى: ٣٠.



رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ، فَصَعِدَ صلى الله عليه وسلم الْمِنْبَرَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ:" إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ" رواه أبو داود والنسائي(١).

وعَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ الْمَازِنِيِّ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ- رضى الله عنهما- آخِذٌ بِيَدِهِ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أي رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ؛ قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾(٢). رواه البُخَارِي ومسلم(٣).

قال ابن القيم- رحمه الله- في نونيَّته:

وهــو الحَيِــيُّ فَلَـيس يَفْضَـحُ   عنــدَ التَّجَـاهُرِ مِنْـهُ بالعِصْـيَانِ
عَبْدَهُ لَكِنَّهُ يُلْقِي عَلَيْهِ سِتْرَهُ   فَهْوَ السَّتِيرُ وصَاحِبُ الغُفْرَانِ(٤)

ويُستحبُّ لمن وقع في معصيةٍ وندمَ؛ أن يُبادر إلى التوبة منها ولا يُخبر أحدًا، عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- يَقُولُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمَجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ،

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٤٠) برقم (٤٠١٢) كتاب الحمام باب النهي عن التعري. النسائي في سننه (١/ ٢٠٠) برقم (٤٠٦) كتاب الغسل والتيمم باب الاستتار عند الاغتسال. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن النسائي (٢/ ٥٠). المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦. صحيح وضعيف سنن النسائي، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب : برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٢) هود: ١٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٨) برقم (٢٤٤١) كتاب المظالم والغصب باب قول الله تعالى: ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ [هود: ١٨]. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٢٠) برقم (٢٧٦٨) كتاب التوبة باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله.

(٤) نونية ابن القيم = الكافية الشافية (ص: ٢٠٧). متن القصيدة النونية، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٤١٧هـ.

فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ؛ عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ" رواه البخاري ومسلم[١].

وعن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله تعالى عنها، فمَن ألَمَّ بشيءٍ منها فليستترْ بستر الله، ولْيتبْ إلى الله، فإنَّه مَن يُبدِ لنا صفحته نُقِمْ عليه كتابَ الله" رواه الحاكم والبيهقي وصححه الألباني[٢].

ويُروى أنهم أتوا إلى عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- برجُلٍ قد سرق، فقال هذا السارق: أستحلفك بالله أن تعفو عني فإنَّها أول مرة، فقال عمر- رضي الله عنه-: كذبتَ ليستْ هي المرة الأولى، فأراد الرجل أن تُثار الظنون حول عمر فقال له: أكنتَ تعلم الغيب؟ فقال عمر- رضي الله عنه-: لا؛ ولكني علمتُ أنَّ الله لا يفضح عبده من أول مرة، فقُطعتْ يدُ الرجُلِ فتبعه عليُّ بن أبي طالب- رضي الله عنه- فقال: أستحلفُك بالله؛ أهي أوَّل مرَّةٍ؟ فقال: واللهِ إنَّها هي الحادية والعشرون[٣].

والستر على أهل المعاصي وعدم تتبُّع سقطاتهم من صفات المؤمنين الصالحين، ومن حقوق الأُخوَّة الإسلامية، فقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" رواه البُخَارِي ومسلم[٤].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٠) برقم (٦٠٦٩) كتاب الأدب باب ستر المؤمن على نفسه. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٩١) برقم (٢٩٩٠) كتاب الزهد والرقائق باب النهي عن هتك الإنسان ستر نفسه.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٤٢٥) برقم (٨١٥٨). والبيهقي في السنن الكبرى (١٧/ ٥١٤) برقم (١٧٦٣٧). السنن الكبير، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحُسَين بن عليّ البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية (الدكتور / عبد السند حسن يمامة)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٢٦٧).

(٣) لم أقف عليه في كتب الحديث والتخريج، فالله أعلم. وقد ذكره د/ بدر عبد الحميد هميسة في كلمة له بعنوان: الستر على العاصي أخلاق وضوابط. http://www.saaid.net/Doat/hamesabadr/١٩٧.htm

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٨) برقم (٢٤٤٢) كتاب المظالم والغصب باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٦) برقم (٢٥٨٠) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم.



وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ:" لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا؛ إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" رواه مسلم(١).

ومعنى الستر هنا عامٌّ لا يتقيَّد بالستر البدني فقط، أو الستر المعنوي فقط، بل يشملهما جميعًا، فمَن ستَر مسلمًا ستَره الله في الدنيا والآخرة؛ ستَر بدنه كأن رأى منه عورة مكشوفة فستَرها، أو رأتْ امرأة شيئًا من جسد أختها مكشوفًا غير منتبهةٍ إليه فغطَّتْه، وسَتَرَه معنويًّا فلم يُظهِر عيبه، فلم يسمح لأحدٍ أن يغتابه ولا أن يذمَّه، مَن فعل ذلك ستَرَه الله في الدنيا والآخرة، فلم يفضحْه بإظهار عيوبه وذنوبه.

وقال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: والمراد بالستر: هو إخفاء العيب، ولكن الستر لا يكون محمودًا إلَّا إذا كان فيه مصلحة ولم يتضمَّن مفسدة، فمثلًا: المجرم إذا أجرم لا نستر عليه إذا كان معروفًا بالشر والفساد، ولكن الرجُلَ الذي يكون مُستقيمًا في ظاهره، ثم فعل ما لا يحلُّ؛ فهنا قد يكون الستر مطلوبًا، فالستر يُنظَر فيه إلى المصلحة، فالإنسان المعروف بالشر والفساد لا ينبغي ستره، والإنسان المستقيم في ظاهره، ولكن جرى منه ما جرى؛ هذا هو الذي يُسنُّ ستره(٢).

الخلاصة: كان لعقبة بن عامر- رضي الله عنه- كاتب، وكان جيران هذا الكاتب يشربون الخمر، فقال يومًا لعقبة: إنَّ لنا جيرانًا يشربون الخمر، وسأبلغ الشرطة ليأخذوهم، فقال له عقبة: لا تفعل، وعِظْهُمْ. فقال الكاتب: إنِّي نهيتُهم فلم ينتهوا، وأنا داعٍ لهم الشرطة ليأخذوهم، فهذا أفضل عقابٍ لهم. فقال له عقبة: ويحك، لا تفعلْ؛ فإنِّي سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول:" مَن رأى عورةً فسترها؛ كان كمَن أحيا موءودةً" رواه أحمد وأبو داود(٣).

ثَلاثُ خصالٍ للصَّديقِ جعلتُها ... مُضَـــارِعَةً للصَّـــومِ والصَّـــلوَاتِ
مُواسَـــاتُه والصَّفحُ عن عثراتِهِ ... وترْكُ ابتذالِ السِّرِّ في الخلوَاتِ(٤)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠٢) برقم (٢٥٩٠) كتاب البر والصلة والآداب باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا، بأن يستر عليه في الآخرة.

(٢) ذكر غير واحد أن هذا الكلام في شرح الشيخ رحمه الله على الأربعين النووية، ولم أقف عليه في شرحه رحمه الله. فالله أعلم.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢٨/ ٦١٧) برقم (١٧٣٩٥). قال الألباني: "ضعيف مضطرب الإسناد. ((الضعيفة)) (١٢٦٥)، والمرفوع ثابت دون قوله: ((في قبرها)). ((الضعيفة)) (٢٨٠٨)" التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٣). التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية.

(٤) آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة (ص: ٥٣). آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة، المؤلف: محمد بن محمد بن محمد الغزي العامري الدمشقي، أبو البركات، بدر الدين ابن رضي الدين (المتوفى: ٩٨٤هـ)، عني بتحقيقه: الدكتور عمر موسى باشا، الناشر: مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، عام النشر: ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.



١٥ جمادى الأولى

الرحمة

جعل الله الرحمة مائة جزء، وأنزل لنا في هذه الأرض رحمة واحدة نتراحم بها؛ كما ورد في حديث أبي هريرة– رضي الله عنه– أنَّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" جعلَ اللَّهُ الرّحْمَةَ مِائةَ جُزءٍ، فَأَمسكَ عِندهُ تِسعَة وَتسعِينَ، وَأَنزلَ في الأَرض جُزءًا واحدًا، فمِنْ ذَلكَ الْجزءِ يَتَراحمُ الخلائِقُ، حتى تَرفعُ الدَّابةُ حَافِرها عن ولدِها خشيةَ أن تصيبه" رواه مسلم[١].

وكلَّما كان العبد أرقَّ فؤادًا، وأعظم نفعًا لعباد الله، وأكمل إحسانًا في عبادة الله، كان نصيبه أعظم وأوفر من رحمة الله؛ ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٢]، ومتى فتح الله أبواب رحمته؛ فلا ممسك لها، ومتى أمسكها فلا مرسل لها؛ ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[٣].

وكان صلى الله عليه وسلم يُرغِّب بالرحمة دائمًا، ويُعمّقها في نفوس المسلمين والمسلمات، فعن عبد الله بن عمرو– رضي الله عنهما– أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" الراحمُونَ يَرحمُهُم الرحمنُ، ارْحَموا مَنْ في الأرض يرحْمْكُم من في السَّماءِ" أخرجه الترمذي[٤]، وكان عليه الصلاة والسلام مثالاً فذًّا للرحمة الخالصة الشفافة، فقد قالت عائشة– رضي الله عنها–: جاء أعرابيٌّ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أتُقبّلون الصبيان؟ فما نُقبّلهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أَوَأَمْلِكُ لكَ أن نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرحمةَ " رواه البخاري[٥].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٨) برقم (٦٠٠٠) كتاب الأدب باب: جعل الله الرحمة مائة جزء. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٠٨) برقم (٢٧٥٢) كتاب الرقاق باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

(٢) الأعراف: ٥٦.

(٣) فاطر: ٢.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٢٤) برقم (١٩٢٤) أبواب البر والصلة باب ما جاء في رحمة المسلمين. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ٤٢٤).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧) برقم (٥٩٩٨) كتاب الأدب باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٨) برقم (٢٣١٧) كتاب الفضائل باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك.



وكذلك قبَّل صلى الله عليه وسلم الحسن بن عليٍّ وعنده الأقرع بن حابس، فقال الأقرع: إنَّ لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ واحدًا منهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَن لا يَرحم لا يُرحَم" متفق عليه(١).

لقد علَّم صلى الله عليه وسلم أصحابه هذا الخُلُق العظيم، وجعله من دلائل الكمال؛ ليتراحموا فيما بينهم، ولتتذوَّق قلوبهم نداوة الرحمة.

فالمؤمن أو المؤمنة يتميز كلٌّ منهما بقلبٍ مُرهفٍ، ليِّن رحيم، يلقى الناس جميعًا، فيرِقُّ للضعيف، ويتألَّم للحزين، ويحنو على المسكين، ويمدُّ يده للملهوف، مُوقنًا أنَّ رحمة الله لا تناله إلَّا برحمة الناس؛ "إنَّما يرحمُ اللهُ مِنْ عِباده الرحماءَ" رواه البخاري(٢).

وإنَّ الذي يتجرَّد من الرحمة؛ فهو في عداد الأشقياء، يستحقُّ سَخَطَ الله، يقول- صلى الله عليه وسلم-:" لا تُنْزَعُ الرحمةُ إلَّا مِن شقيٍّ" رواه الترمذي(٣).

وكان من رحمة أويس القرني بالفقراء أنَّه كان يَتَصَدَّقُ بما في بيته ثم يدعو: اللهُمَّ مَنْ ماتَ جُوعًا فلا تُؤاخذني به، ومن مات عُريانًا فلا تُؤاخذني به(٤).

بَادِرْ إلَى الخَيرِ يَا ذَا اللُّبِّ مُغتنِمًا	وَلَا تكُـنْ مِـن قليـلِ العُـرفِ مُحتشِـمَا
واشكرْ لمولاكَ مَا أولاكَ مِـن نِعَـمٍ	فالشُّكرُ يَستوجبُ الإفضَالَ والكَرَمَا
وارْحَـــمْ بقلبِكَ خَلْقَ اللهِ وارعَهُمُ	فإنَّما يَرحـــَمُ الرحْمَـــنُ مَنْ رَحِمَـا(٥)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧) برقم (٥٩٩٧) كتاب الأدب باب: رحمة الولد وتقبيله ومعانقته. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٨) برقم (٢٣١٨) كتاب الفضائل باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٧٩) برقم (١٢٨٤) كتاب الجنائز باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «يعذب الميت ببعض بكاء أهله عليه» إذا كان النوح من سنته ". ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٣٥) برقم (٩٢٣) كتاب الجنائز باب البكاء على الميت.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٣/ ٣٧٨) برقم (٨٠٠١). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٨٦) برقم (٤٩٤٢) كتاب الأدب باب في الرحمة. والترمذي في جامعه (٤/ ٣٢٣) برقم (١٩٢٣) أبواب البر والصلة باب ما جاء في رحمة المسلمين. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ٤٢٣).

(٤) ذكره أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٨٧)

(٥) ينظر: الفوائد الجليلة في مسلسلات ابن عقيلة (ص: ٥٩). الفوائد الجليلة في مسلسلات ابن عقيلة، المؤلف: محمد بن أحمد بن سعيد الحنفي المكيّ، شمس الدين، المعروف كوالده بعقيلة (المتوفى: ١١٥٠هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد رضا، الناشر: البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

وقد شملتْ رحمتُه البهائمَ: حيث دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطًا لرجلٍ من الأنصار، فإذا جملٌ، فلمَّا رأى النبيَّ صلى الله عليه وسلم حنَّ وذرفتْ عيناه، فأتاه النبيُّ صلى الله عليه وسلم فمسح ذفراه فسكتَ، فقال: مَن ربُّ هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله. فقال:" أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملَّكك الله إياها، فإنَّه شكا إليَّ أنَّك تُجيعه وتدئبه" رواه أبو داود(١).

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن رحمة الخلق بعضهم لبعض؛ شرط لاكتمال الإيمان؛ فعن أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" لَنْ تُؤْمِنُوا حتى تراحمُوا، قالوا: يا رسولَ اللهِ؛ كلُّنا رَحِيمٌ. قال: إنَّهُ ليس بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ صاحبَهُ، ولَكِنَّها رَحْمَةُ العامَّةِ" رواه الطبراني(٢).

وقالَ سُبحانَهُ وتعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٣).

وقدَّم اللهُ سُبحانَهُ الوصف بِالتَّراحُمِ عَلَى الوصفِ بِالرُّكوعِ والسُّجودِ، حيث قال سُبحانَهُ وتعالى واصِفًا نَبِيَّهُ الكَرِيمَ صلى الله عليه وسلم وصَحبَهُ المؤمِنينَ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾(٤).

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٣/ ٢٣) برقم (٢٥٤٩) كتاب الجهاد باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٦/ ٤٩).

(٢) رواه الطبراني في مسند الشاميين (٣/ ٣٠٩) برقم (٢٣٥٤). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٣٢١). مسند الشاميين، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ – ١٩٨٤.

(٣) الأعراف: ١٥٦، ١٥٧.

(٤) الفتح: ٢٩.



فلِماذا يا أُمَّة الإسلامِ والإيمانِ؟ ليبَيّنَ لِلأُمّة أن لا خَيرَ في أُناسٍ يَركَعونَ ويَسجُدونَ، فإذا خَرَجوا مِن مَساجِدِهم تَشاحَّوا وتَظالَموا، ولم يَتَسامَحوا بَينَهُم، ولم يَتَراحَموا، إنَّ مَن يَفعَلُ هَذا فلَيسَ عَلَى طَريقة محمدٍ صلى الله عليه وسلم وأصحابِه، إنَّ مَن يَتَّصِفُ بهذا فلَيسَ عَلَى هَديِهم ولا سَبيلِهم، يُؤَكِّدُ هَذا الأمرَ الحَبيبُ صلى الله عليه وسلم ويُصَرّحُ بِه حَيثُ يَقولُ:" لَيسَ مِنّا مَن لَمْ يَرحَمْ صَغيرَنا ويَعرِفْ حَقَّ كَبيرِنا" رواه أبو داود والترمذي[١].

وفي صحيح مسلم قال صلى الله عليه وسلم:" أهل الجنة ثلاثة"... الحديث، وفيه:" ورجلٌ رحيمٌ رقيقُ القلب لكلِّ ذي قربى ومُسلم"[٢].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" بيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي بطَرِيقٍ، اشْتَدَّ عليه العَطَشُ، فَوَجَدَ بئْرًا فَنَزَلَ فيها، فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ، فإذا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فقالَ الرَّجُلُ: لقَدْ بَلَغَ هذا الكَلْبَ مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الذي كانَ بَلَغَ بي، فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ ثُمَّ أمْسَكَهُ بفِيهِ، فَسَقَى الكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ له فَغَفَرَ له" رواه البخاري[٣].

قال ابنُ القيّم- رحمه الله-: ومن رحمته سبحانه؛ ابتلاء الخلق بالأوامر والنَّواهي رحمة لهم وحميَّة، لا حاجة منه إليهم بما أمرهم به. ومن رحمته: أن نغّص عليهم الدُّنيا وكدَّرها؛ لئلَّا يسكنوا إليها، ولا يطمئنّوا إليها، ويرغبوا عن النعيم المقيم في داره وجواره[٤].

قال سفيان بن عيينة: خلق الله النار رحمةً يُخوِّف بها عباده لينتهوا[٥].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٣٤٥) برقم (٦٧٣٣). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٨٦) برقم (٤٩٤٣) كتاب الأدب باب في الرحمة. والترمذي في جامعه (٤/ ٣٢١) برقم (١٩١٩) أبواب البر والصلة باب ما جاء في رحمة الصبيان. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ٤١٩).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٩٧) برقم (٢٨٦٥) كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٢) برقم (٢٤٦٦) كتاب المظالم والغصب باب الآبار على الطرق إذا لم يتأذ به. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٦١) برقم (٢٢٤٤) كتاب السلام باب فضل ساقي البهائم المحترمة وإطعامها.

(٤) ينظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ١٧٥). إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٥) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٢٧٥).



وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" لما خلق الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش: إنَّ رحمتي تغلب غضبي" رواه البخاري ومسلم(١).

والخلاصة: علينا أن ندعو بما دعا به أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز- رحمه الله-: اللهمَّ إن لم أكن أهلًا أن أبلغ رحمتك؛ فإنَّ رحمتك أهلٌ أن تبلغني، رحمتك وسعتْ كلَّ شيءٍ، وأنا شيء، فلْتسعْني رحمتُك يا أرحم الراحمين. اللهمَّ إنَّك خلقتَ قومًا فأطاعوك فيما أمرتَهم، وعملوا في الذي خلقتَهم له، فرحمتُك إيَّاهم كانتْ قبل طاعتِهم لك يا أرحم الراحمين(٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٠٦) برقم (٣١٩٤) كتاب بدء الخلق باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ [الروم: ٢٧]. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٠٧) برقم (٢٧٥١) كتاب التوبة باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ٢٩٩).



١٦ جمادى الأولى

غزوة ذات الرقاع

غزوة ذات الرقاع هي غزوة قام بها النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الرابعة للهجرة ضد بني ثعلبة وبني محارب من غطفان بعد أن بلغه أنَّهم يعُدُّون العُدَّة لغزو المدينة فخرج إليهم في أربعمائة من المسلمين، وقيل: في سبعمائة، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان، وقيل: أبا ذر الغفاري- رضي الله عنهما-.

وكان الهدف الرئيس من خروج النبيِّ صلى الله عليه وسلم بجيشه بعد الانتهاء من يهود خيبر وطردهم من ديارهم؛ هو تأديب قبيلة غطفان المتمادية في عداء الإسلام والمسلمين، وأيضًا حتى لا تعتقد غطفان وغيرها من القبائل العربية أنَّ المسلمين يهابونهم؛ خاصةً بعد تحالفهم مع بني سُليم في غزوة بني سُليم، وأيضًا لنشر الأمن والأمان وإيقاف أعمال النهب والسلب التي كانت تقوم بها تلك القبيلة من جهةٍ أخرى، ولهذه الأسباب مجتمعةً قرَّر الرسول- صلى الله عليه وسلم غزو ديار غطفان ومبادرتهم بالقتال؛ خاصةً بعد أن علم بنيَّتهم المبيَّتة لغزو المدينة المنوَّرة.

وخرج النبي صلى الله عليه وسلم بجيشه من المدينة، واتَّضحت- منذ البداية- الصعوباتُ التي تنتظرهم، فهناك نقصٌ شديد في عدد الرواحل، حتَّى أنَّ السِتَّة والسَّبعة من الرِّجال كانوا يتوالَون على ركوب البعير. وممَّا زاد الأمرَ سوءًا وُعُورةُ الأرض وكثرةُ أحجارها الحادَّة، التي أثَّرت على أقدامهم حتَّى تمزَّقت خفافهم، وسقطت أظفارهم، فقاموا بلفِّ الخِرَق والجلود على الأرجل؛ ومن هنا جاءت تسمية هذه الغزوة بهذا الاسم، ففي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه- قال: وكنا نلفُّ على أرجلنا الخِرَق، فسُمِّيتْ غزوة ذات الرقاع[(١)].

سارَ النبيُّ محمَّدٌ صلى الله عليه وسلم مُتوغِّلًا في بلادهم حتَّى وصل إلى موضع يقال له نَخْل، ولقي جمعًا من غطفان، إلَّا أنَّه صلَّى بالصحابة صلاة الخوف لأول مرة في الإسلام، فعن جابر- رضي الله عنه- قال:" خرج النبيُّ صلى الله عليه وسلم إلى ذات الرقاع من نَخْلٍ، فلقي جمعًا من غطفان، فلم يكن قتال، وأخاف الناسُ بعضُهم بعضًا، فصلَّى النبيُّ صلى الله عليه وسلم ركعتَي الخوف" رواه البخاري[(٢)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١١٣) برقم (٤١٢٨) كتاب المغازي باب غزوة ذات الرقاع. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٤٩) برقم (١٨١٦) كتاب الجهاد والسير باب غزوة ذات الرقاع.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١١٣) برقم (٤١٢٧) كتاب المغازي باب غزوة ذات الرقاع.



فلمَّا علمتْ قبائل غطفان بقدوم المسلمين انسحبت فلم يقع قتال، وعاد المسلمون منتصرين. وفي طريق العودة اشتدَّ الحرُّ عليهم، وجاء وقت القيلولة فنزلوا في وادٍ كثير الأشجار، وتفرَّق المسلمون يستظلُّون فيه. وقد نام الرسول صلى الله عليه وسلم تحت شجرة وعلَّق سيفه بها، فإذا بأعرابيٍ يأتي فيأخذ السيف، فشعر به الرسول صلى الله عليه وسلم، واستيقظ من نومه، فقال الأعرابي: مَن يمنعُك مني؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الله. وإذا بالأعرابيّ يرتعد ويسقط السيف من يده، فأخذه النبيُّ صلى الله عليه وسلم ثم عفا عن الأعرابي وتركه. متفق عليه[١].

وقد نزل في هذه الحادثة قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٢]. وفي رواية أخرى:" أنَّ رجلًا من مُحارب يُقال له: غَوْرَث بن الحارث؛ قال لقومه من بني غطفان ومحارب: ألا أقتل لكم مُحمَّدًا؟ قالوا: نعم، وكيف تقتله؟ قال: أَفتِك به. فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيفه في حِجره، فقال: يا محمد؛ أنظرُ إلى سيفك هذا. قال: نعم. (فأخذه) فاستلَّه، ثم جعل يهزُّه ويهمُّ به فيكبته الله عزَّ وجلَّ، ثم قال: يا محمد؛ ألا تخافني؟! قال: لا. قال: ألا تخافني وفي يدي السيف؟! قال: يمنعني الله منك. ثم أغمد السيف وردَّه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأنزل الله هذه الآية. نقلًا من سيرة ابن هشام ج ٣ / ٢١٦[٣].

وفي رواية ثالثة نذكرها لما فيها من فوائد: نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرَّق الناس يستظلُّون بالشجر، فجاء أحد الأعراب ليجد النبيَّ صلى الله عليه وسلم نائمًا قد علَّق سيفه، والصحابة مُتفرِّقون في الوادي ، فأخذ الأعرابيُّ سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقف على رأسه وقال له: مَن يمنعُك منِّي؟ وفي ظنِّه أنَّه قد تمكَّن من النبيّ صلى الله عليه وسلم، ولم يعلم أنَّ الله قد عصمه من الناس وتكفّل بحفظه ورعايته، فأجابه النبيُّ صلى الله عليه وسلم بكلِّ ثقةٍ ويقينٍ: الله، فلم يتمالك الأعرابيُّ نفسه، وأخذته الرجفة

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١١٤) برقم (٤١٣٥) كتاب المغازي باب غزوة ذات الرقاع. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٨٦) برقم (٨٤٣) كتاب الفضائل باب توكله على الله تعالى، وعصمة الله تعالى له من الناس.

(٢) المائدة: ١١.

(٣) ينظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٢٠٣). السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (المتوفى: ٢١٣هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م.



حتى سقط السيف من يده، فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له: مَن يمنعُك مني؟ فاعتذر الرجُلُ للنبيِّ صلى الله عليه وسلم ورجاه أن يتركه، فقالَ: كُن خيرَ آخِذٍ، فقال له صلى الله عليه وسلم: أتشهد أن لا إله إلَّا الله؟ قال: لا، ولكنِّي أُعاهدك أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قومٍ يقاتلونك، فأطلق سراحه، وترَك هذا العفو أثرًا كبيرًا في نفس الأعرابيِّ، حتَّى أنَّه عاد لقومه وهو يقول: قد جئتُكم مِن عند خير الناس. رواه أحمد(١). وقد ذكر الواقدي في نحو هذه القصَّة: وأنَّه أسلم وأنَّه رجع إلى قومه فاهتدى به خلقٌ كثيرٌ(٢). ووقع في رواية ابن إسحاق: ثم أسلم بعدُ.

وفي طريق عودته، ومع حلول الليل، فرض النبيُّ صلى الله عليه وسلم حراسةً على المعسكر، واختار لهذه المهمَّة رجلًا من المهاجرين ورجلًا من الأنصار، وهما عبَّاد بن بشر وعمَّار بن ياسر- رضي الله عنهما-، ولْنترك الصحابي الجليل جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ- رضي الله عنهما- يحكي لنا ما حدث فيقول: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِى غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ، فَأُصِيبَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَافِلًا وَجَاءَ زَوْجُهَا وَكَانَ غَائِبًا فَحَلَفَ أَنْ لَا يَنْتَهِىَ حَتَّى يُهَرِيقَ دَمًا فِى أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، فَخَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَنَزَلَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَنْزِلًا فَقَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ؟ فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَا: نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: فَكُونُوا بِفَمِ الشِّعْبِ. قَالَ: وَكَانُوا قَدْ نَزَلُوا إِلَى شِعْبٍ مِنَ الْوَادِى، فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلَانِ إِلَى فَمِ الشِّعْبِ قَالَ الأَنْصَارِىُّ لِلْمُهَاجِرِىِّ: أَىُّ اللَّيْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَكْفِيَكَهُ أَوَّلَهُ أَوْ آخِرَهُ؟ قَالَ: اكْفِنِى أَوَّلَهُ. فَاضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِىُّ فَنَامَ، وَقَامَ الأَنْصَارِىُّ يُصَلِّى، وَأَتَى الرَّجُلُ فَلَمَّا رَأَى شَخْصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةُ الْقَوْمِ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتَ قَائِمًا، ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ وَثَبَتَ قَائِمًا، ثُمَّ عَادَ لَهُ بِثَالِثٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ ثُمَّ أَهَبَّ صَاحِبَهُ فَقَالَ: اجْلِسْ فَقَدْ أُوتِيتُ. فَوَثَبَ فَلَمَّا رَآهُمَا الرَّجُلُ عَرَفَ أَنْ قَدْ نَذِرُوا بِهِ فَهَرَبَ، فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِىُّ مَا بِالأَنْصَارِىِّ مِنَ الدِّمَاءِ؛ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، أَلَا أَهْبَبْتَنِى. قَالَ: كُنْتُ فِى سُورَةٍ أَقْرَؤُهَا فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ أَقْطَعَهَا حَتَّى أُنْفِذَهَا. فَلَمَّا تَابَعَ عَلَيَّ الرَّمْىَ رَكَعْتُ

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٣/ ١٩٣) برقم (١٤٩٢٩).

(٢) ينظر: مغازي الواقدي (١/ ١٩٥). المغازي، المؤلف: محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي بالولاء، المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ)، تحقيق: مارسدن جونس، الناشر: دار الأعلمي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٩/١٩٨٩.



فَأُرِيتُكَ، وَايْمُ اللَّهِ لَوْلَا أَنْ أُضَيِّعَ ثَغْرًا أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِحِفْظِهِ؛ لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا أَوْ أُنْفِذَهَ. رواه أحمد[١].

وفي انصرافه صلى الله عليه وسلم من هذه الغزوة أبطأ جمل جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- به، فنخسه النبيُّ صلى الله عليه وسلم، فانطلق مُتقدِّمًا بين يدي الركاب، ثم قال: أتبيعنيه؟ فابتاعه منه، وقال له: لك ظهرُه إلى المدينة، فلما وصل إلى المدينة أعطاه الثمن، ووهب له الجمل[٢].

والخلاصة: هكذا انتهت أحداث هذه الغزوة، وقذف الله الرعب في قلوب أولئك الأعراب، فلم تجرؤ القبائل من غطفان ولا غيرها أن ترفع رأسها بعد ذلك، حتى شاء الله لها أن تُسلم لاحقًا لتشارك في فتح مكة وغزوة حُنينٍ.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٣/ ٥١) برقم (١٤٧٠٤). وأبو داود في سننه (١/ ٦٠) برقم (١٩٨) كتاب الطهارة باب الوضوء من الدم. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١/ ٢٧٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٨٩) برقم (٢٧١٨) كتاب الشروط باب إذا اشترط البائع ظهر الدابة إلى مكان مسمى جاز. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٢٢٣) برقم (٧١٥) كتاب المساقاة باب بيع البعير واستثناء ركوبه.



١٧ جمادى الأولى

سلامة الصدر

قال ابن الشَّوكاني: وأما سَلَامة الصَّدر، فالمراد به: عدم الحقد والغل والبغضاء(١).

فسليم القلب والصَّدر هو من سَلِم وعُوفِي فؤاده من جميع أمراض القلوب وأَدْوَائها، ومن كلِّ آفة تُبعده عن الله تبارك وتعالى.

قال ابن رجب: أفضل الأعمال سَلَامة الصَّدر من أنواع الشَّحْناء كلِّها، وأفضلها السَّلَامة من شحناء أهل الأهواء والبدع، التي تقتضي الطَّعن على سلف الأمَّة، وبُغضهم والحقد عليهم، واعتقاد تكفيرهم أو تبديعهم وتضليلهم، ثمَّ يلي ذلك سَلَامة القلب من الشَّحْناء لعموم المسلمين، وإرادة الخير لهم، ونصيحتهم، وأن يُحبَّ لهم ما يُحبُّ لنفسه، وقد وصف الله تعالى المؤمنين عمومًا بأنَّهم يقولون : ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٢)(٣).

وعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا يُبَلِّغُنِي أحدٌ من أصحابي عن أحدٍ شيئًا، فَإِنِّي أُحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سَلِيم الصَّدر" رواه أبو داود(٤).

والمعنى: أنَّه صلى الله عليه وسلم يتمنَّى أن يخرج من الدُّنيا وقلبه راضٍ عن أصحابه، من غير سخط على أحد منهم.

وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: كنَّا جلوسًا مع الرَّسول صلى الله عليه وسلم فقال: يطلع عليكم الآن رجُلٌ من أهل الجنَّة، فطلع رجُلٌ من الأنصار، تَنْطِفُ لحيته من وضوئه، قد تَعَلَّق

---

(١) في السلوك الإسلامي القويم (ص: ١٢١). في السلوك الإسلامي القويم، المؤلف: ابن الشوكاني، أحمد بن محمد بن علي وهو ابن العلامة الشوكاني الكبير (المتوفى: ١٢٨١هـ)، تحقيق ودراسة: الدكتور حسين بن عبد الله العمري، الناشر: دار الفكر، دمشق – سورية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.

(٢) الحشر: ١٠.

(٣) تفسير ابن رجب الحنبلي (٢/ ٣٩٦). روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي)، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، جمع وترتيب: أبي معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، الناشر: دار العاصمة - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى ١٤٢٢ - ٢٠٠١ م.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٣٠١) برقم (٣٧٥٩). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٦٥) برقم (٤٨٦٠) كتاب الأدب باب في رفع الحديث من المجلس. والترمذي في جامعه (٥/ ٧١٠) برقم (٣٨٩٦) أبواب المناقب باب في فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣٦٠).



نَعْلَيه في يده الشِّمال، فلمَّا كان الغدُ قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم مثل ذلك، فطلع ذلك الرَّجُل مثل المرَّة الأولى، فلمَّا كان اليوم الثَّالث قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضًا، فطلع ذلك الرَّجُل على مثل حاله الأولى، فلمَّا قام النَّبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال: إنِّي لَاحَيْتُ أبي فأقسمتُ ألَّا أدخلَ عليه ثلاثًا، فإن رأيتَ أن تُؤْوِيَني إليك حتَّى تمضي؛ فَعلتَ. فقال: نعم. قال أنس: وكان عبد الله يُحدِّث أنَّه باتَ معه تلك الليالي الثَّلاث، فلم يره يقوم من اللَّيل شيئًا، غير أنَّه إذا تعارَّ وتقلَّب على فراشه، ذَكَر الله عزَّ وجلَّ وكبَّر حتَّى يقوم لصلاة الفجر، قال عبد الله: غير أنِّي لم أسمعه يقول إلَّا خيرًا. فلمَّا مضت الثَّلاث ليال، وكدت أن أحتقر عمله، قلتُ: يا عبد الله؛ إنِّي لم يكن بيني وبين أبي غضبٌ ولا هَجْرٌ، ولكن سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ثلاث مِرَار: يطلع عليكم الآن رجُلٌ من أهل الجنَّة، فطلعتَ أنتَ الثَّلاث مِرَار، فأردتُ أن آوي إليك لأنظر ما عملك، فأقتديَ به، فلم أرك تعملُ كثيرَ عملٍ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: ما هو إلا ما رأيتَ؛ غير أنِّي لا أجدُ في نفسي لأحدٍ من المسلمين غِشًّا، ولا أحسد أحدًا على خيرٍ أعطاه الله إياه. فقال عبد الله: هذه التي بلغتْ بك، وهي التي لا نُطيقُ. رواه أحمد[١].

وقال سفيان بن دينار: قلتُ لأبي بشير – وكان من أصحاب عليٍّ –: أخبرْني عن أعمال مَن كان قَبْلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيرًا، ويُؤْجَرون كثيرًا. قلتُ: ولِمَ ذاك؟ قال: لسَلَامة صدورهم[٢].

وعن زيد بن أسلم أنَّه دخل على ابن أبي دُجانة، وهو مريض، وكان وجهُهُ يتهلَّلُ، فقال له: ما لك يتهلَّلُ وجهُك؟ قال: ما من عملٍ شيءٍ أوثق عندي من اثنين: أمَّا أحدهما فكنتُ لا أتكلَّم بما لا يعنيني، وأمَّا الأُخرى: فكان قلبي للمسلمين سليمًا[٣].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٠/ ١٢٤) برقم (١٢٦٩٧). والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٣١٨) برقم (١٠٦٣٣) كتاب عمل اليوم والليلة نوع آخر. والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١/ ٢٥).

(٢) الزهد لهناد بن السري (٢/ ٦٠٠). الزهد، المؤلف: أبو السَّرِي هَنَّاد بن السَّرِي بن مصعب بن أبي بكر بن شبر بن صعفوق بن عمرو بن زرارة بن عدس بن زيد التميمي الدارمي الكوفي (المتوفى: ٢٤٣هـ)، المحقق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦.

(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ٥٥٧). الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٦٨ م.



ولقد راعى سلفنا الصالح هذا الأمر واهتمُّوا به أشدَّ الاهتمام، ومن تلك المواقف: رأى عليُّ بن أبي طالب؛ طلحة بن عبيد الله- رضي الله عنهما- في وادٍ مُلقًى بعد وقعة الجمل التي كانت بين عليٍّ وبين عائشة وطلحة والزبير- رضي الله عنهم جميعًا-، فنزل فمسح التراب عن وجه طلحة، وقال: عزيزٌ عليَّ يا أبا محمدٍ أن أراك مُجندلًا في الأودية تحت نجوم السماء، إلى الله أشكو عُجَري وبُجَري، ثم قال لابن طلحة: لَعلّي وأباك ممَّن قال الله فيهم: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[1][2].

وهذا إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل- رحمه الله-، وقد أوذي وسُجِنَ وعذّب عذابًا شديدًا، لكنه بعد تلك المحنة يصفح عن كلِ مَن أساء إليه أبَّان سجْنِه فيقول لأحدهم: "أنت في حِلٍّ، وكلُّ مَن ذكرني في حِلٍّ، إلَّا مُبتدع، وقد جعلتُ أبا إسحاق في حِلٍّ- يعني المعتصم أمير المؤمنين-، رأيتُ الله يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3]، وما ينفعك أن يُعذَّب أخوك المسلم بسببك؟[4]

وقيل له: نكتب عن محمد بن منصور الطوسي؟ قال: إذا لم تكتبْ عنه؛ فعمَّن يكون ذلك؟ قالها مرارًا، فقيل له: إنَّه يتكلم فيك، قال: رجُلٌ صالحٌ، ابتُلِي فينا؛ فما نعمل؟[5] فلم يمنعه كون الرجل يتكلَّم فيه مِن تزكيته، لأنَّ قلبه قد سلم من الغِلِّ والبغضاء والشحناء.

أما شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- فقد كان له موقفٌ من أعدائه وخصومه، حيث صفح عنهم وعفا قائلًا: لا أحبُّ أن يُنتصر مِن أحدٍ بسبب كذبه عليَّ أو ظلمه وعدوانه، فإنِّي قد أحللتُ كلَّ مُسلمٍ، والذين كتبوا وظلموا فهم في حِلٍّ من جهتي[6].

---

(١) الحجر: ٤٧.

(٢) ينظر: تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٤/ ٤٠٢). تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المؤلف: شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قيماز الشهير بـ «الذهبي» (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ)، تحقيق: غنيم عباس غنيم - مجدي السيد أمين، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعه: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.

(٣) النور: ٢٢.

(٤) ينظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٦١). سير أعلام النبلاء، المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

(٥) ينظر: طبقات الحنابلة (١/ ١٩٦). طبقات الحنابلة، المؤلف: أبو الحسين ابن أبي يعلى، محمد بن محمد (المتوفى: ٥٢٦هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

(٦) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٥).



وذكر تلميذه ابن القيم- رحمه الله-: أنَّه ما رأى أحدًا أجمع لخصال الصفح والعفو وسلامة الصدر من ابن تيمية، وأنَّ أحد تلاميذه بشَّره بموت أكبر أعدائه الذين آذوه، فنهره ابن تيمية وغضب عليه واسترجع وقام مِن فوره، فعزَّى أهل الميت، وقال لهم: إنِّي لكم مكانه[١]. إذا كان هذا كذلك؛ فسلامة القلب والصدر ليست السذاجة والضعف، وليست هي القلب الذي يسهل خداعه والضحك عليه، كلا، بل إنَّ سلامة القلب كما قال ابن تيمية- رحمه الله-: القلب السليم المحمود هو الذي يريد الخير لا الشر، وكمالُ ذلك بأن يعرف الخير والشرَّ، فأمَّا مَن لا يعرف الشرَّ فذاك نقصٌ فيه، لا يُمدَحُ به[٢].

وكان ابن مخلوف- وكان من أشدِّ الناس عداوة لابن تيمية، بل وأفتى بقتله- يقول: ما رأينا مثل ابن تيمية؛ حرَّضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا، ذلك أنَّ الأيام قد دارتْ، وتولَّى السلطان الناصر وقرَّب شيخ الإسلام، وأراد أن ينتقم له مِن أعدائه ممَّن أمر بسجنهم، ولكنَّه- رحمه الله- أبى ذلك، وقال: إن قتلتَهم مِن أين تأتي بمثلهم، وهم علماؤك. ونحو ذلك من الكلام حتَّى سكَّنه[٣].

الخلاصة: قال الفضيل بن عياض- رحمه الله-: ما أدرَكَ عندنا مَن أدرَكَ؛ بكثرة نوافل الصلاة والصيام، وإنَّما أدرَكَ عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمَّة[٤].

سامِحْ أخاك إذا خلطْ ... منه الإساءةَ بالغلطْ
وتجافَ عن تعنيفه ... إن زاغَ يومًا أوْ قسَطْ
واعلمْ بأنَّكَ إنْ طلبْتَ ... مُهذَّبًا رُمْتَ الشططْ
مَن ذا الذي مَا ساءَ قطْ ؟ ... ومَن له الحُسنى فقطْ؟[٥]

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٢١)؛ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٢٩). المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٠٢).

(٣) ينظر: البداية والنهاية (١٨/ ٩٥). البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ١٠٣).

(٥) مقامات الحريري (ص: ٢٢٩). مقامات الحريري، المؤلف: أبو محمد القاسم بن علي الحريري (المتوفى: ٥١٦هـ)، الناشر: مطبعة المعارف، بيروت، عام النشر: ١٨٧٣ م.



١٨ جمادى الأولى

التسامح

التسامح لغة من المسامحة، وهي المساهلة، والتسامح هو التساهل، أما في الاصطلاح فالتسامح هو: الصفح والعفو والإحسان، والذي يقابله التعصُّب والتطرُّف والغلو.

والتسامح هو التجاوز والعفو، وهو من دعائم العلاقات الإنسانية الإسلامية، قال تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾(١).

ويعني أيضًا التسامح مع الغير في المعاملات المختلفة، ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها، التي تتجلَّى في التيسير وعدم القهر، وسماحة المسلمين التي تبدو في تعاملاتهم المختلفة سواء مع بعضهم أو مع غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى.

إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ لَمْ يَصْفُ عَيْشُهُ وَمَا يَسْتَطِيبُ الْعَيْشَ إِلَّا الْمُسَامِحُ(٢)

فالتسامح له معنيان: الأول بمعنى العفو؛ كالعفو عن مبلغ من المال، أو مسامحة الشاتم وشبه هذا، والثاني بمعنى الملاطفة واللين والرفق، والبُعد عن التفحُّش، والغلظة والعنف.

والتسامح خُلُقٌ إسلاميٌّ أصيلٌ، رغَّب فيه الشرع، وحبَّب المكلَّفين فيه، وجعله منهاجًا لتعامُل المسلم مع إخوانه، ووردت الشريعة بعشرات النصوص المرغِّبة به. وقد ثبت في حديث جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" رحم الله رجلًا سمحًا إذا باع، وإذا اشترى، وإذا اقتضى" رواه البخاري(٣).

أنواع التسامح:-

١- التسامح الديني: ومن مظاهره التعايش بين الأديان، وحرية ممارسة الشعائر الدينية، مع التخلِّي عن التعصُّب الديني.

٢- التسامح الفكري والثقافي: ومن مظاهره عدم التعصُّب للأفكار، واحترام أدب الحوار والتخاطُب.

٣- التسامح السياسي: ومن مظاهره مبدأ الديموقراطية، وضمان الحريات السياسية؛ الفردية منها والجماعية.

---

(١) المائدة: ١٣.

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان (٥/ ٥٩٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٥٧) برقم (٢٠٧٦) كتاب البيوع باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع، ومن طلب حقا فليطلبه في عفاف.



٤- التسامح العرقي: ومن مظاهره تقبُّل الآخر؛ رغم اختلاف لونه أو عِرْقه، ونبْذ التمييز العنصري.

٥- التسامح في الحروب: فالقتال في الإسلام ليس مطلوبًا لذاته، ولم يُشرع القتال والحرب في الإسلام مِن أجل القتل نفسه، ولا من أجل إراقة الدم وإزهاق الروح، وإنما شُرع القتال إمَّا من أجل دفع عدو صائل، أو تبليغ شرع الله. ويتجلَّى ذلك بأنَّ الإسلام نهى عن قتل غير المقاتِلين، فلو كان القتالُ لأجل القتل؛ لما كان للنهي عن قتْل هؤلاء معنى، فلو كانت الغاية من الجهاد هي القتل، لما كانت للحروب عند المسلمين آداب، ولما قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" انطلقوا بسمِ اللَّهِ، وباللَّهِ، وعلى مِلَّةِ رسولِ اللهِ، لا تقتلوا شيخًا فانيًا، ولا طفلًا صغيرًا، ولا امرأةً، ولا تغلُّوا، وضمُّوا غنائمَكم، وأصلحوا، وأحسنوا؛ فإنَّ اللَّهَ يحبُّ المحسنينَ" رواه أبو داود(١).

والتسامح في الإسلام مندوبٌ باتفاق العلماء، وليس بواجب، فلا يجب على من له حقٌّ مادِّيٌّ أو معنويٌّ أن يُسامح، فهو إن شاء عفا، وإن شاء استردَّ حقوقه كاملة، ولكن الملاطفة والملاينة في التعامل مع الآخرين فهي واجبة، ولا يجوز للمسلم أن يكون فظًّا غليظًا، ولا عنيفًا، ولا فاحشًا، ولا مُتفحِّشًا.

ولا تعرف البشرية دينًا أطول باعًا في التسامح والتصالح مع الآخر من الإسلام، وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم لنا أفضل الأمثلة على التسامح، فعاش مع أصحاب الديانات الآخرى، وقد أمَّنهم على مُعتقداتهم، وعباداتهم، ومعابدهم، وطقوسهم، وصلبانهم، وترَكهم يُمارسون شعائرهم، دون حرج ولا ضيق.

وقد أمر الله تعالى المسلمين بالتعايُش مع أصحاب الديانات الأخرى؛ بالتعايش السلميِّ معهم ومُلاطفتهم والتودُّد إليهم، قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ (٢).

وقد محا الإسلام الجاهلية وما فيها من مُحرَّمات وأباطيل، ومنها العصبية العرقية أو الإقليمية أي سواء كانت بسبب بياض الشخص أو سواده، أم لأنَّه عربي أو أعجمي، أم لأنَّ هذا من الشرق أو مِن الغرب، وقد أوضح الاسلام أنَّه لا فرق بين عربي ولا أعجمي؛ إلَّا بالتقوى. وكلُّهم سواسية

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٣/ ٣٧) برقم (٢٦١٤) كتاب الجهاد باب في دعاء المشركين. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٦/ ١١٤).

(٢) الممتحنة: ٨.

كأسنان المشط. فقد قال صلى الله عليه وسلم:" يا أيُّها النَّاسُ؛ ألَا إنَّ ربَّكم واحِدٌ، وإنَّ أباكم واحِدٌ، ألَا لا فَضْلَ لِعَربيٍّ على عَجَميٍّ، ولا لعَجَميٍّ على عَرَبيٍّ، ولا أحمَرَ على أسوَدَ، ولا أسوَدَ على أحمَرَ؛ إلَّا بالتَّقْوى" رواه أحمد[1].

وقد أجاز الإسلام وأباح أكلَ طعامِ أهل الكتاب، والزواج من نسائهم، فقد قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾[2].

وأيضا فقد تجلَّت سماحة الإسلام في التعامل مع أسرى الحرب من الأعداء، وذلك بأحد أمرين: الأول إطلاق سراحهم وتحريرهم دون مقابلٍ؛ وهو ما يُعرَف بالمنّ، وثانيهما إطلاق سراحهم وتحريرهم بمُقابل، وهو ما يُعرَف بالفداء، قال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾[3].

فالاسترقاق لم يكن أحد الخيارات المتاحة في التعامل مع الأسرى من غير المسلمين.

وقد وُصفت الشريعة الإسلامية بأنَّها حنيفية سمحة، كما قال صلى الله عليه وسلم:" بُعثتُ بالحنيفية السمحة" رواه أحمد[4]، أي السهلة الميسَّرة، حنيفيَّة في التوحيد، سمحة في العمل، ممَّا يدلُّ على رفْع الإصر والحرج فيها، والبُعْد عن التشدُّد.

ورُوي عن عبادة بن الصامت- رضي الله عنه- أنَّه قال: يا نبيَّ الله؛ أيُّ العمل أفضل؟ قال: الإيمان بالله والتصديق به والجهاد في سبيله. قال: أريد أهون من ذلك يا رسول الله. قال: السماحة والصبر. رواه أحمد[5].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٨/ ٤٧٤) برقم (٢٣٤٨٩). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ٤٤٩).

(٢) المائدة: ٥.

(٣) محمد: ٤.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٦٢٣) برقم (٢٢٢٩١). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ١٠٢٢).

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٣٨٩) برقم (٢٢٧١٧). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ١٠٠١).



ومن الشواهد على تسامح الرسول صلى الله عليه وسلم أنَّ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم استقبل وفد نصارى الحبشة، وأكرمهم بنفسه، فقال أصحابُه: نحن نكفيك يا رَسولَ اللهِ، قال: إنَّهم كانوا لأصحابِنا مُكرِمينَ، وإنِّي أُحِبُّ أن أكافِئَهم. رواه البيهقي[١].

سامِحْ صديقَكَ إنْ زلَّتْ به قدمٌ   فليسَ يَسلمُ إنسانٌ من الزَّللِ[٢]

الخلاصة: ممَّا يُذكر من محاسن العفو أنَّ الخليفة العباسي المأمون ظفر برجلٍ كان يطلبه، فلما دخل عليه أمر بضرب عنقه، فقال الرجل: دعني يا أمير المؤمنين أنشدك أبياتًا، فقال :

زَعَموا بأنَّ البازَ علقَ مرةً   عصفورَ بَرٍّ ساقَه المقدورُ
فتكلَّمَ العُصفورُ تحتَ جَنَاحِهِ   والبَازُ مُنقَضٌّ عليه يَطيرُ
مَا بِي لما يُغني لمثلِكَ شَبعةٌ   ولئنْ أُكلتُ فإنَّني لحقيرُ
فتبسَّم البازُ المدِلُّ بنفسِهِ   كَرَمًا وأُطلِقَ ذلكَ العُصفورُ

فأطلقه المأمون وخلع عليه ووصله[٣].

(١) رواه البيهقى في دلائل النبوة (٢/ ٣٠٧). والحديث قال عنه الألباني: "ضعيف جداً" كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٢/ ٤٢٢). دلائل النبوة، تأليف: الإمام البيهقي (٣٨٤ ـ ٤٥٨ هـ)، تحقيق: وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه : الدكتور / عبد المعطى قلعجى، الناشر: دار الكتب العلمية ـ ودار الريان للتراث، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م.

(٢) نظم اللآل في الحكم والأمثال (ص: ١٨، بترقيم الشاملة آليا). نظم اللآل في الحكم والأمثال، المؤلف: عبد الله فكري «باشا» بن محمد بليغ بن عبد الله بن محمد (المتوفى: ١٣٠٦هـ)، شرحه: عبد المعين الملوحي – دمشق.

(٣) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٧/ ١٢٦، بترقيم الشاملة آليا).



١٩ جمادى الأولى

السكينة

السكينة ما تجده في القلب من الطمأنينة. وقال ابن القيِّم- رحمه الله-: هي الطُّمَأنِينة والوَقَار والسُّكون، الذي يُنزِّله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدَّة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، وقوَّة اليقين والثَّبات[١].

وقال الجرجاني: السَّكِينَة ما يجده القلب من الطُّمَأنينة عند تنزُّل الغيب، وهي نور في القلب يَسْكُن إلى شاهده ويطمئن[٢].

عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أنَّهُ دفعَ معَ النبيِّ صلى الله عليه وسلم يوم عرفة، فسمعَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم وراءَهُ زَجْرًا شديدًا، وضربًا وصوتًا للإبِلِ، فأشَارَ بسَوطِهِ إليهِمْ، وقالَ:" أيُّها الناسُ؛ عليكم بالسَّكِينَةِ " رواه البخاري[٣]. أي: لازموا الطُّمَأنِينة والرِّفق، وعدم المزَاحمة في السَّير.

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إذا أُقِيمت الصَّلاة فلا تأتوها تَسْعَون، وأتوها تمشون، وعليكم السَّكِينَةُ، فما أدركتم فصلُّوا، وما فاتكم فأتمُّوا" رواه البخاري[٤].

وفيه النَّدب الأكيد إلى إتيان الصَّلاة بسَكِينة ووَقَار، والنَّهي عن إتيانها سعيًا، سواءً فيه صلاة الجمعة وغيرها، سواءً خاف فَوْت تكبيرة الإحرام أم لا.

وعن أبي قتادة- رضي الله عنه- قال: صلَّيتُ مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال:" لا تقوموا حتى تروني، وعليكم السكينةُ" رواه البخاري[٥].

وكان يُعلِّم أصحابه أنَّ السكينة إنَّما تتنزَّل على المرء بذكره لربه وعبادته له؛ فيقول لهم:" ما اجتمع قومٌ في بيتٍ من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم؛ إلَّا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفَّتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمَن عنده" رواه مسلم[٦].

---

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٧١).

(٢) التعريفات (ص: ١٢٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٦٤) برقم (١٦٧١) كتاب الحج باب أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالسكينة عند الإفاضة، وإشارته إليهم بالسوط.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٧) برقم (٩٠٨)كتاب الجمعة باب المشي إلى الجمعة. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٢٠) برقم (٦٠٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، والنهي عن إتيانها سعيا.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٨) برقم (٩٠٩)كتاب الجمعة باب المشي إلى الجمعة.

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤) برقم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.



وكان عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- ينصح الناس فيقول لهم: تعلَّمُوا العلم، وتعلَّموا معه السكينة والوقار[١]

وروى البخاري في صحيحه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوم الأحزاب يرتجز برَجَز عبد الله بن رواحة- رضي الله عنه-، ويقول:

اللهُمَّ لولا أنتَ ما اهتدينا ... ولا تصــدَّقنا ولا صــلَّينا

فـــأَنْزِلَنْ سَـــكِينةً علينـــا ... وثبِّـتِ الأقـدامَ إنْ لاقينـا

إنَّ الأعـــداءَ قد بَغَوا علينا ... إذا أرادوا فتنةً أبينـــا[٢]

وقال ابن القيِّم- رحمه الله-: السَّكِينَة إذا نزلتْ على القلب اطمأنَّ بها، وسكنت إليها الجوارح، وخشعت، واكتسبت الوَقَار، وأنطقت اللِّسان بالصَّواب والحِكْمة، وحالت بينه وبين قول الخَنَا والفحش، واللَّغو والهجر وكلِّ باطلٍ[٣]. وفي صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدِّمة: إِنِّي باعثٌ نبيًّا أمِّيًّا، ليس بفظٍّ ولا غليظٍ، ولا صخَّابٍ في الأسواق، ولا مُتزيِّنٍ بالفحش، ولا قوَّالٍ للخَنَا. أسدِّده لكلِّ جميلٍ، وأَهَب له كلَّ خُلُق كريم، ثمَّ أجعل السَّكِينَة لِبَاسه، والبرَّ شعاره، والتَّقوى ضميره، والحِكْمَة معقوله، والصِّدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خُلُقه، والعدل سيرته، والحقَّ شريعته، والهُدى إمامه، والإسلام ملَّته، وأحمد اسمه[٤].

وقد قسم العلماء السكينة إلى قسمين:

١- سكينة عامَّة: وهى التى تخصُّ عامَّة الخَلْق، وهى التي يجدها العبد عند القيام بوظائف العبوديَّة، وهي التي تُورث الخشوع والخضوع، وجمعيَّة القلب على الله، بحيث يُؤدِّي عُبوديَّته بقلبه وبدنه قانتًا لله عزَّ وجلَّ.

٢- سكينة خاصَّة: وهى التي تخصُّ أتباع الرُّسل بحسب مُتابعتهم، وهي سَكِينة الإيمان، وهي سَكِينةٌ تُسَكِّن القلوب عن الرَّيب والشَّك، ولهذا أنزلها الله على المؤمنين في أصعب المواطن؛ أحوج ما كانوا

---

(١) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٦/ ٣٤٢) عن عمر مرفوعًا. والحديث ضعفه الألباني مرفوعًا كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٤/ ١١٣).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٦٤) برقم (٣٠٣٤) كتاب الجهاد والسير باب الرجز في الحرب ورفع الصوت في حفر الخندق. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٢٧) برقم (١٨٠٢) كتاب الجهاد والسير باب غزوة خيبر.

(٣) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٧٣).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٧٢).



إليها، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، فذكر نعمته عليهم بالجنود الخارجة عنهم، والجنود الدَّاخلة فيهم، وهي السَّكِينَة عند القلق والاضطراب[١].

وأعلى مراتب السَّكِينَة؛ سَكِينة الأنبياء، وقد ذكر ذلك ابن القيِّم- رحمه الله-: وأورد لها أمثلة، منها:

- السَّكِينَة التي حصلت لإبراهيم الخليل، وقد أُلْقي في المنْجَنِيق مُسافرًا إلى ما أَضْرَم له أعداءُ الله من النَّار، فللَّه تلك السَّكِينَة التي كانت في قلبه حين ذلك السَّفر.
- السَّكِينَة التي حصلت لموسى، وقد غشيه فرعون وجنوده مِن ورائهم، والبحر أمامهم، وقد استغاث بنو إسرائيل: يا موسى؛ إلى أين تذهب بنا؟! هذا البحر أمامنا، وهذا فرعون خلفنا.
- وكذلك السَّكِينَة التي حصلت له وقت تكليم الله له نداءً ونجاءً، كلامًا حقيقةً، سمعه بأذنه.
- وكذلك السَّكِينَة التي حصلت له، وقد رأى العصا ثعبانًا مبينًا.
- وكذلك السَّكِينَة التي نزلت عليه، وقد رأى حبال القوم وعِصِيَّهم كأنَّها تسعى، فأوجس في نفسه خِيفةً.
- وكذلك السَّكِينَة التي حصلت لنبينا صلى الله عليه وسلم وقد أشرف عليه وعلى صاحبه عدوُّهما، وهما في الغار، فلو نظر أحدهم إلى تحت قدميه لرآهما.
- وكذلك السَّكِينَة التي نزلتْ عليه في مواقفه العظيمة، وأعداء الله قد أحاطوا به، كيوم بدر، ويوم حُنينٍ، ويوم الخندَّق وغيرها[٢].

أهـلًا بقـومٍ صـالحينَ ذوي تُقَـى ... خـيرِ الرجـالِ وزَيْـنِ مـلاءِ
يَسعَون في طلبِ الحديثِ بعفَّـةٍ ... وتَـوقُّرٍ وسَـكِينةٍ وحيـاءِ
لهـمُ المهابةُ والجلالةُ والتُّقَى ... وفضائلٌ جلَّتْ عنِ الإحصاءِ[٣]

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ١٥٤).

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٤/ ١٥٤).

(٣) حسن التنبه لما ورد في التشبه (٣/ ١١٤). حسن التنبه لما ورد في التشبه «وهو كتاب فريد في بابه يشتمل على بيان ما يتشبه به المسلم وما لا يتشبه به»، المؤلف: نجم الدين الغزي، محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الدمشقي الشافعي (المولود بدمشق سنة ٩٧٧ هـ، والمتوفى بها سنة ١٠٦١ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.



وروى البخاري ومسلم أيضًا عن البراء بن عازب- رضي الله عنه- قال: كان رجُلٌ يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصان مربوط، فتغشَّتْه سحابة فجعلتْ تدنو وتدنو، وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال: تلك السكينة تنزَّلتْ للقرآن[١].

وهذا لا يعني أن السكينة تتنزَّل فقط عند قراءة سورة الكهف، بل لكونها من القرآن، كما يُشير إليه لفظ الحديث.

الخلاصة: كان شيخ الإسلام ابن تيمية إذا اشتدت عليه الأمور قرأ آيات السكينة[٢]، وهي:

١- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٣].

٢- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

٣- قوله تعالى: ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٥].

٤- قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[٦].

٥- قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾[٧].

٦- قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٨].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٨٨) برقم (٥٠١١) كتاب فضائل القرآن باب فضل سورة الكهف. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٤٧) برقم (٧٩٥) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب نزول السكينة لقراءة القرآن.

(٢) ينظر: المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٨٣)؛ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٤٧٠).

(٣) البقرة: ٢٤٨.

(٤) التوبة: ٢٦.

(٥) التوبة: ٤٠.

(٦) الفتح: ٤.

(٧) الفتح: ١٨.

(٨) الفتح: ٢٦.



٢٠ جمادى الأولى

العدل

العدل، وما أدراك ما العدل؟ ما قامت السماوات والأرض إلَّا بالعدل، والله تعالى هو العدل، لا يظلم أحدًا، ولا يُحابِي أحدًا، ولا يجور على أحد، مع أن الخلقَ خَلْقُهُ، والأمرَ أمْرُهُ، والملكَ مُلْكُهُ، ومع تلك العظمة والجبروت والسلطان اتَّصف بالعدل، فالله تعالى عَدْلٌ في أحكامه، عدلٌ في عطائه، عدلٌ في مَنْعِهِ، عدلٌ في جزائه، ولا أعدلَ من الله.

والعدلُ يَشملُ جَميعَ شُؤونِ الحياةِ: ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾[١]، ففي المحاكمات: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾[٢]، وفي المكاتبات: ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبُۢ بِٱلْعَدْلِ ﴾[٣]، وفي عُقود الصُلحِ: ﴿فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾[٤]، وفي المكاييل والموازين: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾[٥]، ومع الأيتام: ﴿وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ﴾[٦]، وعلى النَّفسِ والأقربينَ: ﴿كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾[٧]، وحتى في الأقوال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ﴾[٨]، وكما أنَّ الشركَ هو أعظمَ الظُلمِ؛ ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٩]، فإنَّ التوحيدَ هو أعظمُ العدلِ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[١٠].

يقول شيخ الإسلام ابن تيميةَ- رحمهُ اللهُ-: عاقبةُ الظلمِ وخيمةٌ، وعاقبةُ العدلِ كريمةٌ؛ وإنَّ اللهَ لينصرُ الدَّولةَ العادِلةَ وإنْ كانت كافِرةً، ولا ينصرُ الدَّولةَ الظالِمةَ وإن كانت مُؤمِنةً[١١].

---

(١) الشورى: ١٥.

(٢) النساء: ٥٨.

(٣) البقرة: ٢٨٢

(٤) الحجرات: ٩.

(٥) الأنعام: ١٥٢.

(٦) النساء: ١٢٧.

(٧) النساء: ١٣٥.

(٨) الأنعام: ١٥٢.

(٩) لقمان: ١٣.

(١٠) آل عمران: ١٨.

(١١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٦٣).



وذهب ابن عطية إلى أن العدل هو فعْل كلِّ مفروضٍ من عقائد وشرائع، وأداء الأمانات وترْك الظلم، والإنصاف وإعطاء الحق(١).

وفي غمار يوم القيامة يتميَّز الحاكم العادل في الدنيا بظلِّ الله وكنفه ورعايته، قال النبيُّ الكريمُ صلى الله عليه وسلم:" سبعةٌ يُظِلُّهمُ اللهُ في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّه: الإمامُ العادلُ....." رواه البخاري(٢).

وقد أمرنا الله أن نَعْدِلَ بين الأولاد؛ حتى لو كانوا مُختلفين في البِرِّ والمحبَّة والأخلاق، والقُرب أو البُعد منَّا؛ فلا مَحِيدَ عن العدل في العَطِيَّةِ، وفي الهبة، وفي الكلمة الطيبة، وفي الابتسامة، وفي المحاسبة في الأمر والنهي، لا بُدَّ من العدل؛ قال صلى الله عليه وسلم:" اعدلوا بين أولادكم في النِّحَلِ، كما تُحبُّون أن يعدلوا بينكم في البِرِّ واللُّطْفِ" صحيح ابن حبَّان(٣).

كما أمرنا الله سبحانه وتعالى بالعدل بين الزوجات، حتى لو كانت إحداهما أحبَّ من الأخرى، فلا بُدَّ من العدل؛ في العطاء، في النفقة، في الصلة، في الكلمة الطيبة، في الأمر والنهي، العدل فيما يُستطاع.

والتجاوزات والتصرُّفات التي نسمعها عن بعض المعدِّدين يجب أن تغيب وتتلاشى في مجتمعنا، ومَن لا يقدر على العدل بين الزوجات؛ فلا يُعَدِّد؛ قال صلى الله عليه وسلم:" إذا كان عند الرجُلِ امرأتانِ فلمْ يعدلْ بينهما؛ جاء يوم القيامة وشِقُّهُ ساقط" رواه أبو داود والنسائي والترمذي(٤).

وإن الله تعالى أمرنا أن نعدل بين الناس في الوظائف والأعمال والمسؤوليات؛ فالموظف مسؤول أمام الله أن يعدل في وظيفته، فالمواطنون كلُّهم سواءٌ؛ القريب والبعيد، الغني والفقير، والمربِّي مسؤول

---

(١) ينظر: تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٣/ ٤١٦).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٣) برقم (٦٦٠) كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٥) برقم (١٠٣١) كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (١١/ ٥٠٣) برقم (٥١٠٤). والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٧/ ٣٧٣). الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

(٤) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٢٤٢) برقم (٢١٣٣) كتاب الجهاد باب في في القسم بين النساء. والترمذي في جامعه (٣/ ٤٣٩) برقم (١١٤١) أبواب النكاح باب ما جاء في التسوية بين الضرائر. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ١٥٠) برقم (٨٨٣٩) كتاب عشرة النساء ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض. وابن ماجه في سننه (١/ ٦٣٣) برقم (١٩٦٩) كتاب النكاح باب القسمة بين النساء. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٨٠).



أمام الله تعالى في العدل بين طلابه في كل المعاملات؛ قال صلى الله عليه وسلم:" ثلاثٌ مُنجياتٌ: خشية الله تعالى في السر والعلانية، والعدْل في الرضا والغضب، والقصْد في الفقر والغِنى، وثلاثٌ مُهلِكاتٌ: هوىً مُتَّبَعٌ، وشُحٌّ مُطاعٌ، وإعجابُ المرءِ بنفسِه"؛ [حسَّنه الألباني في صحيح الجامع] (١).

وقال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾(٢).

العدلُ من أسْمَى القِيَمْ	يسْمُو بِنَا إلى القِمَمْ
فهْوَ أساسُ مُلْكِنَا	يَرفَعُنَا فوقَ الأُمَمْ
والعادِلُونَ بيننَا	مثلُ النُّجُومِ في الظُّلَمْ
فاعْدِلْ ولوْ معَ الذي	جارَ عليْكَ أَوْ ظَلَمْ
وَكُنْ تَقِيًّا مُخْلِصًا	يَرْعى الحُقُوقَ والذِّمَمْ
وَلْتحذَرِ الظُّلْمَ فإنَّ	الظُّلْمَ يُفْضِي لِلنَّدَمْ
يَا وَيلَ كلِّ ظالِمٍ	مِنْ دعوةِ الذِي ظَلَمْ(٣)

ومِمَّا يُروى في بيان عدْل عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-؛ والحقُّ ما شهدتْ به الأعداء، أنَّ ملِك الفُرس أرسل إليه رسولًا، فلمَّا وصل المدينة سأل أهلها: أين مَلِكُكُم؟ فأجابوه: ليس لدينا مَلِكٌ، بل لنا أميرٌ، وقد ذهب إلى ظاهر المدينة، فذهب الرسول في طلب عمر- رضي الله عنه- فرآه نائمًا في الشمس على الأرض فوق الرمل، وقد وضع عصاه كالوسادة، والعَرَق يتصبَّب مِن جبينه. فلمَّا رآه على هذه الحالة وقع الخشوع في قلبه وقال: رجلٌ تهابُهُ جميعُ الملوك. وتكون هذه حاله؟!! ولكنَّكَ عَدَلتَ فأمِنْتَ فنِمْتَ يا عمر. وقد أسلم رسولُ ملِك الفُرس بعد ذلك(٤).

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٥).

---

(١) ينظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٥٨٣).

(٢) ص: ٢٦.

(٣) الإسلام دين العدل للشيخ حسين شعبان وهدان.

(٤) ينظر: التبر المسبوك في نصيحة الملوك (ص: ١٨). التبر المسبوك في نصيحة الملوك، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، ضبطه وصححه: أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م.

(٥) النحل: ٩٠.

قال عبد الرحمن بن ناصر السعدي: فالعدْل الذي أمر الله به؛ يشمل العدْل في حقِّه وفي حقِّ عباده، فالعدْل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة، بأن يُؤدِّي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركَّبة منهما في حقِّه وحقِّ عباده، ويُعامِل الخَلق بالعدْل التام، فيُؤدِّي كلُّ والٍ ما عليه تحت ولايته؛ سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء، ونُوَّاب الخليفة، ونُوَّاب القاضي، والعدْل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وأمَرَهم بسلوكه، ومن العدْل في المعاملات أن تُعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات؛ بإيفاء جميع ما عليك، فلا تبخسْ لهم حقًّا، ولا تغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم، فالعدْل واجب، والإحسان فضيلة مُستحبٌّ(١).

الخلاصة: ورد ذكر العدل في القرآن الكريم ٢٩ مرة، وله عدَّة صورٍ؛ منها:

العدْل مع المخالِف: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾(٢).

العدْل مع الزوجة: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (٣).

العدْل في التجارة: ﴿ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ (٤).

العدْل مع الحاكم: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (٥).

وختامًا قال سبحانه وتعالى مُخاطِبًا نبيَّه صلى الله عليه وسلم: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾(٦).

فالعدل ميزان الله في الأرض، به يأخذ للمظلوم من الظالم، وللضعيف من الشديد، وبالعدْل يصدق الله الصادق، ويكذب الكاذب، وبالعدل يرُدُّ المعتدي ويُوبِّخه.

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٤٧).

(٢) المائدة: ٨.

(٣) النساء: ١٢٩.

(٤) الأنعام: ١٥٢.

(٥) المائدة: ٤٢.

(٦) الشورى: ١٥.

٢١ جمادى الأولى

العزة

العِزُّ: خلاف الذُلِّ. وهو في الأصل: القُوَّة والشِّدَّة والغَلَبَة والرِّفعة والامْتِنَاع[١]. فهذه المادة في كلام العرب لا تخرج عن معانٍ ثلاثةٍ:

أحدها: بمعنى الغَلَبَة، يقولون: مَنْ عَزَّ بَزَّ. أي: من غَلَبَ سَلَبَ، يُقال منه: عَزَّ يَعُزُّ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾[٢]. والثاني: بمعنى الشِّدَّة والقُوَّة، يُقال منه: عَزَّ يَعَزُّ. والثالث: أن يكون بمعنى نَفَاسَة القَدْر، يقال منه: عَزَّ يَعِزُّ[٣].

ويقول ابن القيّم: والعِزَّة يُرَاد بها ثلاثة معان: عِزَّة القُوَّة، وعِزَّة الامْتِنَاع، وعِزَّة القَهْر، والرَّبُّ- تبارك وتعالى- له العِزَّة التَّامة بالاعتبارات الثَّلاث[٤]. كما أنَّه سَمَّى نفسه المعِزَّ، فهو الذي يَهَبُ العِزَّة لمن يشاء، كما أنَّه يُذِلُّ مَن يشاء، ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٥]، فهو المعِزُّ الحقيقي لمن يشاء إعزازه مِن البَشَر.

وذكر بعض المفسّرين أنَّ العِزَّة في القرآن الكريم على ثلاثة أوجه:

أحدها: العَظَمَة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾[٦]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٧].

والثَّاني: المنْعَة. ومنه قوله تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[٨].

---

(١) ينظر: لسان العرب (٥/ ٣٧٤).

(٢) ص: ٢٣.

(٣) ينظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر (ص: ٤٣٥). نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، الناشر: مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ٢٤١).

(٥) آل عمران: ٢٦.

(٦) الشُّعراء: ٤٤.

(٧) ص: ٨٢.

(٨) النِّساء: ١٣٩.



والثَّالث: الحَمِيَّة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [١]، وقوله أيضًا: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [٢]. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [٣]. أي: مَن كان يَوَدُّ أن يكون عزيزًا في الدُّنْيا والآخرة؛ فلْيلزمْ طاعة الله تعالى، فإنَّ بها تُنَالُ العِزَّة؛ إذْ لله العِزَّةُ فيهما جميعًا.

حَدَثَ أنْ أرسلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إلى عُيينة بن حصن، والحارث بن عوف؛ رئيسي غَطَفَان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة، وجرت المراوَضةَ في ذلك، ولم يتمَّ الأمر، فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عبادة- رضي الله عنهما، فقالا: يا رسول الله؛ أشيءٌ أمَرَكَ الله به فلا بُدَّ لنا منه؟ أم شيءٌ تُحبُّه فنصنعه؟ أم شيءٌ تصنعه لنا؟ قال: بل شيءٌ أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلَّا أنِّي رأيتُ العرب قد رمتْكم عن قوسٍ واحدةٍ. فقال سعد بن معاذ: يا رسول الله؛ قد كنَّا نحن وهؤلاء القوم على الشِّرك بالله وعبادة الأوثان، وهم لا يطيقون أن يأكلوا منها تمرة إلَّا قِرَى أو بَيْعًا، فحين أكرمنا الله تعالى بالإسلام وهدانا له، وأعزَّنا بك وبه؛ نعطيهم أموالنا!! والله لا نعطيهم إلَّا السَّيف. فصوَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيه، وتمادوا على حالهم [٤].

ويُمْكِننا أن نُقسِّم العِزَّة إلى قسمين: شرعيَّة، وغير شرعيَّة.

فالعِزَّة الشَّرعيَّة: هي العِزَّة الحقيقيَّة، العِزَّة في الحقِّ وبالحقِّ، والتي يكون صاحبها عزيزًا ولو كان ضعيفًا مَظْلومًا، شامخًا ولو كان طريدًا مُستضَامًا، فتجده لا يركع إلَّا لله، ولا يتنازل عن شيء ممَّا أَمَره به، فهو يَعْتَزُّ بعِزَّة الله- تبارك وتعالى-، وهذه هي العِزَّة التي ترتبط بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [٥].

ومن صور العِزَّة الشَّرعيَّة:

---

(١) البقرة: ٢٠٦.

(٢) ص: ٢.

(٣) فاطر: ١٠.

(٤) جوامع السيرة (ص: ١٨٨). جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم، المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار المعارف - مصر، الطبعة: ١، ١٩٠٠ م.

(٥) المنافقون: ٨.



١- الاعْتِزَاز بالله تبارك وتعالى: فالمسلم يعلم أنَّ الله عزيز، وأنَّ الاعْتِزَاز بالعزيز عزَّة، والاعتماد عليه قوَّة، والالتزام بنَهْجِه شموخ، وهو يعلم أيضًا أنَّ الاعْتِزَاز بغيره ذلٌّ وهَوَان، والاستقواء بغيره ضعف، قال عبيدة بن أبي لبابة: مَن طلب عزًّا بباطل وجور؛ أورثه الله ذُلًّا بإنصافٍ وعدلٍ.

٢- الاعْتِزَاز بالانتساب للإسلام: فالمسلم يعلم أنَّ هذا الدِّين دين العِزَّة والقوَّة، الذي يستمدُّ المسلمون عزَّهم مِن عِزِّهِ، وقوَّتهم مِن قوَّته، ومتى طلبوا العِزَّة في سواه- من المناهج الشَّرقيَّة أو الغربيَّة- أذلَّهم الله. يقول عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه-: نحن أمَّة أعزَّنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العِزَّة بغيره؛ أذلَّنا الله(١).

أبِي الإسلامُ لا أبَ لي سواهُ   إذا افتخرُوا بقيسٍ أو تميمِ(٢)

٣- الاعْتِزَاز برسول الله صلى الله عليه وسلم: فالمؤمن يعتَزُّ بكونه مِن أمَّة محمَّد صلى الله عليه وسلم، ينتسب إليه إذا انتسبت الأمم، ويُفَاخر به إذا ذُكِر القادة والمصلحون العظماء، يرجو شفاعته، ويتمنَّى لقاءه، ويسأل الله أن يوفِّقه للسِّير على نهجه وإحياء سنَّته، والقيام بحقوقه.

٤- إظهار العِزَّة على الكافرين، والذِّلَّة وخفض الجناح للمؤمنين: وهذه من أعظم صور العِزَّة ومظاهرها، إظهارًا لقوَّة هذا الدِّين وعزَّته وعُلوِّه، قال تعالى وهو يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾(٣)، وقال أيضًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(٤).

أما العِزَّة غير الشَّرعيَّة: فكالاعْتِزَاز بالكفَّار من اليهود والنصارى والمنافقين وغيرهم، قال تعالى: ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾(٥).

وكالاعْتِزَاز بالآباء والأجداد؛ عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النَّبي صلى الله عليه وسلم، قال:" لينتهينَّ أقوامٌ يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنَّما هم فَحْمُ جهنَّم، أو ليكوننَّ أهْوَنَ على الله مِن

(١) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ١٣٠) برقم (٢٠٧). والأثر ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ١١٨).

(٢) ينظر: الدر الفريد وبيت القصيد (٢/ ١١٥).

(٣) الفتح: ٢٩.

(٤) المائدة: ٥٤.

(٥) النِّساء: ١٣٨، ١٣٩.



الجُعَلِ الذي يُدَهْدِهُ الخِرَاءَ بأنفه، إنَّ الله أذهبَ عنكم عُبِّيَّةَ الجاهليَّة وفخرَها بالآباء، إنَّما هو مُؤمنٌ تقيٌّ، وفاجرٌ شقيٌّ، النَّاس كلُّهم بنو آدم، وآدمُ خُلِق من ترابٍ" رواه أحمد(١).

ومنه الاعْتِزَاز بالقبيلة والرَّهط؛ قال تعالى:﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾(٢)، وعن أبي مالك الأشعري- رضي الله عنه- أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" أربعٌ في أمَّتي من أمر الجاهليَّة لا يتركونَهنَّ: الفَخْرُ في الأحساب، والطَّعنُ في الأنساب، والاستسقاءُ بالنُّجوم، والنِّياحةُ" رواه مسلم(٣).

الخلاصة: أنَّ العِزَّة- التي لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين- هي الدَّائمة الباقية، وهي العِزَّة الحقيقيَّة.

لما نقض الروم الصلح مع المسلمين، وعزلوا ملِكتَهم، وملَّكوا عليهم نقفور، الذي كتب إلى هارون الرشيد يطالبه بردِّ ما دفعتْه إليه الملِكة السابقة من أموال:" وافدِ نفسَك به؛ وإلَّا فالسيفُ بيننا وبينك" فغضب هارون غضبًا شديدًا وكتبَ على ظهر الكتاب:" بسم الله الرحمن الرحيم من هارون أمير المؤمنين إلى نقفور كلبِ الروم؛ قد قرأتُ كتابَك يا ابن الكافرة، والجواب ما ترى لا ما تسمع(٤).

أَرَى النَّاسَ مَن دَانَاهُمُ هَانَ عِنْدَهمْ ... وَمَنْ أَكْرَمَتْهُ عِزَّةُ النَّفْسِ أُكْرِمَا
وَمَا كُلُّ بَرْقٍ لاحَ لِي يَسْتَفِزُّنِي ... ولا كُلُّ مَنْ لاقَيْتُ أَرْضَاهُ مُنْعِمَا
وَإِنِّي إذا ما فَاتَنِي الأَمْرُ لَمْ أَبِتْ ... أُقَلِّبُ كَفِّي إِثْرَهُ مُتَنَدِّمَا(٥)

---

(١) رواه أحمد في سننه (١٦/ ٤٥٦) برقم (١٠٧٨٢). والترمذي في جامعه (٥/ ٧٣٤) برقم (٣٩٥٥) أبواب المناقب باب بدون ترجمة. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ٤٥٥).

(٢) هود: ٩٢.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٤٤) برقم (٩٣٤) كتاب الجنائز باب التشديد في النياحة.

(٤) ينظر: تاريخ الإسلام (٤/ ٧٩١).

(٥) ينظر: بدائع السلك في طبائع الملك (٢/ ٣١١). بدائع السلك في طبائع الملك، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الأصبحي الأندلسي، أبو عبد الله، شمس الدين الغرناطي ابن الأزرق (المتوفى: ٨٩٦هـ)، المحقق: د. علي سامي النشار، الناشر: وزارة الإعلام – العراق، الطبعة: الأولى.

٢٢ جمادى الأولى

العزيمة

العزيمة مصطلحٌ وردت مادته (العزم) ومشتقاتها في القرآن في تسعة مواضع، والعزم في اللغة: عبارة عن الإرادة المؤكدة. قال الله تعالى: ﴿ وَلَمۡ نَجِدۡ لَهُۥ عَزۡمًا ﴾ (١)، أي لم يكن له قصدٌ مُؤَكَّدٌ في الفعل بما أمر به. وفي الشريعة: العزم اسمٌ لما هو أصل المشروعات، غير مُتعلِّقٍ بالعوارض (٢) .

وقال الطبري: أصل العزم اعتقاد القلب على الشيء(٣). وقال ابن عاشور: العزم هو إمضاء الرأي، وعدم التردُّد بعد تبيُّن السداد(٤).

وعن عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ الله تعالى يُحبُّ أن تُؤتَى رُخَصُهُ كما يُحبَّ أن تُؤتَى عزائمُهُ" رواه البيهقي(٥).

قال المناوي : عزائمه أي مطلوباته الواجبة، فإنَّ أمْر الله في الرخص والعزائم واحد(٦).

والعزيمة لغة: القصد المؤكد، وشرعًا: الحكم الثابت بدليل شرعي خالٍ عن مُعارِض راجح. وهو يشمل الأحكام الخمسة؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منها حكمٌ ثابتٌ بدليلٍ شرعيٍّ. فيكون الحرام والمكروه على معنى التَرْك. فيعود المعنى في ترْك الحرام إلى الوجوب. بخلاف الرخصة؛ فهي في اللغة: السهولة، وشرعًا: ما ثبُتَ على

---

(١) طه: ١١٥.

(٢) التعريفات (ص: ١٥٠).

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان (١٦/ ١٨٥).

(٤) التحرير والتنوير (٤/ ١٩٠). التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

(٥) رواه البزار في مسنده = البحر الزخار (١٢/ ٢٥٠) برقم (٥٩٩٨). وابن حبان في صحيحه (٢/ ٦٩) برقم (٣٥٤). والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ١٤١) برقم (٥٤٨١). والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١/ ٣٧٩). مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء من ١ إلى ٩)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من ١٠ إلى ١٧)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء ١٨)، الناشر: مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م).

(٦) ينظر: فيض القدير (٢/ ٢٩٢).



خلافِ دليلٍ شرعيّ لمعارِض راجح[١]، أو ثبوت حكمٍ لحالة تقتضيه؛ مُخالِفةً مُقتضي دليلٍ يعمُّها. مثل: صيام رمضان، فهو عزيمة مؤكَّدة في الشرع، والإفطار رخصة للمسافر والمريض[٢].

وقد ورد الحديث عن العزيمة في القرآن الكريم؛ فعن قتادة في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾[٣]، قال: أمَرَ الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم إذا عزم على أمرٍ أن يمضي فيه، ويستقيمَ على أمر الله، ويتوكَّل على الله[٤].

قال الله تعالى عن آدم- عليه السلام-: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾[٥].

قال ابن الجوزي: العزم في اللغة: توطين النفس على الفعل. وفي المعنى أربعة أقوال:

أحدها: لم نجد له حفظًا، رواه العوفي عن ابن عباس، والمعنى: لم يحفظ ما أُمِر به. والثاني: صبرًا، قاله قتادة ومقاتل، والمعنى: لم يصبر عمَّا نُهي عنه. والثالث: حزمًا، قاله ابن السائب. قال ابن الأنباري: وهذا لا يُخرِج آدمَ مِن أولي العزم. وإنَّما لم يكن له عزم في الأكل فحسب. والرابع: عزمًا في العَوْد إلى الذَّنْب[٦].

والعزم على ترْك الذنب من شروط قبول التوبة: فالتوبة واجبة من كل ذنب، ولها شروط: منها العزم على عدم العودة للذنب أبدًا.

على قدْرِ أهلِ العزمِ تأتي العزائمُ ... وتأتي على قدْرِ الكِرامِ المكَارِمُ
وتَعظُمُ في عينِ الصغيرِ صِغارُها ... وتصغُرُ في عينِ العظيمِ العَظَائِمُ[٧]

---

(١) المختصر في أصول الفقه (ص: ٦٧). المختصر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: ابن اللحام، علاء الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عباس البعلي الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ٨٠٣هـ)، المحقق: د. محمد مظهربقا، الناشر: جامعة الملك عبد العزيز – مكة المكرمة.

(٢) ينظر: مختصر التحرير شرح الكوكب المنير (١/ ٤٧٩). شرح الكوكب المنير، المؤلف: تقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي المعروف بابن النجار الحنبلي (المتوفى: ٩٧٢هـ)، المحقق: محمد الزحيلي ونزيه حماد، الناشر: مكتبة العبيكان، الطبعة: الطبعة الثانية ١٤١٨هـ – ١٩٩٧ م.

(٣) آل عمران: ١٥٩.

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان (٦/ ١٩٢).

(٥) طه: ١١٥.

(٦) ينظر: زاد المسير في علم التفسير (٣/ ١٧٩). زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٢٢ هـ.

(٧) الحماسة المغربية (١/ ٥٣٠). (الحماسة المغربية) مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي (المتوفى: ٦٠٩هـ)، المحقق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩١م.



وقال تعالى على لسان لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾(١)، قال أبو حيان الأندلسي: العزم مصدر، فاحتمل أن يُراد به المفعول، أي مِن معزوم الأمور، واحتمل أن يُراد به الفاعل، أي عازم الأمور(٢).

وقوله تعالى: ﴿طَاعَةٌ وَقَوۡلٌ مَّعۡرُوفٌۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡ﴾(٣).

قال السعدي﴿ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾ أي: جاءهم الأمر جدٌّ، وأمْرٌ مُحتَّمٌ، ففي هذه الحال لو صدقوا الله بالاستعانة به، وبذل الجهد في امتثاله ﴿لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡ ﴾ من حالهم الأولى، وذلك من وجوه:

منها: أنَّ العبد ناقصٌ من كلِّ وجه، لا قدرة له إلَّا إن أعانه الله، فلا يطلب زيادة على ما هو قائمٌ بصدده.

ومنها: أنَّه إذا تعلَّقت نفسه بالمستقبل، ضعُف عن العمل، بوظيفة وقته، وبوظيفة المستقبَل، أما الحال فلأن الهِمَّة انتقلت عنه إلى غيره، والعمل تبعٌ للهِمَّة، وأمَّا المستقبَل فإنَّه لا يجيء حتَّى تفتر الهِمَّة عن نشاطها فلا يُعانُ عليه.

ومنها: أنَّ العبد المؤمِّل للآمال المستقبَلة، مع كسله عن عمل الوقت الحاضر؛ شبيهٌ بالمتألِّي الذي يجزم بقدرته على ما يَستقبِل من أموره، فأحرى به أن يُخذل ولا يقوم بما همَّ به، ووطَّن نفسه عليه، فالذي ينبغي أن يُجمِع العبدُ همَّه وفكرته ونشاطه على وقته الحاضر، ويُؤدِّي وظيفته بحسب قدرته، ثم كلَّما جاء وقتٌ استقبله بنشاط وهمَّة عالية مُجتمِعة غير مُتفرِّقة، مُستعينًا بربِّه في ذلك، فهذا حريٌّ بالتوفيق والتسديد في جميع أموره(٤).

وقال البخاري في باب قول الله تعالى: ﴿ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ ﴾(٥)، فإذا عزم الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن لبشر التقدُّم على الله ورسوله صلى الله عليه وسلم(٦).

---

(١) لقمان: ١٧.

(٢) البحر المحيط في التفسير (٨/ ٤١٥). البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

(٣) محمد: ٢١.

(٤) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٨٨).

(٥) الشورى: ٣٨.

(٦) صحيح البخاري (٩/ ١١٢)



وقال السعدي في قوله تعالى: ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ ، أي: لَمِنَ الأمورِ التي حثَّ الله عليها وأكَّدها، وأخبر أنَّه لا يُلقَّاها إلَّا أهل الصبر والحظوظ العظيمة، ومِن الأمور التي لا يُوفَّق لها إلَّا أولو العزائم والهمم، وذوو الألباب والبصائر(١).

ومن العزيمة في السنة النبوية: عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا يَقولنَّ أحدُكم: اللهمَّ اغفرْ لي إن شئتَ، اللهمَّ ارحمني إنْ شئتَ، لِيعزمْ في الدعاء؛ فإنَّ اللهَ صانعٌ ما شاء، لا مُكرِهَ له" رواه البخاري ومسلم(٢).

قال النووي: عزْم المسألة: الشدَّة في طلبها، والحزم من غير ضعف في الطلب، ولا تعليق على مشيئة ونحوها(٣).

وعن شداد بن أوس- رضي الله عنه- قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في صلاته:" اللهمَّ إنِّي أسألك الثباتَ في الأمر، والعزيمةَ على الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليمًا، ولسانًا صادقًا، وأسألك مِن خيرِ ما تعلم، وأعوذ بك مِن شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم" رواه الترمذي(٤).

ومن المفارقات الطريفة بين العزم والتردُّد؛ ما كتبه عيسى بن عليٍّ إلى الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، لما همَّ بقتل أبي مسلم الخراساني:

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكُنْ ذا تدبُّرٍ ... فإنَّ فسادَ الرأي أن تتعجَّلَا

فأجابه المنصور:

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكُن ذا عزيمةٍ ... فَإنَّ فسادَ الرأيِ أن تتردَّدَا

ولا تُمهلِ الأعداءَ يومًا بقُدرةٍ ... وبادرْهم أن يملكوا مثلها غَدَا

وَإِنْ كُنْتَ ذَا عَزْمٍ فَانْفُذْهُ عَاجِــلًا ... فَإِنَّ فَسَــادَ العَزْمِ أَنْ يَتقيَّدَا(٥)

الخلاصة: يقول ابن القيِّم- رحمه الله-: الدِّين مدارُه على أصلَينِ العزم والثبات، وهما الأصلان المذكوران في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم:" اللهمَّ إنِّي أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٦١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١٤٠) برقم (٧٤٧٧) كتاب التوحيد باب في المشيئة والإرادة: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٣) برقم (٢٦٧٩) كتاب العلم باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت.

(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٧).

(٤) رواه أحمد في سننه (٢٨/ ٣٣٨) برقم (١٧١١٤). والترمذي في جامعه (٥/ ٤٧٦) برقم (٣٤٠٧) أبواب الدعوات باب منه. والنسائي في سننه (٣/ ٥٤) برقم (١٣٠٤) كتاب التطبيق نوع آخر من الدعاء. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ٦٩٥).

(٥) الحلة السيراء (١/ ٣٤) والبت الأخير ليس فيه. الحلة السيراء، المؤلف: ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (المتوفى: ٦٥٨هـ)، المحقق: الدكتور حسين مؤنس، الناشر: دار المعارف – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٩٨٥م.



الرشد" رواه الترمذي[١]، وأصل الشكر: صحة العزيمة، وأصل الصبر قوة الثبات، فمتى أُيِّدَ العبدُ بعزيمة وثبات فقد أُيِّدَ بالمعونة والتوفيق[٢]، وقد وصف اللهُ- بخُلُقِ العزيمة- جمعًا من رسله؛ فقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[٣]، أي أصحاب الجد والثبات والصبر.

ما الْعَزْمُ أن تَشْتَهِيَ شَيئًا وتَترُكَهُ حَقِيقَةُ الْعَزْمِ منك الجدُّ والطلَبُ
كمْ سَـوَّفتْ خِدَعُ الآمالِ ذَا أرَبٍ حَتَّى انقَضَى قبلَ أَنْ يَنْقَضِي لَهُ الأرَبُ[٤]

---

(١) تقدم تخريجه قريبًا.

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١١٠). عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(٣) الأحقاف: ٣٥.

(٤) غرر الخصائص الواضحة (ص: ٤١٠). غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، المؤلف: أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (المتوفى: ٧١٨هـ)، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.



٢٣ جمادى الأولى

العفَّة

العفَّة خُلُقٌ إسلاميٌّ رفيع يشمل جانبَين؛ الجانب المادي: وهو الكفُّ عن السؤال حفاظًا على ماء الوجه، والاستغناء عمَّا في أيدي الناس، قال تعالى:﴿ وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [(١)]، وكذلك الابتعاد عن الملذَّات، والاكتفاء بما يسدُّ حاجة الجسد بالحلال.

والجانب المعنوي: يعني الكفَّ عن الحرام بأنواعه، وضبط النفس عن الشهوات والانحرافات، وطهارتها وتزكيتها من أهوائها، وتمسُّكها بالفضائل والمحاسن.

والعفَّة لها نوعان: عفَّة عن المحارم، وعفَّة عن المآثم والمعاصي، ويندرج تحت هذين النوعين الكثير من التفاصيل والأمور، وسنذكر بعضها فيما يأتي:

١- عفَّة الطعام والشراب: تتمثَّل في الامتناع عن إدخال أي شيءٍ مصدره حرامٌ إلى الجوف؛ امتثالًا لأمر الله تعالى، وطلبًا لرضاه وتجنُّبًا للعقاب.

٢- عفَّة الجوارح: أي امتناع العين والأذن واليد والرِّجْل والفرْج عن التعرُّض للمُحرَّمات، وهذه تحتاج إلى مُغالبة الشهوات، وكبح جماح النفس؛ ليتمكَّن صاحبها من ضبط جوارحه، وعدم استخدامها إلَّا في الحلال.

٣- عفَّة اللسان: كفُّه عن السبِّ والشتيمة، والغَيبة والنميمة والبهتان، والاستهزاء والتنابُز بالألقاب، وغير ذلك من الكلام المحرَّم. فلا يستخدم المؤمنُ العفيفُ لسانَه إلَّا في ذكر الله والكلام الطيِّب.

٤- عفَّة الجسد: ستره وعدم إظهار عورته، وذلك للرَّجُل والمرأة على حدٍّ سواء، وكلٌّ منهما له عورته التي حدَّدها الشارع الكريم ويجب الالتزام بسترها.

٥- العفَّة عن السؤال: والكفُّ عن طلب المعونة والمال من الناس، والاعتقاد بأنَّ الله تعالى سيُغنيه من فضله؛ لأنَّ مَن يستعفف يُعِفَّه الله. وإن كانت هذه العفَّة مطلوبة من المحتاج، فهي لغير المحتاج من باب أَولى.

٦- العفَّة عن أموال الغير: الحرص على عدم أَخْذ أموال الناس بغير الحقِّ، والتعفُّف عن مال اليتيم لمن يرعاه، إلَّا إن كان فقيرًا وبحاجةٍ إليه؛ فله أن يأخذ بقدْر حاجته فقط.

وهناك عوامل كثيرة ومتنوِّعة لاكتساب العفَّة، منها:

---

(١) النساء: ٦.



١- طلب العلم الشرعي والتعرُّف على الله عزَّ وجلَّ: وصولًا إلى درجة عالية من الإيمان الذي يكون سببًا في كبْح النفس عن شهواتها.

٢- التضرُّع إلى الله تعالى بالدعاء وكثرة مناجاته بصدق وخضوع، والانكسار بين يديه، وطلب الحفظ عمَّا يُؤدِّي إلى الحرام أو الزلَّات.

٣- مُجاهدة النفس وتربيتها على الصبر، وتذكيرها بثواب الصبر، مراقبة الله تعالى واستشعار وجوده واطِّلاعه على كلِّ ما نقول ونفعل.

٤- الصوم: فهو سبيل إلى طهارة النفس وتزكيتها وضبط شهواتها.

٥- الإكثار من النوافل: التي تُقرِّب العبد من ربِّه وتُكسبُه محبَّته، وبالتالي تُعينه على العفَّة. ٦- تربية الأبناء التربية الصحيحة القائمة على الأسس والمبادئ الشرعية.

٧- الزواج؛ فهو بابٌ واسعٌ لعفَّة الجوارح، وصرف الشهوات في المجال المباح لها.

٨- غضُّ البصر؛ ففيه إبعادٌ للنفس عن التعرُّض للشهوات والمغريات، وبالتالي حماية الفرج وعفَّته عن الحرام.

٩- الابتعاد عن أصدقاء السوء؛ لأنَّهم سببٌ في تثبيط الهمَّة، والركون إلى اللهو والعبث، والتعرُّض للمُغريات.

ولقد حثَّ الإسلام على العفَّة؛ يقول الله تعالى: ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[1]. أي: لِيطلبِ العفَّة عن الحرام والزِّنا؛ الذين لا يجدون ما لا ينكحون به للصداق والنفقة، ﴿ حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ أي: يُوسِّع الله عليهم من رزقه.

وقال سبحانه: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾[2].(يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ) بحالهم (أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ) أي: مِن تَعفُّفهم عن السؤال وقناعتهم يظنُّ مَن لا يعرف حالهم أنَّهم أغنياء، والتعفُّف التفعُّل من العفَّة وهي الترْك، يُقال: عفَّ عن الشيء إذا كفَّ عنه، وتعفَّف إذا تكلَّف في الإمساك. **(تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ)** السيماء والسيمياء والسمة: العلامة التي يُعرَف بها الشيء، واختلفوا في معناها هاهنا، فقال مجاهد: هي التخشُّع والتواضع، وقال السدي: أثر الجهد من الحاجة والفقر، وقال الضحاك: صفرة ألوانهم من الجوع والضر، وقيل: رثاثة ثيابهم، (لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا) قال عطاء: إذا

---

(١) النور: ٣٣.

(٢) البقرة: ٢٧٣.



كان عندهم غداء لا يسألون عشاءً، وإذا كان عندهم عشاء لا يسألون غداءً، وقيل: معناه ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ أصلًا لأنه قال: من التعفُّف، والتعفُّف ترْك السؤال[١].

وقال سبحانه: ﴿ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتِۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

وعن أبي سعيد الخدري– رضي الله عنه– أنه قال: إنَّ ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم. حتَّى إذا نفد ما عنده؛ قال: ما يكن عندي مِن خيرٍ فلن أدَّخِرَه عنكم. ومَن يَستعفِفْ يُعفَّه الله، ومن يستغنِ يُغنِه الله. ومن يَصبرْ يُصبِّرْه الله. وما أُعطِيَ أحدٌ مِن عطاءٍ خير وأوسع من الصبر" رواه البخاري[٣].

وعن عبد الله بن مسعود– رضي الله عنه– عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول:" اللهمَّ إنِّي أسألك الهُدى والتُّقى، والعفاف والغِنى" رواه مسلم[٤].

قال النووي: أمَّا العفاف والعفَّة؛ فهو التنزُّه عمَّا لا يُباح، والكفُّ عنه، والغِنى هنا غِنى النفس، والاستغناء عن الناس وعمَّا في أيديهم[٥].

وعن أبي هريرة– رضي الله عنه– أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ثلاثةٌ حقٌّ على اللهِ عونُهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتَب الذي يُريد الأداء، والناكح الذي يُريد العفاف" رواه الترمذي[٦].

---

(١) تفسير البغوي (١/ ٣٣٨). معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

(٢) النور: ٦٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٢٢) برقم (١٤٦٩) كتاب الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٢٩) برقم (١٠٥٣) كتاب الزكاة باب فضل التعفف والصبر.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٧) برقم (٢٧٢١) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

(٥) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٤١).

(٦) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ١٨٤) برقم (١٦٥٥) أبواب فضائل الجهاد باب ما جاء في المجاهد والناكح والمكاتب. والنسائي في السنن الكبرى (٥/ ٤٧) برقم (٤٩٩٥) كتاب العتق المكاتب. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ١٥٥).

والعفَّة الحقيقية الصحيحة لها شروط وضوابط؛ منها: أن لا يكون تعفُّفه عن الشيء انتظارًا لأكثر منه، أو لأنَّه لا يوافقه، أو لجمود شهوته، أو لاستشعار خوف من عاقبته، أو لأنَّه ممنوعٌ مِن تناوُله، أو لأنَّه غيرُ عارفٍ به لقصوره.

فإنَّ ذلك كلَّه ليس بعفة، بل هو إمَّا اصطياد، أو تطبُّب، أو مرض، أو عجز، أو جهل.

ولا ننسى أنَّ العفة سببٌ للنجاة من الابتلاءات والمضائق؛ كما جاء في قصَّة أصحاب الغار، الذين انطبقت عليهم الصخرة، فقال أحدهم: اللهمَّ إنْ كنتَ تعلمُ أنَّه كان لي ابنةُ عمٍّ مِن أحبِّ الناس إليَّ، وإنِّي راودتُها عن نفسِها فأبتْ إلَّا أن آتيها بمائة دينار؛ فطلبتُها حتَّى قدرتُ، فأتيتُها بها فدفعتُها إليها، فأمكنتْني مِن نفسها، فلما قعدتُ بين رجليها فقالتْ: اتقِ اللهِ، ولا تُفضَّ الخاتمَ إلَّا بحقِّه، فقمتُ وتركتُ المائة دينار، فإن كنتَ تعلم أنِّي فعلتُ ذلك مِن خشيتك ففرّج عنَّا، ففرَّج الله عنهم فخرجوا. رواه البخاري(١).

الخلاصة : مِن أعجب ما يُروى عن العفَّة؛ ما ورد عن ابن سيرين حين يقول: ما غشيتُ امرأةً قطُّ في يقظةٍ ولا نومٍ غير أمِّ عبد الله (يعني زوجته)، وإنِّي لأرى المرأة في المنام فأعلمُ أنَّها لا تحلُّ لي فأصرفُ بصري. ممَّا جعل البعض يغبطه على هذه العفَّة فيقول: لَيتَ عَقلِي فِي اليَقَظَةِ كَعَقْلِ ابن سِيرين فِي المنَامِ(٢).

ومن أجمل ما قيل عن العفَّة قول الإمام العالم الفقيه الشافعي- رحمه الله-:

عِفُّوا تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ فِي المحْرَمِ ... وَتَجَنَّبُوا مَا لَا يَلِيقُ بِمُسْلِمِ
إنَّ الزِّنَا دَينٌ فإنْ أقرضتَهُ ... كانَ الوفا مِن أهلِ بيتِكَ فَاعْلَمِ
يا هاتِكًا حُرَمَ الرِّجَالِ وَقَاطِعًا ... سُبُلَ المودَّةِ عِشتَ غَيرَ مُكَرَّمِ
لو كُنتَ حُرًّا مِنْ سُلالةِ مَاجدٍ ... مَا كُنتَ هَتَّاكًا لِحُرْمَةِ مُسْلِمِ
مَن يَزنِ يُزنَ بِهِ ولـــو بِجِدَارِهِ ... إنْ كُنتَ يَا هَــذَا لَبِيبًا فَافْهَمِ(٣)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٢) برقم (٣٤٦٥) كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٩) برقم (٢٧٤٣) كتاب الرقاق باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال.

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (٣/ ٤١٠). ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، المؤلف: جار الله الزمخشري توفي ٥٨٣ هـ، الناشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

(٣) ينظر: كشف الخفاء (٢/ ٧١). كشف الخفاء ومزيل الإلباس، المؤلف: إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي الجراحي العجلوني الدمشقي، أبو الفداء (المتوفى: ١١٦٢هـ)، الناشر: المكتبة العصرية، تحقيق: عبد الحميد بن أحمد بن يوسف بن هنداوي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.



٢٤ جمادى الأولى

الصفح

الصفح يعني: ترك التثريب وعدم المؤاخذة، يُقال: صَفَحْتُ عن ذنب فلان وأَعرضتُ عنه فلم أُؤَاخذْه به، وضربتُ عن فلان صَفْحًا إِذا أَعرضتُ عنه وتركتُه.

وذكَر بعض أهل العلم أن الصفح مُشتقٌّ من صفحة العُنُق؛ لأنَّ الذي يصفح كأنَّه يُوِلِّي بصفحة العُنُق، إعراضًا عن الإساءة[١]، وقيل: هو إزالة أثر الذنب من النفس. وهو أبلغ من العفو. فقد يعفو الإنسان ولا يصفح. قال البيضاوي: العفو ترْك عقوبة المذنِب، والصفح: ترْك لومه. ويدل عليه قوله تعالى:﴿ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾ البقرة: [٢]، تَرقِّيًا في الأمر بمكارم الأخلاق من الحُسن إلى الأحسن، ومن الفضْل إلى الأفضل[٣].

وقال القرطبي: العفو: ترْك المؤاخذة بالذنب. والصفح: إزالة أثره من النفس[٤].

وقال سبحانه:﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ [٥]﴾.

قال ابن عباس– رضي الله عنهما–: مَن ترَك القصاص وأصلحَ بينه وبين الظالم بالعفو؛ ﴿ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾. أي: إنَّ الله يأجره على ذلك. قال مقاتل: فكان العفو من الأعمال الصالحة[٦].

وقال السعدي في قوله تعالى: ﴿ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[٧]: لأنَّ الجزاء مِن جنس العمل. فمَن عفا عفا الله عنه، ومَن صفح صفح الله عنه، ومَن غفر غفر الله له، ومَن عامل الله فيما يُحبُّ، وعامل عباده كما يُحبُّون وينفعهم؛ نال محبَّة الله ومحبَّة عباده، واستوثق له أمره[٨].

---

(١) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ١٧٠). أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، عام النشر : ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م.

(٢) البقرة: ١٠٩.

(٣) معجم الفروق اللغوية = الفروق اللغوية بترتيب وزيادة (ص: ٣٦٢). معجم الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، المحقق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

(٤) تفسير القرطبي (٢/ ٧١).

(٥) الشورى: ٤٠.

(٦) تفسير القرطبي (١٦/ ٤٠).

(٧) التغابن: ١٤.

(٨) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٦٨).

وعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: جاء رجلٌ إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله؛ كم نعفو عن الخادم؟ فصمت صلى الله عليه وسلم، ثم أعاد عليه الكلام فصمت صلى الله عليه وسلم، فلما كان في الثالثة، قال صلى الله عليه وسلم:" اعفوا عنه في كل يوم سبعين مرَّة" رواه أبو داود[(١)].

وقال الحسن بن عليٍّ- رضي الله عنهما-: لو أنَّ رجلًا شتَمني في أذني هذه، واعتذر في أُذني الأخرَى؛ لقبِلتُ عذرَه[(٢)].

وقال الفضيل بن عياض- رحمه الله-: إذا أتاك رجلٌ يشكو إليك رجلًا؛ فقل: يا أخي؛ اعفُ عنه؛ فإنَّ العفوَ أقربُ للتقوى، فإنَّ قال: لا يحتمِلُ قلبي العفوَ، ولكنْ أنتصرُ كما أمرَني الله عزَّ وجلَّ فقل له: إنْ كنتَ تُحسِنُ أن تنتَصِر، وإلَّا فارجعْ إلى باب العفو؛ فإنَّه بابٌ واسعٌ، فإنَّه مَن عفَا وأصلحَ فأجرُه على الله، وصاحِبُ العفو ينام على فراشه بالليل، وصاحب الانتصار يُقلِّب الأمور[(٣)]؛ لأنَّ الفُتُوَّةَ هي العفوُ عن الإخوان.

وكان صلى الله عليه وسلم أجمل الناس صفحًا، يتلقَّى من قومه الأذى المؤلِم فيُعرِض عن تلويمهم، أو تعنيفهم، أو مُقابلتهم بمثل عملهم، ثم يعود إلى دعوتهم ونُصْحهم كأنَّما لم يلقَ منهم شيئًا.

وفي تأديب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بهذا الأدب أنزل الله عليه في المرحلة المكيَّة قوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ۝٨٥ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[(٤)]، ثم أنزل عليه قوله تعالى: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾[(٥)]، فكان يُقابل أذى أهل الشرك بالصفح الجميل، وهو الصفح الذي لا يكون مقرونًا بغضبٍ أو كِبْرٍ أو تذمُّرٍ من المواقف المؤلِمة، وكان كما أدَّبه الله تعالى. ثم كان يُقابل أذاهم بالصفح الجميل، ويُعرِض قائلًا: سلامٌ.

وفي العهد المدنيّ لقي الرسول صلى الله عليه وسلم من يهود المدينة أنواعًا من الخيانة فأنزل الله عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٖ مِّنۡهُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۖ فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٤١) برقم (٥١٦٤) أبواب النوم باب في حق المملوك. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١١/ ١٦٤).

(٢) ينظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٣٠٢).

(٣) ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ١١٢).

(٤) الحجر: ٨٥، ٨٦.

(٥) الزخرف: ٨٩.



يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[١]، فصبر الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم وعفا عنهم وصفح، حتَّى جاء الإِذْن الربانِيّ بإجلائهم، ومُعاقبة ناقضي العهد منهم[٢].

ومِمَّا ورد من صفة النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة؛ ما يَرويه الإمام البخاريُّ بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما-: قال الله تعالى في التوراة:" يَا أَيُّها النَّبِيُّ؛ إنَّا أرسلناك شاهدًا ومُبشرًا وحِرزًا للأُمِّيين، أنتَ عبدي ورسولي، سَمَّيْتُكَ المتوكِّل ليس بفظٍّ، ولا غليظ، ولا صخَّاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتَّى يُقيمَ به المِلَّة العوجاء؛ بأن يقولوا: لا إله إلَّا الله، فيفتح به أعيُنًا عُميًا، وأذانًا صُمًّا، وقُلوبًا غُلفًا"[٣]، فالعفو والصفح صفةٌ مُلازِمةٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

إذا كنتُ لا أعفو عن الذنْبِ مِن أخٍ ... وقلتُ أُكافيه؛ فأينَ التفاضلُ؟
فإنْ أقطعِ الإخوانَ في كُلِّ عُسرةٍ ... بقيتُ وحيدًا ليس لي مَن أُواصلُ
ولكنَّني أُغضي جُفـوني على القذَى ... وأصفحُ عمَّا رابني وأُجامـلُ[٤]

وقال منصور بن محمد الكريزي:

سأُلزِمُ نفسي الصفحَ عن كُلِّ مذنب ... وإنْ كثُـرتْ منـه إليَّ الجـرائمُ
ومـا الناسُ إلَّا واحـدٌ مِـن ثلاثةٍ ... شريفٌ ومشروفٌ ومثلي مُقاومُ
فأمَّا الذي فوقـي فأعـرفُ فضلَه ... وأتبـعُ فيه الحقَّ، والحـقُّ لازمُ
وأمَّا الذي دوني فإن قالَ صنتُ عن ... إجابتِه عِرضي وإن لامَ لائمُ
وأمَّا الـذي مثلـي فإن زلَّ أو هفـا ... تفضَّلتُ إنَّ الحلم للفضلِ حاكمُ[٥]

الخلاصة: قال ابن القيِّم- رحمه الله-: سمعتُ ابن تيمية يقول: ذَكَرَ الله الصبر الجميل، والصفح الجميل، والهجر الجميل؛ فالصبر الجميل الذي لا شكوى معه، والهجر الجميل الذي لا أذى معه، والصفح الجميل الذي لا عتاب معه[٦].

---

(١) المائدة: ١٣.

(٢) ينظر: موسوعة الأخلاق الإسلامية (١/ ٤٢٩).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٦٦) برقم (٢١٢٥) كتاب البيوع باب كراهية السخب في السوق.

(٤) ينظر: العقد الفريد (٣/ ٨٠).

(٥) ينظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (١١/ ٤٠٤).

(٦) بدائع الفوائد (٣/ ١١٢). بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

وقال السعدي: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ﴾ [(١)] ، وهو الصفح الذي لا أذية فيه، بل يُقابِل إساءة المسيء بالإحسان، وذنبَه بالغفران، لتنال مِن ربِّك جزيل الأجر والثواب، فإن كلَّ ما هو آتٍ فهو قريب، وقد ظهر لي معنى أحسن ممَّا ذكرتُ هنا. وهو أنَّ المأمور به هو الصفح الجميل أي: الحسن الذي قد سلم من الحقد والأذية القوليَّة والفعليَّة، دون الصفح الذي ليس بجميل، وهو الصفح في غير محله، فلا يصفح حيث اقتضى المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلَّا العقوبة، وهذا هو المعنى[(٢)].

(١) الحجر: ٨٥

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٣٤).



٢٥ جمادى الأولى

علو الهمة

معنى الهمَّة لغةً: ما هَمَّ به من أمر ليفعله، تقول: إنه لعظيمُ الهَمِّ، وإنه لَصغيرُ الهِمَّة.

ومعنى علو الهمَّة اصطلاحًا: توجُّه القلب وقصْده بجميع قواه الروحانيَّة إلى جانب الحقِّ؛ لحصول الكمال له أو لغيره(١).

وقيل عُلو الهِمَّة: استصغار ما دون النهاية من معالي الأمور، وطلب المراتب السامية(٢).

وقال المناوي: عظم الهمَّة عدم المبالاة بسعادة الدنيا وشقاوتها(٣).

وقال الراغب الأصفهاني: والكبير الهِمَّة على الإطلاق؛ هو مَن لا يرضى بالهمم الحيوانية قدر وسعه، فلا يصير عبدَ رعاية بطنه وفرْجه، بل يجتهد أن يتخصَّص بمكارم الشريعة(٤).

وعرَّف ابن القيم علو الهمَّة بقوله: علو الهِمَّة ألَّا تقف النفس دون الله، وألَّا تتعوَّض عنه بشيءٍ سواه، ولا ترضى بغيره بدلًا منه، ولا تبيع حظَّها من الله، وقُرْبه والأنس به، والفرح والسرور والابتهاج به؛ بشيءٍ من الحظوظ الخسيسة الفانية، فالهِمَّة العالية على الهمم كالطائر العالي على الطيور، لا يرضى بمساقطهم، ولا تصل إليه الآفات التي تصل إليهم، فإنَّ الهِمَّة كلَّما عَلَتْ بعدتْ عن وصول الآفات إليها، وكلَّما نزلتْ قصَدتْها الآفات(٥).

يقول عمر- رضي الله عنه-: لا تصغرنَّ هِمَّتك؛ فإنِّي لم أرَ أقعَدَ بالرَّجُل من سُقوط هِمَّتِه(٦).

حاوِلْ جُسيماتِ الأمورِ ولا تقُلْ ... إنَّ المحَامِدَ والعُلا أرزاقُ
وارغبْ بنفسْكَ أن تكون مُقصِّـــرًا ... عنْ غايةٍ فيهـا الطُّلَّابُ سِباقُ(٧)

---

(١) التعريفات (ص: ٢٥٧).

(٢) تهذيب الأخلاق للجاحظ (ص ٢٨). تهذيب الأخلاق، المؤلف: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، نشر: دار الصحابة للتراث، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

(٣) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٢٤٣). التوقيف على مهمات التعاريف، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: عالم الكتب ٣٨ عبد الخالق ثروت-القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٤) الذريعة الى مكارم الشريعة (ص: ٢٠٩). الذريعة إلى مكارم الشريعة، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام – القاهرة، عام النشر: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.

(٥) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ١٦٣).

(٦) التذكرة الحمدونية (٢/ ٢٨).

(٧) الدر الفريد وبيت القصيد (٦/ ٦٣).



وينقسم الناس وتتفاوتُ منازلُهم في الهِمَّة:

١- فمنهم مَن يطلب المعالي بلسانه، وليس له هِمَّة في الوصول إليها، ويصدُقُ عليه قول الشاعر:

وَمَا نَيلُ المطالبِ بالتَّمنّي ... ولكنْ تُؤخَذُ الدُّنيا غِلابَا[١]

٢- ومنهم مَن لا يطلبُ إلَّا سفاسِف الأمور ودناياها، ويجتهد في تحصيلها، وهذا- إن اهتدى- يكون سبَّاقًا للخيرات:" خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام؛ إذا فقِهوا" رواه البخاري[٢].

٣- وفريق ساقِط الهِمَّة، يهوى سفاسف الأمور، ويقعد به العجز عنها، فهو من سقط المتاع، وهو كمَن وصف الشاعر:

إنّي رأيتُ مِن المكارمِ حسبُكم ... أن تلبسوا خزَّ الثيابِ وتشبعوا

فإذا تُذوكرتِ المكـــــارمُ يومًا ... في مجلـــــسٍ أنتم به فتقنَّعوا[٣]

٤- وأعلى الهمم هِمَّة مَن تسمو مطالبُه إلى ما يُحبُّه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فهنيئًا له، ومِن أمثالهم: ربيعة الأسلمي وعكاشة بن محصن.

وإذا استعرضنا التاريخ نجد أنَّ الصفوة من الناس هم أصحاب الهمم العالية. ومن أمثلتهم:

١- ربيعة بن كعب الأسلمي الذي قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: سل. فقال: أسألُكَ مرافقتَكَ في الجنة. رواه مسلم[٤].

٢- عكاشة بن محصن الذي بادر في حديث: يَدْخُلُ مِن أُمَّتي الجَنَّةَ سَبْعُونَ أَلْفًا بغيرِ حِسابٍ، فقال: ادعُ اللهَ أن يَجعلني مِنهم. رواه مسلم[٥].

٣- عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- يقول: إنَّ لي نفسًا توَّاقة، وما حقَّقتُ شيئًا إلَّا تاقتْ لما هو أعلى منه؛ تاقت نفسي إلى الزواج من ابنة عمِّي فاطمة فتزوجتُها، ثم تاقتْ نفسي إلى الإمارة فوُلِّيتُها، وتاقتْ نفسي إلى الخلافة فنلتُها، والآنَ تاقتْ نفسي إلى الجنَّة. فأرجو أن أكون من أهلها[٦].

---

(١) ينظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٢/ ٤٧، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٤٧) برقم (٣٣٧٤) كتاب أحاديث الأنبياء باب ﴿أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه﴾ [البقرة: ١٣٣] الآية.

(٣) ينظر: الحماسة المغربية (٢/ ١٣٤٥).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٣٥٣) برقم (٤٨٩) كتاب الصلاة باب فضل السجود والحث عليه.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٦) برقم (٢٧٨٨) كتاب الجهاد والسير باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء. ومسلم في صحيحه (١/ ١٧٩) برقم (٢١٦) كتاب الإيمان باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب.

(٦) ينظر: البداية والنهاية (١٢/ ٦٥٧).



٤- أُهديتْ جاريةٌ جميلةٌ إلى عبد الرحمن الداخل فنظر إليها وقال: إنَّ هذه من القلب والعين بمكان، وإنْ أنا اشتغلتُ عنها بِهِمَّتي فيما أطلبه ظلمتُها، وإن اشتغلتُ بها عمَّا أطلبُه ظلمتُ هِمَّتي، ولا حاجةَ لي بها الآن، وردَّها على صاحبها[١].

ولا أؤخِّرُ شُغلَ اليومِ عن كسلٍ ... إلى غدٍ؛ إنَّ يومَ العاجزينَ غَدُ[٢]

أمَّا الكسل والفتور وضعف الهِمَّة فسببٌ من أسباب الفشل والفقر والضياع.

كأنَّ التواني أنكحَ العجزَ بنتَهُ ... وساقَ إليها حينَ أنكحَهَا مَهْرَا

فراشًا وطيئًا ثُمَّ قـالَ له: اتَّكِئْ ... فَقُصْرَاكُمَا لا شكَّ أنْ تلِدَا فَقْرَا[٣]

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" والذي نفسي بيده؛ لولا أنَّ رجالًا من المسلمين لا تطيب أنفسهم أن يتخلَّفوا عنِّي، ولا أجد ما أحملهم عليه؛ ما تخلَّفتُ عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده؛ لودِدتُ أن أُقتلَ في سبيل الله ثم أحيا، ثم أُقتل ثم أحيا، ثم أُقتل ثم أحيا، ثم أقتل"[٤]. فأيُّ همَّةٍ عاليةٍ أعلى من هذه الهِمَّة النبوية.

وكان صلى الله عليه وسلم القدوة في الهِمَّة العالية في العبادة؛ فعن عائشة- رضي الله عنها- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطَّر قدماه، فقالتْ له: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ قال:" أفلا أُحِبُّ أنْ أكُونَ عَبْدًا شَكُورًا" رواه البخاري[٥].

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب (٣/ ٤٢). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني (المتوفى: ١٠٤١هـ)، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر- بيروت - لبنان ص. ب ١٠، الطبعة: الجزء: ١ - الطبعة: ٠، ١٩٠٠، الجزء: ٢ - الطبعة: ١، ١٩٩٧، الجزء: ٣ - الطبعة: ١، ١٩٩٧، الجزء: ٤ - الطبعة: ١، ١٩٩٧، الجزء: ٥ - الطبعة: ١، ١٩٩٧.

(٢) ينظر: مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار (١/ ١٦٢). مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار، المؤلف: أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ).

(٣) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (١/ ٥٢٦). محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧) برقم (٢٧٩٧) كتاب الجهاد والسير باب تمني الشهادة. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٩٥) برقم (١٨٧٦) كتاب الإمارة باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٣٥) برقم (٤٨٣٧) كتاب تفسير القرآن باب ﴿ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما﴾ [الفتح: ٢]. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٢) برقم (٢٨٢٠) كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة.



وقال سبحانه وتعالى عن صفات عباده المؤمنين المخلصين: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ (١).

قال السعدي: فهؤلاء الرجال هم أصحاب الهمم العالية، ليسوا ممَّن يُؤثِر على ربِّه دُنيا ذات لذَّات، ولا تجارة ومكاسب، مَشغَلَةً عنه، (لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ) وهذا يشمل كُلَّ تكسُّبٍ يُقصَد به العوض، فيكون قوله: (وَلَابَيْعٌ) من باب عطف الخاص على العام، لكثرة الاشتغال بالبيع على غيره، فهؤلاء الرجال وإن اتَّجروا وباعوا واشتروا؛ فإنَّ ذلك لا محذور فيه، لكنه لا تلهيهم تلك بأن يُقدِّموها ويُؤثِروها على (عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ) بل جعلوا طاعة الله وعبادته غاية مرادهم، ونهاية مقصدهم، فما حال بينهم وبينها رفضوه(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم:" احرصْ على ما ينفعُكَ، واستعنْ باللهِ ولا تعجزْ" رواه مسلم(٣).

وقوله صلى الله عليه وسلم أيضًا:" لو يعلمُ الناس ما في النداء والصف الأول؛ ثُمَّ لم يجدوا إلَّا أن يستهموا عليه لاستهموا. ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه. ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوًا" رواه البخاري ومسلم(٤).

وقال ابن القيِّم- رحمه الله-: العلم والعمل توأمان؛ أمُّهما عُلو الهِمَّة(٥).

إذا تمنَّيتَ بِتُّ الليلَ مُغتبِطًا ... إنَّ المنى رأسُ أموالِ المفاليسِ(٦)

وقال ابن هانئ الأندلسي:

ولمْ أجِدْ الإنسانَ إلَّا ابنَ سعْيِهِ ... فمَن كانَ أسعَى كانَ بالمجدِ أجدَرَا
وبالهِمَّةِ العَلياءِ يَرقَى إلى العُــلا ... فمَن كانَ أرقَى هِمَّةً كـــان أظهَرَا
ولمْ يتأخَّــرْ مَن يُريدُ تقـــدُّمًا ... ولمْ يَتقدَّمْ مَـــن يُريدُ تَأخُّـــرًا(٧)

---

(١) النور: ٣٧.

(٢) ينظر: تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٦٩).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٢) برقم (٢٦٦٤) كتاب القدر باب في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٦) برقم (٦١٥) كتاب الأذان باب الاستهام في الأذان. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٢٥) (٤٣٧) كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف، وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول، والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل، وتقريبهم من الإمام.

(٥) بدائع الفوائد (٣/ ٢٢٧).

(٦) ينظر: عيون الأخبار (١/ ٣٧١). عيون الأخبار، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨ هـ.

(٧) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٥/ ٤٢، بترقيم الشاملة آليا).

الخلاصة: مَن تدبَّر وتأمَّل القرآن الكريم يجدْه تارةً يذمُّ مَن تدنَّستْ هِمَّته، مهما بلغتْ درجتُه بين الناس، كمَن أعطاه الله العلم ثم اشترى به ثمنًا قليلًا، فجعله عبرةً لغيره، فقال سبحانه وتعالى:﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١).

وتارةً يُثني على ذوي الهمم الراقية العالية، وفي قوله تعالى:﴿ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾.(٢) أصدقُ برهانٍ.

قال عليُّ بن أبي طالبٍ- رضي الله عنه-:

إذا أظْمَأتْك أكفُّ الرِّجالِ كفَتْكَ القناعةُ شِبَعًا ورِيًّا
فكنْ رُجـلًا رِجلُه في الثَّرى وهامَـــةُ هِمَّتِه في الثُّريَّا(٣)

---

(١) الأعراف: ١٧٥، ١٧٦.

(٢) الأحزاب: ٢٣.

(٣)تاريخ الإسلام (٩/ ٣٩١) والشطر الأول من البيت الأول فيه هو: إذا أظمأتك أكف اللئام ...



٢٦ جمادى الأولى

الفطنة والذكاء

قال العسكري: الفِطْنَة: العلم بالشَّيء من وجْهٍ غامض[١]. وقال الرَّاغب: الفِطْنَة: سرعة إدراك ما يُقْصَد إشكاله[٢]. وقال أبو البقاء الكفوي: الفِطْنَة: التَّنَبُّه للشَّيء الذي يُقْصَد معرفته[٣].

أمَّا الذَّكَاءُ فهو خلاف البَلادَة، وهو تمام الفطنة. وقيل: هو شدَّة الحدس وكماله وبلوغه الغاية القصوى؛ وذلك لأنَّ الذكاء هو المضاء في الأمر، وسرعة القطع بالحق، وسرعة الإدراك، وحِدَّة الفهم؛ كقولهم: فلان هو شعلة نار.

أمّا الذَّكاء فهو كما قال المناوي: سرعة الإدراك، وحِدَّة الفهم[٤]. وقال أبو البقاء الكفوي: الذكاء: شدَّة قُوَّة النفس، مُعدَّةٌ لاكتساب الآراء بحسب اللغة. وقد يُستعمَل في الفطانة، يُقال: رجلٌ ذكيٌ، وفلانٌ من الأذكياء، يريدون به المبالغة في فطانته[٥].

قال الشَّاعر في الذَّكاء؛ والذي معناه تَمام الفِطْنَة:

شهم الفؤادِ ذكاؤه مَا مِثْلُهُ عندَ العزيمةِ في الأَنامِ ذَكَاءُ[٦]

وقال علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-: اليقين على أربع شعب: تبصرة الفِطْنَة، وتأويل الحِكْمة، ومعرفة العبرة، وسنَّة الأولين. فمَن تبصَّر الفِطْنَة تأوَّل الحِكْمة، ومن تأوَّل الحِكْمة عرف العبرة، ومن عرف العبرة فكأنَّما كان في الأوَّلين[٧].

---

(١) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٨٥).

(٢) الذريعة الى مكارم الشريعة (ص: ١٤٣).

(٣) الكليات (ص: ٦٧).

(٤) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ١٧١).

(٥) الكليات (ص: ٤٥٦).

(٦) الزاهر في معاني كلمات الناس (٢/ ٣٦٦). الزاهر في معاني كلمات الناس، المؤلف: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (المتوفى: ٣٢٨هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٧) اليقين لابن أبي الدنيا (ص: ٣٥). اليقين لابن أبي الدنيا، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، حققه وعلق عليه: ياسين محمد السورس، الناشر: دار البشائر الإسلامية.

وقال ابن الجوزي: اعلمْ أنَّ فضيلة هذه الأمَّة على الأمم المتقدِّمة، وإنْ كان ذلك باختيار الحقِّ لها وتقديمه إيَّاها، إلَّا أنَّه جعل لذلك سببًا؛ كما جعل سبب سجود الملائكة لآدم عليه السلام علمه بما جهلوا، فكذلك جعل لتقديم هذه الأمَّة سببًا هو الفِطْنَة والفهم، واليقين وتسليم النُّفوس[١].

قال الله تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ﴾[٢].

قال ابن مسعود- رضي الله عنه-: الحرث: كَرْمٌ قد أنبتتْ عَنَاقيده، فأفسدتْه الغنم، قال: فقضى داود بالغنم لصاحب الكَرْم، فقال سليمان: غيرُ هذا يا نبيَّ الله؟! قال: وما ذاك ؟ قال: تَدْفَع الكَرْم إلى صاحب الغنم، فيقوم عليه حتى يعود كما كان، وتدفع الغنم إلى صاحب الكَرْم، فيصيب منها، حتى إذا كان الكَرْم كما كان، دفعتَ الكَرْم إلى صاحبه، ودفعتَ الغنم إلى صاحبها، فذلك قوله: ﴿فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ﴾[٣][٤].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قال: بينما امرأتان معهما ابناهما، جاء الذِّئب فذهب بابن إحداهما، فقالت هذه لصاحبتها: إنَّما ذهبَ بابنكِ أنتِ، وقالت الأخرى: إنَّما ذهبَ بابنكِ، فتحاكمتا إلى داود، فقضى به للكبرى، فخرجتا على سليمان بن داود عليهما السَّلام فأخبرتاه، فقال: ائتوني بالسِّكِّين أشقُّه بينكما، فقالت الصُّغرى: لا، يرحمك الله هو ابنها، فقضى به للصُّغرى. رواه البخارى ومسلم[٥].

وعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قال : خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم النَّاس، وقال: إنَّ الله خيَّر عبدًا بين الدُّنْيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله. قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبدٍ خُيِّرَ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخَيَّر، وكان أبو بكر أعلمَنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ أمنَّ النَّاسِ

---

(١) التبصرة لابن الجوزي (١/ ٤٩٥). التبصرة لابن الجوزي، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ – ١٩٨٦ م.

(٢) الأنبياء: ٧٨.

(٣) الأنبياء: ٧٩.

(٤) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان (١٦/ ٣٢٢).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٦٢) برقم (٣٤٢٧) كتاب أحاديث الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب﴾ الراجع المنيب. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٤) (١٧٢٠) كتاب الأقضية باب بيان اختلاف المجتهدين.



عليَّ في صُحبتِهِ ومالِهِ أبو بكر، ولو كنتُ مُتَّخِذًا خليلًا- غير ربِّي- لاتَّخذتُ أبا بكرٍ، ولكن أخوة الإسلام ومودَّته، لا يبقينَّ في المسجد بابٌ إلَّا سُدَّ، إلَّا بابُ أبي بكرٍ. رواه البخارى ومسلم(١).

قال ابن الجوزي : هذا الحديث قد دلَّ على فِطْنَة أبي بكر، إذْ عَلِم أنَّ المخَيَّر هو رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢).

وعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنَّ مِن الشَّجر شجرةً لا يسقط ورقُها، وإنَّها مَثَلُ المسلم، فحدِّثوني ما هي؟ فوقع النَّاس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنَّها النَّخلة، فاستحييتُ، ثم قالوا: حدِّثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: فقال: هي النَّخلة، قال: فذكرتُ ذلك لعمر، قال: لأن تكون قلتَ: هي النَّخلة، أحبُّ إليَّ من كذا وكذا. رواه البخارى ومسلم(٣).

وتنقسم الفِطْنَة إلى قسمين :

١- فِطْنَة موهوبة من الله- تبارك وتعالى- لمن يشاء مِن عباده، فينير بصيرته، ويُفَهِّمه ما لا يفهم غيره، فتراه قويَّ الملاحظة، سريع الفهم، نافذ البصيرة، ذكيَّ القلب، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

٢- فِطْنَة مُكتسبة تجريبيَّة تتحصَّل للمرء باجتهاده، وكثرة تجاربه، ومعاشرته لأهل العلم والذَّكاء والفِطْنَة، والاستفادة منهم ومن تجاربهم، فيتولَّد عنده من الذَّكاء والفِطْنَة ومعرفة الأمور ما لم يكن لديه.

وقال المتنبي:

لا يُدْرِكُ المجْدَ إلَّا سَيِّدٌ فَطِنٌ ... لِمَا يَشُقُّ على السَّادَاتِ فَعَّال

لا وارثٌ جَهِلَتْ يُمْنَاه مـا وَهَبَتْ ... ولا كَسـُوبٌ بغير السَّيفِ سَئَّالُ(٤)

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٠٠) برقم (٤٦٦) كتاب الصلاة باب الخوخة والممر في المسجد. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٥٤) (٢٣٨٢) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ١٤٦). كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض، سنة النشر: بدون.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢٢) برقم (٦١) كتاب العلم باب قول المحدث: حدثنا، وأخبرنا، وأنبأنا. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٦٤) (٢٨١١) كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب مثل المؤمن مثل النخلة.

(٤) ينظر: الحماسة المغربية (١/ ٥٣٩). والبيت الأول في ديوان المتنبي (ص: ١١٦) إلا أن البيت الثاني ليس فيه. ديوان المتنبي، المؤلف: أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين الكوفي (٣٠٣هـ -٣٥٤ هـ).



جاء رجُلٌ إلى أبي حازم، فقال له: إنَّ الشَّيطان يأتيني، فيقول: إنَّك قد طلَّقتَ زوجتكَ، فيشكِّكُني، فقال له: أو ليس قد طلَّقتَها ؟ قال: لا، قال: ألم تأتني أمسِ فطلَّقتَها عندي، فقال: واللهِ ما جئتُك إلَّا اليومَ، ولا طلَّقتُها بوجهٍ من الوجوه، قال: فاحلفْ للشَّيطان إذا جاءك، كما حلفتَ لي، وأنت في عافية[١].

ذو العقلِ يسخو بعيشِ ساعتِه وبالذي بعدَها تشحُّ يدُه
وكــــــلُّ ذي فِطْنَةٍ ومعــرفةٍ أهمُّ مِن يومِه عليه غدُه[٢]

ومن فِطْنَة النَّبي صلى الله عليه وسلم الفِطْرِيَّة ما كان في غزوة بدر وأخبر به علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- قال: لما قدمنا المدينة، أصبنا من ثمارها فاجتَوَيناها (أي كرهنا المقام بها)، وأصابنا بها وَعْكٌ، وكان النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم يتخبَّر عن بدر، فلمَّا بلَغَنا أنَّ المشركين قد أقبلوا، سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بدر- وبدرٌ بئرٌ-، فسبَقَنا المشركون إليها، فوجدنا فيها رجُلَينِ منهم، رجلًا من قريش، ومولى لعقبة بن أبي مُعَيط، فأمَّا القرشي: فانفلتَ، وأمَّا مولى عقبة: فأخذناه، فجعلنا نقول له: كم القوم؟ فيقول: هُمْ- والله- كثير عددهم، شديد بأسهم، فجعل المسلمون-إذ قال ذلك- ضربوه حتى انتهوا به إلى النَّبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: كم القوم؟ قال: هُمْ- والله- كثيرٌ عددُهم، شديدٌ بأسُهم. فجهد النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أن يُخبِرَه كم هم؟ فأبَى، ثمَّ إنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم سأله: كم ينحرون من الجُزر؟ فقال: عشرًا كلَّ يوم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: القوم ألْفٌ، كلُّ جَزُور لمائة وتبعها. رواه أحمد[٣].

الخلاصة: أن الفطنة والذكاء منحة وعطيَّة إلٰهية؛ ولكن يُزَكِّيها صاحبها ويُنمِّيها باجتهاده، وكثرة تجاربه، ومُعاشرته لأهل العلم والذَّكاء والفِطْنَة، والاستفادة منهم ومِن تجاربهم.

(١) ينظر: الأذكياء (ص: ٦٨). كتاب الأذكياء، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، الناشر: مكتبة الغزالي.

(٢) ينظر: التمثيل والمحاضرة (ص: ١٠٣). التمثيل والمحاضرة، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة: الثانية، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٢/ ٢٥٩) برقم (٩٤٨).



٢٧ جمادى الأولى

كتمان السر

السِرُّ: ما تكتمه وتُخفيه، وهو خلاف الإعلان، وجمعه أسرار، والسَّرِيرةُ: كالسِّرِ، والجمع السَّرائر، وأسْرَرْتُ الحديثَ إسرارًا أخفيتُه. والسِرُ اصطلاحًا: الحديثُ المكتتم في النفس.

وقد أُمرنا بحفظ أسرارنا أوَّلًا؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان، فإنَّ كلَّ ذي نعمةٍ محسودٌ" رواه الطبراني[١]. لأن في الكتمان قضاء الحوائج، وإنجاح المقاصد، وبلوغ الغايات.

وما أحسن ما قال الشاعر:

أجـودُ بمكنـون التِّـلادِ وإنَّـني ... بِسـرِّي عمَّـن سـألني لضـنينُ
وإنْ ضَيَّعَ الأقـوامُ سِرِّي فإنَّني ... كتومٌ لأسـرارِ العشيرِ أمينُ[٢]

كما أُمرنا بحفظ أسرار غيرنا، سواءً أخبرَنا أنَّه سِرٌّ أم لم يُخبرنا، عن جابر- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إذا حدَّث الرَّجُلُ بالحديثِ ثم التفتَ فهي أمانة" رواه أبو داود[٣].

ولأن الكرام ينأون بأنفسهم عن أخلاق اللئام؛ فقد رأينا هؤلاء الكرام يُربُّون أبناءهم على حفْظ الأسرار وعدم إشاعتها، فهاهي أم الصحابي الجليل أنس بن مالك- رضي الله عنهما- يتأخَّر عليها ولدها أنس، فتسأله: ما حَبَسَك؟ قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة. قالت: ما حاجتُه؟ قال: إنَّها سِرٌّ. قالتْ: لا تُحَدِّثنَّ بِسِرِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدًا. قال أنس: واللهِ لو حدَّثتُ به أحدًا لحدَّثتُك يا ثابت (راوي الحديث عن أنس). رواه مسلم[٤].

وهذه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم- رضي الله عنها- تضرب لنا مثالًا في أمانة حفظ السِّرِ، كما روت أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-: إنَّا كُنَّا أزواج النَّبي صلى الله عليه وسلم عنده

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٣/ ٥٥) برقم (٢٤٥٥). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٤٣٦).

(٢) البيتان لقيس بن الحطيم كما في المستطرف في كل فن مستطرف (ص: ٢١٥).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٦٧) برقم (٤٨٦٨) كتاب الأدب باب في نقل الحديث. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٨١).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٢٩) (٢٤٨٢) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه.



جميعًا لم تغادرْ منَّا واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي ما تُخطئ مشيتَهَا من مِشيةِ رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآها رحَّب، قال: مرحبًا بابنتي، ثم أجلسها عن يمينه- أو عن شماله- ثم سارَّها، فبكت بُكاءً شديدًا، فلمَّا رأى حُزْنَهَا سارَّها الثانية، فإذا هي تضحك، فقلتُ لها: أنا من نسائه؛ خصَّكِ رسول الله بالسِّرِّ من بيننا ثم أنتِ تبكين! فلما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتُها عمَّا سارَّها؟ قالت: ما كنتُ لأفشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم سرَّه، فلما تُوفِّي قلتُ لها: عزمتُ عليكِ- بما لي عليكِ من الحق- لما أخبرتني! قالت: أمَّا الآن فنعم، فأخبرتْني قالت: أمَّا حين سارني في الأمر الأوَّل؛ فإنَّه أخبرني أنَّ جبريل- عليه السلام- كان يعارضه بالقرآن كلَّ سنةٍ مرَّة، وإنَّه قد عارضني به العام مرتين، ولا أرى الأجل إلَّا قد اقترب، فاتقي الله واصبري، فإنِّي نعم السَّلف أنا لك، قالت: فبكيتُ بكائي الذي رأيتِ، فلمَّا رأى جزعي سارَّني بالثانية، قال: يا فاطمة؛ ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة" رواه البخاري(١).

وذات يوم أَسَرَّ معاوية إلى الوليد بن عتبة حديثًا فقال الوليد لأبيه: يا أبت؛ إنَّ أمير المؤمنين أسرَّ إليَّ حديثًا، وما أراه يطوي عنك ما بسطه إلى غيرك. قال: فلا تُحدِّثني به، فإنَّ مَن كتم سرَّه كان الخيار له، ومَن أفشاه كان الخيار عليه. قال الوليد: يا أبتِ؛ وإنَّ هذا ليدخل بين الرجل وبين أبيه؟ قال: لا واللهِ يا بُني، ولكن لا أحبُّ أن تُذلِّل لسانك بأحاديث السِّرِّ. قال الوليد: فأتيتُ معاوية فأخبرته، فقال: يا وليد؛ أعتقك أخي من رِّق الخطأ(٢)، فإفشاء السر خيانة.

نعم؛ إفشاء السر خيانة وجريمة لا تغتفر، ولا يُؤتمن فاعلها على شيء قط، حدث أن ولَّى عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قدامة بن مظعون بدل المغيرة، وأمره ألَّا يُخبر أحدًا، ولكنه أخبر زوجته، ولم يكن له زاد، فتوجَّهت امرأته إلى دار المغيرة وقالت لهم: أقرضونا زادًا لراكبٍ، فإنَّ أمير المؤمنين ولَّى زوجي الكوفة، فأخبرتْ امرأة المغيرة زوجها، فجاء عمر واستأذن عليه وقال له: ولَّيتَ قدامة الكوفة، وهو رجل قوي وأمين، فقال: ومَن أخبركَ؟ قال: نساء المدينة يتحدَّثن به، فقال : اذهب وخذ منه العهد(٣).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٠٣) برقم (٣٦٢٣) كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٠٤) (٢٤٥٠) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب من فضائل فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام.

(٢) الصمت لابن أبي الدنيا (ص: ٢١٤). الصمت وآداب اللسان، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: أبو إسحاق الحويني، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠.

(٣) ينظر: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء (١/ ١٦٠).



وعلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم؛ طلب بنو قريظة منه صلى الله عليه وسلم أن يرسل إليهم أبا لبابة بن عبد المنذر لاستشارته فيما عرض عليهم النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم فقاموا إليه يبكون، قال: كيف ترى لنا؟ أننزل على حكم محمد ؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه- يقول- إنَّه الذبح، ثم علم من فوره أنه خان الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فمضى ولم يرجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتى مسجد المدينة، فربط نفسه بسارية، وحلف ألَّا يحلَّه إلَّا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، وألَّا يدخل أرض بني قريظة أبدًا، ثم تركه النبي صلى الله عليه وسلم حتَّى تاب الله عليه فحلَّه بيده[١]. (تفسير ابن كثير).

ومن أهمِّ الأسرار التي أُمرنا بحفظها أسرار البيوت، وما يكون بين الرجل وامرأته من أسرارٍ؛ وخاصة أسرار العلاقة الزوجية الحميمة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ مِن أشرِّ الناس عند الله منزلةً يوم القيامة؛ الرَّجُلُ يُفضي إلى امرأته، وتُفضي إليه، ثُمَّ ينشر سرَّها" رواه مسلم[٢].

وفي حديث أسماء بنت يزيد أنَّها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم والرِّجال والنِّساء قعودٌ عنده، فقال صلى الله عليه وسلم في موعظةٍ يعظ بها الرِّجال والنِّساء: لعل رجلًا يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأةً تُخبر بما فعلتْ مع زوجها؟ فأرم القوم يعني: سكتوا، فقلتُ- القائلة أسماء بنت يزيد-: إي والله يا رسول الله؛ إنَّهنَّ ليقُلنَ، وإنَّهم ليفعلون" يعني: هذا موجودٌ في المجتمع، فهناك أناسٌ يتحدَّثون بأسرار الاستمتاع الزَّوجي، قال صلى الله عليه وسلم:" فلا تفعلوا، (نهى عنه أولًا، ثُمَّ ضرب له مثلًا قبيحًا جدًّا ليُنفِّرَ منه) فإنَّما ذلك مثل الشِّيطانِ لقي شيطانةً في طريقٍ، فغشيها والنَّاس ينظرون" رواه أحمد[٣].

وأحمق الناس مَن أفشى سِرَّه ثم لام غيره على ذلك؛ قال عمرو بن العاص- رضي الله عنه-: ما وضعتُ سِرِّي عند أحدٍ فأفشاه عليَّ فلُمتُه؛ أنا كنتُ أضيق به حيث استودعتُه إياه[٤].

إذا المــرءُ أفشــى ســرَّه بلسانــهِ ولامَ عليــــه غيــــرَه فهــــو أحمـــقُ
إذا ضاقَ صدرُ المرءِ عن سِرِّ نفسِه فصدرُ الـذي يُستودَعُ السِّرَّ أضيقُ[٥]

---

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ١٢٠). زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٦٠) برقم (١٤٣٧) كتاب النكاح باب تحريم إفشاء سر المرأة.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤٥/ ٥٦٤) برقم (٢٧٥٨٣). والحديث قال عنه الألباني: "فالحديث بهذه الشواهد صحيح أو حسن على الأقل." آداب الزفاف في السنة المطهرة (ص: ١٤٤). آداب الزفاف في السنة المطهرة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار السلام، الطبعة: الطبعة الشرعية الوحيدة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

(٤) الصمت لابن أبي الدنيا (ص: ٢١٤).

(٥) الدر الفريد وبيت القصيد (٢/ ٣٢١).



والصديق الصالح هو من يكتم سرَّ صديقِه، وقد بالغ البعض في كتم السرِّ، فيُحكى أَنَّ رَجُلًا أَسَرَّ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ حَدِيثًا ثُمَّ قَالَ: أَفَهِمْتَ؟ قَالَ: بَلْ جَهِلْتُ. قَالَ: أَحَفِظْتَ؟ قَالَ: بَلْ نَسِيتُ[(١)].

وقيل لأعرابيّ: ما بلغ من حفظك للسرِّ؟ قال: أمزّقه تحت شغاف قلبي ثم أجمعه، وأنساه كأني لم أسمعه[(٢)].

وقد ضرب الصحابة أروع الأمثلة في كتم السرِّ، فقد روى البخاري عن عبد الله بن عمر أنَّ عمر- رضي الله عنه- حين تأيمتْ بنتُه حفصة من خنيس بن حذافة السهمي، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شهد بدرًا، تُوفِّي بالمدينة، قال عمر: فلقيتُ عثمان بن عفان فعرضتُ عليه حفصة، فقلتُ: إن شئتَ أنكحتُك حفصة بنت عمر، قال: سأنظر في أمري، فلبثتُ ليالي، فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيتُ أبا بكرٍ، فقلتُ: إن شئتَ أنكحتُك حفصة بنت عمر، فصمتَ أبو بكر فلم يرجع إليَّ شيئًا، فكنتُ عليه أوجد منِّي على عثمان، فلبثتُ ليالي ثم خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنكحتُها إياه، فلقيني أبو بكرٍ فقال: لعلك وجدتَ عليَّ حين عرضتَ عليَّ حفصة فلم أرجع إليك؟ قلتُ: نعم، قال: فإنَّه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضتَ، إلَّا أنِّي قد علمتُ أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ذكرها، فلم أكن لأفشي سرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو تركها لقبلتُها[(٣)].

الخلاصة: مِن أجمل وأروع النصائح؛ نصيحة العبَّاس بن عبد المطلب لابنه عبد الله: إِنِّي أرى هذا الرَّجُل- يعني عمر بن الخطاب- يُقدِّمُك على الأشياخ؛ فاحفظْ عنِّي خمسًا: لا تفشينَّ له سرًّا، ولا تغتابنَّ عنده أحدًا، ولا تجرينَّ عليه كذبًا، ولا تعصينَّ له أمرًا، ولا يَطَّلِعَنَّ منك على خيانة[(٤)]. فليتَنا نُربِّي أولادنا على هذا الخلق القويم.

---

(١) ينظر: أدب الدنيا والدين (ص: ٣٠٩).

(٢) ينظر: غرر الخصائص الواضحة (ص: ٥٧٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٨٣) برقم (٤٠٠٥) كتاب المغازي باب بدون ترجمة.

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين (٢/ ١٧٩).



٢٨ جمادى الأولى

القناعة

القناعة لغة: مِن قنع يقنع قناعة إذا رضي. واصطلاحًا: الرضا بالقَسم وبما أعطى الله.

ويُوضِّح هذا ما ذكره سلمان الفارسي- رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم عهد إليه:" أنَّه يكفي أحدكم مثل زاد الراكب" رواه ابن ماجه(١).

وقولُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم:" مَن أصبح منكم آمنًا في سِرْبِه، مُعافىً في جسده، عنده قوتُ يومِه؛ فكأنَّما حِيْزَت له الدنيا " رواه الترمذي وابن ماجه(٢).

وللقناعة فضائل كثيرة دلَّت عليها السنة النبوية، منها:

١- أنَّها سببٌ لفلاح صاحبها: فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" قد أفلحَ مَن أسلمَ، ورُزِقَ كفافًا، وقنَّعه اللهُ بما آتاه " رواه مسلم(٣). قال المناوي:(كفافًا) ما كفاه في أمر دنياه، وكفَّه عما سواه(٤).

٢- القناعة تُكسب صاحبها محبَّة الله ومحبَّة الناس، وفي ذلك يقول النبي صلى الله عليه وسلم:" ازهدْ في الدُّنيا يحبَّك الله، وازهدْ فيما في أيدي الناس يُحبَّك النَّاس" رواه ابن ماجه(٥).

فعلى قدر ما يقنع الإنسانُ عمَّا في أيدي الناس؛ على قدر ما تأنس إليه نفوسهم، وتطمئن له قلوبهم، ذلك أنَّ الناس لا يُحبُّون مَن يتطلَّع لما في أيديهم من الأموال، فهو عفيفٌ عمَّا في أيدي الناس، وقلبه مُتعلِّقٌ بالله وبمحبَّته، فلذلك ليس في قلبه التفاتٌ للدنيا وزخرفها، فاستحقَّ محبَّة الله ومحبَّة الناس.

٣- أنَّها سببٌ لنيل الثناء وطيب العيش: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" طُوبى لمن هُدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافًا وقنع" رواه الترمذي(١).

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٧٤) برقم (٤١٠٤) كتاب الزهد باب الزهد في الدنيا. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ١٠٤).

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٥٧٤) برقم (٢٣٤٦) أبواب الزهد باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٨٧) برقم (٤١٤١) كتاب الزهد باب القناعة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ١٤١).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٣٠) برقم (١٠٥٤) كتاب الزكاة باب في الكفاف والقناعة.

(٤) من قول الملا علي القاري كما في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٨/ ٣٢٣٤).

(٥) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٧٣) برقم (٤١٠٢) كتاب الزهد باب الزهد في الدنيا. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٦٢٤).



٤- أنَّ القناعة تُورث صاحبها غنى النفس واستعلاءها عن الشهوات والملذات: وهو ما قرَّره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله:" ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكنَّ الغنى غنى النفس" رواه البخاري ومسلم(٢). وفي الحديث الصحيح:" يا ابن آدم؛ ارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس" رواه مسلم(٣).

٥- القناعة تُورث صاحبها العزَّة، وتكفُّ وجهَه عن الذُّلِّ للمخلوقين: ففي الحديث أنَّ جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم:" يا محمد؛ شرفُ المؤمنِ قيامُ الليلِ، وعِزُّه استغناؤه عن الناس" رواه الحاكم وصحَّحه الذهبي(٤).

٦- القناعة تمنح صاحبها رضا الله وهو غاية المقصود: فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إنَّ عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإنَّ الله إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمَن رضي فله الرضا، ومَن سخط فله السخط " رواه الترمذي وابن ماجه(٥).

٧- أنَّ بالقناعة يتحقَّق شكر العبد لربه: ففي الحديث أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي هريرة- رضي الله عنه-:" وكن قنعًا تكن أشكر الناس" رواه ابن ماجه(٦).

لأنَّ الطامع المستشرِف للدنيا قَلَّ أن يشكر الله على نعمِهِ، إذ إنه يرى نفسه محرومًا مُهانًا، فهو ساخطٌ على أقدار الله، فكيف يتحقَّق في قلبه معنى الشكر، وهو يحمل هذا الكمَّ من الطمع والسخط؟!

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ٣٦٩) برقم (٢٣٩٤٤). والترمذي في جامعه (٤/ ٥٧٦) برقم (٢٣٤٩) أبواب الزهد باب ما جاء في الكفاف والصبر عليه. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٨٦) برقم (١١٧٩٣) كتاب الرقائق. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ١٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٩٥) برقم (٦٤٤٦) كتاب الرقاق باب الغنى غنى النفس. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٢٦) (١٠٥١) كتاب الزكاة باب ليس الغنى عن كثرة العرض.

(٣) لم أقف عليه في صحيح مسلم، لكن رواه أحمد في مسنده (١٣/ ٤٥٨) برقم (٨٠٩٥). والترمذي في جامعه (٤/ ٥٥١) برقم (٢٣٠٥) أبواب الزهد باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٨٦) برقم (١١٧٩٣) كتاب الرقائق. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٦٠٠).

(٤) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٤/ ٣٠٦) برقم (٤٢٧٨). والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٣٦٠) برقم (٧٩٢١).

(٥) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٦٠١) بعد الحديث رقم (٢٣٩٦) أبواب الزهد باب ما جاء في الصبر على البلاء. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٣٨) برقم (٤٠٣١) كتاب الفتن باب الصبر على البلاء. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ٣١).

(٦) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤١٠) برقم (٤٢١٧) كتاب الزهد باب الورع والتقوى. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ٢١٧).



٨- أنَّ التحلي بالقناعة سببٌ لنيل البركة في الرزق: ففي الحديث عن حكيم بن حزام- رضي الله عنه- قال: سألتُ النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاني، ثم سألتُه فأعطاني، ثم سألتُه فأعطاني، ثم قال لي:" يا حكيم؛ إنَّ هذا المال خضرة حلوة، فمَن أخذه بطيب نفسٍ بُورك له فيه" رواه البخاري ومسلم(١).

ولقد كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم رمزًا للقناعة والرضا بما قسم الله تعالى له؛ فعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: نام رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصيرٍ، فقام وقد أثَّر في جنبه، فقلنا: يا رسول الله؛ لو اتَّخذنا لك وطاء، فقال:" ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلَّا كراكبٍ استظلَّ تحت شجرةٍ، ثُمَّ راح وتركها" رواه الترمذي(٢).

وفي تفسير قوله تعالى:﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٣). قال محمد بن كعب: "حَيَاةً طَيِّبَةً" هي القناعة(٤). وفسَّرها عليُّ بن أبي طالب- رضي الله عنه- أيضًا بالقناعة(٥).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَن يأخذ عني هؤلاء الكلماتِ فيعمل بهنَّ، أو يُعلِّم مَن يعمل بهنَّ؟ قلتُ: أنا يا رسول الله، فأخذ يدي فعدَّ خمسًا، فقال: اتَّقِ المحارمَ تكن أعبدَ الناس، وارضَ بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسِنْ إلى جارك تكن مؤمنًا، وأحبَّ للناس ما تحبُّ لنفسك تكن مُسلمًا، ولا تُكثرِ الضَّحك؛ فإنَّ كثرة الضَّحك تُميتُ القلب" رواه الترمذي(٦).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٩٣) برقم (٦٤٤١) كتاب الرقاق باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «هذا المال خضرة حلوة». ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٧) (١٠٣٥) كتاب الزكاة باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٥٨٨) برقم (٢٣٧٧) أبواب الزهد باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ٣٧٧).

(٣) النحل: ٩٧.

(٤) ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٥/ ١٦٤). الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت.

(٥) ينظر: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢/ ٤٤١).

(٦) رواه أحمد في مسنده (١٣/ ٤٥٨) برقم (٨٠٩٥). والترمذي في جامعه (٤/ ٥٥١) برقم (٢٣٠٥) أبواب الزهد باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٨٦) برقم (١١٧٩٣) كتاب الرقائق. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٦٠٠).



هي القناعةُ لا ترضَى بها بدلًا فيها النعيمُ وفيها راحةُ البدنِ
انظرْ لمن ملَك الدُّنيا بأجمعِها هل راحَ منها بغيرِ القطنِ والكفنِ(١)

وقال سبحانه: ﴿ وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّ﴾ (٢). قال الطبري: وأمَّا القانع الذي هو بمعنى المكتفي؛ فإنَّه مَن قنِعتُ بكسر النون، أقنع قناعة وقنعًا وقنعانًا(٣).

وقال سعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه- لابنه: يا بُنيّ؛ إذا طلبتَ الغنى فاطلبْه بالقناعة، فإنَّها مالٌ لا ينفد(٤).

وقال أبو محرز الطفاوي: شكوتُ إلى جاريةٍ لنا ضيق المكسب عليَّ وأنا شابٌّ، فقالتْ لي: يا بُنيّ؛ استعنْ بعزِّ القناعة عن ذُلِّ المطالب، فكثيرًا واللهِ ما رأيتُ القليل عاد سليمًا. قال أبو محرز: ما زلتُ بعدُ أعرف بركة كلامها في قنوعي(٥).

وكان محمد بن واسع يبلُّ الخبز اليابس بالماء ويأكل ويقول: مَن قنع بهذا لم يحتجْ إلى أحدٍ(٦).

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو:" اللهمَّ قنِّعني بما رزقتَني، وباركْ لي فيه، واخلفْ على كلِّ غائبةٍ لي بخيرٍ" رواه الحاكم(٧).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضًا:" مَن يكفُل لي أن لا يسألَ أحدًا شيئًا؛ وأتكفَّل له بالجنة؟ فقال ثوبان: أنا. فكان لا يسأل أحدًا شيئًا. رواه أحمد(٨).

والخلاصة: على المرء أن ينظر في أمور الدنيا لمن هو دونه؛ ليرى فضْل الله عليه فيقنع به ولا يزدريه، ففي الحديث:" انظروا إلى مَن أسفل منكم، ولا تنظروا إلى مَن هو فوقكم، فهو أجدر أن لا

(١) ينظر: غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ٥٣٧). غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى : ١١٨٨هـ)، الناشر: مؤسسة قرطبة – مصر، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣م.

(٢) الحج: ٣٦.

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان (١٦/ ٥٦٩).

(٤) ينظر: شرح مقامات الحريري (٢/ ١٠٧). شرح مقامات الحريري، المؤلف: أبو عباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القَيْسي الشُّريشي (المتوفى: ٦١٩ هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ٢٠٠٦ م – ١٤٢٧ هـ.

(٥) صفة الصفوة (٢/ ٢٥٨). صفة الصفوة، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: أحمد بن علي، الناشر: دار الحديث، القاهرة، مصر، الطبعة: ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

(٦) ينظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٢٣٩).

(٧) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٦٩٠) برقم (١٨٧٨). والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٣/ ٩١).

(٨) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٥٧) برقم (٢٢٣٧٤). وأبو داود في سننه (٢/ ١٢١) برقم (١٦٤٣) كتاب الزكا باب كراهية المسألة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٤/ ١٤٣).

تزدروا نعمة الله عليكم" رواه مسلم[(١)]، وفي حديث آخر:" إذا رأى أحدُكم مَن فوقه في المال والحسب؛ فلْينظرْ إلى مَن هو دونه في المال والحسب" رواه ابن حبَّان[(٢)].

وقال الإمام ابن تيمية:

وجدتُ القناعةَ ثوبَ الغِنى ... فصرتُ بأذيالِها أتَمسَّكْ

فألبسَني جاهُها حُلةً ... يَمرُّ الزمانُ ولم تُنتَهَكْ

فصرتُ غنيًّا بلا درهمٍ ... أمرُّ عزيزًا كأنِّي مَلِكْ[(٣)]

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٥) برقم (٢٩٦٣) كتاب الزهد والرقائق.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٤٩٠) برقم (٧١٤). والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ١٤٠).

(٣) ينظر: غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ٥٣٨).



٢٩ جمادى الأولى

كظم الغيظ

الكظم لغةً الإمساك والجَمعُ للشَّيء[١]، أمَّا الغيظ فيعني في اللغة الغَضَب، وقيل أيضًا: الغَيْظ غَضَبٌ كامنٌ للعاجز[٢]، وهو أشدُّ من الغَضَب.

ومعنى كَظْم الغَيْظ اصطلاحًا: هو السكوت عن الغضب؛ وعدم إظهاره بقولٍ أو فعلٍ، مع قُدْرته على إيقاعه بعدوِّه[٣].

وفي الحديث:" مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وهوَ قادِرٌ على أنْ يُنْفِذَهُ؛ دعاهُ اللهُ سبحانَهُ على رُؤوسِ الخَلائِقِ يومَ القيامةِ حتَّى يُخَيِّرَهُ مِن الحُورِ العِينِ ما شاءَ" رواه أبو داود[٤].

عن ابن عمر- رضي الله عنهما-: أنَّ رجلًا جاء إلى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله؛ أيُّ النَّاس أحبُّ إلى الله؟ وأيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أحبُّ الناس إلى الله تعالى أنفعهم للناس، وأحبُّ الأعمال إلى الله تعالى سرورٌ يُدخله على مسلمٍ، أو يكشف عنه كُربةً، أو تقضي عنه دينًا، أو تطرد عنه جوعًا، ولأن أمشي مع أخٍ في حاجةٍ أحبُّ إليَّ من أن أعتكف في هذا المسجد- يعني مسجد المدينة- شهرًا، ومَن كفَّ غضبه ستر الله عورته، ومَن كظم غيظه- ولو شاء أن يمضيه أمضاه- ملأ الله قلبَه رجاءً يوم القيامة، ومَن مشى مع أخيه في حاجةٍ حتَّى يتهيَّأَ لهُ؛ أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام" رواه الطبراني[٥].

وعن ابن عمر- رضي الله عنهما- أيضًا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما مِن جُرعَةٍ أعظم أجرًا عند الله من جرعةِ غيظٍ كظمها عبدٌ ابتغاءَ وجْهِ الله" رواه ابن ماجه[٦].

---

(١) مقاييس اللغة (٥/ ١٨٤).

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٣/ ١١٧٦).

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٤/ ٢٠٦).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ٣٩٨) برقم (١٥٦٣٧). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٤٨) برقم (٤٧٧٧) كتاب الأدب باب من من كظم غيظًا. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠٠) برقم (٤١٨٦) كتاب الزهد باب الحلم. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٢٧٧).

(٥) رواه المعجم الأوسط (٦/ ١٤٠) برقم (٦٠٢٦). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٥٧٤).

(٦) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠١) برقم (٤١٨٩) كتاب الزهد باب الحلم. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ١٨٩).

وعن أنسٍ- رضي الله عنه- أنَّه قال: إنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم مَرَّ بقومٍ يصطرعون؛ فقال: ما هذا؟ قالوا: فلانٌ ما يُصارع أحدًا إلَّا صرعه، قال:" أفلا أدلُّكم على مَن هو أشدُّ منه؟ رجلٌ كلَّمه رجلٌ فكظم غيظه فغلبه، وغلبَ شيطانه، وغلب شيطان صاحِبِهِ" رواه البزَّار بسندٍ حسنٍ(١).

عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد وهو يقول بيده هكذا- فأومأ أبو عبد الرحمن بيده إلى الأرض- :" مَن أنظر مُعسِرًا أو وضَعَ عنه؛ وقاه الله من فيح جهنم، ألا إنَّ عمل الجنة حَزْن بربوةٍ (ثلاثًا)، ألا إنَّ عمل النار سهلٌ بشهوةٍ، والسَّعيد مَن وقي الفتن، وما مِن جرعةٍ أحبُّ إليَّ مِن جرعةِ غيظٍ يكظمها عبدٌ، ما كظمها عبدٌ لله إلَّا ملأ الله جوفه إيمانًا" رواه أحمد(٢).

وكنتُ إذا الصَّديقُ أرادَ غَيْظي ... وشرَّقني على ظمإٍ بريقي
غفرتُ ذنوبَه وكَظَمتُ غَيْظي ... مخافةً أن أعيشَ بلا صديقِ(٣)

جاء غلامٌ لأبي ذرٍ- رضي الله عنه- وقد كسر رِجْل شاةٍ له، فقالَ له: مَن كَسَرَ رِجْلَ هذه؟ قال: أنا فعلتُهُ عمدًا لأغيظك فتضربني فتأثم. فقال: لأغيظنَّ مَن حرَّضك على غيظي، فأعتقه(٤).

وهذا عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- كلَّمه رجُلٌ يومًا حتَّى أغضبه، فهمَّ به عمر، ثم أمسك نفسه، ثم قال للرَّجُل: أردتَ أن يستفزَّني الشيطانُ بعزَّة السلطان، فأنال منك اليوم ما تناله منّي غدًا؟ قُمْ عافاك الله، لا حاجة لنا في مقاولتك(٥).

---

(١) رواه البزار في مسنده = البحر الزخار (١٣/ ٤٧٥) برقم (٧٢٧٢). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ٨٦٩).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٥/ ١٤٩) برقم (٣٠١٥). والحديث قال عنه الألباني: "ضعيف جدًّا" كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١٤/ ٥٣٣).

(٣) ينظر: الموشى = الظرف والظرفاء (ص: ٢٢) مع اختلاف يسير. الموشى = الظرف والظرفاء، المؤلف: محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى، أبو الطيب، المعروف بالوشاء (المتوفى: ٣٢٥هـ)، المحقق: كمال مصطفى، الناشر: مكتبة الخانجي، شارع عبد العزيز، مصر – مطبعة الاعتماد، الطبعة: الثانية، ١٣٧١ هـ – ١٩٥٣ م.

(٤) ينظر: مختصر منهاج القاصدين (ص: ١٨٣). مُخْتَصَرُ مِنْهَاجِ القَاصِدِيْنْ، المؤلف: نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٩هـ)، قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان، الناشر: مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق، عام النشر: ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م.

(٥) ينظر: البداية والنهاية (١٢/ ٦٩٨).



وكان الخليفة العباسي المأمون له خادمٌ، وهو صاحب وضوئه، فبينما هو يصبُّ الماء على يديه إذ سقط الإناء من يده، فاغتاظ المأمون عليه، فقال: يا أمير المؤمنين؛ إن الله يقول: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ فقال المأمون: قد كظمتُ غيظي عنك، قال: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ قال: قد عفوتُ عنك، قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ قال: اذهب، فأنتَ حُرٌّ(١).

ولقد عظَّم الله كثيرًا من أجر الكاظمين الغيظ؛ فقال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ۝١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٢).

والغضب صفة من صفات البشر، وهو ينقسم إلى قسمين: غضب محمود، وآخر مذموم، فأمَّا المحمود فهو أن يغضب لله ولدين الله، وتلك صفَّة سيِّد المرسلين عليه الصَّلاة والسَّلام، فإنَّه كان لا يغضب إلَّا لله، وإذا انتهكت محارم الله، قالت أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-:" مَا ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم شَيْئًا قَطُّ بِيَدِهِ، لَا امْرَأَةً، وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ إِلَّا أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ فَيَنْتَقِمَ لِلَّهِ عز وجل" رواه مسلم(٣).

وعلى هذا النوع من الغضب المحمود يُحمَل قول الإمام الشافعي- رحمه الله-: مَن استُغضِب فلم يغضبْ فهو حمارٌ(٤).

وأمَّا الغضب المذموم فهو الغضب الذي يُخرِج الإنسانَ عن وزن الأمور بالعدْل، ويُؤدِّي به إلى التَّعدِّي على الحقوق، وظلْم العباد والانتقام للنفس.

قال ابن القيِّم- رحمه الله تعالى-: دخل الناسُ النارَ من ثلاثة أبوابٍ: باب شُبهةٍ أورثتْ شكًّا في دين الله، وباب شهوةٍ أورثتْ تقديم الهوى على طاعته ومرضاته، وباب غضبٍ أورث العداون على خلقه(٥).

---

(١) ينظر: العقد الفريد (٢/ ٦٠).

(٢) آل عمران: ١٣٣، ١٣٤.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨١٤) برقم (٢٣٢٨) كتاب الفضائل باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح، أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١١/ ٣٩٩) برقم (٨٧٣٤).

(٥) الفوائد لابن القيم (ص: ٥٨).



وعن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- في قوله تعالى: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ (١) قال: الصَّبر عند الغَضَب، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا عظَّمهم عدوُّهم، وخضع لهم(٢).

وحُكِي أنَّ رجلًا قال لضرار بن القعقاع: واللهِ لو قلتَ واحدةً؛ لسمعتَ عشرًا. فقال له ضرار: واللهِ لو قلتَ عشرًا؛ لم تسمعْ واحدةً(٣).

عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: كنتُ أمشي مع النَّبي صلى الله عليه وسلم وعليه بُردٌ نجرانيٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابيٌّ، فجذبه جذبةً شديدةً، حتَّى نظرتُ إلى صفحة عاتق النَّبي صلى الله عليه وسلم قد أثَّرت به حاشية الرِّداء من شدَّة جذبته، ثمَّ قال: مُرْ لي من مال الله الذي عندك. فالتفتَ إليه، فضحك، ثمَّ أمر له بعطاء. رواه البخاري ومسلم(٤).

وعن أبي برزة- رضي الله عنه- قال: كنتُ عند أبي بكرٍ- رضي الله عنه-، فتغيَّظ على رجلٍ، فاشتدَّ عليه، فقلتُ: تأذنُ لي يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أضرب عنقه؟ قال: فأذهبتْ كلمتي غضبه، فقام فدخل فأرسل إليَّ، فقال: ما الذي قلتَ آنفًا؟ قلتُ: ائذنْ لي أضربَ عنقه. قال: أكنتَ فاعلًا لو أمرتُك؟ قلتُ: نعم، قال: لا واللهِ، ما كانتْ لبشرٍ بعد محمد صلى الله عليه وسلم(٥).

وقديمًا قيل: ثلاثةٌ مَن اجتمعن فيه فقد سَعِد: مَن إذا غَضِب لم يُخرِجْه غضبُه عن الحقِّ، وإذا رضِي لم يُدخِلْه رضاه في الباطل، وإذا قَدر عفا(٦).

---

(١) المؤمنون: ٩٦

(٢) رواه البخاري تعليقًا في صحيحه (٦/ ١٢٨) بلفظ: «الصبر عند الغضب والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوه عصمهم الله، وخضع لهم عدوهم». وصححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤١٥). مشكاة المصابيح، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥.

(٣) ينظر: أدب الدنيا والدين (ص: ٢٥٤).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٩٤) برقم (٣١٤٩) كتاب فرض الخمس باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٣٠) برقم (١٠٥٧) كتاب الزكاة باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة.

(٥) رواه أبو داود في سننه (٤/ ١٢٩) برقم (٤٣٦٣) كتاب الحدود باب الحكم فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم. وصححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٩/ ٣٦٣).

(٦) رواه قريبًا من هذا المعنى البيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٥٥١) برقم (٧٩٧٦).

وعن عائشة– رضي الله عنها– قالتْ: ما خُيِّرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلَّا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعدَ الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلَّا أن تُنتهَك حرمة الله فينتقم لله بها. رواه البخاري ومسلم(١).

الخلاصة: يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (٢).

قال السعدي: ذكَر الله في هذه الآية مراتب العقوبات، وأنَّها على ثلاث مراتب: عدْل، وفضْل، وظلْم. فمرتبة العدْل: جزاء السيئة بسيئة مثلها، لا زيادة ولا نقص، فالنفس بالنفس، وكلُّ جارحةٍ بالجارحة المماثِلة لها، والمال يُضمَن بمثله. ومرتبة الفضْل: العفو والإصلاح عن المسيء، ولهذا قال: {فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ}، يجزيه أجرًا عظيمًا، وثوابًا كثيرًا، وشَرَطَ الله في العفو الإصلاح فيه؛ ليدلَّ ذلك على أنَّه إذا كان الجاني لا يليق العفو عنه، وكانت المصلحة الشرعية تقتضي عقوبته؛ فإنَّه في هذه الحال لا يكون مأمورًا به، وفي جعْل أجر العافي على الله ما يُهيِّج على العفو، وأن يُعامِل العبدُ الخلقَ بما يُحبَّ أن يعامله الله به، فكما يُحبُّ أن يعفو الله عنه؛ فَلْيَعْفُ عنهم، وكما يُحبُّ أنْ يسامحه الله فلْيسامحْهم؛ فإنَّ الجزاء من جنس العمل. وأما مرتبة الظُّلْم: فقد ذكرها بقوله: إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ } الذين يجنون على غيرهم ابتداءً، أو يُقابِلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلم(٣).

إذا غَضِبتَ فكـن وقـورًا كاظِمًـا	للغـيظِ تُبصـرُ مـا تَقـولُ وتسـمعُ
فكفـى بـه شـرفًا تَصـبُّرُ سـاعةٍ	يَرضـى بها عنـك الإلـهُ وتُرفـعُ(٤)

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٨٩) برقم (٣٥٦٠) كتاب المناقب باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨١٣) برقم (٢٣٢٧) كتاب الفضائل باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح، أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته.

(٢) الشورى: ٤٠.

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٦٠).

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٤/ ٢٠٨).

٣٠ جمادى الأولى

النزاهة

تعريف النزاهة: هي الاستقامة والقيم الأخلاقية التي يتحلَّى بها الفرد، مثل: الصدق والأمانة والشفافية والشرف... الخ.

والتَّنَزُّه: أن يرفع نفسه عن الشَّيء تكرُّمًا، ورغبة عنه[١]. وفلان يتَنَزَّه عن مَلَائم الأخْلَاق، أي: يترفَّع عمَّا يُذَمُّ منها. والنَّزاهةُ البُعْد عن السُّوء.

وهي أيضًا كرَم في الأخلاق التي لا بُدَّ منها، وأن يتَّصف بها الإنسان أيًّا كان سِنُّه، وهي مكافحة الفساد مثل نزاهة الانتخابات وخُلُوِّها من التزوير، ومن الأمثلة أيضًا العدْل والمساواة... الخ.

قال المناوي: النَّزَاهَة اكتساب المال من غير مَهَانة ولا ظُلْم، وإنفاقه في المصارف الحميدة[٢].

وقال أبو طالب المكي: ومعنى التَّنَزُّه: التَّباعُد من الدَّناءة والأوساخ[٣].

وقال أبو حيَّان التَّوحيدي: قلتُ لبعض العلماء: العِفَّة والنَّزَاهَة خصلة واحدة. فقال لي: ظلمتَ؛ العِفَّة الإمساك عن المحظور، والنَّزَاهَة الوقوف عن المباح، وفي العِفَّة ذبٌّ عن الدِّين، وفي النَّزَاهَة حفظ للمروءة[٤].

قال ابن عبد البر: تأوَّلوا قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[٥] على ما تأوَّله عليه جمهور السَّلف، من أنَّها طهارة القلب، وطهارة الجيب (طهارة الصدر)، ونزاهة النَّفْس عن الدَّنايا والآثام والذُّنوب[٦].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٦/ ٩٢). تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

(٢) التوقيف على مهمات التعاريف (ص: ٣٢٣).

(٣) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (٢/ ٤٧٦). قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، المؤلف: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ –٢٠٠٥ م.

(٤) ينظر: البصائر والذخائر (٥/ ١٢١). البصائر والذخائر، المؤلف: أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس (المتوفى: نحو ٤٠٠هـ)، المحقق: د/ وداد القاضي، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م.

(٥) المدَّثر: ٤.

(٦) الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار ٤٦٣ (٣/ ٢٠٨). الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما تضمنه الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بالإيجاز والاختصار، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري القرطبي ٣٦٨هـ – ٤٦٣هـ، تحقيق: عبدالمعطي امين قلعجي، الناشر: دار قتيبة – دمشق | دار الوعي – حلب، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.



وقال الإمام الرَّازي: أمَّا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾(١) ففيه وجوه؛ أحدها: المراد منه التَّنْزِيه عن الذُّنوب والمعاصي؛ وذلك لأنَّ التَّائب هو الذي فعله ثمَّ تركه، والمتَطَهِّر هو الذي ما فعله تَنَزُّهًا عنه، ولا ثالث لهذين القسمين، واللَّفظ مُحْتمِلٌ لذلك؛ لأنَّ الذَّنب نجاسة روحانيَّة، ولذلك قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ (٢)، فتركه يكون طهارة روحانيَّة، وبهذا المعنى يُوصَف الله تعالى بأنَّه طاهرٌ مُطَهَّرٌ؛ من حيث كونه مُنَزَّهًا عن العيوب والقبائح(٣).

وعن النُّعمان بن بَشير- رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" الحلال بيِّنٌ والحرام بيِّنٌ، وبينهما مُشَبَّهاتٌ، لا يعلمها كثيرٌ من النَّاس، فمَن اتَّقى المشَبَّهات، استبرأ لدينه وعِرْضه، ومَن وقع في الشُّبهات، كرَاعٍ يرعى حول الحِمَى، يُوشك أن يُوَاقعه، أَلَا وإنَّ لكلِّ ملك حِمَى، أَلَا إنَّ حِمَى الله في أرضه محارمُه، أَلَا وإنَّ في الجسد مُضْغةً، إذا صَلُحَت صَلُحَ الجسدُ كلُّه، وإذا فَسَدَت فَسَد الجسدُ كلُّه، أَلَا وهي القلب" رواه البخاري ومسلم(٤).

قال ابن رجب: مَن اتَّقى الأمور المشْتبَهة عليه التي لا تتبيَّن له: أحلالٌ هي أم حرامٌ؟ فإنَّه مُسْتَبرئٌ لدينه، بمعنى: أنَّه طالبٌ له البَرَاء والنَّزَاهَة مما يُدَنِّسه ويُشِينه(٥).

عن صفيَّة زوج النَّبي صلى الله عليه وسلم أنَّها جاءتْ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تزوره في اعتكافه في المسجد، في العشر الأواخر من رمضان، فتحدَّثتْ عنده ساعة، ثمَّ قامتْ تَنْقلب، فقام النَّبي صلى الله عليه وسلم معها يَقْلِبها، حتَّى إذا بلغتْ باب المسجد- عند باب أمِّ سَلَمة- مرَّ رجلانِ من الأنصار، فسلَّما على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهما النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: على رِسْلِكما، إنَّما هي صفيَّة بنت حُيي. فقالا: سبحان الله يا رسول الله؛ وَكَبُر عليهما. فقال

---

(١) البقرة: ٢٢٢.

(٢) التَّوبة: ٢٨.

(٣) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٦/ ٤٢٠). مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢٠) برقم (٥٢) كتاب الإيمان باب فضل من استبرأ لدينه. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٢١٩) برقم (١٥٩٩) كتاب المساقاة باب أخذ الحلال وترك الشبهات.

(٥) فتح الباري لابن رجب (١/ ٢٢٩). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود وآخرون، الناشر: مكتبة الغرباء الأثرية – المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م.



النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: إنَّ الشَّيطان يبلغ من الإنسان مبلغ الدَّم، وإنِّي خشيتُ أن يقذف في قلوبكما شيئًا. رواه البخاري ومسلم(١).

عن حكيم بن حزام- رضي الله عنه- قال: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاني، ثم سألتُه فأعطاني، ثم سألتُه فأعطاني، ثم قال: يا حكيم، إنَّ هذا المال خَضِرة حُلْوة، فمن أخذه بسخاوة نفسٍ، بورك له فيه، ومَن أخذه بإشْراف نفسٍ، لم يُبَارك له فيه، كالذي يأكل ولا يشبع، اليد العُليا خيرٌ من اليد السُّفلى. رواه البخاري ومسلم(٢).

قيل للحسن بن عليٍّ- رضي الله عنهما-: ما حفظتَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: حفظتُ من رسول الله صلى الله عليه وسلم:" دَعْ ما يُرِيبُك إلى ما لا يُرِيبُك" رواه أحمد والترمذي(٣).

فالنَّزَاهَة أن نصون النَّفس عن مواقف الرِّيبة، ونتنزَّه عن مساوئ الأخلاق، ونترفَّع عمَّا يُذَمُّ منها.

قال عمر بن عبد العزيز- رحمه الله-: إذا كان في القاضي خمس خصال فقد كَمُل: علمٌ بما كان قَبله، ونَزَاهةٌ عن الطَّمع، وحِلْمٌ عن الخَصْم، واقتداءٌ بالأئمة، ومُشَاورة أهل العلم والرأي(٤).

وقال أبو يزيد الفيض: سألتُ موسى بن أَعْيَنَ عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(٥)، قال: تنزَّهُوا عن أشياءٍ من الحلال؛ مخافةً أن يقعوا في الحرام، فسمَّاهم مُتَّقين(٦).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٩) برقم (٢٠٣٥) كتاب الاعتكاف باب: هل يخرج المعتكف لحوائجه إلى باب المسجد. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧١٢) برقم (٢١٧٥) كتاب السلام باب بيان أنه يستحب لمن رئي خاليا بامرأة وكانت زوجته أو محرما له أن يقول هذه فلانة ليدفع ظن السوء به.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٩٣) برقم (٦٤٤١) كتاب الرقاق باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «هذا المال خضرة حلوة». ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٧) (١٠٣٥) كتاب الزكاة باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٢٤٨) برقم (١٧٢٣). والترمذي في جامعه (٤/ ٦٦٨) برقم (٢٥١٨) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلمباب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ١٨).

(٤) العقد الفريد (١/ ٧٨).

(٥) المائدة: ٢٧.

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في الورع (ص: ٥٩) برقم (٥٢). الورع، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: أبي عبد الله محمد بن حمد الحمود، الناشر: الدار السلفية – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨.



قال الشَّاعر:

نزَّهتُ لفظي عن فُحْشٍ وقلتُ: هُم عَرَبٌ وفي حيّهم يا غربة الذِّمم[١]

وقد قَسَّم الماوردي النَّزَاهَة إلى قسمين، فقال: النَّزاهة نوعان؛ أحدهما: النَّزاهة عن المطامع الدَّنيَّة، والثَّاني: النَّزاهة عن مواقف الرِّيبة[٢].

قال الشَّاعر:

أُنزِّه نَفسِي عَن أَذَى القَوْل والخَنَا وإِنِّي إِلى الإسلامِ والسِّلمِ أجنحُ عنِ
وعقلي وديني والحياءُ يَرُدُّنِي الجَهْلِ لكنِّي عن الذَّنبِ أصفحُ
فشتَّانَ مَا بيني وبَيْنـك في الهَـوى وكلُّ إنـاءٍ بالـذي فيه ينضـحُ[٣]

ومن جرَّاء فقدان قيم النزاهة؛ انتُهكتْ مظالم كثيرة، وضُيِّعتْ حقوق وواجبات، وفُقدتْ ثروات، وهُدِّمتْ أسرٌ وبيوتٌ، وأُهدرتْ كفاءات، وضُيِّعتْ طاقات، وكلُّ هذا يُشيرُ إلى شعوبٍ تنهشها اللاأخلاقية التي خلَّفها فقدانُ هذه القيم. وتجدر الإشارة إلى أنَّ قيم النزاهة لا تكمن فيما هو ماديٌّ فقط، لأنَّها في إطارها العام تكون الدافع إلى النفور من كلِّ ما يجذب النفس للطمع فيما ليس لها، وهي التي تمنع المرء من التجرُّؤ على انتهاك حقوق الآخرين الماديَّة والمعنويَّة.

والنزاهة هي قيم أخلاقية يتمُّ اتباعها في جميع الأوقات وجميع المواقف؛ مثل: الصدق والثقة. وهما عاملان أساسيان في النزاهة.

وعندما تكون شخصًا يتَّسم ويتميَّز باكتساب قيم وقدرات النزاهة؛ فإنَّ ذلك يعني أنَّك شخصٌ واعٍ وقادرٌ على فهْم ذاتك ونفسك الداخلية، وقادرٌ أيضًا على التحكُّم فيها، فإنَّ هذا يعني أنَّك شخصٌ ذو ثقةٍ عاليةٍ بنفسك، قادرٌ على التعامُل والتكيُّف مع الأشخاص الآخرين؛ بمختلف طرق تفكيرهم وبمختلف مراحلهم العُمريَّة.

---

(١) ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (١/ ١٧٤). خزانة الأدب وغاية الأرب، المؤلف: ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي الأزراري (المتوفى: ٨٣٧هـ)، المحقق: عصام شقيو، الناشر: دار ومكتبة الهلال-بيروت، دار البحار-بيروت، الطبعة: الطبعة الأخيرة ٢٠٠٤م.

(٢) ينظر: أدب الدنيا والدين (ص: ٣٢٦).

(٣) ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٤/ ٣١٠). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، المؤلف: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢هـ)، الناشر: منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت.



والخلاصة: النزاهة سلوكٌ أخلاقيٌّ رفيعٌ لا تستقيم الحياة إلَّا به، وهي خُلقٌ مُتمِّمٌ لصفات المسلم، وسلوكياته الإيجابية، كما أنَّ النزاهة تعني الزُّهد في المال العام، بل الحفاظ عليه، والحرص على حمايته، وما أحوجنا إلى سيادة مثل هذه المفاهيم، التي تعني الرقابة على الذات، وهي أفضل من رقابة الجهات الرسمية، أو رقابة الأنظمة واللوائح.

وفي ترسيخ مثل هذه القيم والالتزام بها؛ إسهامٌ فعليٌّ في التنمية والبناء والاستقرار، وكذلك الأمن الاقتصادي، وقبل كل شيء سلامةٌ للمجتمع، وتجسيدٌ لمبادئه الإسلامية، وتكريسٌ للثقة بين أفراده، وحفظٌ لحقوق الأجيال القادمة.



المؤلف

الأستاذ الدكتور / خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

هو بروفيسور في طب الأسرة والتعليم الطبي، وكان العميد المؤسِّس لكلية الطب بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والمشرف على الخدمات الطبية سابقًا. ويرأس حاليًا مجلس إدارة جمعية التطوُّع الصحية – أثر. وقد كان وكيلًا لجامعة الإمام للتخطيط والتطوير والجودة، ومستشارًا غير متفرغ لمعالي وزير التعليم السابق. وكان رئيسًا للجنة عمداء الطب بالجامعات السعودية. وله اهتمام كبير في العمل الصحي التطوُّعي؛ حيث تم تكريمه من معالي وزير الصحة بمناسبة اليوم العالمي للتطوُّع الموافق للخامس من شهر ديسمبر ٢٠١٧ م. وهو أستاذ كرسي الدكتور الخولي لتطوير التعليم الطبي بالمملكة العربية السعودية. ورئيس تحرير ملحق مجلة المعلم الطبي الدولية. ورئيس تحرير مجلة جامعة الإمام للعلوم التطبيقية. ومؤسِّس الجمعية السعودية للدراسات الطبية الفقهية. وعضو المجلس الصحي السعودي سابقًا. وعضو مؤسِّس للجائزة الدولية للتميز في التعليم الطبي ومقرها بريطانيا. وقد شارك كمتحدِّث رئيس في أكثر من ٣٠٠ مؤتمر عالمي في مجال التعليم الطبي وطب الأسرة، ولديه أكثر من سبعين بحثًا محكمًا ومنشورًا في دوريات عالمية ومحلية. وهو المحرر الرئيس لكتاب روتليدج الدولي للتعليم الطبي – "The Routledge International Handbook of Medical Education" – ٢٠١٦ الناشر: روتليدج الدولية للكتب، التابعة لمجموعة تيلور وفرانسيس – Taylor & Francis Group – العالمية المعروفة. وقد حصل البروفيسور آل عبد الرحمن على العديد من الجوائز وشهادات التقدير المحلية والعالمية، من آخرها جائزة التميُّز في التحرير من الجمعية الأوربية الدولية للتعليم الطبي في شهر سبتمبر ٢٠١٤م في المؤتمر الدولي للتعليم الطبي AMEE ٢٠١٤ الذي عُقِد في مدينة ميلانو الإيطالية.




تم بحمد الله



٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري

فوائد شهر جمادى الثانية

كتبه الفقير إلى عفو ربه

أ. د. خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

الجزء السادس

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ

ح خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن ، ١٤٤٥هـ

عبد الرحمن ، أ.د. خالد عبد الغفارعبد الله
فوائد شهر جمادى الثانية الجزء السادس من سلسلة كتاب ٣٦٠ فائدة
علي مدار العام الهجري./ أ.د. خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن
ط ١.- الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٢٩ ص ! ١٧ x ٢٤ سم.- (٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري)

رقم الإيداع : ١٩٩٨٦ / ١٤٤٥
ردمك :٣-٦٠٣٠-٠٥-٦٠٣-٩٧٨









إهــداء

إلى زوجتي وأبنائي الأوفياء الذين كان لهم الفضل بعد الله عز وجل بتشجيعي ودعمي المتواصل لإعداد هذه السلسلة من الفوائد التي تُحفّز المسلم والمسلمة للعمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما ينفع ويرضي الله عز وجل.





مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. فبين يديك أخي القاري الكريم الجزء السادس من كتاب " ٣٦٠ فائدة " على مدار العام الهجري، وهو كتاب يضم فوائد ودروسًا تُحفِّز المسلم والمسلمة على العمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما يَنفع ويُرضي اللهَ عزَّ وجلَّ. تمَّ تقسيمها على أيام السنة الهجرية بحيث يستطيع القارئ أن يبدأ بالقراءة من تاريخ اليوم الذي عزم أن يقرأ الكتاب فيه، ويقطف من ثمرات وفوائد ذلك اليوم. وفي كل يوم يجد القارئ جملة من المقتطفات التي تدور حول موضوع واحد قد يكون له ارتباط بذلك اليوم أو الأيام أو الشهر تحديدًا وقد لا يكون. ولكن الموضوعات تُشكِّل في مجملها خلاصة الفوائد والخواطر والدروس التي تُعين المسلم على التجارة مع الله والعمل الصالح الذي يكون بإذن الله زادًا له في الدنيا ونجاة له في الآخرة برحمة الله ومِنَّته وفضله. وهذا الجزء مخصص لفوائد شهر جمادى الثانية، أسأل الله أن يكون فيه النفع والفائدة وحجة لكاتبه وقارئه وكل من أعان على نشره وتوزيعه.

كتبه الفقير إلى عفو ربِّه
أ.د.خالد بن عبد الغفَّار آل عبد الرحمن
drkhalid63@gmail.com
الرياض
شهر جمادى الثانية ١٤٤٥هـ



فهرس فوائد شهر جمادى الثانية



١ جمادى الثانية

التحذير من الإسراف والتبذير

دين الإسلام هو دين التوسط والاعتدال والتوازن، في جميع أحكامه وتعاليمه، في العقائد والعبادات، والمعاملات والأخلاق، وقد وصف الله تعالى هذه الأمة بالأمة الوسط، فقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾(١).

ومن الأمور التي تتعارض مع مبدأ الوسطية والاعتدال؛ الإسراف ومجاوزة الحد، فالإسراف خَصلةٌ ذميمة، ذمَّها الله تعالى في نصوص كثيرة، وحذَّر مِن فعلها، وبيَّن أنها من أسباب العقوبات التي تنزل بالأمم.

وقال الإمام ابن باز رحمه الله: التبذير: وضع الأموال في غير محلها، وصرفها في غير جهة النفع، وقال تعالى في صفة النفقة المضبوطة المستقيمة: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾(٢)، يعني: لم يزيدوا في النفقة ولم يقصروا، بل أنفقوا وسطًا، فهذا هو المشروع. أما من زاد وأنفق في غير محل الإنفاق فهذا يقال له: إسراف وتبذير، وكل ما زاد على الحاجة يُسمَّى إسرافًا، وصرْف المال في غير وجهه يُسمَّى تبذيرًا، وصرف المال في وجهه هذا طيب وقصد. فالمؤمن يتحرَّى صرْف الأموال في وجوهها، وإذا أنفق في بيته أو على ضيوفه أو على خدامه ينفق وسطًا لا إسراف ولا تبذير: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ﴾(٣) ، ويقول سبحانه: ﴿ وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾(٤)، ولكن بيَّنَ ذلك. فكونه يضع طعامًا زائدًا ولحومًا زائدة ما لها حد؛ ليس هذا من القصد، هذا من الإسراف، إلا إذا كان قصد أنه يعطيها الفقراء، الزائد يعطيه الفقراء والمساكين فلا بأس(٥).

وقد ورد ذم الإسراف والتبذير في القرآن والسنة:

---

(١) البقرة: ١٤٣.

(٢) الفرقان: ٦٧.

(٣) الفرقان: ٦٧.

(٤) الإسراء: ٢٩.

(٥) الضابط في معرفة الإسراف والتبذير، ابن باز.



قال تعالى: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾(١). قال ابن كثير: ينهى تعالى عن أكل أموال اليتامى من غير حاجة ضرورية إسرافًا(٢).

وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾(٣). قال الطبري: السرف الذي نهى الله عنه في هذه الآية؛ مجاوزة القدر في العطية إلى ما يجحف برب المال(٤).

وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾(٥). قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسيره: السرف يبغضه الله، ويضر بدن الإنسان ومعيشته، حتى أنه ربما أدَّت به الحال إلى أن يعجز عما يجب عليه من النفقات، ففي هذه الآية الكريمة الأمر بتناول الأكل والشرب، والنهي عن تركهما، وعن الإسراف فيهما(٦).

وممَّا ورد في ذم الإسراف والتبذير في السنة النبوية؛ قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" كُلُوا وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا، مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ أَوْ مَخِيلَةٌ". رواه النسائي(٧).

---

(١) النساء: ٦.

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٢١٦). تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٣) الأنعام: ١٤١.

(٤) تفسير الطبري (٩/ ٦١٤). تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٥) الأعراف: ٣١.

(٦) تفسير السعدي (ص: ٢٨٧). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

(٧) الحديث علقه البخاري (٥/٢١٨١) قبل الحديث (٥٤٤٦) كتاب اللباس، ووصله أبو داود الطيالسي (١/٢٩٩) (٢٢٦١) كما ذكر ذلك الحافظ في الفتح (١٠/٢٥٣) وأخرجه وأحمد (٢/١٨١، ١٨٢) ، والنسائي في المجتبى (٥/٧٩) في الزكاة، باب الاختيال في الصدقة، وابن ماجه (٢/١١٩٢) (٣٦٠٥) ، في سننه (٢/ ١١٩٢) برقم (٣٦٠٥) كتاب اللباس باب لبس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة. وصححه لحاكم (٤/١٥٠)، والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٨/ ١٠٥).



وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ: أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ". رواه البخاري ومسلم(١).

يقول الحافظُ ابن رجب- رحمه الله-: إن المؤمن يأكل بأدب الشرع، فيأكلُ في معىً واحدٍ، والكافرُ يأكل بمُقتضى الشهوة والشَّرَهِ والنَّهَم، فيأكلُ في سبعة أمعاءٍ(٢).

وممَّا لا شك فيه أن الإسراف تتعدد صوره ومظاهره، وهو يقع في أمور كثيرة؛ كالمأكل والمشرب، والملبس والمسكن ، والمركب، وغيرها، ومن هذه الصور:

١- الإسراف في المعاصي والآثام، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾(٣).

٢- الإسراف في الأكل والشبع: وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسراف في تناول الطعام فقال:" مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ الْآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتْ الْآدَمِيَّ نَفْسُهُ؛ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ". أخرجه الترمذي(٤).

---

(١) رواه بهذا اللفظ مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٠) برقم (١٧١٥) كتاب الأقضية باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه، أو طلب ما لا يستحقه.

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٧٤). جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: شعيب الأرناؤوط- إبراهيم باجس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٣) الزمر: ٥٣.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٥٩٠) برقم (٢٣٨٠) أبواب الزهد باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل. والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢٦٨) برقم (٦٧٣٧) كتاب الوليمة ذكر القدر الذي يستحب للإنسان من الأكل. وابن ماجه في سننه (٢/ ١١١١) برقم (٣٢٤٩) كتاب الأطعمة باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع. سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م. السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٤١). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.



قال ابن القيم: العدل وهو الأخذ بالوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط، وعليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل لا تقوم مصلحة البدن إلّا به، فإنه متى خرج بعض أخلاطه عن العدل وجاوزه، أو نقص عنه ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك، وكذلك الأفعال الطبيعية كالنوم والسهر، والأكل والشرب والجماع، والحركة والرياضة، والخلوة والمخالطة، وغير ذلك إذا كانت وسطًا بين الطرفين المذمومين كانت عدلًا، وإن انحرفت إلى أحدهما كانت نقصًا وأثمرت نقصًا[١].

٣- الإسراف في المرافق العامة: وهو مذموم أيضًا كالإسراف في الماء والكهرباء، ويعتبر من إضاعة المال، قال المناوي: إضاعة المال هو صرفه في غير وجوهه الشرعية وتعريضه للتلف، وسبب النهي أنه إفساد؛ والله لا يحب المفسدين[٢].

عن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بسعد وهو يتوضأ، فقال:" ما هذا السرف؟ فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال: نعم، وإن كنتَ على نهرٍ جارٍ". رواه ابن ماجه[٣].

وتقع عدة أضرار على الفرد والمجتمع من الإسراف والتبذير، حيث يعمل الإسراف على قلة موارد الفرد، مما يقوده إلى الفقر. كما أن الاستخدام الخاطئ لموارد الدولة يؤدي إلى قلتها، وعدم إيجاده من قبل بعض الأفراد. مما يقود إلى عدم الاستقرار في المجتمع. كما يعمل الإسراف والتبذير على غضب الفقراء، ونظرتهم بحقد إلى الأغنياء.

الخلاصة: أن الإسلام يدعو إلى التوسط والاعتدال في الأخلاق والسلوك، يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾[٤]، حيث وصف الله تعالى

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ١٤١). الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م.

(٢) فيض القدير (٧/ ٣). فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ١٤٧) برقم (٤٢٥) كتاب الطهارة وسننها باب ما جاء في القصد في الوضوء. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (١/ ٤٩٧).

(٤) الفرقان: ٦٧.

عباده المؤمنين بأنهم لم يسرفوا. وهذا يدل على قيمة وعظمة عدم الإسراف. فيجب علينا أن نبتعد عن الإسراف، وأن نتصف بصفات المؤمنين.

وصدق الشاعر حيث قال:

اقتصدْ في كلِّ حالٍ   واجتنبْ شحًّا وغُرمَا
لَا تكنْ حُلوًا فتؤكلْ   لَا ولَا مُـــرًّا فتُرمَى[1]

---

(١) البيتان لعبد العزيز الدريني كما في طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٢٠١). طبقات الشافعية الكبرى، المؤلف: تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (المتوفى: ٧٧١هـ)، المحقق: د. محمود محمد الطناحي د. عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، ١٤١٣هـ.



٢ جمادى الثانية

التحذير من الافتراء والبهتان

الافتراء: هو الكذب في حق الغير بما لا يرتضيه، والبهتان: هو الكذب الذي يبهت سامعه، أي: يدهش ويتحيَّر، وهو أفحش الكذب، لأنه إذا كان عن قصد يكون إفكًا.

والافتراء والبهتان ظاهرة مستشرية، وسمة غالبة، وداء عضال، ومرض فتَّاك، وخُلُقٌ ساقطٌ بغيضٌ إلى الله، بغيض إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، بغيض إلى ذوي الفِطرة السليمة، يأباه الشرفاء، ويمقته العقلاء، وتمجُّه أنفس النبلاء، يُهين أصحابه، ويُذل أربابه، ويزري بمروجيه.

يقول الإمام الذهبي عن حكم الافتراء والبهتان: تعمُّد الكذب على الله ورسوله- صلى الله عليه وسلم- في تحريم حلال أو عكسه؛ كفر محض(١).

وعدَّ الهيتمي البهت من الكبائر، قال: الكبيرة الرابعة والخمسون بعد المائتين: البهت، لما في الحديث الصحيح في الغيبة:" وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ". رواه مسلم(٢). بل هو أشد من الغيبة، إذ هو كذب فيشق على كل أحد، بخلاف الغيبة لا تشق على بعض العقلاء؛ لأنها فيه(٣).

وقد ورد ذم الافتراء والبهتان في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾(٤).

قال ابن كثير: لا أحد أشد عقوبة ممَّن كذب على الله، فقال: إن الله أوحى إليه شيئًا، ولم يُوحَ إليه شيء. ومن قال: سأنزل مثل ما أنزل الله. وهكذا لا أحد أشد عقوبة ممن كذب بالحق لما جاءه، فالأول مفترٍ، والثاني مُكذِّب؛ ولهذا قال: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾(٥).

---

(١) ينظر: الكبائر للذهبي (ص: ٧٠). الكبائر، المؤلف: تنسب لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الندوة الجديدة – بيروت.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠١) برقم (٢٥٨٩) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الغيبة.

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٤١). الزواجر عن اقتراف الكبائر، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ)، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٤) العنكبوت: ٦٨.

(٥) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٩٥).



وقال تعالى فيمن يفتري على الأنبياء: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾[١].

قال ابن كثير: يقول تعالى مخبرًا عن سخافة عقول الجهلة من الكفار، في قولهم عن القرآن: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ﴾: أي: كذب افتراه، يعنون النبي صلى الله عليه وسلم، ﴿وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ﴾ أي: واستعان على جمْعه بقوم آخرين، ﴿ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ﴾أي: فقد افتروا هم قولًا باطلًا هم يعلمون أنه باطل، ويعرفون كذب أنفسهم فيما يزعمون[٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[٣].

قال الإمام السعدي: ﴿وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ ﴾، والبهتان: الافتراء على الغير أي: لا يفترين بكل حالة، سواء تعلقت بهن وأزواجهن؛ أو سواء تعلق ذلك بغيرهم[٤].

ومما ورد من ذم الافتراء والبهتان في السنة النبوية:

عن واثلة بن الأسقع- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الفِرَى أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ، أَوْ يَقُولُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَا لَمْ يَقُلْ". رواه البخاري[٥].

وعن أم المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ فِرْيَةً؛ لَرَجُلٌ هَاجَى رَجُلًا فَهَجَا الْقَبِيلَةَ بِأَسْرِهَا، وَرَجُلٌ انْتَفَى مِنْ أَبِيهِ وَزَنَّى أُمَّهُ". رواه ابن ماجه[٦].

---

(١) الفرقان: ٤.

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٩٣).

(٣) الممتحنة: ١٢.

(٤) تفسير السعدي (ص: ٨٥٨).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٨٠) برقم (٣٥٠٩) كتاب المناقب باب بدون ترجمة.

(٦) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٣٧) برقم (٣٧٦١) كتاب الأدب باب ما كره من الشعر. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٨/ ٢٦١).



أنواع الافتراء والبهتان:

١- الافتراء على الله، وهو أشد أنواع البهتان. وهو نوعان:

النوع الأول: أن يقول: قال الله كذا، وهو يكذب، كاذبٌ على الله، وما قال الله شيئًا من ذلك.

والنوع الثاني: أن يُفسِّر مُتعمِّدًا كلام الله بغير ما أراد الله، لأن المقصود من الكلام معناه، فإذا قال: أراد الله بكذا: كذا وكذا، فهو كاذب على الله، شاهد على الله بما لم يُرده الله عز وجل.

ومن صور الافتراء على الله أيضًا؛ التشريع في دين الله من غير مستند شرعي، والإفتاء بغير علم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾(١).

كذا معارضة دين الله تعالى، قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾(٢).

ومنه أيضًا ادِّعاء الولاية والكرامة والمنزلة عند الله سبحانه وتعالى.

٢- الافتراء على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو نوعان:

النوع الأول: بأن يقول: قال رسول الله كذا، ولم يقله، لكنه كذب عليه صلى الله عليه وسلم.

النوع الثاني: تفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير معناه مُتعمِّدًا، ومن فعل ذلك فقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

٣- الافتراء على المؤمنين: كأن يتقوَّل على أحد من المسلمين ما لم يقله، أو يقذفه بذنب وهو منه بريء، أو أن يغتابه بما ليس فيه.

عن جابر بن سمرة- رضي الله عنه- قال: "شكا أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب- رضي الله عنهما- فعزله، واستعمل عليهم عمارًا، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يُحسن يُصلي، فأرسل إليه، فقال: يا أبا إسحاق؛ إن هؤلاء يزعمون أنك لا تُحسن تُصلي، قال أبو إسحاق: أما أنا والله فإني كنت أصلي بهم صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أخرم عنها، أصلي صلاة العشاء، فأركد في الأوليين وأخف في الأخريين، قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق، فأرسل معه رجلًا أو رجالًا إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة ولم يدع مسجدًا إلا سأل عنه، ويثنون معروفًا، حتى دخل

---

(١) النحل: ١١٦.

(٢) طه: ٦١.



مسجدًا لبني عبس، فقام رجل منهم يقال له أسامة بن قتادة يكنى أبا سعدة، قال: أما إذ نشدتنا فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، قال سعد: أما والله لأدعونَّ بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا، قام رياء وسمعة؛ فأطل عمره، وأدم فقره، وعرِّضه للفتن، وكان بعدُ إذا سُئل يقول: شيخ كبير مفتون، أصابتني دعوة سعد.

قال عبد الملك- راوي الأثر عن سمرة -: فأنا رأيتُه بعدُ، قد سقط حاجباه على عينيه من الكبَر، وإنه ليتعرَّض للجواري في الطرق يغمزهنَّ". رواه البخاري[١].

قال بعض الحكماء:

إنَّ الكـــريمَ إذا تقضَّـــى ودُّه ... يُخفي القبيحَ ويُظهرُ الإحسانَا
وترَى اللئيمَ إذا تصرَّم حبـــلُه ... يُخفي الجميلَ ويُظهرُ البُهتانَا[٢]

والخلاصة: ما قاله السمرقندي: ليس شيء من الذنوب أعظم من البهتان، فإن سائر الذنوب يحتاج إلى توبة واحدة، وفي البهتان يحتاج إلى التوبة في ثلاثة مواضع؛ **أَحَدُهَا**: أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْقَوْمِ الَذِينَ تَكَلَمَ بِالْبُهْتَانِ عِندَهُمْ، وَيَقُولُ: إِني قَد ذَكَرْتُ عِنْدَكُمْ فُلَانًا بِكَذَا وَكَذَا، فَاعْلَمُوا أني كَاذِبٌ فِي ذَلِكَ، **وَالثَانِي**: أَنْ يَذْهَبَ إِلَى الَذِي قَالَ عَلَيْهِ الْبُهْتَانَ وَيَطْلُبَ مِنْهُ أَنْ يَجْعَلَهُ فِي حل، **وَالثَالِثُ**: أَنْ يَسْتَغْفِرَ اللهَ تَعَالَى وَيَتُوبَ إِلَيْهِ[٣].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٥١) برقم (٧٥٥) كتاب الأذان باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، في الحضر والسفر، وما يجهر فيها وما يخافت.

(٢) ينظر: قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد (٢/ ٣٦٢). قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، المؤلف: محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (المتوفى: ٣٨٦هـ)، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

(٣) ينظر: تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص: ١٦٧). تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ)، حققه وعلق عليه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار ابن كثير، دمشق – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٣ جمادى الثانية

التحذير من التجسُّس

التجسس من الأخلاق السيئة التي نهى عنها الإسلام، سُئل الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: هل لي أن أتجسس على إنسان في بيته؛ لمعرفة إن كان عنده شيء من المحرمات أو الخمور أو يستعملها؟ فأجاب: ليس لك التجسس؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾[1]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" ولا تَجَسَّسُوا". رواه مسلم[2]. فلا يجوز التجسس، وهو التنقيب عن الشخص لعله يجده على معصية، لا؛ بل إذا ستر الله مسلمًا فلا تحرص على كشفه، لكن متى ظهر الأمر، وبان بدون تجسس؛ وجب عليك النصيحة، والتوجيه إلى الخير، وإنكار المنكر، أما التجسس فلا يجوز.

وقال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره لهذه الآية: قوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ يقول: ولا يتتبع بعضكم عورة بعض، ولا يبحث عن سرائره، يبتغي بذلك الظهور على عيوبه، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره، وبه فاحمدوا أو ذموا، لا على ما لا تعلمونه من سرائره. ثم ذكَرَ أثَرَ ابن عباس- رضي الله عنهما- في ذلك إذ يقول: نهى الله المؤمن من أن يتتبع عورات المؤمن[3].

كما أن النبي صلى الله عليه وسلم شدد في النهي عن التجسس والتحذير منه، وبيَّن أنه مُفسِدٌ للأخوَّة، وسبب في تقطيع الأواصر والصلات بين المؤمنين، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا

---

(١) الحجرات: ١٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٩) برقم (٥١٤٣) كتاب النكاح باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٥) برقم (٢٥٦٣) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظن والتجسسن والتنافس والتناجش ونحوها.

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢١/ ٣٧٤).



تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا". رواه البخاري ومسلم(١).

والتجسس صورة من صور ضعف الإيمان وضعف التدين وقلة المراقبة، وهو من الجانب الأخلاقي والسلوكي يدل على دناءة النفس وخِسَّتها، وضعف همتها، وانشغالها بالتافه من الأمور عن معاليها وغاياتها. قال أبو حاتم- رحمه الله- في روضة العقلاء: التجسُّس من شُعَب النفاق، كما أن حسن الظن من شُعَب الإيمان(٢).

ومَن ذا الذي تُرضَى سجاياه كلُّها كفى المرءَ نُبلًا أن تُعدَّ معايبُه(٣)

والتجسس داءٌ ينغص العيش ويفسد الحياة؛ حين تصبح الحياة مليئة بالشكوك والتخوُّفات، فلا يأمن الإنسان على خصوصياته وأسراره من أن تنكشفَ وتظهرَ للناس، بل يعيش المرء في حالة من الشك الذي لا ينتهي، والقلق الدائم الذي لا ينقضي.

فعن معاوية- رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إنّك إن اتّبعتَ عوراتِ النّاس أفسدتَهم، أو كدتَ أن تفسدهم". فقال أبو الدرداء- رضي الله عنه-: كلمة سمعها معاوية من رسول الله النبي صلى الله عليه وسلم نفعه الله تعالى بها". رواه أبو داود(٤)، وفي رواية أخرى

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٩) برقم (٥١٤٣) كتاب النكاح باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٥) برقم (٢٥٦٣) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظن والتجسسن والتنافس والتناجش ونحوها. واللفظ لمسلم.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٢٦). روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٣) ينظر: الصبح المنبي عن حيثية المتنبي (٢/ ١٣). الصبح المنبي عن حيثية المتنبي (مطبوع بهامش شرح العكبري)، المؤلف: يوسف البديعي الدمشقي (المتوفى: ١٠٧٣هـ)، الناشر: المطبعة العامرة الشرفية، الطبعة: الأولى، ١٣٠٨هـ.

(٤) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٧٢) برقم (٤٨٨٨) كتاب الأدب باب في النهي عن التجسس. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣٨٨). صحيح وضعيف سنن أبي داود، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

عن معاوية- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أعرضوا عن الناس، ألم تر أنك إن ابتغيتَ الريبة في الناس أفسدتَهم، أو كدتَ تفسدهم". رواه البخاري في الأدب المفرد(١).

والمجتمع الذي يريد منا الإسلام أن نكون عليه وأن نرقى إلى مستواه؛ مجتمع قد سما بنفسه عن سفاسف الأمور، وعن كل ما يوجب الضغينة، ويورث العداوة، ويوقد نار البغضاء والشحناء، مجتمع يبحث عن مواقع الإيجابيات فيما يعود على نسيجه بالترابط والتآزر والثقة، لذا توعَّد الله تعالى مَن يفرح وتُسرُّ نفسه بظهور عورات المسلمين بالعذاب الأليم، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾(٢).

والتجسس دليل بيِّن على سوء الطوية، وعن نفاق يعشش في قلب صاحبه، وأن صاحبه بعيد عن الإيمان وإن ادَّعاه، لذا كان نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن هذه صفته بقوله:" يا معشر مَن آمَنَ بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه؛ لا تغتابوا المسلمين، ولا تتَّبعوا عوراتهم، فإنَّه من اتَّبع عوراتهم يتَّبع الله عورته، ومن يتَّبع الله عورته يفضحْه في بيته" رواه أبو داود وأحمد(٣).

وصور التجسس عديدة، ووسائله كثيرة، كلها تهدف إلى فضح الناس، وكشف مستورهم، والاطلاع على عوراتهم وأسرارهم، ومن ذلك:

١- التجسُّس على بيوت الناس: فمن الناس من ابتلي بهذا المرض، فتراه يتجسس على الناس في منازلهم، للاطلاع على عوراتهم والكشف عن سوءاتهم، إما بالاستماع من وراء الأبواب والنوافذ، أو بالنظر فوق الأسطح، أو بالدخول في البيوت على حين غفلة من أهلها، أو باستئذان لغرض كاذب تافه كشرب الماء مثلًا، والمقصود غيرُ ذلك.

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (ص: ٩٦) ولفظه: «إنك إذا اتبعت الريبة في الناس أفسدتهم» فإني لا أتبع الريبة فيهم فأفسدهم. الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ١١٠). صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٢) النور: ١٩.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٣/ ٢٠) برقم (١٩٧٧٦). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٧٠) برقم (٤٨٨٠) كتاب الأدب باب في الغيبة. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣٨٠).



وكل ذلك من قبائح الأفعال التي نهى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم عنها، فما شرعَ اللهُ الاستِئذانَ عند دُخولِ البيوتِ إلا حماية لخصوصيات الناس، وحفاظًا على أسرارهم، وصِيانة وسترًا لعوراتِهم، قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾[(١)].

وقد بيَّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم حكمةَ هذا الاستِئذان والغايةَ من تشريعِه، كما في صحيح البخاري من حديث سهل بن سعدٍ- رضي الله عنه- قال:" اطَّلَعَ رَجُلٌ مِنْ جُحْرٍ فِي حُجَرِ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَمَعَ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مِدْرًى يَحُكُّ بِهِ رَأْسَهُ، فَقَالَ: لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرُ؛ لَطَعَنْتُ بِهِ فِي عَيْنِكَ، إِنَّمَا جُعِلَ الِاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ البَصَرِ"[(٢)] أي حتى لا يقع بصرُ الطارقِ على ما لا يريد أهل ذلك البيت أن يراه أحد.

٢- التنصُّتُ على الناس والاستماع إليهم خفية: وقد توعَّد رسول الله صلى الله عليه وسلم من يفعل هذا؛ روى البخاري عن ابن عباس- رضي الله عنهما- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ؛ صُبَّ فِي أُذُنِهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ"[(٣)]. والآنك: الرَّصاص المذاب.

٣- محاولة الاطلاع على ما يُخفيه الناس عن غيرهم، فمن الناس مَن تتطلَّع نفسه إلى معرفة ما يُخفيه الناس في هواتفهم أو أوراقهم أو صورهم ونحو ذلك، وقد قال النبي- صلى الله عليه وسلم-:" مِن حُسْنِ إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه". أخرجه الترمذي[(٤)].

---

(١) النور: ٢٧- ٢٩.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٥٤) برقم (٦٢٤١) كتاب الاستئذان باب الاستئذان من أجل البصر. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٦٩٨) برقم (٢١٥٦) كتاب الآداب باب تحريم النظر في بيت غيره.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٤٢) برقم (٧٠٤٢) كتاب التعبير باب من كذب في حلمه.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٤/٥٥٨) برقم (٢٣١٧) أبواب الزهد باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣١٥) برقم (٣٩٧٦) كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف ابن ماجه (٨/ ٤٧٦).

الخلاصة: أن التجسس على العورات خلق ذميم، فاتقوا الله عبادَ الله، ودَعُوا التجسُّسَ على الناس وتتبُّعَ زلَّاتِهم وعوراتِهم؛ فذلك أتقى لربكم، وأسعدُ لقلوبكم، وأحسنُ لمعاشِكم ومَعادِكم.

لَا تلتمسْ من مساوي الناسِ مَا سَتروا ... فيهتكَ الناسُ سترًا من مساويكا

واذكرْ مُحاسِنَ ما فيهـــــم إذا ذُكِروا ... ولا تعِبْ أحــدًا عيبًا بما فيكا[1]

---

(١) عيون الأخبار (٢/ ٢٣). عيون الأخبار، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨هـ.



٤ جمادى الثانية

التحذير من سوء الظن

قال ابن القيم- رحمه الله-: سوء الظن هو امتلاء القلب بالظنون السيئة بالناس حتى يطفح على اللسان والجوارح[(١)].

وقال ابن كثير: سوء الظن هو التهمة والتخوُّن للأهل والأقارب والناس في غير محله[(٢)].

وقد قال تعالى في ذم سوء الظن بالله تعالى وعاقبة مَن فعل ذلك: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾[(٣)].

قال ابن القيم: فُسِّر هذا الظن الذي لا يليق بالله بأنه سبحانه لا ينصر رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن أمره سيضمحل، وأنه يُسلمه للقتل، وقد فُسِّر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقضائه وقدره، ولا حكمة له فيه، ففُسِّر بإنكار الحكمة، وإنكار القدر، وإنكار أن يتم أمر رسوله- صلى الله عليه وسلم-، ويظهره على الدين كله. وإنما كان هذا ظن السوء، وظن الجاهلية المنسوب إلى أهل الجهل، وظن غير الحق لأنه ظن غير ما يليق بأسمائه الحُسنى، وصفاته العُليا، وذاته المبرأة من كل عيب وسوء[(٤)].

وقال سبحانه في عاقبة مَن ظن به السوء: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[(٥)].

---

(١) ينظر: الروح (ص: ٢٣٨). الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، سنة النشر: بدون.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٧٧).

(٣) آل عمران: ١٥٤.

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٣/ ٢٠٥). زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

(٥) فصلت: ٢٢ – ٢٣.

قال أبو حيان الأندلسي: هذا الظن كفر وجهل بالله وسوء مُعتقد؛ يُؤدِّي إلى تكذيب الرسل والشك في علم الإله[١].

وقال سبحانه في ذم سوء الظن بمَن ظاهره العدالة من المسلمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾[٢].

قال السعدي: نهى الله تعالى عن كثير من الظن السوء بالمؤمنين، فإِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ، وذلك كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظن السوء الذي يقترن به كثير من الأقوال والأفعال المحرَّمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب؛ لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به، حتى يقول ما لا ينبغي، ويفعل ما لا ينبغي، وفي ذلك أيضًا إساءة الظن بالمسلم وبغضه وعداوته المأمور بخلاف ذلك منه[٣].

والحكم على سوء الظن يشمل قسمين: سوء الظن الذي يُؤاخَذ به صاحبُه، وسوء الظن الذي لا يُؤاخَذ به صاحبُه.

فالقسم الأول: سوء الظن الذي يُؤاخَذ به صاحبُه؛ وضابط هذا النوع: هو كل ظن ليس عليه دليل صحيح مُعتبر شرعًا، استقر في النفس، وصدَّقه صاحبه، واستمر عليه، وتكلم به، وسعى في التحقُّق منه.

وهو أنواع، ولكل نوع حكم خاص، وهو كالتالي:

١- سوء الظن المحرَّم: ويشمل سوء الظن بالله تعالى، وسوء الظن بالمؤمنين.

قال ابن القيم: أعظم الذنوب عند الله إساءة الظن به[٤]، أما سوء الظن بالمؤمنين؛ ويشمل سوء الظن بالأنبياء وهو كفر، كما قال النووي: ظن السوء بالأنبياء كفر بالإجماع[٥]، وقد عدَّ الهيتمي سوء الظن بالمسلم الذي ظاهره العدالة من الكبائر[٦].

---

(١) البحر المحيط في التفسير (٩/ ٢٩٩). البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠هـ.

(٢) الحجرات: ١٢.

(٣) تفسير السعدي (ص: ٨٠١).

(٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: ١٣٨). الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٥) شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٥٦). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٦) ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ١٣٠).



٢- سوء الظن الجائز: ويشمل سوء الظن بمن اشتهر بين الناس بمخالطة الريب، والمجاهرة بالمعاصي، وسوء الظن بالكافر. قال ابن عثيمين- رحمه الله-: يحرم سوء الظن بمسلم، أما الكافر فلا يحرم سوء الظن فيه؛ لأنه أهلٌ لذلك، وأما من عُرِف بالفسوق والفجور، فلا حرج أن نُسيء الظن به؛ لأنه أهلٌ لذلك، ومع هذا لا ينبغي للإنسان أن يتتبع عورات الناس، ويبحث عنها؛ لأنه قد يكون مُتجسِّسًا بهذا العمل(١).

٣- سوء الظن المستحب: وهو ما كان بين الإنسان وعدوّه، قال أبو حاتم البستي: ما يستحب من سوء الظن كمن بينه وبينه عداوة أو شحناء في دين أو دنيا، يخاف على نفسه مَكْرَهُ، فحينئذ يلزمه سوء الظن بمكائده ومكْره لئلا يُصادفه على غرة بمكْره فيهلكه(٢).

٤- سوء الظن الواجب: وهو ما احتيج لتحقيق مصلحة شرعية كجرح الشهود ورواة الحديث.

فعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلةٌ ... كما أنَّ عينَ السخطِ تُبدي المسَاوِيَا(٣)

والقسم الثاني: سوء الظن الذي لا يُؤاخَذ به صاحبُه، وضابطه: هو الخواطر الطارئة غير المستقرة التي يجاهدها صاحبها ولا يسعى للتحقُّق منها.

قال النووي: الخواطر وحديث النفس؛ إذا لم يستقر ويستمر عليه صاحبه فمعفوٌ عنه باتفاق العلماء، لأنه لا اختيار له في وقوعه، ولا طريق له إلى الانفكاك عنه، وهذا هو المراد بما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:" إنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ به أَنْفُسَهَا، ما لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ بِهِ". رواه مسلم(٤)(٥).

أسباب الوقوع في سوء الظن:

١- الجهل وسوء القصد والفهم.

٢- اتباع الهوى وتعميم الأحكام على الناس.

---

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٥/ ٣٠٠). الشرح الممتع على زاد المستقنع، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨هـ.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٢٧).

(٣) حماسة الخالديين (ص: ١٠٤) حماسة الخالديين = بالأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهليين والمخضرمين، المؤلف: الخالديان أبو بكر محمد بن هاشم الخالدي، (المتوفى: نحو ٣٨٠هـ) ، و أبو عثمان سعيد بن هاشم الخالدي (المتوفى: ٣٧١هـ)، المحقق: الدكتور محمد علي دقة، الناشر: وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، عام النشر: ١٩٩٥م.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١١٦) برقم (١٢٧) كتاب الإيمان باب تجاوز الله عن حديث النفس والخواطر بالقلب إذا لم تستقر.

(٥) الأذكار للنووي (ص: ٣٤٥). الأذكار، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٣- مصاحبة أهل الفسق والفجور، قال أبو حاتم البستي: صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار، ومن خادن الأشرار لم يسلم من الدخول في جملتهم[١].

٤- الحضور في مواطن التهم والريب: ولهذا قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-: من أقام نفسه مقام التهمة فلا يلومنَّ مَن أساء به الظن[٢].

٥- الحقد والحسد على المظنون به.

الخلاصة: قال سماحة الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: أما مَن فُتِنَ- والعياذ بالله- وصار يتتبع عورات الناس، ويبحث عنها، وإذا رأى شيئًا- يحتمل الشر ولو من وجه بعيد- طار به فرحًا ونشره؛ فليبشر بأنَّ مَن تتبَّع عورة أخيه تتبَّع الله عورته، ومن تتبَّع الله عورته فضحه ولو في جحر بيته[٣].

إذا سَاءَ فعلُ المرءِ ساءتْ ظُنونُهُ ... وَصَدَّقَ ما يعتادُه من تَوَهُّمِ
وعادى مُحبِّيه بقولِ عداتِهِ ... وَأصبَحَ في ليلٍ من الشكِّ مُظلمِ[٤]

---

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٠٠).

(٢) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق (ص: ١٦١). مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها، المؤلف: أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري، الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع (٥/ ٣٠١).

(٤) الحماسة المغربية (١/ ٥٠٠). الحماسة المغربية مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب، المؤلف: أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجرّاوي التادلي (المتوفى: ٦٠٩هـ)، المحقق: محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر — بيروت، الطبعة: الأولى،١٩٩١م.



٥ جمادى الثانية

التحذير من الكذب

الكذب: هو الإخبار بالشيء على خلاف ما هو عليه سواءً كان عمدًا أم خطأً.

وقال النووي: هو الإخبار عن الشيء على خلاف ما هو، عمدًا كان أو سهوًا، سواء كان الإخبار عن ماض أو مستقبل[١].

وهناك فرق بين الكذب والافتراء؛ فالكذب: هو عدم مطابقة الخبر للواقع، والافتراء: أخص منه، لأنه كذب في حق الغير بما لا يرتضيه، بخلاف الكذب فإنه قد يكون في حق المتكلم نفسه.

وقد ورد ذم الكذب في القرآن الكريم والسنة النبوية:

فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[٢]. وقال عز وجل: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾[٣].

وقال تعالى في وصف المنافقين: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾[٤].

قال السعدي- رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[٥]: في هذا الوعد الذي غرُّوا به إخوانهم، ولا يُستكثر هذا عليهم، فإن الكذب وصفهم، والغرور والخداع مقارنهم، والنفاق والجبن يصحبهم، ولهذا كذَّبهم الله بقوله، الذي وجد مخبره كما أخبر الله به، ووقع طبق ما قال، فقال:" لَئِنْ أُخْرِجُوا" من ديارهم جلاءً ونفيًا" لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ" لمحبتهم للأوطان، وعدم صبرهم على القتال، وعدم وفائهم بوعدهم[٦]. وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان". رواه البخاري ومسلم[٧].

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٥٧).

(٢) النحل: ١٠٥.

(٣) الشعراء: ٢٢١ – ٢٢٣.

(٤) الحشر: ١١ – ١٢.

(٥) التوبة: ١٠٧.

(٦) تفسير السعدي (ص: ٨٥٢).

(٧) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٣) كتاب الإيمان باب علامة المنافق. ومسلم في صحيحه (١/ ٧٨) برقم (٥٩) كتاب الإيمان باب بيان خصال المنافق.



وعنه أيضًا- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" كَفَى بالمرءِ كذِبًا أن يُحدِّثَ بِكُلِّ ما سَمِعَ". رواه مسلم(١).

قال ابن الجوزي: فيه تأويلان أحدهما: أن يروي ما يعلمه كذبًا ولا يُبيِّنه، فهو أحد الكاذبين، والثاني: أن يكون المعنى بحسب المرء أن يكذب، لأنه ليس كل مسموع يُصدَّق به، فينبغي تحديث الناس بما تحتمله عقولهم(٢).

وللكذب صور كثيرة؛ منها:

١- الكذب على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم: وهذا أعظم أنواع الكذب، والكذب على الله نوعان: النوع الأول: أن يقول: قال الله كذا، وهو يكذب.

والنوع الثاني: أن يُفسِّر كلام الله بغير ما أراد الله، لأن المقصود من الكلام معناه، فإذا قال: أراد الله بكذا: كذا وكذا؛ فهو كاذب على الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ﴾(٣).

والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول عليه ما لم يقله، وقال صلى الله عليه وسلم:" من كذب عليَّ مُتعمِّدًا فليتبوَّأ مقعده من النار". رواه البخاري(٤). وأكثر الناس كذبًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم هم الرافضة الشيعة، فإنه لا يوجد في طوائف أهل البدع أحدٌ أكثر منهم كذبًا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما نص على هذا علماء مصطلح الحديث رحمهم الله، لما تكلموا على الحديث الموضوع قالوا: إن أكثر مَن يكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم هم الرافضة الشيعة، وهذا شيء مُشاهَد ومعروف لمن تتبَّع كتبهم.

٢- الكذب على الناس: فيظهر الإنسان فيه أنه من أهل الخير والصلاح، والتُّقى والإيمان، وهو ليس كذلك، بل هو من أهل الكفر والطغيان والعياذ بالله، فهذا هو النفاق، النفاق الأكبر الذي قال

---

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ١٠) برقم (بدون رقم) باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين (١/ ٣٤٠). كشف المشكل من حديث الصحيحين، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن - الرياض، سنة النشر: بدون.

(٣) الأنعام: ٩٣.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٣٣) برقم (١١٠) كتاب العلم باب إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم. ومسلم في صحيحه (١/ ١٠) برقم (٣) مقدمة الإمام مسلم باب في التحذير من الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.



الله في أهله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[١] لكنهم يقولون بألسنتهم ويحلفون على الكذب وهم يعلمون، وشواهد ذلك في القرآن والسنة كثيرة، إنهم- أعني المنافقين- أهل الكذب؛ يكذبون على الناس في دعوى الإيمان وهم كاذبون، وانظر إلى قول الله تعالى في سورة (المنافقون) حيث صدر هذه السورة ببيان كذبهم حيث قال تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾[٢] أكدوا هذه الجملة بثلاثة مؤكدات؛ (نشهد) (إنَّ) (اللام)، يؤكدون أنهم يشهدون أن محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول الله، فقال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾[٣] في قولهم ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ هذا أيضًا من أنواع الكذب، وهو أشد أنواع الكذب على الناس؛ لأنَّ فاعله- والعياذ بالله- منافق.

٣- الكذب في الحديث بين الناس: يقول: قلتُ لفلان كذا، وهو لم يقله، وقال فلان كذا، وهو لم يقله، وجاء فلان، وهو لم يأت وهكذا، هذا أيضًا مُحرَّمٌ، ومن علامات النفاق.

٤- كذب الحكام على الشعوب: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ، قالَ أبو مُعاوِيَةَ: ولا يَنْظُرُ إليهِم، ولَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ: شيخٌ زانٍ، ومَلِكٌ كَذّابٌ، وعائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ". رواه مسلم[٤].

٥- الكذب لإضحاك الناس: رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" ويلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ بالحدِيثِ لِيُضْحِكَ بِهِ القوْمَ فيَكَذِبُ، ويلٌ لَهُ، ويلٌ لَهُ". رواه الترمذي[٥].

قال الشيخ ابن عثيمين: وهذا ما يفعله بعض الناس ويسمُّونها (النكت)، يتكلم بكلام كذب ولكن من أجل أن يضحك الناس، هذا غلط، تكلَّم بكلام مباح من أجل أن تُدخل السرور على قلوبهم، وأما الكلام الكذب فهو حرام[٦]. والحكمة من هذا المنع أنه يجرُّ إلى وضع أكاذيب ملفَّقة على أشخاص معينين يُؤذيهم الحديث عنهم، كما أنه يُعطي ملكة التدرُّب على اصطناع الكذب وإشاعته، فيختلط في المجتمع الحق بالباطل والباطل بالحق.

---

(١) البقرة: ٨.

(٢) المنافقون: ١.

(٣) المنافقون: ١.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٠٢) برقم (١٠٧) كتاب الإيمان باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

(٥) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٥٥٧) برقم (٢٣١٥) أبواب الزهد باب بيان فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس.

(٦) شرح رياض الصالحين (٦/ ١١٧). شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.

قال الشاعر:

لَا يكـذبُ المرءُ إلَّا مِنْ مَهَانتِه   أو عادةِ السوءِ أو من قلَّةِ الأدَبِ

لَعضُّ جيفةِ كلبٍ خيرُ رائحـــةٍ   من كذبةِ المرءِ في جدٍ وفي لَعبِ(١)

والخلاصة: أن الكذب هو رأس الخطايا، وكما قال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-: لأن يضعني الصدق- وقلَّما يضع- أحبُّ إليَّ من أن يرفعني الكذب- وقلَّما يفعل-(٢).

وكما قال عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه-: أعظم الخطايا الكذب، ومن يعفُ يعفُ الله عنه(٣).

---

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٩/ ٣٢). مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، المؤلف: أحمد قبش بن محمد نجيب.

(٢) أدب الدنيا والدين (ص: ٢٦٣). أدب الدنيا والدين، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م.

(٣) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ١٣٨). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.



٦ جمادى الثانية

التحذير من التقليد والتبعية

قال الإمام ابن تيمية: التقليد هو قبول القول بغير دليل[(١)]. وقال الجرجاني: التقليد عبارة عن اتِّباع الإنسانِ غيرَه فيما يقول أو يفعل؛ مُعتقدًا للحقيقة فيه؛ من غير نظر وتأمُّل في الدليل[(٢)].

وقد ورد ذمُّ التقليد والتبعية والنهي عنهما في القرآن الكريم:-

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[(٣)].

قال الإمام السعدي- رحمه الله-: أخبر تعالى عن حال المشركين إذا أُمِروا باتِّباع ما أنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم - ممَّا تقدَّم وصفه- رغبوا عن ذلك، وقالوا: بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا، فاكتفوا بتقليد الآباء، وزهدوا في الإيمان بالأنبياء، ومع هذا فآباؤهم أجهل النَّاس، وأشدُّهم ضلالًا، وهذه شبهة - لردِّ الحقِ- واهيةٌ، فهذا دليلٌ على إعراضهم عن الحقِ، ورغبتهم عنه، وعدم إنصافهم، فلو هُدُوا لرُشْدِهم، وحسن قصدهم، لكان الحقُّ هو القَصْد، ومن جعل الحقَّ قصده، ووازن بينه وبين غيره؛ تبيَّن له الحقُّ قطعًا، واتَّبعه إن كان مُنصفًا. ثمَّ قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[(٤)] [(٥)].

---

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (٢/ ٢٥٢). المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ هـ.

(٢) التعريفات (ص: ٦٤). كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

(٣) البقرة: ١٧٠-١٧١.

(٤) البقرة: ١٧١.

(٥) تفسير السعدي (ص: ٨١).

وقال سبحانه وتعالى: ﴿قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَلۡفِتَنَا عَمَّا وَجَدۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا نَحۡنُ لَكُمَا بِمُؤۡمِنِينَ﴾(١) أي: أجئتنا لتصدَّنا عمَّا وجدنا عليه آباءنا مِن الشِّرك وعبادة غير الله، وتأمرنا بأن نعبد الله وحده لا شريك له؟! فجعلوا قول آبائهم الضَّالين حُجَّةً، يردُّون بها الحقَّ الذي جاءهم به موسى -عليه السَّلام-.

وقال ابن عبد البر بعد ما سرد الآيات التي فيها ذم التقليد كقوله تعالى: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ ۝١٦٦ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡ﴾(٢)، وقوله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢ قَالُواْ وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ﴾(٣). قال: وقد احتج العلماء بهذه الآيات في إبطال التقليد، ولم يمنعهم كفر أولئك من جهة الاحتجاج بها؛ لأن التشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان الآخر، وإنما وقع التشبيه بين التقليدين بغير حجة للمقلد، كما لو قُلِّد رجل فكفر، وقُلِّد آخر فأذنب، وقُلِّد آخر في مسألة دنياه فأخطأ وجهها، كان كلُّ واحد ملومًا على التقليد بغير حجة؛ لأنَّ كلَّ ذلك تقليد يشبه بعضه بعضًا، وإن اختلفت الآثام فيه(٤).

ومما ورد عن ذمِّ التقليد والتبعية في السُّنَّة النَّبويَّة:

عن عدي بن حاتم- رضي الله عنه- قال: أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب، فقال لي: يا عدي بن حاتم؛ ألقِ هذا الوثن من عنقك. وانتهيتُ إليه وهو يقرأ سورة براءة حتى أتى على هذه الآية ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾(٥)، قال: قلتُ: يا رسول الله؛ إنَّا لم نتخذهم أربابًا، قال: بلى، أليس يُحلُّون لكم ما حُرِّم عليكم فتحلونه، ويُحرِّمون عليكم ما أحلَّ الله لكم فتحرِّمونه؟ فقلتُ: بلى، قال: تلك عبادتهم". رواه الترمذي(٦).

---

(١) يونس: ٧٨.

(٢) البقرة: ١٦٦-١٦٧.

(٣) الأنبياء: ٥٢-٥٣.

(٤) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٧٨). جامع بيان العلم وفضله، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.

(٥) التوبة: ٣١.

(٦) رواه قريبًا من هذا اللفظ الترمذي في جامعه (٥/ ٢٧٨) برقم (٣٠٩٥) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة التوبة.



ويجب التفريق بين التقليد والاتباع: فكل من اتَّبعتَ قوله من غير أن يجب عليك قبوله لدليل يوجب ذلك؛ فأنت مُقلِّده، والتقليد في دين الله غير صحيح. وكل من أوجب عليك الدليل اتِّباع قوله؛ فأنت مُتَّبِعه، والاتباع في الدين مشروع.

وللتقليد والتبعية آثارٌ تنعكس سلبًا على الأمة والأفراد، لعل ما يدمي القلب منها فنستشعره في الحياة قبل الممات؛ الانقسام والتشرذم، وفقدان النصير، وانتشار الفساد بأوجهه القبيحة المتعددة، وموالاة الكافرين، وما ينجم عن ذلك من إفساد للعقول ومسخ للثقافة، وربما ارتدادٌ وكفرٌ بعد الإيمان، ثم بعد الموت تكون الحسرة، ويعم الخصام، ويشتعل فتيل اللوم والعتاب، وما يصاحب ذلك كله من استقبال مهين بين الأتباع والمتبوعين.

وأما حكم التقليد: فيتحدد حكم مَن قلَّد غيره، وصار إمعة له بحسب ما يتابع غيره عليه، إن كان كفرًا كان تقليده له كفرًا - إذا تحققت الشروط وانتفت الموانع-، وإن كان بدعة صار فعله بدعة، وإن كان فسقًا كان فعله فسقًا، وهكذا.

ويخرج مِن هذا الحكم ما يلي:

١- متابعة النبي صلى الله عليه وسلم فقد أمر الله تعالى بمتابعته، ولا يُعدُّ هذا من التقليد.

٢- تقليد العامِّي للعلماء فيما يحتاج إليه مِن أمور دينه؛ لأنَّه لا يستطيع البحث ومعرفة الحكم بدليله.

٣- اتِّباع الإجماع وموافقة الجماعة؛ ولذلك قلنا فيمن يُوصف بالإمَّعة: هو الذي يُقلِّد غيره تقليدًا مجرَّدًا عن الشَّرع والعقل.

قال الإمام ابن القيم: وكانوا يُسمُّون- أي: الصحابة والتابعون- المقلِّد الإمعة ومحقب دينه، كما قال ابن مسعود: الإمعة الذي يحقب دينه الرجال، وكانوا يُسمُّونه الأعمى الذي لا بصيرة له، ويسمون المقلِّدين أتباع كل ناعق، يميلون مع كل صائح[1].

ومن آثار التقليد والتبعية: التفرُّق والميل عن سبيل الله، الخذلان وفقدان النصير، التلاعن بين الأتباع والمتبوعين، العذاب المهين والاستقبال المشين في جهنم، التخاصم والتلاوم، التقليد يُعمي عن إدراك الحقائق، المقلِّد يقبل الكلام بغير حجة سواء كان خيرًا أم شرًّا.

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢/ ١٨٤). إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

الخلاصة: أن التقليد من غير دليل مذموم، وما دام للتقليد هذا الوجه البشع، وما دامت له هذه التبعيات الخطيرة، والآثار المؤلمة؛ فلا بدَّ من مواجهته والحدِّ منه، وذلك بالنظر للأمم السابقة، وما حلَّ بها من عقاب لنربأ بأنفسنا عمَّا دنَّسوا أنفسهم به، ولا يستقيم الأمر على هذا النحو، ولا يُجدي الكلام نفعًا دون قدوة حسنة يُقتدَى بها. وما كان للتقليد أن يشيع في الأزمنة كلها، وما كان له أن يتربَّع على عروش الأفئدة؛ لولا عوامل أفرزته وأسباب غذَّته، يقف على رأسها الجهل بحقيقة الألوهية ورسالة الأنبياء. ثم ينازع الجهلَ في القبح اتباعُ الهوى؛ اتباعُه في شبهات تتعلَّق بالعقائد وأخرى بالتشريع، واتباعه فيما تشتهيه النفس، وما يُزيِّنه لها الشيطان والسلطان.

قال الشاعر:

لَا تقنعنَّ ومذهبٌ لك ممكنٌ ... فـإذا تضـايقتِ المطـامعُ فـاقنعِ
ومِـن المـروءةِ قـانعٌ ذو هِمَّـةٍ ... يسـمو لهـا فـإذا نَبـتْ لم يَهلـعِ
مَا كنتُ إمَّعةً ولكن همَّـــة ... تأبى الهوانَ وفسـحة في المنْجَعِ[1]

(١) الآمل والمأمول (ص: ٢، بترقيم الشاملة آليا). الآمل والمأمول، المؤلف: ينُسب لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) ، ولا يُقطع بنسبته إليه، والأرجح أنه لابن المزبان الباحث.



٧ جمادى الثانية

التحذير من البخل والشح

لعل صعوبات الحياة، وما ينتج عنها من الميل إلى العيش الانفرادي، الذي هو سلوك يدفع الإنسان إلى البخل والأنانية ونحوها من الصفات قد قضت على مقابل هذه الصفات من السجايا الطيبة كالكرم والتعاون وأحلت محلها البخل والحرص والشح. ومنذ القِدم نُظِرَ إلى البُخل بوصفه إحدى الرذائل، فالبُخل هو تَرْكُ خُلُق الإيثار عند الحاجة.

ومن المِمكِن أن يتمثَّل البُخل في قِلّة إنفاق المال، أو البُخل في الإصلاح بين الناس، وخاصة إذا كان الإنسانُ صاحبَ قدرة على التأليف بين قلوب الناس، وقد قال بعض الحُكماء عن البُخل: إنَّ الرزق مَقسوم، والحَريص مَحروم، والحَسود مَغموم، والبَخيل مَذموم[(١)].

قال الراغب الأصفهاني: البُخْلُ هو إمساك المقتنيات عمَّا لا يَحقُّ حبسُها عنه[(٢)]. وقال ابن حجر: البخل هو منع ما يُطلب ممَّا يُقتنى، وشرُّه ما كان طالبُه مُستحِقًّا، ولا سيما إن كان من غير مال المسئول[(٣)]. أما الشُّحُّ فهو البُخْل مَع حِرْصٍ. قال النووي: الشُّحُّ: هو البخل بأداء الحقوق، والحرص على ما ليس له[(٤)]. قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- في كتابه شرح رياض الصالحين: والبخل هو منع ما يجب وما ينبغي بذله. والشح: هو الطمع فيما ليس عنده، وهو أشد من البخل؛ لأن الشحيح يطمع فيما عند الناس ويمنع ما عنده. والبخيل يمنع ما عنده مما أوجب الله

---

(١) من قول جعفر بن يحيى. كما في التمثيل والمحاضرة (ص: ١٤٦). التمثيل والمحاضرة، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: الدار العربية للكتاب، الطبعة: الثانية، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ١٠٩). المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ.

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٥٧). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(٤) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢٢٢).

عليه من زكاة ونفقات، ومما ينبغي بذله فيما تقتضيه المروءة. وكلاهما- أعني البخل والشح- خُلُقان ذميمان[١].

ومما لا شك فيه أن الشُّح من أقبح الصفات، فهو مُنافٍ للإيمان، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا يجتمع غبارٌ في سبيل الله ولا دخان جهنم في جوف عبد أبدًا، ولا يجتمع الشحُّ والإيمان في قلب عبد أبدًا". رواه النسائي[٢].

والشُّح يُهلِك صاحبه، وإذا شاع في المجتمعات مزَّقها وأهلكها، قال صلى الله عليه وسلم:" وأما المهلكات: فشحٌّ مُطاع، وهوىً مُتَّبَع، وإعجاب المرء بنفسه ". ذكره الألباني في صحيح الجامع، وقال: حسن من حديث ابن عمر- رضي الله عنه-[٣].

ولهذا حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الخُلق الذميم؛ لأنَّه يُؤدِّي إلى شيوع الظلم، وقطيعة الرحم، وسفك الدماء، وأكل الأموال، فعن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" إياكم والشحَّ؛ فإنَّ الشحَّ أهلك مَن كان قبلكم، أمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا". رواه أبو داود[٤].

وقال محمود الورَّاق- رحمه الله تعالى-:

تمتَّــعْ بمالــكَ قبــلَ الممـــاتِ ... وإلَّا فــلا مــالَ إنْ أنــتَ مُتَّــا

شَـــقِيتَ بـــه ثُـــمَّ خَلَّفْتَـــهُ ... لِغـيرك بُعـدًا وسُحـقًا ومقْتَـا

فجـــادَ عليـــكَ بِـــزُورِ البُـــكَا ... وَجُـدْتَ لـه بالـذي قَـدْ جَمَعتَـا

وأعطيتَه كُـلَّ مــــا في يديكَ ... فَخلَّاك رَهنًا بمَا قَـدْ كَسَبتَا[٥]

---

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٤١٠).

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى (٤/ ٢٧٥) برقم (٤٣٠٣) كتاب الجهاد فضل من عمل في سبيل الله على قدمه. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن النسائي (٧/ ١٨٢). صحيح وضعيف سنن النسائي، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٣) الحديث أخرجه البزار في البحر الزخار (٨/ ٢٩٥) برقم ٣٣٦٦، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٥٨٤). وقد ذكره في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ٤١٢).

(٤) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٢٦) برقم (٦٤٨٧). وأبو داود في سننه (٢/ ١٣٣) برقم (١٦٩٨) كتاب الزكاة باب في الشح. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٩٥) برقم (١١٥١٩) كتاب التفسير باب قوله تعالى: "ومن يوق شح نفسه". والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٤/ ١٩٨).

(٥) مساوئ الأخلاق للخرائطي (ص: ١٦٨). مساوئ الأخلاق ومذمومها، المؤلف: أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ)، حققه وخرج نصوصه وعلق عليه: مصطفى بن أبو النصر الشلبي، الناشر: مكتبة السوادي للتوزيع، جدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.



وقد ذمَّ الله- تبارك وتعالى- البخل في غير آية من كتابه الكريم، وتوعَّد أصحابه بوعيد شديد، وعقوبات تلحقهم في الدنيا والآخرة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (١) أي: ولا يظنُّ الذين يبخلون، أي: يمنعون ما عندهم ممَّا آتاهم الله من فضله، من المال والجاه والعلم، وغير ذلك مما منحهم الله، وأحسن إليهم به، وأمرهم ببذْل ما لا يضرُّهم منه لعباده، فبخلوا بذلك، وأمسكوه، وضنُّوا به على عباد الله، وظنُّوا أنَّه خير لهم، بل هو شرٌّ لهم، في دينهم ودنياهم، وعاجلهم وآجلهم؛ ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾(٢)، أي: يُجعَل ما بخلوا به طوقًا في أعناقهم؛ يُعذَّبون به. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾(٣) أي: يجمعون بين الأمرين الذميمين، اللذَينِ كلٌّ منهما كافٍ في الشرِّ؛ البخل وهو منع الحقوق الواجبة، ويأمرون الناس بذلك، فلم يكفهم بُخلهم، حتى أمروا الناس بذلك، وحثّوهم على هذا الخلق الذميم، بقولهم وفعلهم، وهذا من إعراضهم عن طاعة ربهم، وتولِّيهم عنها.

وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول:" اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين، وغلبة الرجال". رواه البخاري(٤).

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال:" ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل البخيل والمتصدِّق، كمثل رجلين عليهما جنتان من حديد، قد اضطرت أيديهما إلى ثديهما وتراقيهما، فجعل المتصدِّق كلَّما تصدَّق بصدقة انبسطت عنه، حتى تغشي أنامله وتعفو أثره، وجعل البخيل كلَّما همَّ بصدقة قلصت، وأخذتْ كل حلقة مكانها، قال: فأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بإصبعه في جيبه، فلو رأيتُه يُوسِّعها ولا تُوسع". رواه البخاري ومسلم(٥).

---

(١) آل عمران: ١٨٠.

(٢) آل عمران: ١٨٠.

(٣) الحديد: ٢٤.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٣٦) برقم (٢٨٩٣) كتاب الجهاد والسير باب من غزا بصبي للخدمة.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٤١) برقم (٢٩١٧) كتاب الجهاد والسير باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم والقميص في الحرب. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٨) برقم (١٠٢١) كتاب الزكاة باب مثل المنفق والبخيل.

ومن آثار البخل والشح:

١- الشحُّ من صفات المنافقين: قال الله تعالى في وصف المنافقين: ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[١].

٢- الشحُّ أسوأ صفات الإنسان: قال السعدي: أشحَّة على الخير الذي يُراد منهم، وهذا شرُّ ما في الإنسان، أن يكون شحيحًا بما أمر به، شحيحًا بماله أن ينفقه في وجهه، شحيحًا في بدنه أن يجاهد أعداء الله، أو يدعو إلى سبيل الله، شحيحًا بجاهه، شحيحًا بعلمه، ونصيحته ورأيه[٢].

٣- الشح سببٌ الخسران في الدنيا والآخرة: قال تعالى:﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[٣].

قال السعدي: لعلَّ ذلك شامل لكلِّ ما أُمر به العبد، ونُهي عنه، فإنَّه إن كانت نفسه شحيحة، لا تنقاد لما أُمرت به، ولا تخرج ما قبلها؛ لم يفلح، بل خسر الدنيا والآخرة[٤].

والخلاصة: أنَّ البخل مذموم وأن البخيل محروم ولو امتلك كنوز الدنيا كلها، دخل الحسن البصري على بخيل يحتضر، فرآه ينظر إلى صندوق في بيته، ثم قال: يا أبا سعيد، ما تقول في مائة ألف في هذا الصندوق لم أؤدِّ منها زكاةً، ولم أصِلْ منها رحمًا؟ قال الحسن: ثكلتك أمك، ولمَ كنْتَ تجمعُها؟ قال: لروعة الزمان، وجَفوة السلطان، ومكاثرة العشيرة. ثم مات، فلما فرغوا من دفنه؛ قال الحسن- رحمه الله-: انظروا إلى هذا المسكين، أتاه شيطانه فحذّره روعة زمانه، وجفوة سلطانه، ومكاثرة عشيرته، عمَّا رزقه الله إياه وغمره فيه[٥].

---

(١) الأحزاب: ١٩.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٦٦١).

(٣) الحشر: ٩.

(٤) تفسير السعدي (ص: ٨٦٨).

(٥) التذكرة الحمدونية (٢/ ٣٦٥). التذكرة الحمدونية، المؤلف: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: ٥٦٢هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.



٨ جمادى الثانية

التحذير من الجدال والمراء

إن من أكثر مداخل الشيطان التي يجد للناس منها مدخلًا إليهم الجدال، وذلك لأن كل واحد من المتجادلين يريد أن يثبت حجته، ويدحض حجة خصمه، ويظهر ضعفه، وربما حقر رأيه، وسفه حلمه، وكثيرًا مَا يُصاحب ذلك دفع الحق وعدم قبوله، فيكون قد وقع في الكبر باحتقار مَن أمامه، وبطر الحق، فيكون الجدال سببًا للقطيعة بينهما مع ما يجده كلٌّ واحد منهما من الضغينة والحقد بسبب الجدال.

والجدال والمراء في القرآن الكريم وفي دين الله تعالى؛ قد عدَّهُ صاحب الزواجر من الكبائر، فقال: الكبيرة التاسعة والستين: الجدال والمراء، وهو المخاصمة والمحاججة، وطلب القهر والغلبة في القرآن أو الدين، فعن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنه صلى الله عليه وسلم قال:" لا تجادلوا في القرآن؛ فإنَّ جدالًا فيه كفر". أخرجه أبو داود الطيالسي[(١)(٢)].

وقد ورد ذم الجدال والمراء والنهي عنهما في القرآن الكريم؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّ﴾[(٣)]. وقال سبحانه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾[(٤)].

وقال جلَّ شأنه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[(٥)].

وقال السعدي: ينهى تعالى عن مجادلة أهل الكتاب، إذا كانت من غير بصيرة من المجادِل، أو بغير قاعدة مرضية، وأن لا يُجادلوا إلا بالتي هي أحسن، بحسن خلق ولطف ولين كلام، ودعوة إلى

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده (٤/ ٤٣) برقم (٢٤٠٠). مسند أبي داود الطيالسي، المؤلف: أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الطيالسي البصرى (المتوفى: ٢٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر – مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٥/ ٥٤٥).

(٢) ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٢٠٢).

(٣) البقرة: ١٩٧.

(٤) الحج: ٨.

(٥) العنكبوت: ٤٦.

الحقِّ وتحسينه، وردٍّ عن الباطل وتهجينه، بأقرب طريق مُوصِّل لذلك، وأن لا يكون القصد منها مجرد المجادلة والمغالبة وحبِّ العلو، بل يكون القصد بيان الحقِّ وهداية الخلق، إلا من ظلم من أهل الكتاب، بأن ظهر من قصده وحاله، أنه لا إرادة له في الحق، وإنما يجادل على وجه المشاغبة والمغالبة، فهذا لا فائدة في جداله؛ لأن المقصود منها ضائع(١).

وعن أبي أمامة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما ضلَّ قوم بعد هُدىً كانوا عليه إلَّا أُوتوا الجدل. ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلَاۢ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٌ خَصِمُونَ﴾(٢) رواه الترمذي(٣).

وهناك العديد من الأسباب والدوافع التي تُؤدِّي إلى المراء والجدال:

١- التربية الخاطئة من قِبل الشيخ والمربِّي على الجدال تلقيًّا؛ كتعلُّم فنِّ الجدال والمناظرة قبل أوانه، أو اقتداءً وتقليدًا؛ كرؤية وتتبُّع سلوكه في خطابه ومناظراته.

٢- ضحالة التحصيل العلمي والمعرفي، وضعف الرسوخ في أصول ونصوص الكتاب والسُّنَّة.

٣- الكِبر والغرور، فلا تسمح له نفسُه بالإذعان للحق الذي عرَفه واتَّضح له.

٤- إعجاب المرء بنفسه وبما حصَّله من علوم ومعارفَ، وغرورُه بالمكانة الوهمية التي تحصَّل عليها.

٥- الجهل بالذات وقدرها، وبالآخرين ومكانتهم، فينظر إليهم على أنهم جهلة لا يعلمون شيئًا.

٦- حب الانتصار والانتقام من الآخرين حسدًا وحقدًا عليهم، وقد كان الشافعيُّ- رحمه الله- يقول:" ما كلَّمتُ أحدًا قطُّ إلَّا أحببتُ أن يُوفَّق ويُسدَّد ويُعان، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما كلمتُ أحدًا قطُّ إلَّا ولم أبالِ بيَّن اللهُ الحقَّ على لساني أو لسانِه"(٤).

٧- فراغ القلب مِن تقوى الله ومعرفته، وبالتالي يحصل التشويش على الحق والصواب.

٨- الغفلة عن العواقب المترتبة على الجدال والمراء.

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٦٣٢).

(٢) الزخرف: ٥٨.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٤٩٣) برقم (٢٢١٦٤). والترمذي في جامعه (٥/ ٣٧٨) برقم (٣٢٥٣) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة الدخان. وابن ماجه في سننه (١/ ١٩) برقم (٤٨) افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب اجتناب البدع والجدل. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (١/ ١٢٠).

(٤) الفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٢/ ٥٠). الفقيه والمتفقه، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، الناشر: دار ابن الجوزي – السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢١هـ.



ومن آثار الجدال والمراء غير المحمود أنه من فضول الكلام الذي يُعاب عليه صاحبُه، وقد يُؤدِّي الجدال الباطل إلى تكفير الآخرين أو تفسيقهم، كما يُذكي العداوة، ويُورث الشقاق بين أفراد المجتمع. وقد يقود صاحبه إلى الكذب، وإلى التطاول والتراشق بالألسنة، ويُؤدِّي بالمجادِل إلى إنكار الحقِّ وردِّه.

أمَّا عن كيفية العلاج من هذا المرض الخطير فبأمور منها:

١- تربية النفس على محبة الله وتوحيده ومعرفته، والسعي لتحصيل مرضاته.

٢- القيام بواجب النصيحة، والتحلِّي بآدابها؛ بحيث تؤتي ثمارَها في توجيه المناظر إلى الجدال بالتي هي أحسن.

٣- سَعْي المربي الجاد إلى تربية مريديه وأتباعه على حب الحق والوصول إليه بالمعرفة المتواصلة لأحكام الشريعة السمحاء.

٤- الابتعاد عن تعلم فن الجدال والمناظرة قبل اكتمال الأهلية في العلم، فإن كان ولا بدَّ من الجدال؛ فالواجب التأدُّب بآداب الجدال التي بيَّنتْها كتبُ الدعوة إلى الإسلام.

٥- غَرْس مفاهيم احترام الآخرين وتقديرهم، ولو اختلفت الأفكار والأقوال، والابتعاد عن مفهوم إلغاء المخالفين.

٦- تعويد النفس على الجرأة والشجاعة في الاعتراف بالخطأ وقَبول الحق من أي أحد.

٧- الابتعاد عن الأفراد المتعصِّبين والذين يُحبُّون الخوض بالباطل، وكذلك الامتناع عن مناقشة مثل هؤلاء الأشخاص؛ حيث سيجرُّ الإنسان إلى الجدال والمراء وإن كان غير قاصد لذلك.

الخلاصة: إن الجدال في القرآن الكريم وفي دينِ الله كبيرةٌ من الكبائر، أما إذا كان لإحقاق الحق وإبطال الباطل، فهذا مطلوب، إذا استكمل المرءُ أدواته ومقدماته؛ حتى لا يخذل الحق فينهزم أمام جيوش الباطل.

فإيَّاكَ إيَّاكَ المِراءَ فإنَّهُ   إلى الشرِّ دَعَّاءٌ وللصَّرمِ جَالبُ[1]

قال قيس بن السَّائب: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي في الجاهلية، فكان خيرَ شريك، فكان لا يُدارِي ولا يماري[2].

---

(١) البيت للصاحب بن عباد، ينظر: الدر الفريد وبيت القصيد (٥/ ١٢٨). الدر الفريد وبيت القصيد، المؤلف: محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩ هـ - ٧١٠ هـ)، المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

(٢) رواه الطبراني في المعجم الأوسط (٢/ ١٤٥) برقم (١٥٢٢). المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين — القاهرة.

وقال معاذ بن جبل– رضي الله عنه–:" إذا أحببتَ رجلًا فلا تُمارِه، ولا تُشَارِه، ولا تَسْأَلْ عَنهُ أحَدًا، فَعَسى أن توفِي لهُ عَدُوًّا، فيخبرَك بما ليسَ فيهِ، فيفرِّقَ ما بينَك وبينَهُ"[١]. وقال لقمان لابنه:" يا بُنيَّ؛ لا تُمارِيَنَّ حكيمًا، ولا تُجادِلّنَّ لجوجًا، ولا تُعاشِرَنَّ ظلومًا، ولا تُصاحِبَنَّ مُتَّهَمًا"[٢].

لنــا صَــاحِبٌ مُولــعٌ بِالخِـلافِ　　كثـيرُ المــــــراءِ قليلُ الصَّـــوَابِ
أشــدُّ لجاجًــا من الخنفســـــاءِ　　وأزهى – إذا ما مشى – مِن غُرابِ[٣]

---

(١) أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة (ص: ١٦٣) برقم ٢٠٠.

(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: ٩٤، بترقيم الشاملة آليا). بهجة المجالس وأنس المجالس، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ).

(٣) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب (ص: ٤٣٥). ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، الناشر: دار المعارف – القاهرة.



٩ جمادى الثانية

التحذير من الجفاء

الجفاء مظهر من مظاهر سوء الخلق، وصفة ذميمة تورث الوحشة والتفرقة بين الناس، وتقطع ما أمر الله تعالى به أن يُوصَل، فكم من بيت تهدَّم وخرب بسببه، وكم من نفرة وجفوة بين الأحبة حدثت بسبب الخرق في المعاملة، وغلظة الطبع، وترك الرفق في الأمور.

والجفاء قد يكون تطبُّعًا، وقد يكون طبعًا، وكلاهما سيئ، والمؤمن الحق يتدارك نفسه بالابتعاد عن صوره وأسبابه.

فما هو الجَفَاء؟ هو الغِلَظ في العِشْرَة، والخُرْق في المعاملة، وترك الرِّفق في الأمور. قال المباركفوري: الجَفَاء: غِلَظ الطَّبع[١]، وقال العيني: الجَفَاء هو: الغِلَظ في الطَّبع لقلَّة مخالطة النَّاس[٢]. وقال يحيى بن معاذ: حقيقة المحبَّة لا يزيدها البرُّ، ولا ينقصها الجفاء[٣].

وقد ذَمَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم الجَفَاء ونهى عنه؛ فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال:" الحياء مِن الإيمان، والإيمان في الجنَّة، والبَذَاء مِن الجَفَاء، والجَفَاء في النَّار". رواه الترمذي[٤].

ففي هذا الحديث؛ بيَّنَ المصطفى صلى الله عليه وسلم أنَّ الإيمان والحياء مترابطان متلازمان، وهما معًا يقودان صاحبهما إلى الجنَّة، وفي المقابل فإنَّ البَذَاء- وهو فُحْش القول والسَّيِّئ منه— متلازم مع الجَفَاء، فهو صِنْوُه الذي لا يفارقه، وهما يسوقان صاحبهما إلى النَّار.

---

(١) تحفة الأحوذي (١/ ٥٧). تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، المؤلف: أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفورى (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣/ ٩٦). عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت.

(٣) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٣/ ١٧). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي — بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٦/ ٣٠٥) برقم (١٠٥١٢). والترمذي في جامعه (٤/ ٣٦٥) برقم (٢٠٠٩) أبواب البر والصلة باب ما جاء في الحياء. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠٠) برقم (٤١٨٤) كتاب الزهد باب الحياء. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ٨٩٣).



وعن ابن عبَّاس– رضي الله عنهما– عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال:" مَن سكنَ البادية جَفَا، ومَنِ اتَّبع الصَّيد غفل، ومَن أتى السُّلطان افتُتِن". رواه أبو داود والترمذي وصححه الألباني(١).

وفي هذا الحديث يُبيِّنُ رسول الله صلى الله عليه وسلم سببًا مِن أسباب الجَفَاء والغِلْظَة في الطَّبع والمعاملة، وهذا السَّبب هو السُّكنى في البادية والعيش فيها؛ لما في ذلك مِن بُعدٍ عن النَّاس، والبُعد عن معاشرتهم التي تُولِّد الرِّقة في القلب، والعطف في المعاملة، وكذلك لأنَّها تُؤدِّي إلى البُعد عن مواطن العلم ومجالس الذِّكر.

قال السيوطي:" مَن سكن البادية جَفَا". أي: غَلُظ طبعه، وصار جافيًا بعد لطف الأخلاق؛ لفقد مَن يُروِّضه ويُؤدِّبه(٢). وقال المباركفوري: وهو الغالب على سُكَّان البوادي؛ لبُعدهم عن أهل العلم، وقلَّة اختلاطهم بالنَّاس، فصارت طباعهم كطباع الوحوش(٣).

وقال ابن تيمية– رحمه الله–: فيه أنَّ سُكنى القرى يقتضي مِن كمال الإنسان في رِقَّة القلب وغيرها ما لا تقتضيه سُكنى البادية، فهذا الأصل موجب كون جنس الحاضرة أفضل مِن جنس البادية، وقد يتخلَّف المقتضي لمانع(٤).

قال مالك بن أنس– رضي الله عنه–: ما قلَّت الآثار في قوم إلَّا كَثُرَت فيهم الأهواء، وإذا قلَّت العلماء ظهر في النَّاس الجَفَاء(٥).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٣٦١) برقم (٣٣٦٢). وأبو داود في سننه (٣/ ١١١) برقم (٢٨٥٩) كتاب الصيد باب في اتباع الصيد. والترمذي في جامعه (٤/ ٥٢٣) برقم (٢٢٥٦) أبواب الفتن باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٤٧٥) برقم (٤٨٠٢) كتاب الصيد، اتباع الصيد. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٦/ ٣٥٩).

(٢) قوت المغتذي على جامع الترمذي (٢/ ٥٤٧). قوت المغتذي على جامع الترمذي، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، إعداد الطالب: ناصر بن محمد بن حامد الغريبي، إشراف: فضيلة الأستاذ الدكتور/ سعدي الهاشمي، الناشر: رسالة الدكتوراة – جامعة أم القرى، مكة المكرمة – كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الكتاب والسنة، عام النشر: ١٤٢٤ هـ.

(٣) تحفة الأحوذي (٦/ ٤٤٠).

(٤) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (١/ ٤١٥). اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

(٥) صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام (ص: ٩٦). صون المنطق والكلام عن فني المنطق والكلام (مطبوع معه: جهد القريحة في تجريد النصيحة)، المؤلف: جلال الدين السيوطي، المحقق: : الدكتور علي سامي النشار، السيدة سعاد علي عبد الرازق، الناشر: مجمع البحوث الإسلامية.



وقال سفيان الثوري: إيَّاكَ ومجالسةَ أهل الجَفَاء، ولا تصحب إلَّا مؤمنًا، ولا يأكل طعامك إلَّا تقيٌّ، ولا تصاحب الفاجر ولا تجالسه[1].

وعن محمَّد بن إسحاق السَّرَّاج، قال: كتب إليَّ ابن أبي الدُّنيا مِن بغداد: يا أخي؛ عزيزٌ عليَّ جفاء مثلك، وما أنت إلَّا كما قيل:

أتجفو خليلًا لمْ يَخُنكَ مودَّةً عزيزٌ علينا أن نراكَ كذالكَ[2]

ومن صور الجَفَاء:

١- جفاء الإنسان ربَّه: وهو مولاه والمطَّلع عليه، ويُحدِّثنا ابن القيّم عن هذا النَّوع مِن أنواع الجَفاء، فيقول: أمَّا قوله: والصَّبر عن الله جَفَاء، فلا جَفَاء أعظم ممَّن صبر عن معبوده وإلهه ومولاه، الذي لا مولى له سواه، ولا حياة له ولا صلاح ولا نعيم إلَّا بمحبَّتِهِ والقرب منه، وإيثار مرضاته على كلِّ شيء، فأيُّ جفاء أعظم مِن الصَّبر عنه[3].

وقال بعض الحكماء: لا تجف ربَّك، بأن تشتغل بخدمة غيره مِن المخلوقين[4].

٢- جفاء النبي صلى الله عليه وسلم: ومِن ذلك أنَّه لا يُصلِّي عليه إذا ذُكِر عنده، عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" رَغِم أَنْف رَجُل ذُكِرْتُ عنده فلَمْ يُصَلِّ عليَّ ". رواه الترمذي[5].

٣- جفاء الوالدين، بالتَّأفُّف وغِلَظ القول لهما، أو قطعهما ونحوه، وهذا مِن أعظم الجَفَاء وأشدِّه، بل هو العقوق بعينه، إذ كيف يجفو المرء مَن كانا سببًا في وجوده، ومَن تعبا على تربيته، وبَذَلا

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٧/ ٤٧). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٢) الإرشاد في معرفة علماء الحديث للخليلي (٣/ ٨٢٩). الإرشاد في معرفة علماء الحديث، المؤلف: أبو يعلى الخليلي، خليل بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن الخليل القزويني (المتوفى: ٤٤٦هـ)، المحقق: د. محمد سعيد عمر إدريس، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

(٣) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٥١). عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دمشق، بيروت/مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

(٤) ينظر: تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص: ٣٧١).

(٥) رواه أحمد في مسنده (١٢/ ٤٢١) برقم (٧٤٥١). والترمذي في جامعه (٥/ ٥٥٠) برقم (٣٥٤٥) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح"كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ٤٥).



جهدهما مِن أجل راحته. بل عدَّ السَّلف مناداة الرَّجل لوالده باسمه مُجرَّدًا مِن الجَفَاء، قال طاوس: مِن الجَفَاء أن يدعو الرَّجل والده باسمه(١)؛ فكيف بمَن يعاملهما بما هو أشدُّ مِن ذلك سوءًا؟!

٤- ومِن صور الجَفَاء المتفشِّية في المجتمع: جفاء الرَّجل زوجته وأبناءه، وذلك مِن أعظم أسباب الفراق وتفكُّك الأُسر، فتجده إذا دخل بيته تغيَّرت صورته، وعلا صوته، فنهر هذا، وضرب ذاك، وربَّما يكون ذلك بدون سبب أو مُبرِّر، فيتحوَّل البيت مِن سكن إلى حجيم، ومِن طمأنينة إلى قلق وإزعاج، وكلُّ ذلك بسبب جفاء الرَّجل وقسوة طبعه.

يقول ابن السعدي: وكذلك رحمة الأطفال الصِّغار، والرِّقَّة عليهم، وإدخال السُّرور عليهم مِن الرَّحمة، وأمَّا عدم المبالاة بهم، وعدم الرِّقَّة عليهم؛ فمِن الجَفَاء والغِلْظَة والقسوة، كما قال بعض جُفاة الأعراب حين رأى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه يُقبِّلون أولادهم الصِّغار، فقال ذلك الأعرابي: إنَّ لي عشرة مِن الولد ما قبَّلتُ واحدًا منهم، فقال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: " أَوَ أَمْلِكُ لكَ شيئًا أن نزع الله مِن قلبك الرَّحمة؟!". رواه البخاري ومسلم(٢)(٣).

وقال ابن عثيمين: أمَّا ما يفعله بعض النَّاس مِن الجَفَاء والغِلْظَة بالنِّسبة للصِّبيان، فتجده لا يُمكِّن صبيَّه مِن أن يحضر على مجلسه، ولا أن يُمكِّن صبيَّه مِن أن يطلب منه شيئًا، وإذا رآه عند الرِّجال انتهره، فهذا خلاف السُّنَّة، وخلاف الرَّحمة(٤).

الخلاصة: أن الجَفَاء خلق مذموم وهو من ضعف الإيمان وقلَّة العلم، وهو من تزيين الشَّيطان، وربما يكون عن حسد؛ فإنَّه إذا شاع الحسد بين النَّاس، وحسد بعضهم بعضًا زال الخير عنهم، وحلَّ الجَفَاء، واشتعلت نار الفتنة، وعمَّتهم المصيبة والمحنة.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٠/ ٢٩١) برقم (٧٥١٠). شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٣ م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧) برقم (٥٩٩٨) كتاب الأدب باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٨) (٢٣١٧) كتاب الفضائل باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك.

(٣) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار (ص: ١٨٩). بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الكريم بن رسمي ال الدريني، دار النشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

(٤) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥٥١). شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.



لذا علينا النُّصح والتَّوجيه لمن اتَّصف بهذه الصِّفة، والمعاتبة بالحسنى حتى يرعوي، وقديمًا قال بعض الحكماء: العتاب علامة الوفاء، وسلاح الأكفاء، وحاصد الجَفَاء[1]. وقال أبو حاتم البستي: إنَّ مِن أعظم الجَفَاء ترك العتاب[2].

وقد يكون الحلُّ أحيانًا؛ مقابلة الجَفَاء بالجَفَاء، فإنَّ بعض النَّاس قد يكون هيِّنًا ليِّنًا، رقيق الطَّبع غير جافٍ، إلَّا أنَّ جفاء الجفاة قد يُحوِّلُه إلى جافٍ مِن باب المقابلة بالمثل، حاله في ذلك كحال القائل:

مِن البرِّ أن تلقى الجَفَاءَ بِمِثلِهِ ... لِيعطفَ مَن يَجفو على وَصْلِ صَاحِبِهِ[3]

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: ١٥٥، بترقيم الشاملة آليا).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٨٢).

(٣) الدر الفريد وبيت القصيد (٩/ ٣٢٠).

١٠ جمادى الثانية

التحذير من الجزع

مَن في هذه الدنيا يخلو من الابتلاءات أيًّا كان نوعها؟ ومَن في هذه الدنيا صفت له الحياة من كل جوانبها؟ حتى الأنبياء والمرسلون لم يسلموا من ابتلاءاتها ومنغصاتها؛ فليست الدار الدنيا دارًا للراحة الكاملة أو السعادة الدائمة، ما على هذا طُبعتْ، ولا على ذلك خُلقتْ، قال الله تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِي كَبَدٍ﴾[١].

فما هو الجزع؟ الجَزَع: هو إظهار ما يلحق المصَاب مِن المضَض والغَمِّ[٢]. وقيل: هو حُزْن يَصْرِف الإنسان عمَّا هو بصدده ويَقْطَعه عنه[٣].

والجَزَع على قسمين: ١- الجَزَع في الخطايا.   ٢- الجَزَع في المصائب.

وفي ذلك يقول سعيد بن جبير عندما سُئل عن الجَزَع، فقال: الجَزَع على نحوين؛ أحدهما في الخطايا، أن يجزع الرَّجل إليها، والآخر في المصائب، فأمَّا جزع المصيبة: فهو ألَّا يحتسبها العبد عند الله، ولا يرجو ثوابها، ويرى أنَّه سوءٌ أصابه، فذلك الجَزَع، ويفعل ذلك وهو مُتجلِّدٌ لا يبين منه إلَّا الصَّبر[٤].

والفرق بين الجَزَع ورِقَّة القلب: قال ابن القيِّم: إنَّ الجَزَع ضعفٌ في النَّفس، وخوفٌ في القلب، يمدُّه شدَّة الطَّمع والحرص، ويتولَّد مِن ضعف الإيمان بالقَدَر، فمتى عَلِم أنَّ المقَدَّر كائنٌ- ولا بدَّ- كان الجَزَع عناءً محضًا ومصيبة ثانية. أمَّا رِقَّة القلب فإنَّها مِن الرَّحمة، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرَقَّ النَّاس قلبًا، وأبعدهم مِن الجَزَع، فرِقَّة القلب رأفةٌ ورحمةٌ، وجَزَعُه مرضٌ وضعفٌ، فالجَزَع حال قلبٍ مريضٍ بالدُّنيا، قد غشيه دخان النَّفس الأمَّارة، فأخذ بأنفاسه، وضيَّق عليه مسالك

---

(١) البلد: ٤.

(٢) الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٢٠١). الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، الناشر: دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر.

(٣) الكليات (ص: ٣٥٤). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، سنة النشر: بدون.

(٤) الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (ص: ١٢٩). الصبر والثواب عليه، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ) المتوفى ٢٨١ هـ، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

الآخرة، وصار في سجن الهوى والنَّفس، وهو سجنٌ ضيِّق الأرجاء، مظلم المسلك، فانحصار القلب وضيقه يجعله يَجْزَع مِن أدنى ما يُصيبه ولا يحتمله، فإذا أشرق فيه نور الإيمان واليقين بالوعد، وامتلأ مِن محبَّة الله وإجلاله، رَقَّ وصارت فيه الرَّأفة والرَّحمة، فتراه رحيمًا رقيق القلب بكلِّ ذي قُرْبَى ومسلم، يرحم النَّملة في جُحرها، والطَّير في وَكْرِه، فضلًا عن بني جنسه، فهذا أقرب القلوب مِن الله تعالى[١].

وعلى الإنسان أن يعلم أن الجزع وصف ذميم، يزيد الشامتين شماتة، ويزيد الأعداء تمكُّنًا من الإنسان، ولن يُحقِّق له أيَّ هدف من أهدافه، ولن يُوصله إلى أيِّ مستوى من المستويات التي يطلبها؛ ولهذا كان أهل الجاهلية يتجلَّدون لأعدائهم، حتى قال أحدهم :

وتَجلُّدي للشامتين أُريهِمُ   أنِّي لريبِ الدهرِ لا أتضعضعُ[٢]

فالجزع لا خير فيه؛ لأنه اعتراض على الله سبحانه وتعالى في قدره وملكه، وكل ما في هذه الدنيا يتصرَّف فيه الباري سبحانه وتعالى تصرُّف المالك في ملكه، فإذا أخذ شيئًا منه فهو الذي منحه من قبل، وهو الذي أخذه بعد ذلك، وذكر لنا سبحانه وتعالى قولَ القائلين: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡنَآ أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾[٣].

قال ابن عاشور: وجملة ﴿أَجَزِعۡنَآ أَمۡ صَبَرۡنَآ﴾ مِن كلام الذين استكبروا، وهي مستأنفة تُبيِّن عن سؤالٍ مِن الضُّعفاء، يستفتون المستكبرين: أيصبرون أم يجزعون، تطلُّبًا للخلاص مِن العذاب، فأرادوا تأييسهم مِن ذلك، يقولون: لا يفيدنا جَزَعٌ ولا صَبْرٌ، فلا نجاة مِن العذاب[٤].

وقال تعالى:﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ﴾[٥]. قال السعدي- رحمه الله-: فيَجْزَع إن أصابه فقرٌ أو مرضٌ، أو ذهابُ محبوبٍ له، مِن مالٍ أو أهلٍ أو ولدٍ، ولا يستعمل في ذلك الصَّبر والرِّضا بما قضى الله[٦].

قال خبيب بن عدي- رضي الله عنه- للمشركين حين أرادوا قتله: ذروني أركع ركعتين، فتركوه، فركع ركعتين، ثمَّ قال:" لولا أن تظنُّوا أنَّ ما بي جَزَعٌ؛ لطوَّلتها". رواه البخاري[١].

---

(١) الروح (ص: ٢٥٠).
(٢) الحماسة المغربية (٢/ ٨٠٤).
(٣) إبراهيم: ٢١.
(٤) التحرير والتنوير (١٣/ ٢١٧). التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ.
(٥) المعارج: ١٩-٢٢.
(٦) تفسير السعدي (ص: ٨٨٧).

قال علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- للأشعث بن قيس: إنَّك إن صبرتَ؛ جرى عليك القلم وأنتَ مأجورٌ، وإن جَزِعتَ؛ جرى عليك القلم وأنتَ مأزورٌ(٢).

قال رجل مِن الحكماء: إنَّما الجَزَع والإشفاق قبل وقوع الأمر، فإذا وقع فالرِّضا والتَّسليم(٣). وقال عمرو بن دينار: قال عبيد بن عمير: ليس الجَزَع أن تدمع العين، ويحزن القلب، ولكن الجَزَع: القول السَّيِّئ والظَّنُّ السَّيِّئ(٤).

قيل للأحنف: إنَّك لصبورٌ على الجَزَع، فقال: الجَزَع شرُّ الحالين؛ يُباعد المطلوب، ويُورث والحسرة، ويُبقي على صاحبه العار(٥).

ومن صور الجَزَع: تمنِّي الموت، وضرب الخدود، وشقُّ الثِّياب، ونشر الشّعر، والدُّعاء بالويل والثُّبور.

ومن الوسائل المعينة على ترْك الجَزَع:

قوَّة الإيمان؛ فعن صهيب- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" عجبًا لأمر المؤمن، إنَّ أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلَّا للمؤمن، إن أصابتْه سراءُ شكر، فكان خيرًا له، وإن أصابتْه ضراءُ صبر، فكان خيرًا له". رواه مسلم(٦).

كما أنَّ ذكْر الله تعالى يُعين على الثَّبات في الشَّدائد، قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾(٧). ذكر القرطبيُّ أقوالًا للعلماء في معنى هذه الآية، منها: اذكروا الله عند جَزَع قلوبكم، فإنَّ ذِكْرَه يُعين على الثَّبات في الشَّدائد(٨).

والخلاصة: أن الجزع من الصفات المذمومة وقد تكون مدعاة لسخط الله سبحانه وتعالى ومقته، إذ هو اعتراض عليه في مُلْكه، وقد رُوي أن الإمام سليمان بن مهران الأعمش كانت له زوجة هو بها

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٦٧) برقم (٣٠٤٥) كتاب الجهاد والسير باب: هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر، ومن ركع ركعتين عند القتل.

(٢) أدب الدنيا والدين (ص: ٢٨٨). أدب الدنيا والدين، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م.

(٣) الكامل في اللغة والأدب (٤/ ٣٢). الكامل في اللغة والأدب، المؤلف: محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي – القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٤) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ٩٩)

(٥) بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: ٢٥١، بترقيم الشاملة آليا).

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٩٥) برقم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق باب المؤمن أمره كله خير.

(٧) الأنفال: ٤٥.

(٨) تفسير القرطبي (٨/ ٢٣). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.



مُعجبٌ، فماتت فجأة، فحزن عليها حزنًا شديدًا، واحتجب عن الناس ولم يخرج لتدريس مَن يدرسون العلم، فبينما هو على ذلك جاءت امرأة فاستأذنتْ عليه، فلم يأذن لها، فقالت: إنها لن تبرح الباب حتى يخاطبها، وإنها في ضرورة وأمرٍ ماسٍّ لا بدَّ من إجابة الشيخ فيه. فلما رأى إلحاحها وإصرارها دنا من الباب، فسلَّم فخاطبتْه فقالت: إنَّ لي أختًا كانتْ أعارتني عقدًا ثمينًا، وتمتَّعتُ به مدة من الزمن، ثم بعد هذا أرادتْ أن أعيده إليها، وأنا لا أصبر عنه ولا أقبل ذلك، فقال: أنتِ ظالمة، كيف تُحسن إليك هذه المدة الطويلة بهذا العقد الثمين، وتنتفعين به هذه المدة، ثم بعد ذلك تطلبه وهي مالكته، فتمتنعين من إرجاعه إليها؟ فقالت: أيها الشيخ؛ إن الله سبحانه وتعالى كان قد أسدى إليك أهلك، وهي مِلكٌ له وليست مِلكًا لك، ثم أخذها واستردَّها، فما هي إلَّا وديعة، فكأنَّ الشيخ سُرِّي عنه ما به، فدعا لها وانصرفتْ[١]. وهذا المعنى أخذتْه من قول لبيد بن ربيعة العامري:

وَمَا المالُ وَالأهلُونَ إلَّا وديعةٌ ... ولا بُدَّ يومًا أن تُردَّ الوَدَائِعُ[٢]

---

(١) لم أقف على هذه القصة.

(٢) التمثيل والمحاضرة (ص: ٦١).

١١ جمادى الثانية

التحذير من الكِبْر

الكبر كبيرة من كبائر الذنوب؛ وهو أول الذنوب والمعاصي التي ارتُكِبتْ في حق الله تبارك وتعالى، قال الله تعالى مُبيِّنًا سبب امتناع إبليس عن السجود لآدم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[١].

والكِبْرُ سببٌ من أسباب هلاك الأمم السابقة؛ فبكبرهم وعِنادهم طغوا وتجبَّرُوا، وظلموا وأفسدوا، وتمرَّدوا على خالقهم، واستنكفوا عن عبادته، وقاتلوا أنبياءه ورسله، وصدُّوا عن سبيله، فحقَّ عليهم العذاب، وجاءهم الهلاك، وحلَّ بهم الدمار. قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ۝٣٨ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ ۝٣٩ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٢].

فكم من الأمم تكبَّرت وتجبَّرت، ومنعها استكبارها من قبول الحق والإذعان له، فأهلكها الله، وجعلها عبرة لكل متكبِّر جبَّار. وكم في القرآن من القصص، والدروس والعبر. وكم في الواقع الذي نعيشه من أحداث ووقائع، تُبيِّن لنا كيف تكون عاقبة المتكبرين، ونهاية الظالمين.

والكبر سبب في دخول النار والخلود فيها؛ فليعلم المتكبِّر على الله وعلى دينه وعباده؛ أنه يَجُرُّ نفسه إلى عذاب الله. قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ﴾[٣].

---

(١) البقرة: ٣٤.

(٢) العنكبوت: ٣٨-٤٠.

(٣) الأحقاف: ٢٠.



وقد جاء تعريف الكبر في الحديث الشريف حيث قال صلى الله عليه وسلم:" لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ". رواه مسلم(١).

وقيل الكبر هو: استعظام الإنسان نفسه واستحسان ما فيه من الفضائل، والاستهانة بالناس واستصغارهم، والترفُّع على من يجب التواضع له(٢).

وعن الفرق بين العُجب والكبر؛ يقول الإمام الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- في شرحه لـ"رياض الصالحين"فيما جاء في الكبر والإعجاب:الكبر هو الترفُّع واعتقاد الإنسان نفسَه أنه كبير، وأنه فوق الناس، وأن له فضلًا عليهم. والإعجاب هو أن يرى الإنسان عمل نفسِه فيُعجَب به، ويستعظمه ويستكثره. فالإعجاب يكون في العمل، والكبر يكون في النفس، وكلاهما خُلُقٌ مذموم؛ الكِبر والإعجاب.

والكبر نوعان: كبر على الحق، وكبر على الخلْق، وقد بيَّنَهما النبيُّ صلى الله عليه وسلم في قوله:" الكبرُ بَطَرُ الحق، وغمطُ الناس". رواه مسلم؛ فبطر الحقِّ يعني ردَّه والإعراض عنه، وعدم قبوله، وغمطُ الناس يعني احتقارهم وازدراءهم، وألا يرى الناس شيئًا، ويرى أنه فوقهم(٣).

ومن الوسائل المعينة على ترك الكبر والخيلاء: أن يعلم المتكبِّر أن الكبر خلق ذميم، يبغضه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ويبغضه كل صاحب عقل سليم وفطرة نقية، وهو خُلُقٌ سيء لا يليق بإنسان عاقل، فضلًا عن مسلم يرجو لقاءَ ربه والدارَ الآخرة، والله تعالى يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٤).

فكيف تتكبَّر على الله؛ وهو خالقك ورازقك؟ كيف تتكبَّر على عبادة ربك؛ وقد خُلِقتَ من أجلها، وفيها فلاحُك ونجاتك وسعادتك؟ كيف تتكبَّر وفي تكبُّرك على عبادة الله هلاكك وخسرانك؟ وقد حذَّر الله تعالى من ذلك فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٥).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٩٣) برقم (٩١) كتاب الإيمان باب تحريم الكبر وبيانه.

(٢) وهذا تعريف الجاحظ كما في كتابه تهذيب الأخلاق (ص ٣٢). تهذيب الأخلاق، النؤلف: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، قرأه وعلق عليه: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، دار الصحابة للتراث، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٨٩م.

(٣) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٣٥). شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ.

(٤) القصص: ٨٣.

(٥) غافر: ٦٠.

وكيف تتكبّرُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وهو الذي قد جاءك بهذا الدين العظيم، والقرآن الكريم الذي أنقذك الله به من الكفر إلى الإيمان، وأخرجك به من الظلمات إلى النور؟ كيف تتكبرُ على سنته وهديه؛ وأنت ترجو صحبته، وتتمنى شفاعته؟ وهو القائل صلى الله عليه وسلم:" إنَّ من أحبِّكم إليَّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة؛ أحاسنكم أخلاقًا، وإنَّ أبغضكم إليَّ وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون، قالوا: يا رسول الله؛ قد علمنا الثرثارون والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: المتكبرون". أخرجه الترمذي(١).

أيها الإنسان كيف تتكبَّر على خلق الله؟ وأنت لا تدري لعلهم أفضل منك عند الله!! ولعلهم أقرب إلى الله منك!! ولعلهم من أهل الجنة وأنتَ من أهل النار وأنتَ لا تدري!!

وعليك أيضًا أيها المتكبِّر أن تفكِّر في أصلك؛ وهل أصلك إلَّا التراب، ثم من نطفة قذرة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم صرت إنسانًا بعد أن لم تكن شيئا مذكورًا، فوُجودُك مسبوق بالعدم، وقوَّتك مسبوقة بالضعف، وغناك مسبوق بالفقر.

قال تعالى مُذكِّرًا هذا الإنسان المتكبِّر المغرور بأصله؛ حتى لا يصيبه كبر ولا غرور: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾(٢).

فلماذا نسيتَ أصلك أيها الإنسان، وتكبَّرت على ربِّك، وأنكرت فضله عليك، وأصابك العجب والغرور؟ هل خرَجتَ إلى الدنيا من دون فضله؟ وهل مُنِحْتَ السمع والبصرَ والجوارح وسائر النعم لتتكبَّر وتتجبَّر وتكون من المفسدين؟ والله تعالى يُذكِّرُك بفضله عليك فيقول: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(٣).

الخلاصة: أخي المسلم؛ كُن متواضعًا؛ فبالتواضع يُرْفَع مقامُك، ويعلو قدرُك، وتنال رضا الله، وتكسب محبة الخلق.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" ما نقصتْ صدقةٌ مِن مال، وما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلَّا عِزًّا، وما تواضع أحدٌ لله إلَّا رفعه الله"(٤).

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٧٠) برقم (٢٠١٨) أبواب البر والصلة باب ما جاء في معالي الأخلاق. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ١٨).

(٢) الطارق: ٥ – ٧.

(٣) النحل: ٧٨.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠١) برقم (٢٥٨٨) كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب العفو والتواضع.

رفع الله مقامه، وأعلى قدره في الدنيا عند الناس، ورفع مقامه في الآخرة في جنات النعيم.

تَواضَعْ تكُنْ كَالنجمِ لاحَ لنَاظرٍ   على صَفحَاتِ الماءِ وهُو رَفيعُ
وَلَا تكُنْ كَالدُّخَانِ يَعلُو بنفسِهِ   إلى طبقاتِ الجوِّ وهُو وَضيعُ(١)

---

(١) غرر الخصائص الواضحة (ص: ٥٣). غرر الخصائص الواضحة، وعرر النقائض الفاضحة، المؤلف: أبو إسحق برهان الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى بن علي المعروف بالوطواط (المتوفى: ٧١٨هـ)، ضبطه وصححه وعلق حواشيه ووضع فهارسه: ابراهيم شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

١٢ جمادى الثانية

التحذير من الحسد

الحسد هو تمني زوال النعمة عن الآخرين وهو من الأمراض القلبية التي تصيب بعض الناس بسبب الغيرة، وعدم الرضا بالقضاء، فمن الناس من إذا رأى نعمة أنعمها الله عز وجل على أحد من الناس؛ تحركت نفسه الخبيثة، وغيرته القبيحة، وبدأ يكيد له ويمكر به، وكان الواجب عليه أن يدعو لأخيه بالبركة، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، ويمنعه عمَّن يشاء، بحكمته وعلمه سبحانه.

فإذا أحسَّ الحاسد بشيء في قلبه على المحسود فليجاهد نفسه، لأن الحسد كبيرة من كبائر الذنوب، يُؤاخَذ عليها العبد ويُحاسَب عليها، لأن في الحسد ضررًا للغير، فإذا لم يفعل أذىً للمحسود، ولا كان سببًا في إزالة نعمة عنه، ولم يتكلَّم في عِرضه، وإنما شيء في نفسه كظمه، فإنه لا يضره، ولكن عليه الحذر، حتى لا يقول شيئًا أو يفعل شيئًا يضر المحسود.

وحقيقة الحسد كما قال الجرجاني: الحسد تمنِّي زوال نعمة المحسود إلى الحاسد(١).

وعرَّفه الطاهر بن عاشور؛ فقال: الحسد إحساس نفساني مركَّب من استحسان نعمة في الغير مع تمنِّي زوالها عنه؛ لأجل غيرة على اختصاص الغير بتلك الحالة، أو على مشاركته الحاسد(٢).

وقد ورد ذم الحسد والنهي عنه في القرآن الكريم؛ قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾(٣).

قال الحسين بن الفضل: إنَّ الله جمع الشرور في هذه الآية، وختمها بالحسد ليعلم أنه أخسُّ الطبائع(٤).

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾(٥).

---

(١) التعريفات (ص: ٨٧).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٦٢٩).

(٣) الفلق: ١- ٥.

(٤) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/ ٣٤٠). الكشف والبيان عن تفسير القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (المتوفى: ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٥) البقرة: ١٠٩.



قال ابن عثيمين- رحمه الله-: والآية تدلُّ على تحريم الحسد؛ لأن مشابهة الكفَّار بأخلاقهم مُحرَّمة. والحاسد لا يزداد بحسده إلَّا نارًا تتلظَّى في جوفه؛ وكلما ازدادت نعمة الله على عباده ازداد حسرة؛ فهو مع كونه كارهًا لنعمة الله على هذا الغير مضاد لله في حكمه؛ لأنه يكره أن ينعم الله على هذا المحسود؛ ثم إن الحاسد أو الحسود مهما أعطاه الله من نعمة لا يرى لله فضلًا فيها؛ لأنه لا بدَّ أن يرى في غيره نعمة أكثر مما أنعم الله به عليه، فيحتقر النعمة[١].

وقال سبحانه:﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾[٢].

قال القرطبي: وهذا هو الحسد بعينه الذي ذمَّه الله تعالى[٣].

وقال أيضًا: ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ وفي السنة النبوية عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا". رواه البخاري ومسلم[٤].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إياكم والحسدَ؛ فإن الحسدَ يأكل الحسناتِ كما تأكل النارُ الحطبَ". رواه أبو داود[٥].

ولقد قسَّم العلماء الحسد إلى عدد من الأنواع، ومنهم ابن القيم الذي قسَّمه إلى ثلاثة أنواع:

١- حسد يُخفيه ولا يُرتِّب عليه أذىً بوجهٍ ما؛ لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده، بل يجد في قلبه شيئًا من ذلك، ولا يعاجل أخاه إلا بما يحبه الله تعالى.

٢- تمنِّي استصحاب عدم النعمة، فهو يكره أن يحدث الله لعبده نعمة، بل يحب أن يبقى على حاله؛ من جهله، أو فقره، أو ضعفه، أو شتات قلبه عن الله، أو قلة دينه.

---

(١) ينظر: تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة (١/ ٣٥٩). تفسير الفاتحة والبقرة، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

(٢) النساء: ٥٤.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي (٥/ ١٦٣).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٦٠٦٥) برقم (٥٩٩٨) كتاب الأدب باب ما ينهى عن التحاسد والتدابر. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٣) (٢٥٥٨) كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن التحاسد والتباغض والتدابر.

(٥) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٧٦) برقم (٤٩٠٣) كتاب الأدب باب في الحسد. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٤٠٣).



٣- حسد الغبطة؛ وهو تمنّي أن يكون له مثل حال المحسود، من غير أن تزول النعمة عنه، فهذا لا بأس به ولا يعاب صاحبه، بل هذا قريب من المنافسة[١].

وقد أجمل الماوردي مضار الحسد في قوله: ولو لم يكن من ذمِّ الحسد إلَّا أنَّه خُلُق دنيء، يتوجَّه نحو الأكفاء والأقارب، ويختصُّ بالمخالط والمصاحب، لكانت النزاهة عنه كرمًا، والسلامة منه مغنمًا، فكيف وهو بالنفس مُضرٌّ، وعلى الهمِّ مُصِرٌّ، حتى ربما أفضى بصاحبه إلى التلف، من غير نكاية في عدو، ولا إضرار بمحسود، ثم ذكر مساوئ الحسد فقال:

١- حسرات الحسد وسقام الجسد، ثم لا يجد لحسرته انتهاء، ولا يؤمل لسقامه شفاء، قال ابن المعتز: الحسد داء الجسد.

٢- انخفاض المنزلة وانحطاط المرتبة؛ لانحراف الناس عنه، ونفورهم منه، وقد قيل في منثور الحكم: الحسود لا يسود.

٣- مقتُ الناس له حتى لا يجد فيهم مُحِبًّا، وعداوتُهم له حتى لا يرى فيهم وليًّا، فيصير بالعداوة مأثورًا، وبالمقت مزجورًا.

٤- إسخاط الله تعالى في معارضته، واجتناء الأوزار في مخالفته، إذ ليس يرى قضاء الله عدلًا، ولا لنعمه من الناس أهلًا.

والخلاصة: الحسد خلق ذميم، حالق للدين، مُفرِّق للأصحاب، فيه تشبُّه بالكافرين؛ من النصارى واليهود والمشركين، فوجب على كل مسلم الحذر منه وعدم التخلُّق به، بل مَن وجد في نفسه شيئًا من ذلك فعليه أن يلجأ إلى الله تعالى بالدعاء والتضرُّع ليزيل ما به مَن حسد. لأن الحسد تسخُّط على قضاء الله تعالى، واستدراك على الله تعالى في حكمه وقدرته، والله تعالى حكم عدل، لا يظلم مثقال ذرة، يُعطي ويَمنع، فمن أُعطي شكر، ومن مُنع صبر، والصبر منزلة عظيمة لا يؤتاها أي إنسان، بل هو سبيل إلى الجنة ورضا الرحمن جل جلاله.

ولا يوجد أحد يحسد غيره ابتغاء مرضاة الله، بل في ذلك سخط الله تعالى، فكل حاسد لا يرجو إلا الدنيا وزينتها، وما يوهب له منها، من رفعة وذكر، ولقد أوتي قارون وفرعون وهامان، وأبو لهب وأبو جهل من الصيت ما لم ينله أحد من العصاة، لكنه ذكر سيء، عندما حسدوا الناس على ما آتاهم الله من فضله، فالحسد طريق إلى النار، والعياذ بالله.

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٧٦١) وما بعدها. بدائع الفوائد، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، ابن قيم الجوزية، المحقق: علي بن محمد العمران، دار النشر: دار عالم الفوائد، البلد: بدون، الطبعة: بدون، سنة الطبع: بدون.

إنْ شِئتَ قَتلَ الحَاسِدينَ تَعمُّدًا ... مِنْ غَيرِ مَا ديَةٍ عليكَ وَلَا قَوَدْ

وَبغيرِ سُمٍّ قاتلٍ وصَوارِمٍ ... وعِقابِ رَبٍّ لَيسَ يَغفلُ عَنْ أحَدْ

عَظِّمْ تجاهَ عيونِهِم مَحْسوَدَهمْ ... فتَراهُمُ مَوتى النُّفوسِ مَعَ الجَسَدْ

ذَوْبُ المعَادِنِ باللَّظى لكنَّما ... ذَوْبُ الحسودِ بِحَرِّ نيرانِ الحَسَدْ

مَا زَالَ إنْ حيًّا وإنْ ميتًا ... ضَنيً مُتَعذِّبًا فيه إلى أَبَدِ الأبَدْ(١)

(١) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٢/ ٤٦٢، بترقيم الشاملة آليا).



١٣ جمادى الثانية

التحذير من الحقد

للحقد معانٍ كثيرة؛ منها أنّه الضغن والانطواء على البغضاء، وحفظ العداوة في القلب والتربص لفرصتها[١]؛ حيث إنّ الحقد يقود إلى التسبُّب بالضرر للشخص المحقود عليه بأيِ وسيلةٍ كانت، فالشخص الحاقد ينتظر الفرصة المناسبة ليستطيع الانتقام من الشخص الذي يحقد عليه.

ويختلف حكم الحقد في الإسلام حسب السبب الباعث له؛ فهو عندما يكون من دون حقٍ فإنّه مذمومٌ شرعًا لأنّه يُورث البغضاء والكره، والعداوة بين الناس، فبعض الناس يحقدون على الآخرين دون سببٍ، وإنما الغيرة منهم هي الدافع الأول، وقد ذمَّ الله تعالى المنافقين الذين يُظهرون الود للمسلمين، وما إنْ يغيبوا يتغلغل الحقد في قلوبهم، قال تعالى:﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾[٢].

وقيل هو: إضمار الشر للجاني إذا لم يتمكَّن من الانتقام منه، فيُخفي ذلك الاعتقاد إلى وقت إمكان الفرصة[٣]. إنَّ الحقد على ظالمٍ- حيث يكون المظلوم غير قادرٍ على أخذ حقه أو ملاحقة الظالمِ لأسبابٍ كضعف حيلة المظلوم، أو جبروت الظالِم- لا يُعدُّ مذمومًا في الشرع، ولكنْ عندما يظفر هذا المظلوم بالظالم فيمكنُ له أنْ يأخذ حقه منه أو العفو وذلك أفضل، وأن لا يبقى في قلبه حقد، قال تعالى ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ۝٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾[٤].

ومن الناس مَن يحمل نفسًا مُظلمة، وقلبًا أسود، لا يعرف للعفو طريقًا، ولا للصفح سبيلًا، فبمجرد أدنى إساءة تقع في حقه من أحد إخوانه؛ تجده يحقد عليه، ولا يكاد ينسى إساءته مهما تقادم العهد عليها، فتجده يتربَّص بصاحبه الدوائر، وينتظر منه غرَّة، لينفذ إليه منها، ويصيبه من خلالها، فيشفي غيظه، ويروي غليله.

---

(١) ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (١٨/ ٥). الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الطبعة: (من ١٤٠٤ – ١٤٢٧ هـ).

(٢) آل عمران: ١١٩.

(٣) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم (١٠/ ٤٤٣٠). نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم، المؤلف : عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، الناشر : دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة : الرابعة.

(٤) الشورى: ٤١-٤٢.



ومن ذمِّ الحقد في القرآن الكريم؛ قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ۝٢٠٤ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾[1]. وقوله أيضًا: ﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٤٧ لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾[2].

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: وهذا من كرمه وإحسانه على أهل الجنة، أن الغل الذي كان موجودًا في قلوبهم، والتنافس الذي بينهم؛ أن الله يقلعه ويزيله حتى يكونوا إخوانًا مُتحابِّين، وأخلاء متصافين، ويخلق الله لهم من الكرامة ما به يحصل لكل واحد منهم الغبطة والسرور، ويرى أنه لا فوق ما هو فيه من النعيم نعيم. فبهذا يأمنون من التحاسد والتباغض، لأنه قد فُقدت أسبابه[3]. ولما كانت الجنة دار سعادة، ونعيمًا عامًّا وشاملًا؛ كان لا بدَّ لأصحابها من أن يكونوا مُبرَّئين من كل حقد وغل، ومن كل علة خُلُقية تُسبِّب لهم آلامًا وأكدارًا، وقد وصف الله تعالى أهل دار النعيم يوم القيامة بأنهم مُبرَّؤون من كل غل، وما كان من غل في صدورهم في الدنيا؛ فإن الله ينزعه منها متى دخلوا الجنة[4].

وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال:" كنا جلوسًا مع رسول صلى الله عليه وسلم، فقال: يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة، فطلع رجل من الأنصار تنطف لحيته من وضوئه قد علق نعليه بيده الشمال، فلما كان الغد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل مقالته أيضا، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول، فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو- رضي الله عنه-، فقال: إني لاحيتُ أبي، فأقسمتُ أني لا أدخل عليه ثلاثًا، فإن رأيتَ أن تؤويني إليك حتى تمضي؛ فعلتَ. قال: نعم. قال أنس: فكان عبد الله يُحدِّث أنه باتَ معه تلك الثلاث الليالي، فلم يره يقوم من الليل شيئًا غير أنه إذا تعار- تقلَّب على فراشه- ذكر الله عز وجل، وكبَّر حتى صلاة الفجر. قال

---

(١) البقرة: ٢٠٤ – ٢٠٥.

(٢) الحجر: ٤٧ – ٤٨.

(٣) تفسير السعدي (ص: ٢٨٩).

(٤) موسوعة الأخلاق الإسلامية (٢/ ٢٣٦). الكتاب: موسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف. الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net.



عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلَّا خيرًا، فلما مضت الثلاث الليالي، وكدتُ أن أحتقر عمله، قلتُ: يا عبد الله؛ لم يكن بيني وبين أبي غضبٌ ولا هجرة، ولكن سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ثلاث مرات: يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة، فطلعتَ أنتَ الثلاث المرات، فأردتُ أن آوي إليك، فأنظر ما عملك، فأقتدي بك، فلم أرك عملتَ كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: ما هو إلا ما رأيتَ، فلما وليتُ دعاني، فقال: ما هو إلا ما رأيتَ، غير أني لا أجد في نفسي لأحدٍ من المسلمين غشًّا ولا أحسدُ أحدًا على خيرٍ أعطاه الله إياه، فقال عبد الله: هذه التي بلغتْ بك". رواه أحمد(١).

وعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا يُبلِّغني أحدٌ من أصحابي عن أحدٍ شيئًا، فإني أحبُّ أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر". رواه أبو داود(٢).

وعن عبد الله بن عمرو- رضي الله عنه- قال:" قيل: يا رسول الله؛ أي الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان، قيل: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي النقي، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل ولا حسد" .رواه ابن ماجه(٣).

وقد سُئل الشيخ ابن باز- رحمه الله- عن جزاء مَن يحقد على الناس، ويكره الخير للغير؟

فأجاب: عليه التوبة إلى الله، فالواجب على المسلم أن يحبَّ الخير لإخوانه، ويكره لهم الشر، ولا يجوز له أن يحقد على أحد بغير الحق، ولا أن يحسده، ولا أن يحب له السوء، يقول النبي صلى الله عليه وسلم:" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه". رواه البخاري ومسلم(٤). فالواجب على المسلم أن يُحبَّ لإخوانه الخير والهدى والصلاح، وأن يكره لهم كل

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٠/ ١٢٤) برقم (١٢٦٩٧).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٦٥) برقم (٤٨٦٠) كتاب الأدب باب في رفع الحديث من المجلس. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣٦٠).

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠٩) برقم (٤٢١٦) كتاب الزهد باب الورع والتقوى. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ٢١٦).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢) برقم (١٣) كتاب الأدب باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٧) (٤٥) كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير.

شر، وألا يحقد عليهم، ومن وجد من نفسه أنه يكره الخير لإخوانه فهذا مرضٌ في قلبه، فعليه التوبة إلى الله من ذلك[١].

الخلاصة: أنه يُمكن الاستشفاء من الحقد بأمور، منها:

أولًا: الدُّعاء؛ لقوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾[٢].

ثانيًا: صوم ثلاثة أيام مِن كلِّ شهر؛ فعن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:" صوم شهر الصبر وثلاثة أيامٍ مِن كل شهرٍ يُذْهبن وَحَر الصدر". رواه البَزَّار[٣].

ثالثًا: إفشاء السلام؛ لقوله صلى الله عليه وسلم:" أفلا أنبئكم بشيءٍ إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم". رواه الترمذي[٤].

رابعًا: الصفح والعتاب؛ لقول ابن الرومي:

الحِقْـدُ دَاءٌ دَفِـينٌ لَا دَوَاءَ لَـهُ ... يَبْرِي الصُّدُورَ إِذَا مَا جَمْرُهُ حُرِثَا

فَاسْتَشْفِ مِنْهُ بِصَفْحٍ أَوْ مُعَاتَبَةٍ ... فَإِنَّمَا يُبْرِئُ المِصْـدُورَ مَا نفثَا[٥]

---

(١) التحذير من الحقد والحسد للشيخ ابن باز.

(٢) الحشر: ١٠.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٨/ ١٦٨) برقم (٢٣٠٧٠). والبزار = البحر الزخار (٢/ ٢٧١) برقم ٦٨٨ والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ٧٠٩).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٧٤) (٥٤) كتاب الإيمان باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها. ولفظه: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»

(٥) ديوان المعاني (١/ ١٣٢). ديوان المعاني، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، الناشر: دار الجيل – بيروت.

١٤ جمادى الثانية

التحذير من الخبث

إنَّ مكارم الأخلاق تُملي على الإنسان أن يكون واضحًا في تعامله مع الناس، ومُحِبًّا للجميع، وتاركًا الرياء والنفاق، وكثيرًا ما يتسبب لجوء الشخص إلى الأساليب المعوجة والأخلاق السيئة؛ في زعزعة ثقة الناس به، وزيادة الأحقاد والضغائن في المجتمع، كلجوئه للخبث الذي يلهي الناس عن منافع حياتهم وضرورياتها.

والخُبْث: هو إضمار الشَّرِّ للغير، وإظهار الخير له، واستعمال الغِيلة والمكر والخديعة في المعاملات(١).

والآيات التي تُحذِّر من الخبث في القرآن الكريم كثيرة؛ منها قول الله تعالى: ﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾(٢). قال قتادة في تفسير هذه الآية: الخبيثات من القول والعمل للخبيثين من الناس، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول والعمل(٣). وقال مجاهد: القول السيئ للخبيثين من الرجال والنساء، والقول الحسن للطيبين من الرجال والنساء(٤). وقيل في الخبيثات للخبيثين ثلاثة أوجه: الأول: الخبيثات من الكلام للخبيثين من الرجال، والثاني: الخبيثات من السيئات للخبيثين من الرجال، والثالث: الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال(٥).

وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾(٦)، قال الطبري: يعني بقوله: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ما كان الله ليدع المؤمنين عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ من التباس المؤمن منكم بالمنافق، فلا يعرف هذا من هذا ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾ يعنى

---

(١) وهذا تعريف الجاحظ كما في كتابه تهذيب الأخلاق (ص ٣٣).

(٢) النور: ٢٦.

(٣) موسوعة التفسير بالمأثور (١٥/ ٥٢٦). موسوعة التفسير المأثور، إعداد: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية، المشرفون: أ.د.مساعد بن سليمان الطيار- د. نوح بن يحيى الشهري، الناشر: مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي- دار ابن حزم — بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٣٩هـ — ٢٠١٧م.

(٤) تفسير مجاهد (ص: ٤٩١). تفسير مجاهد، المؤلف: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (المتوفى: ١٠٤هـ)، المحقق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، الناشر: دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

(٥) ينظر: تفسير ابن فورك (١/ ١٣٣). تفسير ابن فورك من أول سورة المؤمنون - آخر سورة السجدة، المؤلف: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (المتوفى: ٤٠٦هـ)، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش (ماجستير)، الناشر: جامعة أم القرى - المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

(٦) آل عمران: ١٧٩.



بذلك: حَتَّىَ يَمِيزَ الْخَبِيثَ وهو المنافق المستسر للكفر مِنَ الطَّيِّبِ، وهو المؤمن المخلص الصادق الإيمان، بالمحن والاختبار، كما مُيِّز بينهم يوم أُحُدٍ عند لقاء العدو عند خروجهم إليهم[١].

وأيضًا قوله تعالى: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[٢]. قال الإمام ابن القيم في كتابه القيم" الوابل الصيب": وأما النار فإنها دار الخبث في الأقوال والأعمال، والمآكل والمشارب، ودار الخبيثين، فالله تعالى يجمع الخبيث بعضه إلى بعض، فيركمه كما يركم الشيء لتراكب بعضه على بعض، ثم يجعله في جهنم مع أهله، فليس فيها إلا خبيث[٣].

والأحاديث التي تُحذِّر من الخبث في السُّنَّة النَّبويَّة كثيرة؛ منها قوله صلى الله عليه وسلم:" لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: خَبُثَتْ نَفْسِي، وَلكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ[٤] نَفْسِي". رواه البخاري ومسلم[٥]. قال ابن القيم: فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم لفظ الخبث؛ لبشاعته، وأرشدهم إلى العدول إلى لفظ هو أحسن منه، وإن كان بمعناه تعليمًا للأدب في المنطق، وإرشادًا إلى استعمال الحسن، وهجر القبيح من الأقوال، كما أرشدهم إلى ذلك في الأخلاق والأفعال[٦].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم بالليل بحبل فيه ثلاث عقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلت عقدة، فإذا قام فتوضأ انحلت عقدة، فإذا قام إلى الصلاة انحلت عقده كلها، فيصبح نشيطًا طيب النفس قد أصاب خيرًا، وإن لم يفعل أصبح كسلًا خبيث النفس لم يصب خيرًا".. رواه البخاري ومسلم[٧]. قال ابن حجر: قوله: (خبيث النفس) أي: رديء النفس غير طيبها أي

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ٢٦٢).

(٢) الأنفال: ٣٧.

(٣) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٢٠). الوابل الصيب من الكلم الطيب، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: سيد إبراهيم، الناشر: دار الحديث – القاهرة، رقم الطبعة: الثالثة، ١٩٩٩م.

(٤) اللقس هو الشراسة وشدة الخلق. شرح مشكل الآثار (١/ ٣٢١).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٤١) برقم (٦١٧٩) كتاب الأدب باب لا يقل خبثت نفسي. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٦٥) (٢٢٥٠) كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها باب كراهة قول الإنسان خبثت نفسي.

(٦) الطرق الحكمية (ص: ٤١). الطرق الحكمية، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مكتبة دار البيان، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

(٧) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٢) برقم (١١٤٢) كتاب التهجد باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٣٨) (٧٧٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح. ولفظه كما في البخاري:

مهمومًا، وقد تستعمل في كسل النفس، وفي الصحيح (لا يقولّنَّ أحدُكم: خبثتْ نفسي) كأنه كره اللفظ، والمراد بالخطاب المسلمون[١].

ومن صفات الشخص الخبيث أنه يتصف بصفات كثيرة سيئة، منها أنه: يسعى إلى تصيُّد عيوب الآخرين، ويتدخَّل بشؤون غيره من الناس، ينافق وينشر الشائعات والأقاويل، ويتسبَّب بفتنة الناس وفُرقتهم، يضيق خُلقه بأبسط المواقف والأمور، ولا يحتمل انتقاد الآخرين، وفي حال تقبَّلَها فإنَّه يفعل ذلك بخُبث، تتعب نفسيته وتهبط معنوياته من أبسط المواقف التي يواجهها، وذلك لأنَّه كثير الظنِّ بالسوء.

ولكن هل يستطيع الخَبِيث أن يُغيِّر طبعه؟ يرى المناويُّ أنَّ مَن تمحَّضت فيه مادَّة الخُبْث لا مطمع في تبدُّله، فيقول: يقال: إذا حُدِّثتَ أنَّ جبلًا زال عن مكانه فصدِّق، وإذا حُدِّثت أنَّ رجلًا زال عن خُلُقِه فلا تصدِّق؛ وذلك لأنَّ مَن تمحَّضت فيه مادَّة الخُبْث، فقد طُبع على الخُلُق المذموم، الذي لا مطمع في تبدُّله، ومَن تمحَّضت فيه مادَّة الطِّيب، فقد طُبع على الخُلُق الحسن المحمود، الذي لا مطمع في تبدُّله. قال الشَّريف السَّمهودي: وقد جرَّبتُ مصداقه الآن، فكم أظهر الواحد منهم التَّوبة عن أخلاقٍ ذميمةٍ بعد بذل الجهد في أسباب إزالتها، ثمَّ نكص على عقبيه، راجعًا لما كان عليه؛ لاقتضاء خبثهم المستحكم، وعظيم بغضهم لأهل الخير.

وأنشد بعضهم:

وَمَـا هـذه الأخـلاقُ إلَّا طبـائعُ   فمـنهنَّ محمـودٌ ومـنهنَّ مُـذمَّمُ
ولن يسـتطيعَ الدَّهرَ تغييرَ خُلقِهِ   لئيمٌ ولن يَسـتطيعَهُ مُتكـرَّمُ[٢]

والخلاصة: أنَّ الإنسان مطالب بتزكية نفسه لإكسابها الفضائل وتخليصها من الرذائل والخبائث، ومَن اجتهد وجاهد نفسه على التَّخلُّق بالأخلاق الفاضلة؛ يستطيع أن يُعوِّد نفسه عليها؛ وعليه أن يأخذ بالأسباب والوسائل التي تُعينُ على التَّخلُّص مِن هذا خُلُق الخبث، وهي كثيرة، ومِن هذه الوسائل:

«يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب كل عقدة عليك ليل طويل، فارقد فإن استيقظ فذكر الله، انحلت عقدة، فإن توضأ انحلت عقدة، فإن صلى انحلت عقدة، فأصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان».

(١) فتح الباري لابن حجر (١/ ٤١).

(٢) فيض القدير (٢/ ٥٢٣). فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى — مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.



١- الدُّعاء بأن ينزع الله منه هذا الخُلُق السَّيِّئ: فالدُّعاء مِن أقوى الأسباب المعينة على التَّخلُّص مِن هذه الصِّفة المذمومة.

٢- الرَّغبة في الأجر والثَّواب الذي يحصل بسبب سلامة الصَّدر: وقد جاء الحديث في فضل سلامة الصدر ونقاء الطوية، مِن كون صاحبِها من أهل الجنة.

٣- أن يُجاهد نفسه على أن يكون نقيَّ القلب: عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: قيل: يا رسول الله؛ أيُّ النَّاس أفضل؟ قال:" كلُّ مَخْمُومِ القلبِ صدوقِ اللِّسانِ، قالوا: صدوق اللِّسان نعرفه، فما مَخْمُوم القلب؟ قال: هو التَّقيُّ النَّقيُّ، لا إثم فيه ولا بَغْيَ، ولا غِلَّ ولا حَسَدَ". رواه ابن ماجه[1].

٤- التَّربية منذ الصِّغر على حبِّ الخير للنَّاس: كما قال الشاعر:

عـذرتُكَ يَا إنسـانُ إنْ كنتَ مُغْرَمًا ... بِعُـذرٍ ومُغـرَىً بالتَّحيُّـلِ والنَّكْـثِ
وكيفَ ألومُ المـرءَ في خُبْثِ فعلِهِ ... وأوَّلُ شيءٍ قد غـذاهُ دمُ الطَّمْثِ[2]

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠٩) برقم (٤٢١٦) كتاب الزهد باب الورع والتقوى. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ٢١٦).

(٢) يتيمة الدهر (٤/ ٣٥٧). يتمة الدهر في محاسن أهل العصر، المؤلف: عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩هـ)، المحقق: د.مفيد محمد قمحية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت/لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.



١٥ جمادى الثانية

التحذير من الخداع

قال ابن القيّم: المخادعة هي الاحتيال والمراوغة بإظهار الخير مع إبطان خلافه، ليحصل مقصود المخَادِع[(١)].

والفرق بين الخِدَاع والمكر كما قال الرَّاغب الأصفهاني: المكر والخَدِيعَة متقاربان، وهما اسمان لكل فعل يقصد فاعله في باطنه خلاف ما يقتضيه ظاهره، وذلك ضربان: أحدهما مذمومٌ، وهو الأشهر عند النَّاس والأكثر، وذلك أن يقصد فاعله إنزال مكروه بالمخْدُوع، والثَّاني: بعكسه، وهو أن يقصد فاعلهما إلى استجْرَار المخْدُوع والممكور به إلى مصلحة لهما، كما يُفعَل بالصَّبي إذا امتنع مِن فعل خير[(٢)].

والخِدَاع مِن خُلُق المنافقين، وهو مُتأصِّلٌ فيهم، فهم يُخادعون الله ويُخادعون المؤمنين، ويُخادعون أنفسهم، قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾[(٣)]. قال الشوكاني: والمراد مِن مخادعتهم لله: أنَّهم صنعوا معه صُنْع المخادعين، وإن كان العالِم الذي لا يَخفى عليه شيء لا يُخْدَع، وصيغة فاعل تفيد الاشتراك في أصل الفعل، فكونهم يُخادعون الله والذين آمنوا، يفيد أنَّ الله سبحانه والذين آمنوا يُخادعونهم. والمراد بالمخادعة مِن الله أنه لما أجرى عليهم أحكام الإسلام مع أنَّهم ليسوا منه في شيء، فكأنَّه خادعهم بذلك كما خادعوه بإظهار الإسلام وإبطان الكفر، مُشَاكَلة لما وقع منهم بما وقع منه. والمراد بمُخادعة المؤمنين لهم: هو أنَّهم أجرَوا عليهم ما أمرهم الله به مِن أحكام الإسلام ظاهرًا، وإن كانوا يعلمون فساد بواطنهم، كما أنَّ المنافقين خادعوهم بإظهار الإسلام وإبطان الكفر[(٤)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾[(٥)].

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٣٤٠). إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية.

(٢) ينظر: الذريعة الى مكارم الشريعة (ص: ٢٥٤). الذريعة إلى مكارم الشريعة، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار النشر: دار السلام – القاهرة، عام النشر: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(٣) البقرة: ٩.

(٤) فتح القدير للشوكاني (١/ ٤٨). فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.

(٥) النِّساء: ١٤٢.



قال السعدي: يخبر تعالى عن المنافقين بما كانوا عليه، مِن قبيح الصِّفات وشنائع السِّمات، وأنَّ طريقتهم مُخادعة الله تعالى، أي: بما أظهروه مِن الإيمان وأبطنوه مِن الكفران، ظنُّوا أنَّه يَروج على الله، ولا يعلمه، ولا يُبديه لعباده، والحال أنَّ الله خادعهم، فمجرَّد وجود هذه الحال منهم ومشيهم عليها، خداعٌ لأنفسهم. وأيُّ خِدَاعٍ أعظم ممَّن يسعى سعيًا يعود عليه بالهوان والذُّل والحرمان؟!![١]

وعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أنَّ رجلًا ذكر للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه يُخْدَع في البيوع، فقال:" إذا بايعتَ فقل: لا خِلابة". رواه البخاري ومسلم[٢].

قال النَّوويُّ: معنى لا خِلَابة: لا خَدِيعَة، أي: لا تحلُّ لك خَدِيعتي، أو لا يلزمني خديعتك[٣].

ولقد عدَّه بعض أهل العلم كابن حجر الهيتمي مِن الكبائر، إذ كون المكْر والخَدِيعَة في النَّار ليس المراد بهما إلَّا أنَّ صاحبهما فيها، وهذا وعيد شديد.

وقال الإمام ابن تيمية: فإذا كان الله تعالى قد حرَّم الخِلَابة وهي الخَدِيعَة، فمعلومٌ أنَّه لا فَرْق بين الخِلَابة في البيع وفي غيره؛ لأنَّ الحديث إن عمَّ ذلك لفظًا ومعنًى فلا كلام، إن كان إنَّما قصد به الخِلَابة في البيع، فالخِلَابة في سائر العقود والأقوال وفي الأفعال بمنزلة الخِلَابة في البيع، ليس بينهما فَرْقٌ مؤثر في اعتبار الشَّارع، وهذا القياس في معنى الأصل، بل الخِلَابة في غير البيع قد تكون أعظم، فيكون مِن باب التَّشبيه وقياس الأولى[٤].

لكن استُثْنِي مِن الخِدَاع إذا كان لمصلحة شرعيَّة كالحرب، والإصلاح بين النَّاس، فعن جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- قال: قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم:" الحرب خَدْعَة " رواه البخاري[٥].

قال النَّووي: واتَّفق العلماء على جواز خِدَاع الكفَّار في الحرب، وكيف أمكن الخِدَاع، إلَّا أن يكون فيه نقض عهدٍ أو أمانٍ فلا يحلُّ، وقد صحَّ في الحديث جواز الكذب في ثلاثة أشياء، أحدها:

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٢١١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٦٥) برقم (٢١١٧) كتاب البيوع باب ما يكره من الخداع في البيع. ومسلم في صحيحه (٣/ ١١٦٥) (١٥٣٣) كتاب البيوع باب من يخدع في البيع.

(٣) شرح النووي على مسلم (١٠/ ١٧٧).

(٤) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/ ١٥٥). الفتاوى الكبرى لابن تيمية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٦٤) برقم (٣٠٣٠) كتاب الجهاد والسير باب الحرب خدعة. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٦١) (١٧٣٩) كتاب الجهاد والسير باب جواز الخداع في الحرب.



في الحرب؛ قال الطَّبري: إنَّما يجوز مِن الكذب في الحرب المعاريض دون حقيقة الكذب، فإنَّه لا يحلُّ. هذا كلامه، والظَّاهر إباحة حقيقة نفس الكذب، لكن الاقتصار على التَّعريض أفضل[1]، وقد استخدم الصَّحابة الخِدَاع في الحرب في مواقف عديدة.

ومن صور الخداع:

١- خِدَاع المنافقين بإظهارهم للإسلام وإبطانهم للكفر: قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾[2].

٢- الخِدَاع في المعاملات الماليَّة، كالبيع والشِّراء: وذلك بأن يُخَادع النَّاس، ويتحصَّل على الأموال بطُرُقٍ محرَّمةٍ، إمَّا عن طريق الكذب، أو كتمان عيب السِّلعة، أو البخس في ثمنها، أو التَّطفيف في وزنها، أو خلط الجيِّد بالرَّديء، أو النجش وغيرها مِن الطُّرق المحرَّمة.

٣- خِدَاع الرَّعيَّة للرَّاعي: ويكون ذلك بمدحه وإطرائه بما ليس فيه؛ كأن يذكروا له إنجازات لم يعملها، أو بعدم نصحه إذا رأوا منه منكرًا، وغير ذلك.

٤- خِدَاع الرَّاعي للرَّعيَّة: ويُقصَد به الرَّئيس أو الحاكم أو المدير، والرَّجل في أهله، وغيرهم ممَّن لهم الرِّعاية على غيرهم، ويكون الخِدَاع في حقِّهم بظلمهم، وعدم إعطائهم ما يستحقُّونه، وعدم النُّصح لهم.

٥- خِداع المرَائين بالأعمال: فهم يُشابهون المنافقين في عملهم لأجل النَّاس.

٦- خِداع العمَّال: بعدم إعطائهم أجرهم المتَّفق عليه، أو تكليفهم مِن الأعمال فوق طاقتهم.

٧- خداع المتسوِّلين والشحَّاذين: فبعض المتسوِّلين يخدعون من يسألونه المال بحيث يظهرون بمظهر المرضى والمعتوهين، وذوي الاحتياجات الخاصة، وهم ليسوا كذلك، ليستجلبوا عطف الناس عليهم، ويأخذوا أموالهم بلا وجه حق.

٨- خداع النفس لصاحبها: قد تخدع النفس الأمارة بالسوء صاحبها إذا هو همَّ بالخير، فتقعده وتثبطه.

وانخِدَاع الشخص للمُخَادِع يُعتبر مِن البَلَه، إلَّا إذا كان المخْدُوع متفطِّنٌ للحيلة التي حيكت ضدَّه، ففي هذه الحالة يُعْتَبر الانخِداعُ مِن الكَرَم، قال ابن عاشور: إظهار الانخِدَاع مع التَّفطُّن للحيلة إذا كانت غير مُضِرَّة فذلك مِن الكرم والحِلْم، قال الفرزدق:

استمطروا مِن قريش كلَّ مُنْخَدِعٍ   إنَّ الكريم إذا خادعتَه انخدعَا[3]

(١) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٤٥)

(٢) البقرة: ٩.

(٣) التحرير والتنوير (١/ ٢٧٤).

الخلاصة: أن الخِدَاع خلق ذميم وله آثارٌ وأضرارٌ تعود على المخَادِع نفسه، وعلى المجتمع الذي مِن حوله، ومِن هذه المضَار أن الخِدَاع دليلٌ على ضعف إيمان صاحبه، والخِدَاع سببٌ مِن أسباب الفُرْقَة بين المسلمين، كما أنَّه طريق موصل للنَّار، وكفى أنَّه صفة مِن صفات المنافقين، ويتسبَّب الخداع في أكل أموال النَّاس بالباطل، ويولِّد ضعف الثِّقة بين أفراد المجتمع، ويولِّد أيضًا الشَّحناء والبغضاء بين النَّاس، ويترتَّب عليه نقض المواثيق والعهود بين النَّاس، وبهذا يصير المخَادِع منبوذًا عند الله وعند النَّاس.

١٦ جمادى الثانية

التحذير من الخذلان

يُعتبر الخذلان إحساسًا مُؤلِمًا، يضم عدة مشاعر مُزعجة تعصف بصاحبه؛ كخيبة الأمل، والإحباط الشديد، والذي قد ينجم عن تعرضه للمُعاناة والأذى بسبب الآخرين، أو بفعل استيائه من نفسه، أو نتيجة تلقيه صدمةً قويَّة كالخيانة، أو الإحساس بالوحدة وعدم وجود شخصٍ يثق به ويستند عليه، أو إيمانه المبالَغ فيه بالآخرين، الأمر الذي يجعله يبني سقف توقعات مُرتفعًا. ويتمنَّى من الآخرين الكثير، فلا يوازن بين ما يريده ويتمنَّاه، وبين واقع وشخصيَّة الطرف الآخر، فينتهي الأمر بسقوطه ضحيَّة حسن ظنه، وقد يكون الخذلان من أصعب المواقف التي تمر في حياة المرء، والتي تنعكس عليها العديد من الآثار السلبية، لكنه لا يعني توقُّف الحياة وانتهاءها. فالسعادة لا تدوم، والحياة مليئة بالعقبات والمواقف التي- وإن سببت له الألم والأذى- فهي تُقوِّيه، وتزيد من رصيد خبرته، وتجعله يحسن الظن والاختيار.

والخذلان هو ترْك مَن يُظنُّ به أن ينصرَه نُصرَتَه[١].

وقد ورد ذم الخذلان في القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومًا مَّخۡذُولًا﴾[٢]، قال ابن كثير: مَخْذُولًا لأنَّ الرَّبَّ تعالى لا ينصرك، بل يَكِلُك إلى الذي عبدتَ معه، وهو لا يملك لك ضرًّا ولا نفعًا؛ لأنَّ مالك الضرِّ والنَّفع هو الله وحده لا شريك له[٣].

وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾[٤]. قال أبو حيان الأندلسيُّ:" وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ" قيل: تُعِزُّ بالتَّوفيق والعِرْفَان، وتُذِلُّ بالخِذْلَان[٥].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره". رواه مسلم[٦]. قال النووي: وأمَّا "لا يَخْذُله" فقال العلماء: الخَذْل: ترك

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٧٧).

(٢) الإسراء: ٢٢.

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٦٤).

(٤) آل عمران: ٢٦.

(٥) البحر المحيط في التفسير (٣/ ٨٦). البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٦٨) (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله.



الإعانة والنَّصر، ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه؛ لزمه إعانته إذا أمكنه، ولم يكن له عذر شرعيٌّ(١).
شرعيٌّ(١).

وعن أنس– رضي الله عنه– أنَّ أبا طلحة قال: "غشينا ونحن في مصافِّنا يوم أحد"، حدَّث أنَّه كان فيمن غشيه النُّعاس يومئذ، قال: فجعل سيفي يسقط مِن يدي وآخذه، ويسقط مِن يدي وآخذه، والطَّائفة الأخرى– المنافقون– ليس لهم همٌّ إلَّا أنفسهم، أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحقِّ". رواه البخاري(٢).

وقيل لمحمد بن كعب القرظي: ما علامة الخِذْلَان؟ قال: أن يستقبح الرَّجل ما كان عنده حسنًا، ويستحسن ما كان عنده قبيحًا(٣).

وقال علي بن عبيدة: العقل والهوى ضدَّان فمؤيِّد العقل التَّوفيق، وقرين الهوى الخِذْلَان، والنَّفس بينهما، فأيهما ظفر كانت في حيِّزه(٤).

وقال قتيبة بن مسلم: ومَن تبجَّح بالانفراد، وفَخَر بالاستبداد؛ كان مِن الظَّفر بعيدًا، ومِن الخِذْلَان قريبًا(٥).

وقال الماوردي: قال بعض البلغاء: المخْذُول مَن كانت له إلى اللِّئام حاجة(٦).

وخِذْلَان المسلم لأخيه المسلم حرام شرعًا، وذلك مثل أن يَقْدِر على دفع عدوٍّ يريد البطْش به، فلا يدفعه، أو يراه وهو يرتكب مخالفة شرعية ولا ينهاه، وقد عدَّه ابن حجر الهيتمي من الكبائر. قال المناوي: خِذْلَان المؤمن حرام شديد التحريم؛ دنيويًّا كان مثل: أن يَقدر على دفع عدوٍ يريد البطش به فلا يدفعه، أو أخرويًّا: كأن يَقْدِر على نُصْحِه مِن غيِّه فيتركه(٧).

---

(١) من تعليق الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي على مسلم. ينظر: شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٢٠) ومعه تعليقات الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي.

(٢) رواه بهذا اللفظ الترمذي في جامعه (٥/ ٢٢٩) برقم (٣٠٠٨) أبواب تفسير القرآن باب: ومن سورة آل عمران. ورواه البخاري في صحيحه مختصرًا (٦/ ٣٨) برقم (٤٥٦٢) كتاب تفسير القرآن باب قوله "أمنة نعاسًا".

(٣) رواه أبو نعيم حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢١٤).

(٤) ينظر: تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك (ص: ٤٢). تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، المحقق: محي هلال السرحان وحسن الساعاتي، الناشر: دار النهضة العربية – بيروت، سنة النشر: بدون.

(٥) جمهرة الأمثال (١/ ١٦٦). جمهرة الأمثال، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.

(٦) أدب الدنيا والدين (ص: ١٩٤).

(٧) ينظر: فيض القدير (٥/ ٤٧١).

ومن أهم صور الخِذْلَان:

١- خِذْلان المظلوم: وقد عدَّها الهيتمي مِن الكبائر، وقال: الكبيرة السَّادسة والسَّابعة والثَّامنة والتَّاسعة والأربعون والخمسون بعد الثَّلاثمائة: ظُلْم السَّلاطين والأمراء والقضاة وغيرهم مسلمًا أو ذِمِّيًّا بنحو أكل مال أو ضرب أو شتم أو غير ذلك، وخِذلان المظلوم مع القُدْرَة على نصرته، والدُّخول على الظَّلَمة مع الرِّضا بظلمهم وإعانتهم على الظُّلم والسِّعَاية إليهم بباطل(١).

٢- الخِذْلَان في الجهاد: خِذْلَان المسلمين في الجهاد وعدم نصرتهم صفة مِن صفات المنافقين، قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ۝١٦٧ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(٢).

والخلاصة: أن الخذلان هو فقد الإعانة والنصر والإغاثة، وعلينا معرفة أسباب الوقوع في الخِذْلَان حتى نتجنبها، فمنها:

١- طاعة الكافرين والمنافقين: قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾(٣).

٢- مفارقة الإخوان: قال الماورديُّ: مَن لم يرغب في الإخوان بُلِيَ بالعداوة والخِذْلَان(٤).

٣- الركون إلى الظَّالمين: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾(٥).

٤- العُجْبُ: فالعُجْبُ طريقٌ إلى خِذْلَان المرء، بحيث يَكِل الله العبد إلى نفسه فلا ينصره، وقد قال جلَّ وعلا: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾(٦).

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ١٨٩).

(٢) آل عمران: ١٦٧-١٦٨.

(٣) الأحزاب: ٤٨.

(٤) أدب الدنيا والدين (ص: ١٦٤).

(٥) هود: ١١٣.

(٦) التوبة: ٢٥.



٥- الجبن وسوء الرَّأي: قال ابن القيّم: وصحَّة الرَّأي لقاح الشَّجَاعَة، فإذا اجتمعا كان النَّصر والظَّفر، وإن قعدا فالخِذْلَان والخيبة[١].

٦- عدم الرِّضا بالقضاء والقدر: قال الماورديُّ: معاند القَدَر مَخْذُولٌ[٢].

٧- قطع الأرحام: قال الماورديُّ: تعاطف الأرحام، وحميَّة القرابة يبعثان على التَّناصر والألفة، ويمنعان من التَّخاذل والفُرْقة[٣].

٨- التَّعلُّق بغير الله: قال ابن القيّم: فأعظم النَّاس خِذْلَانًا مَن تعلَّق بغير الله، فإنَّ ما فاته مِن مصالحه وسعادته وفلاحه أعظم ممَّا حصل له ممَّن تعلَّق به، وهو معرَّضٌ للزَّوال والفوات. ومثل المتعلِّق بغير الله، كمثل المستظلِّ مِن الحرِّ والبرد ببيت العنكبوت، وهو أوهن البيوت[٤].

٩- القرب مِن السِّفْلَة واطِّراح ذوي الأحساب والمروءات: قال الأبشيهيُّ: مَن قرَّب السِّفْلَة واطَّرح ذوي الأحساب والمروءات استحقَّ الخِذْلَان[٥].

١٠- الافتراق والاختلاف في الدِّين، قال تعالَى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٦].

قال زهير بن أبي سلمى:

أَلَمْ تَرَ للنُّعمانِ كانَ بنجوةٍ ... مِن الشَّرِّ لوْ أنَّ امرأً كانَ ناجيَا

فلمْ أرَ مَخذُولًا له مثلُ مُلكِهِ ... أقلَّ صديقًا باذلًا أوْ مُواسيَا[٧]

---

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ٢٠٠).

(٢) تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك (ص: ٧٧)

(٣) أدب الدنيا والدين (ص: ١٤٨).

(٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٤٥٥).

(٥) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: ٣٣). المستطرف في كل فن مستطرف، المؤلف: شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

(٦) الأنفال: ٤٦.

(٧) ينظر: مختارات شعراء العرب لابن الشجري (٢/ ١٢). مختارات شعراء العرب لابن الشجري، المؤلف: ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، المعروف بابن الشجري (المتوفى: ٥٤٢هـ)، ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي، الناشر: مطبعة الاعتماد، مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٤٤هـ - ١٩٢٥م.



١٧ جمادى الثانية

التحذير من الخيانة

إنّ هذا الدّين الحنيف الّذي أكرمنا الله به، جاء بما فيه صلاح الفرد والمجتمع، يجمع كلّ القيم والمثل الإنسانيّة، يدعو إلى فضائل الأخلاق، وينهى عن ذميمها، فما من خصلةٍ من خصال الخير إلّا وأمر بها وحثّ على التّخلّق بها، وما من خصلةٍ من خصال الشّرّ والسّوء إلّا ونهى عنها وحذّر منها، وإنّ من الخصال المذمومة المشؤومة بكلِّ المقاييس والأحوال، والّتي تُسبِّب انعدام الثّقة بين أفراد المجتمع المسلم؛ خصلة الخيانة، وهي خصلةٌ قبيحةٌ لا ترضاها النّفوس السّليمة، وإنّها لكبيرةٌ من كبائر الذّنوب والآثام، ولم يكتف الدّين الحنيف بتحريمها والتّحذير منها، بل وضع خطة متكاملةً دينيَّةً واجتماعيَّةً وتربويَّةً للقضاء عليها واستئصال جذورها، لأنّها من أعظم الأمور خطرًا على الأفراد والمجتمعات، إنّها وصمة عارٍ على جبين كلِّ من اتصَّف بها، فغدا بسببها بعيدًا من الله، بعيدًا من النّاس، ممقوتًا مُهانًا منبوذًا.

قال الراغب: الخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر(١)، والأظهر أنها شاملة لجميع التكاليف الشرعية. وقيل: هي الاستبداد بما يُؤتمن الإنسان عليه من الأموال والأعراض والحُرُم، وتملُّك ما يُستودع، ومُجاحدة مُودعه(٢).

وقال ابن عاشور: وحقيقة الخيانة عمل مَن اؤتمن على شيء بضد ما اؤتمن لأجله، بدون علم صاحب الأمانة(٣).

وقد ذهب عدد من العلماء كالذهبي وابن حجر الهيتمي إلى أن الخيانة من الكبائر، قال الإمام الذهبي: قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٤)، قال الواحدي: نزلت في أبي لبابة- رضي الله عنه-، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة لما حاصرهم، وكان أهله وولده فيهم، فقالوا: يا أبا لبابة؛ ما ترى لنا إن نزلنا على حكم سعد فينا؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه- أي أنه الذبح فلا تفعلوا - فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، قال أبو لبابة: فما زالت قدماي من مكاني حتى عرفتُ أني خنتُ الله

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٠٥).

(٢) وهذا تعريف الجاحظ كما في كتابه تهذيب الأخلاق (ص ٣١).

(٣) التحرير والتنوير (٢٤/ ١١٦).

(٤) الأنفال: ٢٧.



ورسوله صلى الله عليه وسلم. وقوله: ﴿وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ عطف على النهي، أي: ولا تخونوا أماناتكم، قال ابن عباس: الأمانات الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد يعني الفرائض يقول: لا تنقضوها، قال الكلبي: أما خيانة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فمعصيتهما. وأما خيانة الأمانة: فكلُّ واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه، إن شاء خانها، وإن شاء أدَّاها، لا يطَّلع عليه أحدٌ إلا الله تعالى، وقوله: ﴿وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ أنها أمانة من غير شبهة.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي كَيۡدَ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾[(١)]، أي: لا يرشد كيد مَن خان أمانته، يعني أنَّه يُفتضَح في العاقبة بحرمان الهداية[(٢)].

وقد تكرَّر لفظُ الخيانة ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرة، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥ وَٱسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٦ وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمٗا ١٠٧ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا﴾[(٣)]. قال الشيخ السعدي: قوله: ﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾أي: أي: لا تخاصم عن مَن عرفت خيانته، من مُدعٍ ما ليس له، أو مُنكر حقًّا عليه، سواء علم ذلك أو ظنَّه. ففي هذا دليل على تحريم الخصومة في باطل، والنيابة عن المبطِل في الخصومات الدينية والحقوق الدنيوية[(٤)].

وأيضًا حذَّر النبيُّ صلى الله عليه وسلم من الخيانة بقوله:" أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ".رواه البخاري ومسلم[(٥)].

وعن جابر- رضي الله عنه- قال:" نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرق الرجل أهله ليلًا يتخوَّنهم، أو يلتمس عثراتهم". رواه البخاري ومسلم[(٦)].

---

(١) يوسف: ٥٢.

(٢) الكبائر للذهبي (ص: ١٤٩).

(٣) النساء: ١٠٥-١٠٨.

(٤) تفسير السعدي (ص: ٢٠٠).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٤) كتاب الإيمان باب علامة المنافق. ومسلم في صحيحه (١/ ٧٨) (٥٨) كتاب الجهاد والسير باب بيان خصال المنافق.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٧) برقم (١٨٠١) كتاب الحج باب لا يطرق أهله إذا بلغ المدينة. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٢٨) (٧١٥) كتاب الإمارة باب كراهة الطروق، وهو الدخول ليلا، لمن ورد من سفر.



قال ابن بطال: فبيَّن النبي- عليه السلام- بهذا اللفظ المعنى الذي من أجله نهى عن أن يطرق أهله ليلًا. فإن قيل: وكيف يكون طروقه أهله ليلًا سببًا لتخوُّنهم؟ قيل: معنى ذلك، والله أعلم، أن طروقه إياهم ليلًا هو وقت خلوة، وانقطاع مراقبة الناس بعضهم بعضًا، فكان ذلك سببًا لسوء ظن أهله به، وكأنَّه إنما قصدهم ليلًا ليجدهم على ريبة، حين توخَّى وقت غرَّتهم وغفلتهم. ومعنى الحديث النهي عن التجسس على أهله، ولا تحمله غيرته على تهمتها، إذا لم يأنس منها إلا الخير(١).

والخيانة جريمةٌ كبيرة، وعقوبتها شديدة، وكُلُّ مَنْ أُسْنِدَ إليه أمرٌ من أمور المسلمين، ولم يقم به، ولم يُؤدِّه على الوجه المطلوب - مع قُدرتِه - فهو خائنٌ غادر؛ لقول النبيِّ- صلى الله عليه وسلم-:" إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ". رواه مسلم(٢).

قال الذهبي- رحمه الله-: الخيانة قَبِيحةٌ في كلِّ شيءٍ، وبعضها شرٌّ من بعض، وليس مَنْ خانك في فَلْسٍ كمَنْ خانك في أهلك ومالِك، وارتكب العظائِم(٣).

إن أمتنا الإسلامية تمرُّ في هذا الزمان بمحَنٍ عظيمة، ونوازلَ شديدة، ونكَبات متلاحقة، ساهم فيها بشدة تعرُّض الأمة لخيانات مُتعدِّدة، تارة من أعدائها، وتارات- وهو أنكى- من أبنائها.

قال الشاعر:

يُخادِعُني العَدوُّ فَلَا أُبَالِي ... وَأَبْكِي حِينَ يَخْدَعُني الصَّدِيقُ(٤)

الخلاصة: علينا الحذر من الوقوع في الخيانة، وواجبٌ علينا حماية أنفسنا ومجتمعنا من شرها. ومما يحمي الأفراد والمجتمعات من هذا المرضِ الفتّاك:

أوَّلًا: تدبُّر آيات القرآن الكريم، وأحاديث النّبيِّ صلى الله عليه وسلم الّتي تُحذِّر من الخيانة وتُبيِّن خطرها، وعقاب من تخلّق بها، لنتحلّى بالأمانة، ونتجنّب الخيانة.

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال (٧/ ٣٦٩). شرح صحيح البخارى لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٥٩) (١٧٣٥) كتاب الجهاد والسير باب تحريم الغدر.

(٣) الكبائر للذهبي (ص: ١٤٩).

(٤) البيت للدكتور عبد الرحمن العشماوي من قصيدة له بعنوان: "تنوعت الجراح" https://www.aldiwan.net/poem6787.html.



ثانيًا: التفكّر في نتائج هذا الأمر الّذي تعافه الفطرة السَّليمة، حيث إن الخائن مهما ظنَّ أنّه رفيعٌ يبقى وضيعًا عند الله وعند النّاس، سيِّء السُّمعة في حياته وبعد مماته.

ثالثًا: قراءة سيرة السَّلف الصَّالح الأمناء الّذين أدَّوا الأمانات على أكمل وجهٍ، والتأمُّل في خاتمة الخائنين المجرمين، وكيف ذمَّهم التَّاريخ وحطَّ من قدرهم، فخلّفوا عارًا تتوارثه ذُرِّيَّتهم

من بعدهم، فالتَّاريخ الصَّادق لا يُمجِّد خائنًا، ولا يُعلي له قدرًا، علاوةً على المصير الّذي ينتظره بين يدي الله سبحانه وتعالى.



١٨ جمادى الثانية

التحذير من الذل والهوان

قال ابن عاشور: الذلة: خضوع في النفس، واستكانة من جراء العجز عن الدفع[١]. والهوان مأخوذ من تهوين القدر، وأن يجعل هذا المرء صغير الأمر لا يُبالي به.

وينقسم الذُّل إلى محمود ومذموم: فالذُّل المذموم: وهو التذلُّل لغير الله على وجه الهوان، والضعف والصغار، والانكسار والذلة. والذُّل المحمود: ما قال عنه الراغب الأصفهاني: الذُّل متى كان من جهة الإنسان نفسه لنفسه فمحمود[٢].

ويشمل الذُّل المحمود:

١- الذُّل لله سبحانه وتعالى: وهذا الذُّل عنوان العز والشرف، والنصر في الدنيا والآخرة. قال الذهبي: من خصائص الإلهية العبودية التي قامت على ساقين لا قوام لها بدونهما: غاية الحب مع غاية الذُّل، هذا تمام العبودية[٣].

٢- الذُّل للمؤمنين: وهو بمعنى التراحم والتواضع والعطف، وليس بمعنى التذلُّل والانكسار على وجه الضعف والخور. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[٤].

٣- الذُّل للوالدين: قال تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾[٥]، وقال السعدي: تواضع لهما ذلًّا ورحمة واحتسابًا للأجر؛ لا لأجل الخوف منهما أو الرجاء لما لهما، ونحو ذلك من المقاصد التي لا يُؤجَر عليها العبد[٦].

والأسباب التي تُؤدِّي إلى الوقوع في الذلِّ المذموم كثيرة؛ منها:

١- الإشراك بالله تعالى، والابتداع في الدين: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾[٧].

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ١١٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٣٠)

(٣) العرش للذهبي (١/ ١٢١). وهو من كلام المحقق: د/ محمد بن خليفة التميمي وليس من كلام الذهبي.

(٤) المائدة: ٥٤.

(٥) الإسراء: ٢٤.

(٦) تفسير السعدي (ص: ٤٥٦).

(٧) الأعراف: ١٥٢.



٢- محاربة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومخالفة أمرهما: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ﴾[١].

٣- النفاق والاعتزاز بغير الله سبحانه: قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾[٢].

٤- استمراء المعاصي: قال تعالى: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾[٣].

٥- الكبر والأنفة عن قبول الحق: قال ابن القيم: مَن تعاظم وتكبَّر ودعا الناس إلى إطرائه في المدح والتعظيم والخضوع والرجاء، وتعليق القلب به خوفًا ورجاءً والتجاءً واستعانةً؛ فقد تشبَّه بالله ونازعه في ربوبيته وإلهيته، وهو حقيق بأن يُهينه غاية الهوان، ويُذلَّه غاية الذل، ويجعله تحت أقدام خلقه[٤].

٦- اتباع الهوى: قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٥]. قال ابن تيمية: مَن قهره هواه ذلَّ وهان، وهلك وباد[٦]. وقال ابن القيم: لكلِّ عبد بداية ونهاية، فمَن كانت بدايته اتباع الهوى؛ كانت نهايته الذُّل والصغار، والحرمان والبلاء، المتبوع بحسب ما اتبع مَن هواه، بل يصير له ذلك في نهايته عذابًا يُعذَّب به في قلبه[٧].

٧- مفارقة جماعة المسلمين: قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾[٨].

---

(١) المجادلة: ٢٠.

(٢) المنافقون: ٨.

(٣) آل عمران: ١١٢.

(٤) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (ص: ١٣٧).

(٥) الجاثية: ٢٣.

(٦) ينظر: غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب (٢/ ٤٥٨). غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب، المؤلف : شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى : ١١٨٨هـ)، الناشر : مؤسسة قرطبة — مصر، الطبعة : الثانية ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

(٧) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٤٨٣). روضة المحبين ونزهة المشتاقين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة: ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

(٨) النساء: ١١٥

٨- سؤال الناس والتطلُّع لما في أيديهم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لأن يأخذ أحدكم حبله، فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها، فيكف الله بها وجهه؛ خيرٌ له من أن يسأل الناس؛ أعطوه أو منعوه". رواه البخاري[١].

أَلَا إنَّما التقوى هي العزُّ والكرَمُ　　وحبُّــكَ للــدُّنيا هُــوَ الــذُّلُّ والسّــقَمْ
وليـــسَ عَلَى عبدٍ تقيٍّ نقيصةٌ　　إذا حقَّقَ التقوى وإنْ حَاكَ أَوْ حَجَمْ[٢]

٩- موالاة الكافرين: قال تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[٣].

الخلاصة: علينا اجتناب الذل والابتعاد عنه لما فيه من آثام، ومن الوسائل المعينة على ذلك:

١- الإيمان بالله والمداومة على العمل الصالح: قال الله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾[٤].

٢- الاعتزاز بالله، والتمسُّك بدينه: قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-: إنَّا كنَّا أذلَّ قوم فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزَّة بغير ما أعزَّنا الله به أذلَّنا الله[٥].

٣- الدعاء بارتفاع الذُّل وحصول العزِّ: عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان يقول:" اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بك من الفقرِ والقِلَّةِ والذِّلَّةِ، وأعوذُ بك من أن أظلِمَ أو أن أُظلَمَ". رواه أبو داود[٦].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٢٣) برقم (١٤٧١) كتاب الزكاة باب الاستعفاف عن المسألة.

(٢) الحكم الجديرة بالإذاعة (ص: ٣٢). الحكم الجديرة بالإذاعة من قول النبي صلى الله عليه وسلم بعثت بالسيف بين يدي الساعة، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: عبد القادر الأرناؤوط، الناشر: دار المأمون – دمشق، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٩٩٠م.

(٣) النساء: ١٣٩.

(٤) يونس: ٢٦.

(٥) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ١٣٠) برقم (٢٠٧). وصححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ١١٨).

(٦) رواه أحمد في مسنده (١٣/ ٤١٨) برقم (٨٠٥٣). وأبو داود في سننه (٢/ ٩١) برقم (١٥٤٤) باب تفريع أبواب الوتر باب في الاستعاذة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٤/ ٤٤).

٤- موالاة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وصالح المؤمنين: قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١].

فالعزة لله سبحانه ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين، ومَن والاهم وسار على هداهم؛ ينتفي عنه ذُلُّ الدنيا والآخرة، ويحصل له عزُّ الدنيا والآخرة.

٥- طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم: قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾[٢] .

٦- الاعتصام بحبل الله ونبذ الخلافات: قال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾[٣]، وعن أبي موسى- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إِنَّ المؤْمِنَ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وشَبَّكَ أصَابِعَهُ" رواه البخاري[٤]؛ ففي الاتحاد عزة وقوة، وفي التفرُّق ذلٌّ وضعف.

٧- الأخذ بالأسباب المادية والمعنوية للعز والقوة: قال الله تعالى: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾[٥].

ذَلَّ مَن يغبطُ الذليلَ بعيشٍ رُبَّ عيشٍ أخفُّ منهُ الحِمَامُ
مَن يهُنْ يَسهُلِ الهَوانُ عليه مَـــا لجُرحٍ بميـــتٍ إيلامُ[٦]

---

(١) المنافقون: ٨.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) آل عمران: ١٠٣.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٠٣) برقم (٤٨١) كتاب الصلاة باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره.

(٥) الأنفال: ٦٠.

(٦) الدر الفريد وبيت القصيد (٦/ ١٩٤).

١٩ جمادى الثانية

التحذير من السخرية والاستهزاء

الاستهزاء لغة: هو الاستخفاف والسخرية من الآخرين، والاسْتِهْزَاء بِالشَّئ يعني الِاسْتِهَانَةُ بِهِ، أما الِاسْتِهْزَاءُ بِالشَّخْصِ فيعني احتقاره، وعدم احترامه وعدم الاهتمام بأمره، وكَثِيرًا ما يصحب الاستهزاء السخرية، وهي تعني الضحك الناشيء عَنِ استخفاف شخص واحتقاره لآخر، فمَن قام بمحاكاة أو تقليد شخص في عمله، أو قوله، أو زِيِّه باحتقار فهو بذلك يسخر منه، والسخرية من الآخرين والتعليق على كل صغيرة وكبيرة خلق مذموم.

ومما ورد من ذم السخرية والاستهزاء والنهي عنهما في القرآن الكريم؛ قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[١]، قال ابن كثير: ينهى تعالى عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، فإنه قد يكون المحتقَر أعظم قدرًا عند الله، وأحب إليه من الساخر منه المحتقِر له، وقوله: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ أي: لا تلمزوا الناس.والهمَّاز اللمَّاز من الرجال مذموم ملعون، وقوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِ﴾ أي: لا تتداعوا بالألقاب، وهي التي يسوء الشخص سماعها[٢].

وقال سبحانه: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ ٢ يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ ٣ كَلَّاۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ﴾[٣]، قوله ﴿وَيۡلٞ﴾ أي: وعيد ووبال وشدة عذاب؛﴿ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ الذي يهمز الناس بفعله، ويلمزهم بقوله، فالهمَّاز الذي يعيب الناس، ويطعن عليهم بالإشارة والفعل، واللمَّاز الذي يعيبهم بقوله.

ولقد سجَّل القرآن الكريم عاقبة الساخرين والمستهزئين من المؤمنين، وأخبر أن يوم القيامة سيصبح الساخرون موضع سخرية واستهزاء من طرف عباده المستضعَفين في هذه الدنيا، قال الحق سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ٣٠ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ٣١ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ٣٢ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ٣٣ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾[٤].

---

(١) الحجرات: ١١.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٧٦).

(٣) الهمزة: ١-٤.

(٤) المطففين: ٢٩-٣٤.



وفي السنة النبوية عن أم هانئ- رضي الله عنها- أنها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت:" قلتُ: يا رسول الله؛ أرأيت قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ﴾[(١)] ما كان ذلك المنكر الذي كانوا يأتونه؟ قال: كانوا يسخرون بأهل الطريق ويخذفونهم". رواه الترمذي[(٢)].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا- ويشير إلى صدره ثلاث مرات-، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام؛ دمه، وماله، وعرضه". رواه البخاري ومسلم[(٣)].

وحكم الاستهزاء بالله وآياته ورسوله صلى الله عليه وسلم كُفرٌ، يُخرج صاحبه من الملة، قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾[(٤)]. قال ابن تيمية: وهذا نصٌّ في أنَّ الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر[(٥)]. يقول الإمام السعدي: إن الاستهزاء بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم كفر مخرج عن الدين؛ لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله، وتعظيم دينه ورسله، والاستهزاء بشيء من ذلك منافٍ لهذا الأصل[(٦)].

---

(١) العنكبوت: ٢٩.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٣١٦) برقم (٧٧٦١). والترمذي في جامعه (٥/ ٣٤٢) برقم (٣١٩٠) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة العنكبوت قريبًا من لفظ الحاكم. والحديث قال عنه الألباني: "ضعيف الإسناد جدًا" كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ١٩٠).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٦) (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله.

(٤) التوبة: ٦٤-٦٦.

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٢٧٣). مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٦) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٤٣).

أما حكم الاستهزاء بالمؤمنين فله حالتان؛ الحالة الأولى: الاستهزاء والسخرية بخَلقهم أو خُلُقهم، وهو مُحَرَّمٌ بالإجماع، قال ابن حجر الهيتمي: وقد قام الإجماع على تحريم ذلك[١].

الحالة الثانية: الاستهزاء بالمؤمنين بسبب تمسُّكهم بالإسلام، وهذا يُراعَى فيه أمران: الأمر الأول: أن يكون المستهزئ جاهلًا بأن ما يَستهزئ به من الشريعة الإسلامية.

الأمر الثاني: أن لا يقصد المستهزِئ باستهزائه ما يقوم به المسلم من الطاعات.

فإذا انتفى هذان الأمران، وقصد الاستهزاء بالمسلم بسبب تمسُّكه بالدين؛ فهذا حكمه الردة عن الإسلام، وقد جاء في فتوى اللجنة الدائمة ما يلي: سبُّ الدين والاستهزاء بشيء من القرآن والسنة، والاستهزاء بالمتمسِّك بهما نظرًا لما تمسَّك به، كإعفاء اللحية وتحجُّب المسلمة؛ هذا كُفرٌ إذا صدر من مكلَّف، وينبغي أن يُبيِّن له أن هذا كُفرٌ، فإن أصر بعد العلم فهو كافر، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾[٢][٣].

وسئل الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- عن حكم مَن يسخر بالملتزمين بدين الله، ويستهزئ بهم؟ فأجاب بقوله: هؤلاء الذين يسخرون بالملتزمين بدين الله، المنفِّذين لأوامر الله، فيهم نوع نفاق؛ لأنَّ الله تعالى قال عن المنافقين: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، ثم إن كانوا يستهزئون بهم من أجل ما هم عليه من الشرع فإن استهزاءهم بهم استهزاء بالشريعة، والاستهزاء بالشريعة كفر، أما إذا كانوا يستهزئون بهم يعنون أشخاصهم وزِيَّهم بقطع النظر عما هم عليه من اتباع السنة، فإنهم لا يكفرون بذلك؛ لأنَّ الإنسان قد يَستهزئ بالشخص نفسه بقطع النظر عن عمله وفعله، لكنهم على خطر عظيم[٤].

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر (٢/ ٣٣).

(٢) التوبة: ٦٥- ٦٦.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٣٨٧). فتاوى اللجنة الدائمة - المجموعة الأولى، المؤلف: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء - الإدارة العامة للطبع — الرياض.

(٤) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ١٥٨). مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المؤلف : محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر : دار الوطن - دار الثريا، الطبعة : الأخيرة - ١٤١٣هـ.



أما سخرية الإنسان ممن يَسخر منه فجائزة، وهذا من العدل؛ لأنه يُقابل السخرية بمثلها، ومع ذلك فتركها أولى، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٢].

الخلاصة: يقول الإمام ابن تيمية: لفظ المكر والاستهزاء والسخرية المضاف إلى الله؛ زعموا أنه مُسمًّى باسم ما يُقابله على طريق المجاز وليس كذلك، بل مُسمَّيات هذه الأسماء إذا فُعلتْ بمن لا يستحق العقوبة كانت ظلمًا له، وأما إذا فُعلت بمَن فعلها بالمجني عليه عقوبة له بمثل فعله كانت عدلًا، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾[٣]، فكاد له كما كادت إخوته لما قال له أبوه: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٦] [٧].

---

(١) النحل: ١٢٦.

(٢) الشورى: ٤٠.

(٣) يوسف: ٧٦.

(٤) يوسف: ٥.

(٥) الطارق: ١٥- ١٦.

(٦) النمل: ٥٠- ٥١.

(٧) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ١١١).

٢٠ جمادى الثانية

التحذير من السفه والحمق

السفه والحمق صفتان متلازمتان، فيجب البعد عنهما حتى لا يندم المسلم يوم القيامة، يوم لا ينفع الندم، فعليه بالبعد والحذر من مصاحبة ومجالسة الفسّاق والفجّار والأشرار، قال الله عز وجل: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾(١).

والسَّفيهُ آفةٌ في المجتمع، عالةٌ عليه؛ لأنه لا يعرفُ متى يجبُ أن يتكلَّم ولا متى يجبُ أن يسكُت. فالمجتمعات الجادَّة الواعِية هي تلكم المجتمعات التي تُحسِنُ التعامُل المتكامِل، وتلمَّسُ مواقعَ الخللِ لدى بنِيها والمنتَمين إليها؛ لتشكُر الناجِح وتُكرِّمه، ولتُصلِح المتعثِّر وتُقوِّمه، ومن ذلكم؛أخذُها على أيدي سُفَهائِها، وإصلاح شأنهم، والقضاء على مظانِّ السَّفَه لئلا تغرقَ سفينةُ المجتمع الماخِرة بقضِّها وقضيضِها.

والسَّفَه: نقيض الحِلْم، وهو سرعة الغضب والطَّيش مِن يسيرِ الأمور، والمبادرة في البطش، والإيقاع بالمؤذي، والسَّرف في العقوبة، وإظهار الجزع مِن أدنى ضررٍ، والسَّبُّ الفاحش(٢).

وقال ابن القيِّم: السَّفَه غاية الجهل، وهو مركَّبٌ مِن عدم العلم بما يُصْلِح معاشه ومعاده، وإرادته بخلافه(٣). والحُمْق هو: وضع الشَّيء في غير موضعه مع العلم بقُبْحه(٤).

قال الزبيري: كنتُ إذا جلستُ إلى الحسن بن صالح رجعتُ وقد نغصَّ عليَّ ليلتي. وكنتُ إذا جلستُ إلى سفيان الثوري رجعتُ وقد هممتُ أن أعمل عملًا صالحًا. وكنتُ إذا جلستُ إلى شريك بن عبد الله رجعتُ وقد استفدتُ أدبًا حسنًا(٥).

والآيات والأحاديث التي تحذر من السَّفَه والحُمْق كثيرة منها: قال تعالى: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِ﴾(٦). قال الشَّافعي: السَّفيه: المبَذِّر المفسِد لماله أو في دينه(٧).

---

(١) الزخرف: ٦٧.

(٢) وهذا تعريف الجاحظ كما في كتابه تهذيب الأخلاق (ص ٢٩).

(٣) بدائع الفوائد (٤/ ١٥٤١).

(٤) لسان العرب (١٠/ ٦٨). لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ.

(٥) تاريخ بغداد (١٠/ ٣٨٤). تاريخ بغداد، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.

(٦) البقرة: ٢٨٢.

(٧) ينظر: التقييد الكبير للبسيلي (ص ٣٨٣) ولم ينسبه للشافعي. التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي التونسي (ت ٣٨٠هـ)، الناشر: كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض – المملكة العربية السعودية.



قال تعالى: ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾[١]. أي:خسروا دينهم وأولادهم وعقولهم، وصار وصْفُهم- بعد العقول الرَّزينة- السَّفه المرْدِي والضَّلال.

وعن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- قال: سمعت النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول:" يخرج في آخر الزَّمان أقوامٌ أحداث الأسنان، سُفَهَاء الأحلام، يقولون مِن خير قول البريَّة، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإنَّ قتلهم أجرٌ لمن قتلهم يوم القيامة". رواه البخاري ومسلم[٢].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّها ستأتي على النَّاس سنونٌ خَدَّاعَة، يُصَدَّق فيها الكاذب، ويُكَذَّب فيها الصَّادق، ويُؤْتَمَن فيها الخائن، ويُخَوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرُّويبضة. قيل: وما الرُّويبضة؟ قال: السَّفيه يتكلَّم في أمر العامَّة ". رواه ابن ماجه[٣].

والسَّفَه ينقسم إلى قسمين:

١- سفه في الأمور الدُّنيويَّة: وهو التَّصرُّف في الأموال بالتَّبذير والإسراف، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤۡتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمۡوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ قِيَٰمٗا وَٱرۡزُقُوهُمۡ فِيهَا وَٱكۡسُوهُمۡ وَقُولُواْ لَهُمۡ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا﴾[٤].

٢- سفه في الدِّين: قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾[٥]، وقوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَا﴾[٦].

قال الإمام الغزالي- رحمه الله-: الطباع مجبولة على التشبُّه والاقتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه[٧].

---

(١) الأنعام: ١٤٠.

(٢) رواه بهذا اللفظ أحمد في مسنده (٢/ ٥٣) برقم (٦١٦). ورواه بمعناه البخاري في صحيحه (٤/ ٢٠٠) برقم (٣٦١١) كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٤٦) (١٠٦٦) كتاب الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٣/ ٢٩١) برقم (٧٩١٢). وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٣٩) برقم (٤٠٣٦) كتاب الفتن باب الصبر على البلاء. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ٣٦).

(٤) النِّساء: ٥.

(٥) البقرة: ١٣.

(٦) البقرة: ١٤٢.

(٧) إحياء علوم الدين (٢/ ١٧٣). إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

وقال العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ- رحمه الله-: طول المعاشرة، وكثرة المخالطة لها تأثير ظاهر، وفعلٌ بيِّنٌ في الأخلاق والطباع والشيم، والعقائد والديانات كما هو مُشاهَد محسوس، حتى إن الإنسان قد يسري إليه ما جُبِل بعض الحيوانات عليه(١).

ومِن علامات السَّفيه والأحمق: الشُّح وسوء الخُلُق، وكثرة طلب الحوائج إلى النَّاس، وإنفاق المال على وجه التَّبذير وفيما لا ينبغي، والفُحْش وبذاءة اللِّسان.

قال أبو حاتم: ومِن شيم الأَحْمَق: العجلة، والخِفَّة، والعجز، والفجور، والجهل، والمقت، والوَهَن، والمهابة، والتَّعَرُّض، والتَّحاسد، والظُّلم، والخيانة، والغفلة، والسَّهو، والغيّ، والفُحْش، والفخر، والخيلاء، والعدوان، والبغضاء(٢).

وإنَّ مِن أعظم أمارات الحُمْق في الأَحْمَق لسانه؛ فإنَّه يكون قلبه في طرف لسانه، ما خطر على قلبه نَطَق به لسانه. والأَحْمَق يتكلَّم في ساعة بكلام يعجز عنه سحبان وائل، ويتكلَّم في السَّاعة الأخرى بكلام لا يعجز عنه باقل، والعاقل يجب عليه مجانبة مَن هذا نعتُه، ومخالطة مَن هذه صفتُه؛ فإنَّهم يجترئون على مَن عاشرهم، وأما السَّفيهُ في الأخلاقِ فدواؤُه السكوتُ، ومُتاركتُه بلا جوابٍ أشدُّ عليه من الجوابِ في الغالبِ، سفيهُ الخُلُق إذا ردَدتَ عليه فرَّجتَ عنه، وإذا خلَّيتَه فإنه يموتُ كمَدًا، كما قال عنه الشافعيُّ- رحمه الله-:

يُخاطِبُني السَّفيهُ بكلِّ قُبحٍ ... وأكـرَهُ أن أكـونَ لـهُ مُجيبَـا
يزيدُ سـفاهةً وأزيدُ حِلمًـا ... كعودٍ زادَه الإحـراقُ طِيبًا(٣)

وقال محمد بن إسحاق الواسطي:

لي صديقٌ يرى حقوقي عليه ... نافـلاتٍ وحقَّـه كـان فرضَـا
لو قطَّعتُ الجبالَ طولًا إليه ... ثمَّ مِـن بعـدِ طولِها سـرتُ عرضَـا
لرأى ما صنـعتُ غيرَ كبيرٍ ... واشتهى أن أزيدَ في الأرضِ أرضَا(٤)

---

(١) عيون الرسائل والأجوبة على المسائل (٢/ ٥٢٨). عيون الرسائل والأجوبة على المسائل، المؤلف: عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب آل الشيخ (المتوفى: ١٢٩٣هـ)، المحقق: حسين محمد بوا، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى.

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٢١).

(٣) ديوان الإمام الشافعي (ص: ١١). ديوان الإمام الشافعي، المؤلف : أبى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى المتوفى عام ٢٠٤هـ.

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١١٩).



والخلاصة: أنه ينبغي على الإنسان أن يتجنب السفه والحمق حتى لا يندم يوم القيامة يوم لا ينفع الندم؛ فعليه بالبعد والحذر من مصاحبة ومجالسة الفسَّاق والفجَّار والأشرار، قال الله عز وجل: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾(١) قال الحافظ ابن كثير- رحمه الله-: أي كل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله عز وجل(٢)، وقال ابن عباس- رضي الله عنهما- ومجاهد وقتادة: صارت كل خلة عداوة يوم القيامة إلا المتقين(٣).

وقال أحد الحكماء- ولعله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه- يُوصي ولده: يا بُني؛ لا تُصاحبْ خمسة: الكذاب فإنه يُقرِّب إليك البعيد ويُبعد القريب، ولا الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، ولا الجبان فإنه يقطع بك ويفر عند الشدة، ولا البخيل فإنه يقطع بك وأنت أحوج ما تكون إليه، ولا الفاسق فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها(٤).

---

(١) الزخرف: ٦٧.

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٢٣٧).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٨/ ٣٨٣).

(٤) ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق لابن عساكر (٤١/ ٤٠٩) قريبًا منه. تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.



٢١ جمادى الثانية

التحذير من الشماتة

خُلُق الشماتة غالبًا ما تقترن به مظاهر كريهة من السخرية والهمز واللمز، وألوان الاستهزاء قولًا وفعلًا وإشارة، ولا شك أن الشامت من كبار الجُهَّال لجهلهِ حقيقة البلاء وجهلهِ حقيقة الدنيا، يعيش بطول الأمل كأن الدنيا تدوم لأحد، ولا يعلم أن الأيام دول، وكل يوم ملك الملوك هو في شأن، من شأنه أن يُحيي ويُميت، ويُعز ويُذل، يرزق قومًا، ويمنع آخرين، يستجيب دعاء، يهدي ضالًّا، يرحم ميتًا، يفك أسيرًا، يرفع أقوامًا، ويضع آخرين.

قال الإمام أبو حامد الغزَّالي: الشَّمَاتَة الفَرَح بالشَّرِّ الواصل إلى غير المستَحِق، ممَّن يعرفه الشَّامت[١].

وقيل: الشَّمَاتَة هي سرور النَّفس بما يصيب غيرها مِن الأضرار، وإنَّما تحصل مِن العداوة والحسد[٢].

وقد ورد ذَمُّ الشَّمَاتَة في القرآن الكريم، قال تعالى:﴿قَالَ ٱبۡنَ أُمَّ إِنَّ ٱلۡقَوۡمَ ٱسۡتَضۡعَفُونِي وَكَادُواْ يَقۡتُلُونَنِي فَلَا تُشۡمِتۡ بِيَ ٱلۡأَعۡدَآءَ وَلَا تَجۡعَلۡنِي مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٣].أي: فلا تفعل بي ما هو أمنيَّتهم مِن الاستهانة بي والإساءة إليَّ، وقُرِئ: {فلا يَشْمَتْ بي الأعداءُ}، على نهي الأعداء عن الشَّمَاتَة. والمراد أن لا يحلَّ به ما يَشْمَتون به لأجله.

وقال أيضًا سبحانه وتعالى: ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَا﴾[٤] وهذا الفَرَح شماتة، والحسد والشَّمَاتَة متلازمان.

ومما ورد من ذم الشماتة في السنة النبوية؛ ما ورد عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه" كان يتعوَّذ مِن سوء القضاء، ومِن درك الشَّقاء، ومِن شَمَاتَة الأعداء، ومِن جهد البلاء". رواه البخاري ومسلم[٥].

أما حُكْم الشَّمَاتَة فلا تجوز بالمسلم؛ لكنها في حق الكفار المحاربين والمنافقين جائزة، قال تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡ﴾[٦].

---

(١) ميزان العمل (ص: ٢٨٦). ميزان العمل، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، حققه وقدم له: الدكتور سليمان دنيا، الناشر: دار المعارف، مصر، الطبعة: الأولى، ١٩٦٤هـ.

(٢) التحرير والتنوير (٩/ ١١٧).

(٣) الأعراف: ١٥٠.

(٤) آل عمران:١٢٠.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧٥) برقم (٦٣٤٧) كتاب الدعوات باب التعوذ من جهد البلاء. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٠) (٢٧٠٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره.

(٦) التوبة: ١٤-١٥.



قال السعدي: فإنَّ في قلوبهم من الحنق والغيظ عليهم؛ ما يكون قتالهم وقتلهم شفاء لما في قلوب المؤمنين من الغم والهم، إذ يرون هؤلاء الأعداء محاربين لله ولرسوله- صلى الله عليه وسلم- ساعين في إطفاء نور الله، وزوالًا للغيظ الذي في قلوبهم، وهذا يدل على محبة الله لعباده المؤمنين، واعتنائه بأحوالهم، حتى إنه جعل- من جملة المقاصد الشرعية- شفاء ما في صدورهم وذهاب غيظهم(١).

واعلم- أخي المسلم- أن الشَّمَاتَة بالتَّعيير بالذَّنب أعظم مِن مُرْتَكِب الذَّنب: يقول ابن القيِّم في كتابه القيم" مدارج السالكين": إنَّ تعييرك لأخيك بذنبه أعظم إثمًا مِن ذنبه، وأشدُّ مِن معصيته؛ لما فيه مِن صولة الطَّاعة، وتزكية النَّفس وشكرها، والمناداة عليها بالبراءة مِن الذَّنب، وأنَّ أخاك باء به، ولعلَّ كسرته بذنبه، وما أحدث له مِن الذِّلَّة والخضوع والإزراء على نفسه، والتَّخلُّص مِن مرض الدَّعوى والكِبْر والعُجْب، ووقوفه بين يدي الله ناكس الرَّأس، خاشع الطَّرف، منكسر القلب؛ أنفع له، وخيرٌ مِن صولة طاعتك، وتكثُّرك بها، والاعتداد بها، والمنَّة على الله وخَلْقِه بها، فما أقرب هذا العاصي مِن رحمة الله، وما أقرب هذا المدِل مِن مقت الله، فذنب تَذِلُّ به لديه أحبُّ إليه مِن طاعة تدلُّ بها عليه، وإنَّك أن تَبِيتَ نائمًا وتصبح نادمًا خيرٌ مِن أن تَبِيتَ قائمًا وتصبح مُعْجَبًا؛ فإنَّ المعْجَب لا يَصْعَد له عملٌ، وإنَّك إن تضحك وأنت معترفٌ؛ خيرٌ مِن أن تبكي وأنت مُدِلٌّ، وأنين المذنبين أحبُّ إلى الله مِن زجل المسبِّحين المدِلِّين، ولعلَّ الله أسقاه بهذا الذَّنب دواءً استخرج به داءً قاتلًا هو فيك ولا تشعر(٢).

كما أن الشَّامت قد تنعكس المصيبة عليه: يقول إبراهيم النخعي: إنِّي لأرى الشَّيء أكرهه، فما يمنعني أن أتكلَّم فيه إلَّا مخافة أن أُبْتَلَى بمثله(٣).

فالفَرَح بمصيبة العدوِّ مذمومٌ جدًّا؛ لكونه سببًا لانعكاس المصيبة عليه بابتلاء مَن شَمَت، وعافية مَن شَمَت عليه، أو لأنَّه ارتكب المنهيَّ عنه، خصوصًا إذا حملها على كرامة نفسه، يعني: يقول الحاقد: إنَّ مصيبة عدوِّي إنَّما هي مِن كرامتي، أو على إجابة دعائه، كأن يقول: ما ابتُلِي به عدوِّي مِن هذه المصيبة؛ إنَّما هو بإجابة دعوتي عليه، لأنَّه حينئذ عُجْبٌ وتزكية نفسٍ وغُرورٌ، بل يجب على الحاقد أن يخاف مِن مصيبة عدوِّه أن تكون مكرًا مِن الله تعالى له، واستدراجًا للحاقد، حيث ابتلى عدوَّه وعافاه، ويجب على الحاقد أن يَحْزَن على احتمال كونه مَكْر الله تعالى، ويجب- أيضًا- أن يدعو الله بإزالة بلائه، ويدعو بأن يُخْلِفه الله تعالى خيرًا ممَّا فات مِن النِّعم بتلك المصيبة. ثمَّ إنَّ هذا الدُّعاء سبب لخلاص الحاقد مِن تلك المصيبة، كما قال الله

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٣١).

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ١٩٥).

(٣) شعب الإيمان (٩/ ١١٨).

تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا﴾[١]. والشَّمَاتَة لها تأثيرٌ سلبيٌّ على الفرد والمجتمع؛ فهي تُربِّي الحقد والحسد والعداوة، وهذا أمرٌ معلوم مشهود، كما أنها تُؤدِّي إلى قساوة القلب.

ويكفي أن الشماتة من صفات المنافقين، فقد أظهر اليهود والمنافقون الشَّماتَة بالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فحينما وصل النبي صلى الله عليه وسلم المدينة بعد غزوة أحد؛ أظهر هؤلاء الشَّمَاتَة والسُّرور، وصاروا يُظْهِرون أقبح القول، ومنه قولهم: ما محمدٌ إلَّا طالبُ مُلْك، ما أصيب بمثل هذا نبيٌّ قطُّ؛ أُصيب في بدنه، وأُصيب في أصحابه، ويقولون: لو كان مَن قُتِل منكم عندنا ما قُتِل.

حتى استأذن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- في قتل هؤلاء المنافقين، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أليس يظهرون شهادة أن لا إله إلَّا الله وأنِّي رسول الله؟ قال: بلى؛ ولكن تعوُّذًا مِن السَّيف، فقد بان أمرهم، وأبدى الله تعالى أضغانهم. فقال صلى الله عليه وسلم: نُهِيتُ عن قتل مَن أظهر ذلك. وصار ابن أُبَيّ- لعنه الله- يُوبِّخ ابنه عبد الله- رضي الله تعالى عنه- وقد أثبتته الجراحة، فقال له ابنه: الذي صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم والمسلمين خيرٌ[٢].

قال أبو العبَّاس المبرِّد: وهلك أخٌ لبعض الأعراب، فأظهر له الشَّمَاتَة بعضُ بني عمِّه؛ فأنشأ الأعرابيُّ يقول:

ولقدْ أقولُ لذي الشَّمَاتَةِ إذ رأى ... جزعي ومَن يَذُقِ الفجيعةَ يجزعِ
اشمتْ فقدْ قَرَعَ الحوادثُ مَرْوَتي ... وافرحْ بمروتِكَ التي لمْ تُقْرَعِ
إنْ تبقَ تُفْجَعْ بالأحبَّةِ كلِّهمْ ... أَو يُفجَعُوا بِكَ إن بِهِم لم تُفجَعِ[٣]

الخلاصة: الشماتة من مساوئ الأخلاق، والإسلام دين الأخلاق الحميدة، دعا إليها، وحرص على تربية نفوس المسلمين عليها. وقد مدح الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٤]. فعلى المسلم أن يتجمَّل بحسن الأخلاق، وأن يكون قدوته في ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا يُظهر الشماتة لأخيه فيرحمه الله ويبتليه، فعقوبة الشامت في الدنيا هي انتقال المصيبة إليه.

---

(١) النِّساء: ٨٥.

(٢) ينظر: إمتاع الأسماع (١/ ١٧٦).

(٣) التعازي [والمراثي والمواعظ والوصايا] (ص: ٢٣٩).

(٤) القلم: ٤.



٢٢ جمادى الثانية

التحذير من الطمع

يُعدُّ الطمع صفة من الصفات غير الحميدة، مهما اختلفت العصور وتباينت الأوقات، فمنذ قديم الزمن وتلك الصفة مرفوضة تمامًا؛ حيث إنها تتسبَّب في الكثير من الخراب والدمار في المجتمعات، وذلك لأنها تساعد على نشر الفوضي بكثرة، وبسبب تلك الصفة تندثر الأخلاق الحميدة، وتَعُمُّ الأخلاق الذميمة، وهذا يُعدُّ سببًا كافيًا من أسباب تأخُّر المجتمعات، وليس ذلك فقط؛ بل يُعتبر أيضًا من أسباب الحروب بين الدول، فالطمع صفة لا تقوم بالتأثير على الفرد فقط، بل تُؤثِّر على المجتمع بأكمله.

والطمع يُذهب البركة، ويجعل الشخص في شعور دائم بالفقر، فهو يُؤدِّي إلى إذلال النفس في طلب الرزق، بدلًا من التوكل على الله والرضا بما كتبه، وقد قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- عند البخاري وغيره:" تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ"[(١)].

قال الرَّاغب: والطمع هو نزوع النَّفس إلى الشَّيء شهوةً له[(٢)]، وعندما يطمع المسلم في مال أو منصب زائل في الدنيا؛ فإن هذا يُعدُّ أمرًا مذمومًا، فالطمع قد يُؤدِّي بصاحبه إلى ارتكاب المعاصي، وخداع الآخرين من أجل المصلحة الشخصية.

ولقد ذمَّ الله تعالى الطَّمع في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المشرفة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ﴾[البقرة: ٤١]، قال السُّدِّي: لا تأخذوا طمَعًا قليلًا وتكتُموا اسمَ الله، وذلك الثمن هو الطَّمع[(٣)]، وقال جلَّ في علاه: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ﴾[(٤)]. لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ: بسائق الطَّمع والحرص، وحب التكاثر بالأموال التي تميل بذويها إلى الباطل إن لم يتولَّهم الله بلطفه.

وعن عياض بن حمار- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مُقسط مُتصدِّق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكلِّ ذي قُربى ومُسلم، وعفيف مُتعفِّف ذو عيال. وأهل النار خمسة: الضعيف الذي لا زبر له، الذين فيكم تبع، لا يبغون أهلًا ولا

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٣٤) برقم (٢٨٨٧) كتاب الجهاد والسير باب الحراسة في الغزو في سبيل الله.

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٢٤).

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١/ ٥٦٥).

(٤) ص: ٢٤.



مالًا، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دقَّ إلَّا خانه، ورجل لا يُصبح ولا يُمسي إلَّا وهو يُخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخل أو الكذب. والشِّنظير: الفحّاش[(١)]". رواه مسلم[(٢)].

وعن جابر- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" اتقوا الظلم؛ فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشحَّ؛ فإنَّ الشحَّ أهلك مَن كان قبلكم؛ حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلُّوا محارمهم". رواه مسلم[(٣)].

قال الشيخ ابن عثيمين في كتابه شرح رياض الصالحين: ثم قال صلى الله عليه وسلم: (واتقوا الشحَّ) يعني الطَّمع في حقوق الغير. اتقوه: أي احذروا منه واجتنبوه[(٤)].

والطَّمع نوعان هما: الطَّمع المحمود، وذلك مثل: الطَّمع في طلب مغفرة الله للإنسان، والطَّمع في دخول الجنة، والطَّمع في كرم الله تعالى.

والطَّمع المذموم، وذلك مثل: الطَّمع في طلب الدنيا وجمع المال، والطَّمع في سلطة أو منصب، والطَّمع في المأكل والمشرب والملذات.

ولكن يجب أن نُفرِّق بين الطمع والطموح: فهناك فرق كبير بين الشخص الطموح والشخص الطمَّاع، فالشخص الطموح هو الذي يضع أمامه مجموعة من الأهداف التي يسعى لتحقيقها، ومن أجل ذلك فهو يجتهد ويبذل قصارى جهده، وبالإضافة إلى ذلك فهو يستعين بالله ويتوكل عليه، ويرضى بقضائه ولا يسخط على حاله أبدًا، أما الشخص الطمَّاع فهو على العكس تمامًا فهو شخص لا يرضى بقضائه، فهو دائم البحث عن المزيد؛ حتى وإن كلَّفه ذلك اللجوء إلى طرق تُغضب الله تعالى للحصول على ما يريده.

وللأسرة دور بارز جدًّا لا غنى عنه في التخلُّص من الطمع نهائيًّا، حيث تُعدُّ الأسرة هي الأساس الذي ينشأ عليه الأفراد في كافة المجتمعات. حيث تقوم الأسرة بزرع الصفات الجيدة والخصال الحميدة، إلي جانب

---

(١) الزَبْر: بفتح الزاي وسكون الموحدة، أي لا رأي له ولا عقل كاملًا يمنعه، قوله: "لا يبغون أهلًا" أي لا يطلبون زوجة، فأعرَضُوا عن الحلال، وارتكبوا الحرام، قوله: "وإن دقَّ إلَّا خانه" هو إغراق في الطمع والخيانة، قوله: "الشِّنْظِيرُ" بكسر الشين والظاء المعجمتين بَيْنَهُمَا نون ساكنة، السيء الخلق، والفحَّاش: المكثر للفحش.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٩٧) برقم (٢٨٦٥) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٦) برقم (٢٥٧٨) كتاب البر والصلة والآداب وأهلها باب تحريم الظلم.

(٤) شرح رياض الصالحين (٣/ ٤١٥).



تطبيقها بشكل دائم. كما تعمل على تعليم الأطفال المبادئ والقيم، ونهيهم عن الأمور السيئة. بالإضافة إلى هذا فلا بدَّ أن ينشأ بين الأطفال حب الغير، والشعور بالرضا، بجانب تعليمهم كيفية الإيثار على النفس. فإذا تم إنشاء أساسات مجتمعية قوية؛ سيتم القضاء نهائيًّا على الطمع في المجتمع، كما ستنتهي آثاره المختلفة؛ كالغش والخداع، والكذب والنفاق. ليس ذلك فقط بل ستختفي أيضًا العداوة، وسيعُمُّ السلام والمودة والمحبَّة بين كافة المجتمعات والدول، كما ستتوقف الحروب، وستتقدَّم وتتطوَّر البلاد، وسينال الأشخاص نظرة احترام وتقدير، كما سيتم الشعور بحب وقبول الذات؛ حيث إن التحلِّي بالأخلاق الحميدة أكثر ما يفيد الشخص طوال حياته، لذلك فإن الأسرة هي العامل الرئيسي الذي يقوم عليه كافة ذلك.

ولكي ينتزع المسلم تلك الصفة البغيضة منه؛ عليه أن يتحلَّى بالرضا والقناعة، وأن يعلم أنه لن يحصل من الدنيا إلَّا ما كتبه الله له، وعليه أن لا يجعل حب المال يلهيه عن ذكر الله تعالى، بل على العكس يجب عليه أن يجعل من المال الذي أعطاه له سبيلًا لرضا الله، وأن يحرص على أداء الزكاة حيث إن فيها شفاء للقلب من الطمع.

كذلك يجب أن يحرص على أن يكون كريمًا مع الناس، فالكرم من أقصر الطرق للقضاء على الطمع، كما يجب أن يكون أمينًا على أموال الآخرين، وأن لا يسأل الناس الزيادة إذا كان يمتلك ما يكفيه، ومن الضروري أن يُراعي الله في الطريقة التي يتحصَّل بها على أمواله، فلا يجمعها من الحرام الذي يُغضب الله تعالى.

قال سعد بن أبي وقاص- رضي الله عنه- لابنه في وصية له يُحذِّره فيها من الطَّمع: يا بُنيَّ؛ إذا طلبتَ الغنى فاطلبه بالقناعة، فإنه مَن لم يكن له قناعة لم يُغنه مال[١].

وعن سعيد بن عمارة أنه قال لابنه: أظهر اليأس فإنه غنى، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر[٢].

الخلاصة: إن الطمع مِن أرذل وأقبح الصفات، لذا نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ من الطمع والجشع، حيث قال كما ورد عند مسلم وغيره:" اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ"[٣]، وأراد رجلٌ أن يُقبِّل يد هشام بن عبد الملك، فقال له: لا تفعل، فإنما يفعله من العرب الطَّمِع[٤].

---

(١) المجالسة وجواهر العلم (٥/ ٤٦).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٤٢).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٨) برقم (٢٧٢٢) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

(٤) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (٢/ ٤١٩). ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، المؤلف: جار الله الزمخشري توفي ٥٨٣ هـ، الناشر: مؤسسة الأعلمي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

٢٣ جمادى الثانية

التحذير من الظلم

الظلم هو الجور ومجاوزة الحد، وهو الميل عن القصد، وهو وضع الشيء في غير موضعه.

والظلم مُحرَّمٌ بإجماع الأمة بأكملها، ولا يُحِلُّه أحدٌ من العلماء، كما أنَّ عواقبه ذميمة ووخيمة على الظالم. والمتدبِّر لكتاب الله تعالى، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ يجد من التحذير والتهديد والوعيد الشديد الذي يلحق المجرمين، والعتاة الظالمين، ما تنخلع له القلوب، ولقد جاء التحذير من الظلم تارة في التشديد على الظلم والتشنيع على أهله، وتارة بذكر ما حل بهم من العقوبات والمثُلات، وما ينتظرهم من عقوبات يوم العرض.

وقد وردت آيات عديدة في تنزيه الله تعالى نفسه عن الظلم، قال تعالى: ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴾[(١)]، وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[(٢)]، وقال: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[(٣)]، وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[(٤)]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[(٥)].

كما جاءت آيات أخرى تتحدث عن إهلاك الله تعالى للظالمين، وتوعدهم بعقوبات في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[(٦)]، وقوله تعالى: ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾[(٧)]، وقال الله تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾[(٨)].

وفي حديث مسلم عن أبي ذر- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" قال الله تبارك وتعالى: يا عبادي؛ إِنِّي حرَّمتُ الظلم على نفسي، وجعلتُه بينكم مُحرَّمًا؛ فلا تظالموا"[(٩)].

---

(١) غافر: ٣١.

(٢) فصلت: ٤٦.

(٣) آل عمران: ١٠٨.

(٤) النساء: ٤٠.

(٥) يونس: ٤٤.

(٦) هود: ١٠٢.

(٧) سبأ: ٤٢.

(٨) غافر: ١٨.

(٩) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٤) برقم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم.



قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: هذا الحديث قد تضمَّن من قواعد الدين العظيمة في العلوم والأعمال والأصول والفروع؛ فإن تلك الجملة الأولى وهي قوله: (حرَّمتُ الظلم على نفسي) يتضمن جلَّ مسائل الصفات والقدر إذا أعطيت حقَّها من التفسير، وإنما ذكرنا فيها ما لا بدَّ من التنبيه عليه من أوائل النكت الجامعة. وأما هذه الجملة الثانية وهي قوله: (وجعلتُه بينكم مُحرَّمًا فلا تظالموا) فإنها تجمع الدين كله؛ فإنَّ ما نهى الله عنه راجع إلى الظلم، وكل ما أمر به راجع إلى العدل[١].

وعن جابر– رضي الله عنه– أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" اتَّقوا الظلم؛ فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة". رواه مسلم[٢].

وعن أبي موسى– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الله ليُملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته" ثم قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾[٣] رواه البخاري[٤]. قال ابن عثيمين في كتابه شرح رياض الصالحين: (يُملي له) يعني: يُمهل له حتى يتمادى في ظلمه، والعياذ بالله، فلا يُعجِّل له العقوبة[٥].

وأقسام الظلم ثلاثة: **الأول:** ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[٦]، **والثاني:** ظلم بينه وبين الناس، وإياه قصد بقوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ﴾[٧] ، **والثالث:** ظلم بينه وبين نفسه، وإياه قصد بقوله: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ﴾[٨] ، وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس.

ومن صور الظلم:

١– الشرك بالله: قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾[٩].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/ ١٥٧).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٦) برقم (٢٥٧٨) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم.

(٣) هود: ١٠٢.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٧٤) برقم (٤٦٨٦) كتاب تفسير القرآن باب قوله: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ [هود: ١٠٢].

(٥) شرح رياض الصالحين (٢/ ٤٩٨).

(٦) لقمان: ١٣.

(٧) الشورى: ٤٢.

(٨) فاطر: ٣٢.

(٩) لقمان: ١٣.



٢- التعدِّي على حدود الله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[1].

٣- الصدُّ عن مساجد الله أن يُذكر فيها اسمه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2].

٤- كتْم الشهادة: قال تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3].

٥- مظالم العباد وهو أكثرها وأشهرها. كما قال سفيان الثوري: إن لقيتَ الله تعالى بسبعين ذنبًا فيما بينك وبين الله تعالى؛ أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد[4].

ويمكن تقسيمه إلى ظلم قولي، وفعلي: فمن الظلم القولي: الغيبة، والنَّمِيمَة، والسباب والشتم، والاحتقار، والتنابز بالألقاب، والسخرية، والاستهزاء، والقذف، ونحو ذلك.

ومن الظلم الفعلي: القتل بغير حق، الظلم الواقع على المسلمين بسبب تمسُّكهم بدينهم، أخذ أرض أو شيء من الغير بغير وجه حق.

والظلم من المعاصي التي يُعجِّل الله عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة، فعن أبي بكرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما من ذنبٍ أجدر أن يُعجِّل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدَّخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم". رواه أبو داود[5].

---

(١) البقرة: ٢٢٩.

(٢) البقرة: ١١٤

(٣) البقرة: ١٤٠.

(٤) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي (ص: ٣٨٠).

(٥) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٧٦) برقم (٤٩٠٢) كتاب الأدب باب في النهي عن البغي. والترمذي في جامعه (٤/ ٦٦٤) برقم (٢٥١١) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠٨) برقم (٤٢١١) كتاب الزهد باب البغي. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٥٨٨).



والخلاصة: الظلم شرُّه عظيم، وعاقبته وخيمة، كما قال ابن القيم: سبحان الله! كم بكت في تنعُّم الظالم عينُ أرملة، واحترقت كبد يتيم، وجرت دمعة مسكين، ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ﴾(١)، ﴿وَلَتَعۡلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعۡدَ حِينِۭ﴾(٢)، ما ابيضَّ لون رغيفهم حتَّى اسودَّ لون ضعيفهم، وما سمنت أجسامهم حتى انتحلت أجسام ما استأثروا عليه، لا تحتقر دعاء المظلوم، فشرر قلبه محمول بعجيج صوته إلى سقف بيتك، ويحك، نبال أدعيته مصيبة؛ وإن تأخر الوقت، قوسه قلبه المقروح، ووتره سواد الليل، وأستاذه صاحب (لأنصرنَّكِ ولو بعد حين) وقد رأيتَ ولكن لستَ تعتبر، احذر عداوة مَن ينام وطرفه باكٍ، يُقلِّب وجهه في السماء، يرمي سهامًا ما لها غرض سوى الأحشاء منك، فربما ولعلها إذا كانت راحة اللذة تثمر ثمرة العقوبة لم يحسن تناولها، ما تساوي لذة سنة غمَّ ساعة، فكيف والأمر بالعكس، كم في يمِّ الغرور من تمساح، فاحذر يا غائص، ستعلم أيها الغريم قصتك عند علق الغرماء بك:

إذا التقى كلُّ ذي دَينٍ وماطله ستعلمُ ليلى أيَّ دَينٍ تداينتْ(٣)

فالحذر الحذر من الظلم بكافة صوره وأشكاله، وتأييد الظالم بأي شكل كان، فإن من يفعل ذلك فهو ظالم مثله، اقرأوا إن شئتم قول الله تعالى: ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾(٤)، يقول ابن عباس- رضي الله عنهما- في تفسيرها: أي: نظراءهم(٥).

فعلى المسلم عدم الركون إلى الظالم؛ لأنه سبب في انتشار الظلم، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾(٦).

بل يجب هجر الظالم وعدم إعانته على ظلمه؛ قال صلى الله عليه وسلم:" انصُر أخاك ظالمًا أو مظلومًا"، قالوا: يا رسولَ الله؛ هذا ننصُره مظلومًا، فكيفَ ننصُره ظالمًا؟! قالَ:"تأخُذُ فوقَ يَدِه". متّفَق عليه(٧).

---

(١) المرسلات: ٤٦.

(٢) ص: ٨٨.

(٣) بدائع الفوائد (٣/ ١٢٣٢). وانظر نحوه في المدهش (ص: ٣٨٧).

(٤) الصافات: ٢٢.

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (١٩/ ٥١٩).

(٦) هود: ١١٣.

(٧) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٨) برقم (٢٤٤٤) كتاب المظالم والغصب باب أعن أخاك ظالمًا أو مظلومًا. ولم أقف عليه في مسلم.

قال أبو العتاهية:

أمَـــا واللَّهِ إنَّ الظُّلْـــمَ لـــؤمٌ ... ولكـنَّ المسـيءَ هـو الظلـومُ
إلى ديَّانِ يومِ الدِّينِ نمضـــي ... وعندَ اللهِ تجتمعُ الخصومُ[1]

(١) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة (ص: ١٩٨).



٢٤ جمادى الثانية

التحذير من العُجْب

العُجب من الآفات الخطيرة التي تُصيب كثيرًا من الناس، فتصرفهم عن شكر الخالق إلى شكر أنفسهم، وعن الثناء على الله بما يستحق إلى الثناء على أنفسهم بما لا يستحقون، وعن التواضع للخالق والانكسار بين يديه إلى التكبر والغرور والإدلال بالأعمال، وعن احترام الناس ومعرفة منازلهم إلى احتقارهم وجحد حقوقهم.

فما هو العُجب؟ العُجْبُ: هو الكِبْر والزهو، واستعظام النعمة، والركون إليها، مع نسيان إضافتها للمُنْعِم سبحانه[١]. وقد سُئل ابن المبارك عن العُجْب، فقال: أن ترى أن عندك شيئًا ليس عند غيرِك، لا أعلم في المصلّين شيئًا شرًّا من العُجْب[٢].

والعُجْب مُحرَّمٌ؛ لأنه نوع من الشرك. قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: "وكثيرًا ما يُقرَن الرياء بالعُجب، فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعُجب من باب الإشراك بالنفس، وهذا حال المستكبر؛ فالمرائي لا يُحقِّق قوله" إِيَّاكَ نَعْبُدُ"، والمعجب لا يُحقِّق قوله:" وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"، فمن حقَّق قوله:"إِيَّاكَ نَعْبُدُ" خرج عن الرياء، ومن حقَّق قوله:" وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" خرج عن الإعجاب"[٣]. وقد سَمَّى الشوكاني- رحمه الله: الحسد والكِبْر والرياء ومحبَّة الثناء؛ سمَّاها: الطواغيت الباطنة، والأصنام المستورة[٤].

وهناك فرق بين العُجْب والكِبْر: فالعُجب باطن، والكِبر والخُيلاء والتَّعاظم ظاهر، فالعُجب من أعمال القلوب الباطنة، فهو من الأعمال التي لا يطَّلع عليها إلَّا اللهُ تعالى، فإذا ظهرت آثار هذا العُجبِ الباطنِ على الجوارح- بالاختيال في المشي، أو غَمْطِ الناس، أو ردِّ الحقِّ- سُمِّيَ هذا الظاهِرُ على الجوارح كِبْرًا وخُيَلاءً.

---

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٧١).

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٧). سير أعلام النبلاء، المؤلف : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى : ٧٤٨هـ)، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر : مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٧٧).

(٤) ينظر: أدب الطلب ومنتهى الأدب (ص: ٢٢٠). أدب الطلب ومنتهى الأدب، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، المحقق: عبد الله يحيى السريحي، الناشر: دار ابن حزم - لبنان / بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

والعُجْب كبيرة من كبائر الذنوب التي تستحق غضب الله، ومقته، وعذابه في الدنيا والآخرة، ويقول الغزالي: اعلم أن العُجْب مذموم في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾[1]، ذكر ذلك في معرض الإنكار وقال عزَّ وجلَّ: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ﴾[2]، فردَّ على الكفَّار في إعجابهم بحصونهم وشوكتهم، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[3][4].

ومن أسباب العُجْب:

١- جهل المرء بحقيقة نفسه وغفلته عنها، وأنَّ جهله بنفسه، وصفاتها، وآفاتها، وعيوب عمله، وجهله بربه، وحقوقه، وما ينبغي أن يُعامل به، يتولَّد منهما رضاه بطاعته، وإحسان ظنِّه بها، ويتولَّد من ذلك من العُجْب والكبر والآفات ما هو أكبر من الكبائر الظاهرة، من الزنا، وشرب الخمر، والفرار من الزحف، ونحوها.

٢- المدح والثناء، والإطراء في الوجه، سبب قوي من أسباب العُجْب. قال ابن حجر: قال ابن بطال: مَن أفرط في مدح آخر بما ليس فيه لم يأمن على الممدوح العُجْب؛ لظنِّه أنه بتلك المنزلة، فربما ضيَّع العمل والازدياد من الخير اتِّكالًا على ما وصف به[5].

٣- وممَّا يوصل الإنسان إلى العُجْب بنفسه، مقارنته لنفسه بمَن هو دونه في العمل والفضل، واعتقاده أنَّ الناس هلكى بالذنوب والمعاصي، وأنَّه على خير كبير إذا قورن بغيره.

٤- النشأة والتربية، فقد ينشأ الإنسان في بيئة غلب عليها طبع العُجْب والكِبر فيتأثَّر بها.

وكما قال الشاعر:

وينشأُ ناشئُ الفتيانِ منَّا ... على ما كان عوَّده أبوه[6]

---

(١) التوبة: ٢٥.

(٢) الحشر: ٢.

(٣) الكهف: ١٠٤.

(٤) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٦٩).

(٥) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٤٧٧)

(٦) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (١/ ١٠، بترقيم الشاملة آليا).



٥- الرفقة والصحبة سبب من أسباب الإعجاب بالنفس، ذلك أن الإنسان شديد المحاكاة والتأثُّر بصاحبه، لا سيما إذا كان هذا الصاحب قويَّ الشخصية، ذا خبرة ودراية بالحياة، وكان المصحوب غافلًا على سجيته، يتأثَّر بكلِّ ما يُلقى عليه، وعليه فإذا كان الصاحب مُصابًا بداء الإعجاب؛ فإنَّ عدواه تصل إلى قرينه فيصير مثله.

ويصف ابن حزم علاج مَن أُعجب بقوة جسمه أو خفته فيقول: وإن أُعجبتَ بقوة جسمك؛ فتفكَّر في أنَّ البغل والحمار والثور أقوى منك وأحمل للأثقال، وإن أعجبتَ بخفَّتك، فاعلم أن الكلب والأرنب يفوقانك في هذا الباب. فمن أعجب العجيب؛ إعجاب ناطق بخصلة يفوقه فيها غير الناطق[١]. قال أحد الشعراء:

يَا مُظهـرَ الكـبرِ إعجـابًا بصـورتِهِ ... انظـرْ خـلاك فـإنَّ النـتنَ تثريـبُ

لـو فكَّـرَ النـاسُ فيمـا في بُطـونِهِمُ ... مـا استشـعرَ الكـبرَ شـبانٌ ولا شـيبُ

هـل في ابـنِ آدمَ مثـلُ الـرأسِ مكرُمـةً ... وهـو بخمـسٍ مـن الأقـذارِ مضـروبُ

أنـفٌ يسـيلُ وأذنٌ ريحُهـا سـهكٌ ... والعـينُ مُرمِصـةٌ والثغـرُ ملعـوبُ

يا ابنَ الترابِ ومأكـولَ الترابِ غـدًا ... أقصرْ فإنَّك مأكـولٌ ومـشروبُ[٢]

ولقد ذكر العلماء للعُجب سببين رئيسين: **أولهما**: جهل المعجب بحق ربه وقدره، وقلة علمه بأسمائه وصفاته، وضعف تعبُّده له تعالى بها. **ثانيهما**: الغفلة عن حقيقة النفس، والجهل بطبيعتها وعيوبها، وإهمال محاسبتها. ويدخل تحتهما: تجاهل النعم، ونسيان الذنوب، واستكثار الطاعات.

ومن صور العُجْب: أنه قد يحصل العُجْب بصفات اضطرارية وقد يحصل بصفات اختيارية، والفرق بينهما أن الصفات الاضطرارية هي ما خُلقت في الإنسان ابتداء دون أن يكون له تدخُّل فيها، كالجمال والنسب وغيرها، أما الاختيارية فهي ما تحصل عليها ببذل مجهود، واكتسبها بعد أن لم يكن متصفًا بها، كالعلم والمال والجاه وغيرها. وكلها العُجْب بها مذموم، ولا فرق بين أن تكون تلك الخصلة التي حصل بها الإعجاب اضطرارية؛ كجمال، أو فصاحة، أو كثرة عشيرة، أو مال، أو بنين، أم اختيارية، كإقدام، أو كثرة علم، أو طاعة، أو نحو ذلك، فإن العُجْب بذلك كله قبيح شرعًا، ولا نعرف فيه خلافًا.

---

(١) رسائل ابن حزم (١/ ٣٩٣).

(٢) المجالسة وجواهر العلم (٤/ ٣٩٢).

والخلاصة: أن العجب صفة ذميمة وآفة خطيرة فإياك والعُجب بما وُفِّقتَ إليه من طاعة، وإياك والغرور؛ فإنك لا تدري أقُبِلتْ منك الطاعة أم لا، فربما شابها شائبة من الرياء أو عدم الإخلاص أو العُجب، والعُجب مُهلك ومفسد للطاعة؛ وروي عن علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-:"سيئة تسوءُك خيرٌ عند الله من حسنةٍ تُعجبُك"(١) أي: سيئة تُنكد عليك وتندم عليها خيرٌ من حسنة تُعجب بها وتغتر.

وقد أخذ هذا المعنى ابن عطاء الله، وعبَّر عنه في حكمته فقال:" ربما فتح الله لك باب الطاعة وما فتح لك باب القبول، وربما قدَّر لك المعصية فكانت سببًا في الوصول، ومعصية أورثت ذلًّا وانكسارًا خيرٌ من طاعة أورثت عُجبًا واستكبارًا"(٢). فالطاعة التي تُورثك العُجب والاستكبار وتقول بعدها: مَن مثلي؟ أنا الذي صمتُ وقمتُ، أنا الذي صليتُ التراويح وصليتُ القيام، أنا الذي تصدقتُ وأطعمتُ، وما يدريك يا مسكين أن هذا قد قُبِل منك!!

---

(١) نهج البلاغة : الحكمة ٤٦، المجالسة وجواهر العلم (٥/ ٣٠٠) عن هشام بن حسان.

(٢) مرشد الزوار إلى قبور الأبرار (٢/ ٢٠). مرشد الزوار إلى قبور الأبرار، المؤلف: موفق الدين أبو محمد بن عبد الرحمن، ابن الشيخ أبي الحرم مكّي بن عثمان الشارعي الشافعي (المتوفى: ٦١٥هـ)، الناشر: الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.



٢٥ جمادى الثانية

التحذير من العدوان

حذَّر الإسلام مِن العُدْوَان؛ لأنَّه صفة مذمومة ومقيتة، ونهى عن التَّعاون عليه، وقد وردت آياتٌ تحذِّر مِن ذلك، منها قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾[(١)].

والعُدْوَان: هو الظُّلم الصُّراح، قال أبو البقاء الكفويُّ: العُدْوَان: تجاوز المقدار المأمور به بالانتهاء إليه والوقوف عنده[(٢)]. وعرَّفه بعضهم بأنه: سلوك عمدي بقصد إيذاء الغير أو الإضرار بهم، ويأخذ صورًا وأشكالًا مُتعدِّدَة، منها العدوان البدني واللفظي، وقد أكَّد الله تعالى على عدم محبَّته للمعتدين في مواطن من كتابه، سواء كان اعتداؤهم بالقول أم بالفعل أم بالحال، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[(٣)].

والفرق بين العُدْوَان والظُّلم كما قال ابن رجب: بأنَّ الظُّلم ما كان بغير حقٍّ بالكلِّيَّة، كأخذ مال بغير استحقاق لشيء منه، وقتل نفس لا يحلُّ قتلها، وأما العُدْوَان: فهو مجاوزة الحدود وتعدِّيها فيما أصله مباح، مثل أن يكون له على أحد حقٌّ مِن مالٍ أو دمٍ أو عرضٍ، فيستوفي أكثر منه، فهذا هو العُدْوَان، وهو تجاوز ما يجوز أخذه، فيأخذ ما له أخذه وما ليس له أخذه[(٤)].

ومن الأدلة على التحذير: قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾[(٥)]. قال الشيخ السعدي: والله قد نهى عن الاعتداء فقال: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ بل يبغضهم ويمقتهم ويعاقبهم على ذلك[(٦)].

---

(١) المائدة: ٢.

(٢) الكليات (ص: ٥٨٤). الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، سنة النشر: بدون.

(٣) البقرة: ١٩٠.

(٤) شرح حديث لبيك اللهم لبيك (ص: ١٠٣). شرح حديث لبيك اللهم لبيك، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: د. وليد عبد الرحمن محمد آل فريان، الناشر: دار عالم الفوائد – مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧.

(٥) المائدة: ٨٧.

(٦) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٤٢).



وقال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[١]. قال الشيخ السعدي:" إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ" أي: المتجاوزين للحدِّ في كلِّ الأمور، ومِن الاعتداء كون العبد يسأل الله مسائل لا تصلح له، أو يتنطَّع في السُّؤال، أو يبالغ في رفع صوته بالدُّعاء، فكلُّ هذا داخل في الاعتداء المنهي عنه[٢].

عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" المستبَّان ما قالا، فعلى البادئ، ما لم يعتد المظلوم". رواه مسلم[٣]. قال النَّوويُّ: معناه أنَّ إثم السُّباب الواقع مِن اثنين مُختصٌّ بالبادئ منهما كلُّه، إلَّا أن يتجاوز الثَّاني قدر الانتصار، فيقول للبادئ أكثر ممَّا قال له[٤].

ومن آثار العُدْوَان في الدنيا والآخرة:

١- العُدْوَان سبب للعقوبة العاجلة في الدُّنيا: قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝١١٠ لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ۝١١١ ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبۡلٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبۡلٖ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَسۡكَنَةُۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾[٥]. فهؤلاء اليهود بجانب ضرْب الذلة عليهم حيثما حلوا؛ قد صاروا في غضب من الله، وأصبحوا أحقاء به، وضربت عليهم كذلك المسكنة التي تجعلهم يحسُّون بالصغار مهما ملكوا من قوة ومال.

٢- توعُّد المعتدي بدخول النَّار: قال تعالى: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ۝٢٤ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ﴾[٦]. أي: منَّاع لنفع ماله وبدنه، مُعْتَدٍ على عباد الله وعلى حدوده.

٣- المعتدي بعيد عن محبَّة الله والقرب منه: قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾[٧].

---

(١) الأعراف: ٥٥.
(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٩٢).
(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠٠) برقم (٢٥٨٧) كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن السباب.
(٤) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٤٠).
(٥) آل عمران: ١١٠-١١٢.
(٦) ق: ٢٤-٢٥.
(٧) الأعراف: ٥٥



٤- المعتدي على مال الغير؛ دمه هدر: نقل القرطبي عن أهل العلم قوله: قال علماؤنا: ويُنَاشَد اللِّصُّ بالله تعالى، فإن كفَّ تُرِك، وإن أَبَى قُوتِل، فإن أنت قتلته فشَرُّ قتيلٍ، ودمه هدرٌ[١].

ومِن صور العُدْوَان:

١- قتل النَّفس بغير حقٍّ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ۝٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[٢].

قال الشيخ السعدي: لا يقتل بعضكم بعضًا، ولا يقتل الإنسان نفسه. ويدخل في ذلك الإلقاءُ بالنفس إلى التهلكة، وفعلُ الأخطار المفضية إلى التلف والهلاك، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا﴾ ومن رحمته أن صان نفوسكم وأموالكم، ونهاكم عن إضاعتها وإتلافها، ورتب على ذلك ما رتبه من الحدود[٣].

ومن صور العدوان في القتل قتل النفس بالانتحار، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من تردَّى من جبل فقتل نفسه؛ فهو في نار جهنم يتردَّى فيه خالدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا، ومَن تحسَّى سمًّا فقتل نفسه؛ فسمُّه في يده يتحسَّاه في نار جهنم خالدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا، ومن قتل نفسه بحديدة؛ فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مُخلَّدًا فيها أبدًا ". رواه البخاري[٤].

٢- أكل مال الغير بغير حقٍّ: سواء بالسَّرقة أو الغصب أو النَّهب أو الاختلاس أو الاحتيال، قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ۝٢٩ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾[٥].

---

(١) تفسير القرطبي (٦/ ١٥٦).

(٢) النِّساء: ٢٩-٣٠.

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٧٥).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٣٩) برقم (٥٧٧٨) كتاب الطب باب شرب السم والدواء به وبما يخالف منه والخبيث. ومسلم في صحيحه (١/ ١٠٣) برقم (١٠٩) كتاب الإيمان باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة.

(٥) النِّساء: ٢٩-٣٠.

٣- العُدْوَان في القول: عن عائشة- رضي الله عنها- قالت:" أتى النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أناسٌ مِن اليهود، فقالوا: السَّام عليك يا أبا القاسم. قال: وعليكم. قالت: قلتُ: بل عليكم السَّام والذَّام. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة؛ لا تكوني فاحشة. فقالت: ما سمعتَ ما قالوا؟ فقال: أوليس قد رددتُ عليهم الذي قالوا؟ قلتُ: وعليكم ". رواه البخاري ومسلم(١).

٤- العُدْوَان على الأعراض: قال صلى الله عليه وسلم:" فإنَّ دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحُرمة يومكم هذا...". رواه البخاري ومسلم(٢). ويشمل التَّعدِّي على الأعراض: الغيبة والسَّبَّ والشَّتم والقذف وغير ذلك.

قال ابن الرُّومي:

ولا يرَى الظُّلمَ والعُدْوَانَ فاعلُهم ... إلَّا إذا رابهُ ظُلْمٌ وعُدْوَانُ(٣)

الخلاصة: أن العدوان خلق ذميم، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله تعالى من الظلم والعدوان، ويُعلِّم أصحابه ذلك، فعن زيد بن ثابت- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم علَّمه وأمره أن يتعاهد أهله في كلِّ صباح:" وأعوذُ بكَ اللهمَّ أنْ أظْلِمَ أو أُظْلَم، أو أعتَدِيَ أوْ يُعْتَدَى عَليَّ". رواه أحمد(٤)، فلا ينبغي للمؤمن أن يكون مُعتديًا، ولا أن يسمح لأحد أن يعتدي عليه أو ينال منه.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٢) برقم (٦٠٢٤) كتاب الأدب باب الرفق في الأمر كله قريبًا من اللفظ المثبت. ومسلم في صحيحه واللفظ له (٤/ ١٧٠٦) برقم (٢١٦٥) كتاب السلام باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٧٦) برقم (١٧٣٩) كتاب الحج باب الخطبة أيام منى. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٠٦) برقم (١٦٧٩) كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال.

(٣) ديوان ابن الرومي (ص: ٤٤٩٧). ديوان ابن الرومي، المؤلف: ابن الرومي علي بن العباس بن جريج.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٥/ ٥٢٠) برقم (٢١٦٦٦).



٢٦ جمادى الثانية

التحذير من الغدر

إن من الخصال التي حذَّر منها الشرع ووصف صاحبها بأقبح وصف، ورتَّب عليها الإثم الكبير؛ صفة الغدر، التي لا يتَّصف بها إلا أهل النفاق والكفر، فهي من أبرز صفات المنافقين، أنَّهم إذا عاهدوا غدروا، فعن عبدِ اللهِ بنِ عمرِو بنِ العاصِ- رَضِيَ اللهُ عَنْهُما- أنَّ النبيَّ- صلى الله عليه وسلم- قالَ:" أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ". رواه البخاري ومسلم(١).

والغدر أيضًا من أبرز خصال اليهود التي وبَّخهم الله عليها في القرآن، قال الله تعالى فيهم ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾(٢)، وقال: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٣).

وقال سبحانه ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾(٤).

قال العلامة السعدي: وهذا يشمل جميع ما عاهد العبد عليه ربَّه من العبادات والنذور والأيمان التي عقدها؛ إذا كان الوفاء بها برًا، ويشمل أيضا ما تعاقد عليه هو وغيره كالعهود بين المتعاقدين، وكالوعد الذي يعده العبد لغيره ويؤكِّده على نفسه، فعليه في جميع ذلك الوفاء وتتميمها مع القدرة، ولهذا نهى الله عن نقضها فقال: ﴿وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ بعقدها على اسم الله تعالى ﴿وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها المتعاقدون ﴿كَفِيلًا﴾، فلا يحل لكم أن لا تحكموا ما جعلتم الله عليكم كفيلًا فيكون ذلك ترْك تعظيم الله واستهانة به، وقد رضي الآخر منك باليمين والتوكيد الذي جعلت الله فيه كفيلًا. فكما ائتمنك وأحسن ظنَّه فيك؛ فلتفِ له بما قلته وأكَّدته ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يُجازي كلَّ عاملٍ بعمله على حسب نيَّته ومقصده(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٤) كتاب الإيمان باب علامة المنافق. ومسلم في صحيحه (١/ ٧٨) (٥٨) كتاب الجهاد والسير باب بيان خصال المنافق.

(٢) المائدة: ١٣.

(٣) البقرة: ١٠٠.

(٤) النحل: ٩١.

(٥) تفسير السعدي (ص: ٤٤٨).

وأخبر سبحانه أن ناقض العهد ملعون في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾(١).

ولقد قص النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه ما حدث لرجلين من بني إسرائيل تعاهدا على الوفاء وتعاقدا عليه، حتى صارا مثلًا يُحكى ويُروى عن الأمانة والوفاء.

فقد أخرج البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: أنه ذكر رجلًا من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يُسْلِفَه ألف دينار، فقال: ائتني بالشهداء أُشْهِدُهُم، فقال: كفى بالله شهيدًا، قال: فأتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلًا، قال: صدقتَ، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر، فقضى حاجته، ثم التمس مركبًا يركبها يقْدمُ عليه للأجل الذي أجَّله، فلم يجد مركبًا، فأخذ خشبة فنقرها فأدخل فيها ألف دينار، وصحيفةً منه إلى صاحبه، ثم زجَّجَ موضعها، ثم أتى بها إلى البحر، فقال: اللهم إنك تعلم أني كنتُ تسَلَّفْتُ فلانًا ألف دينار، فسألني كفيلًا، فقلتُ: كفى بالله كفيلًا، فرضي بك، وسألني شهيدًا، فقلتُ: كفى بالله شهيدًا، فرضي بك، وأَني جَهَدتُ أن أجد مركبًا أبعث إليه الذي له فلم أقدِر، وإني أستودِعُكَها، فرمى بها في البحر حتى ولجتْ فيه، ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركبًا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي كان أسلفه ينظر لعل مركبًا قد جاء بماله، فإذا بالخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبًا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قَدِم الذي كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، فقال: والله ما زلتُ جاهدًا في طلب مركب لآتيك بمالك، فما وجدتُ مركبًا قبل الذي أتيتُ فيه، قال: هل كنتَ بعثتَ إليَّ بشيء؟ قال: أخبرك أني لم أجد مركبًا قبل الذي جئتُ فيه، قال: فإنَّ الله قد أدَّى عنك الذي بعثتَ في الخشبة، فانْصَرِفْ بالألف الدينار راشدًا(٢).

كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث عديدة أن الغدر من كبائر الذنوب، ورتَّب عليه الوعيد الشديد، فعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لكل غادر لواء يوم القيامة، يقال: هذه غدرة فلان". رواه البخاري ومسلم(٣).

---

(١) الرعد: ٢٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٩٥) برقم (٢٢٩١) كتاب الكفالة باب الكفالة في القرض والديون بالأبدان وغيرها.

(٣) رواه البخاري مختصرًا في مواضع (٣/١١٦٤، ٥/٢٢٨٥، ٦/٢٥٥٥) (٣٠١٦، ٥٨٢٣، ٥٨٢٤، ٦٥٦٥) ، رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٦٠) (١٧٣٦) كتاب الجهاد والسير باب تحريم الغدر.



وفي حديث هرقل الطويل مع أبي سفيان عندما سأله عن النبي:" فهل يغدر؟ قال: لا، ثم قال هرقل: وسألتك هل يغدر؟ فزعمتَ أن لا، وكذلك الرسل لا يغدرون". رواه البخاري ومسلم(١).

فالغدر ليس من شيم الكرام، ولا من شيم أفاضل الناس، والغدر من شيم اللئام، ولذا يقولون: لو كان الاستبداد رجلًا وأراد أن يحتسب بنسبه؛ لقال: أنا الشر، وأبي الظلم، وأمي الإساءة، وأخي الغدر، وأختي المسكنة، وعمِّي الضر، وخالي الذل، وابني الفقر، وابنتي الحاجة، وعشيرتي الجهالة، ووطني الخراب.

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال الله تعالى: ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر، ورجل باع حُرًّا ثم أكل ثمنه، ورجل استأجر أجيرًا فاستوفى منه، ولم يُعطه أجره(٢).

وتأمَّل وتدبَّر ما جاء في القرآن الكريم عن أن المسلم لا يُمكن أن يتعاطى الغدر أو يقوم به، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾(٣).

قال السعدي: وإذا كان بينك وبين قوم عهد وميثاق على ترْك القتال فخفتَ منهم خيانة، بأن ظهر من قرائن أحوالهم ما يدلُّ على خيانتهم من غير تصريح منهم بالخيانة، ﴿فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾عهدهم، أي: ارمه عليهم، وأخبرهم أنه لا عهد بينك وبينهم، ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾أي: حتى يستوي علمك وعلمهم بذلك، ولا يحل لك أن تغدر بهم، أو تسعى في شيءٍ مما منعه موجب العهد، حتى تخبرهم بذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ بل يبغضهم أشد البغض، فلا بد من أمر بيِّنٍ يُبرئكم من الخيانة، ودلَّ مفهومها أيضًا أنه إذا لم يَخَفْ منهم خيانة، بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك؛ أنه لا يجوز نبذ العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته(٤).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨) برقم (٧) بدء الوحي كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٩٣) (١٧٧٣) كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٨٢) (٢٢٢٧) كتاب البيوع باب إثم من باع حرًا.

(٣) الأنفال: ٥٨.

(٤) ينظر: تفسير السعدي (ص: ٣٢٤).

والخلاصة: أن الغدر من أخس الصفات وأن الله سبحانه وتعالى أمر بالوفاء بالعهد، وبيَّن أنه مما يُسئل عنه الإنسان بين يدي الله؛ فليتق الله، وليعظِّم هذا الموقف بين يديه سبحانه ويقدر له قدره، حيث قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾[١]. تقول أخت الأسود بن غفار:

لَا تَغـدُروا إنَّ هـذا الغـدرَ مَنقصـةٌ وَكـلُّ عيـبٍ يُـرى عيبًـا وَإِن صـغُرَا

إِنِّي أَخـافُ عَليكمْ مثلَ تلك غـدًا وَفي الأمـورِ تَدابيرٌ لِمَن نَظَـرَا

شَـتّانَ باغٍ علينـا غيرُ مُتَّئِـدٍ يَغشى الظلامةَ لَن تبقي وَلن تذرَا[٢]

---

(١) الإسراء: ٣٤.

(٢) شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام (ص: ٣٠). شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، جمعه ورتبه ووقف على طبعه: بشير يموت، الناشر: المكتبة الأهلية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٤م.



٢٧ جمادى الثانية

التحذير من الغش

الغش كلمة مأخوذة من الغَشَش، وهو المشرب الكدر، وللكلمة معانٍ عدَّة متقاربة، فالغش بمعنى عدم النصح، وبمعنى الغل والحقد، وبمعنى ما يُخلَط من الرديء بالجيد، وبمعنى سواد القلب وعبوس الوجه، ومفهوم الغش مفهوم واسع؛ فهو ليس فقط في البيع والشراء، بل هو أشمل من ذلك وأعم، فكل ما لم يصدق فيه المرء من نية أو قول أو عمل فهو غش؛ والغش بكل أنواعه، وجميع أقسامه؛ يشمله حديثٌ من جوامع كلمه صلى الله عليه وسلم، وهو قوله:" من غشَّنا فليس منَّا". رواه مسلم[(١)]؛ فهذا تبرُّؤ من الغاش، وثورة في وجه المخادع.

وقد نهى الإسلام عن الغش في جميع صوره ومظاهره، بل وتوعَّد الإسلام أهله بالويل والخسران، قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾[(٢)].

وكذلك حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من الغش وتوعَّد فاعله، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم" مر على صُبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللًا، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس؟ من غشَّ فليس مني، وفي رواية: مَن غشَّنا فليس منَّا، وفي رواية: ليس منَّا من غشَّنا". رواه البخاري ومسلم[(٣)].

ولذا يقولون: الغشاش فقط يستطيع أن يكون ذا وجهين، والأغبياء يُصدِّقونه، والمجرمون يُصفِّقون له. ويقول أبو العلاء المعري:

قَدْ عمَّنا الغشُّ وأزرى بنا ... في زمنٍ أعْوَزَ فيه الخُصوص

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٩٩) (١٠١) كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من غشنا فليس منا».

(٢) المطففين: ١-٣.

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري في الصحيح ٥/ ٣١، كتاب المساقاة، باب من قال إن صاحب الماء أحق بالماء حتَّى يَرْوَى، الحديث (٢٣٥٣)، ورواه مسلم في صحيحه (١/ ٩٩) (١٠٢) كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من غشنا فليس منا». ورواية " ليس منَّا من غشَّنا " عند أحمد في مسنده (٢٥/ ١٥٥) برقم (١٥٨٣٣). وابن ماجه في سننه (٢/ ٧٤٩) برقم (٢٢٢٤) كتاب التجارات باب النهي عن الغش. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٥/ ١٦١).



إنْ نُصِـحَ السـلطانُ في أمـرِهِ رأى ذوي النّصحِ بعينِ الشُّصوص
وكلُّ مَنْ فـوقَ الثّرى خـائنٌ حتى عُدولُ المِصرِ مثلُ اللّصوص(١)

وللغش مظاهر كثيرة منها: الغش في البيع والشراء، وتطفيف الكيل والميزان، والغش في الامتحانات، والغش في الزواج، والغش في النصح للناس.

ومن صور الغش في البيوع: إنفاق السلعة بالحلف الكاذب، قال صلى الله عليه وسلم كما ورد في الصحيحين: ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم، فذكر منهم: رجلًا باع رجلًا سلعة بعد العصر، فحلف له بالله لَأَخَذَهَا بكذا وكذا، فصدَّقه وهو على غير ذلك(٢).

قال الإمام الشعبي- رحمه الله-: إن رجلًا أقام سلعته أول النهار، فلما كان آخره جاء رجل يُساومه فحلف: لقد منعها أول النهار من كذا وكذا، ولولا المساء ما باعها منه، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾(٣)(٤).

ومن صور الغش في البيوع: التناجش، وهو نوع من أنواع المكر والخديعة، وهو بمعنى أن يزيد الرجل في ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها، ولكن ليسمعه غيره فيزيد بزيادته، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن النجش، وقال: لا تناجشوا(٥). فهو حرام وتغرير بالمشتري، وأي مال كسبه فهو حرام، وكسبٌ باطل.

---

(١) ديوان أبي العلاء المعري (ص: ٧٨١). ديوان أبي العلاء المعري، المؤلف : أحمد بن عبد الله بن سليمان القضاعي التنوخي المعري (٣٦٣ -٤٤٩هـ).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١١٢) برقم (٢٣٦٩) كتاب المساقاة باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه. ومسلم في صحيحه (١/ ١٠٣) (١٠٨) كتاب الإيمان باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، والمن بالعطية، وتنفيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم.

(٣) آل عمران: ٧٧.

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٥٢٠).

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٦) (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم ظلم المسلم، وخذله، واحتقاره ودمه، وعرضه، وماله.



ومن صور الغش: الغش في النصيحة، وذلك بعكس الصدق في النصح، والإخلاص في التوجيه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الدين النصيحة، قالوا: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين، وعامَّتهم". رواه مسلم(١).

ومن صور الغش: الغش في العمل؛ فبعض العُمّال والموظفين يغشُّ في عمله ووظيفته، يراوغ ويخادع، ويُهمل ويضيع، ويماطل ويقصر، ولا يتقن العمل، ولا ينجزه في وقته، يخون الأمانة، ويضيع حقوق العباد، يختزل ساعات العمل، بل قد يطلب من زملائه التوقيع له بالحضور وهو غائب، فيحصلُ على مقابلٍ أو راتبٍ يَشوبُه الكثير من الحرام، يظن أنَّها شطارة وذكاء، وما هو إلا خسران وهلاك.

ومن صور الغش: الكذب على الناس، ونقض العهود وإخلافها، فمن الناس من يغش عند إدلائه بالشهادة، فيشهد شهادة زور وبهتان وكذب، مقابلَ أموال من الحرام يأخذها، فينطق بالباطل ويكتم الحق، ويرتكب كبيرة من أبشع الكبائر وأخبثها، وفي الصحيحين عن أبي بكرة- رضي الله عنه- قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ ثلاثًا، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وجلس وكان متكئًا فقال: ألا وقول الزور، قال: فما زال يكرّرها حتى قلنا: ليته سكت". رواه البخاري ومسلم(٢).

ومن صور الغش: الغش في الامتحانات الدراسية، وهذا من أخطر الكوارث التربوية التي تتعرَّض لها مسيرة التربية والتعليم، فتعرقل تقدُّمها، وتخِلُّ موازينها، حين يحصل الغشَّاش على شهادة لا يستحقُّها، فيخرُج بهذا الغِشّ جيلٌ جاهل خامل منحرف، ذو همة دنيئة وإرادة سافلة، يتولَّى القيادة من غير أن يكون مؤهَّلًا لها، ويُسنَدُ إليه من الأمور ما لا يُجيده ولا يُتقنه، وهذا ما حذَّر منه النبي صلى الله عليه وسلم حين قال للأعرابي الذي سأله: متى الساعة؟ فقال: إذا ضُيّعَتِ الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعتُها يا رسول الله؟ قال:" إذا أسْنِدَ الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة". رواه البخاري(٣).

يقول الشيخ ابن عثيمين: فإن المعلم الذي يُقدِّر درجات أجوبة الطلبة، ويُقدِّر درجات سلوكهم؛ هو حاكمٌ بينهم، لأن أجوبتهم بين يديه بمنزلة حجج الخصوم بين يدي القاضي، فإذا أعطى طالبًا

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٧٤) (٥٥) كتاب الإيمان باب بيان أن الدين نصيحة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٧٢) برقم (٢٦٥٤) كتاب الشهادات باب ما قيل في شهادة الزور. ومسلم في صحيحه (١/ ٩١) (٨٧) كتاب الإيمان باب بيان الكبائر وأكبرها.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢١) برقم (٥٩) كتاب العلم باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه، فأتم الحديث ثم أجاب السائل.

درجات أكثر مما يستحق؛ فمعناه أنه حكم له بالفضل على غيره مع قصوره، وهذا جور في الحكم، وإذا كان لا يرضى أن يُقدَّم على ولده مَن هو دونه، فكيف يرضى لنفسه أن يُقدِّم على أولاد الناس مَن هو دونهم[١].

ومن أعظم الوسائل التي تُجنِّب الإنسان الغشَّ والوقوع فيه؛ أن يعلم أن الله مُطَّلِعٌ عليه ويراه، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢].

الخلاصة: الغش ليس من صفات المؤمنين، وإن بناء الأمم والحضارات لا يقوم أبدًا على الغش، فلا يمكن أن تُقام دول، ولا يرسخ أمن ونظام، ولا تُبنى الحضارات؛ ما لم يبتعد الناس عن الغش، ويجعلون النصح رائدهم، فبعض ما يُسمَّى بالدول التي بُنيت على الغش والخداع؛ لا تجد فيها أمنًا ونظامًا أو قانونًا، ولا تنمية أو اقتصادًا، ولا حضارة باقية شاهدة عبر التاريخ، لا تكاد تجدها على أرض الواقع، إنما تجدها فقط عبر وسائل الإعلام الغاشَّة من إذاعة وتلفاز وصحيفة.

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع (٨/ ٦١٠). الضياء اللامع من الخطب الجوامع، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

(٢) المجادلة: ٧.

٢٨ جمادى الثانية

التحذير من الغضب

للفطرة الإنسانية معالم ثابتة من الغضب والحمية، يعز محوها ولا يسوغ جهلها، كما أن مخالطة الناس تُعرِّض المرء لا محالة لخطر سورتهم وخطل ثورتهم.

وكُنْ حَسَنَ السَّجَايا ذَا حَيَاءٍ ... كرِيمَ النَّفسِ لا شكِسًا غَضُوبَا[١]

ولا تسأل عما يُسبِّبه من علل وأدواءٍ مزمنة، تبعث الكلل والملل، يقول علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: أوَّلُ الغضبِ جنون، وآخره ندم، وربما كان العطب في الغضب[٢].

ويقول الإمام أبو حامد الغزالي- رحمه الله-: إنَّ الغضب شعلة نار، مستكنة طي الفؤاد، استكنان الجمر تحت الرماد، يستخرجها الكبر الدفين في قلب كل جبار عنيد[٣].

لا يحملُ الحقدَ مَنْ تعلُو به الرُّتبُ ... ولا ينالُ العُلا مَنْ طبعُه الغضبُ[٤]

قيل للإمام عبد الله بن المبارك- رحمه الله-: اجمع لنا الخُلُق في كلمة، قال: ترْك الغضب[٥].

وعن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- قال: قد أفلح من عُصِمَ من الهوى والغضب والطمع[٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾[٧].

قال العلامة السعدي في تفسيره: قد تخلَّقوا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، فصار الحلم لهم سجية، وحسن الخلق لهم طبيعة حتى إذا أغضبهم أحدٌ بمقاله أو فعاله؛ كظموا ذلك الغضب فلم ينفذوه، بل غفروه، ولم يُقابلوا المسيء إلا بالإحسان والعفو والصفح، فترتَّب- على هذا العفو

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٣/ ٥٩٦). الآداب الشرعية والمنح المرعية، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب.

(٢) ينظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ١٨٣).

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين (٣/ ١٦٤).

(٤) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٦/ ٢٤١، بترقيم الشاملة آليا).

(٥) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٦٣).

(٦) رواه معمر بن راشد في جامعه (١١/ ١٢٦) برقم (٢٠١٠٣). الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق)، المؤلف: معمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.

(٧) الشورى: ٣٧.

والصفح؛ من المصالح ودفع المفاسد في أنفسهم وغيرهم- شيءٌ كثيرٌ، كما قال تعالى: ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾[١][٢].

والغضب قسمان: محمود، ومذموم؛ أما الغضب المحمود فهو ما كان لله ولحُرُماته، ولم يكن للنفس فيه نصيب؛ فالمؤمن يغضب إذا انتهكت حرمات الله.

فالله تعالى يغضب ممن تعدَّى حدوده وتجرَّأ على حرماته، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٌ﴾[٣]، وغيرها كثير.

وأنبياءُ الله ورسله يغضبون ممن يعصون الله ويَصدُّون عن سبيله، قال تعالى عن موسى- عليه السلام-: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗا قَالَ بِئۡسَمَا خَلَفۡتُمُونِي مِنۢ بَعۡدِيٓ﴾[٤]، وقال عن يونس- عليه السلام-: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٥].

ونبيُّنا صلى الله عليه وسلم وهو القدوة والأسوة لنا في أمورنا كلها؛ لم يغضبْ لنفسه قط؛ فعن عائشة- رضي الله عنها- قالت:" ما خُيِّرَ النبي- صلى الله عليه وسلمَ- بين أمرين إلَّا اختار أيسرهما ما لم يأثم، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه، واللهِ ما انتقم لنفسه في شيء يُؤتى إليه قط، حتى تُنتهك حُرُمات الله فينتقم لله". رواه البخاري[٦].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" اللهمَّ إنَّما محمدٌ بشرٌ يغضب كما يغضب البشرُ، وإني قد اتخذتُ عندك عهدًا لن تخلفنيه، فأيُّما مؤمن آذيتُه أو سببتُه أو جلدتُه؛ فاجعلها له كفارة وقربة، تُقرِّبه بها إليك يوم القيامة". رواه مسلم[٧].

---

(١) فصلت: ٣٤-٣٥.

(٢) تفسير السعدي (ص: ٧٦٠).

(٣) الشورى: ١٦.

(٤) الأعراف: ١٥٠.

(٥) الأنبياء: ٨٧.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٦٠) برقم (٦٧٨٦) كتاب الحدود باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨١٣) (٢٣٢٧) كتاب الفضائل باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح، أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته.

(٧) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠٨) (٢٦٠١) كتاب البر والصلة والآداب باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم، أو سبه، أو دعا عليه، وليس هو أهلا لذلك، كان له زكاة وأجرًا ورحمة.



والمؤمنون يغضبون ممَّن يُفسدون في الأرض، ويصدُّون عن سبيل الله، ويعتدون على عباده وينتهكون حُرُماته، لكن من غير إثم ولا ظلم ولا عدوان، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ﴾(١).

وهناك غضب مذموم، وهو الذي يكون عن طيش وعجلة، وله آثار سيئة يقع فيها الإنسان ويُوقع فيها غيره، لذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الغضب في وصيته الوجيزة البليغة الجامعة؛ فعن عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رجلًا قال للنبي صلى الله عليه وسلم:" أوصني؟ قال: لا تغضب، فردَّد مرارًا، قال: لا تغضب". رواه البخاري(٢).

وعلاج الغضب:

أولًا: الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؛ فالشيطان يُثير الغضب في نفس الإنسان، وهذه رسالة الشيطان ومُهمَّته في الحياة، أن يُوقع بين الناس العداوة والبغضاء، وقد أمرنا الله تعالى بالالتجاءِ إليه والتعوُّذِ به من شر الشيطان وكيده، فقال عز وجل: ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾(٣).

وفي الصحيحين عن سليمان بن صُرَدٍ قالَ:" اسْتَبَّ رَجُلَانِ عند النبي صلى الله عليه وسلم ونحن عنده جلوس، وأحدُهما يسبّ صاحبه، مُغضَبًا قد احمرَّ وجهه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنِّي لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، فقالوا للرجل: ألا تسمعُ ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: إني لستُ بمجنون"(٤).

ثانيًا: السكوت وضبط اللسان عن الكلام أثناء الغضب؛ لأن الغاضب لا يتحكَّم في كلماته، ولا يدري ما يقول، ولا يتأمَّل في عواقب كلامه، فالسكوت أسلم له من الكلام حتى يهدأ غضبه؛ وفي حديث ابن عباس- رضي الله عنهما- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" يسِّروا ولا تُعسِّروا، وإذا غضب أحدكم فليسكتْ". رواه أحمد(٥).

---

(١) الشورى: ٣٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٨) (٦١١٦) كتاب الأداب باب الحذر من الغضب.

(٣) فصلت: ٣٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٥) برقم (٦٠٤٨) كتاب الحدود باب ما ينهى من السباب واللعن. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠١٥) (٢٦١٠) كتاب البر والصلة والآداب باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٣٩) برقم (٢١٣٦). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٣٦٣).



ثالثًا: تغيير وضعية الغاضب أثناء غضبه؛ فإن كان الغاضب واقفًا أثناء غضبه فليجلسْ، وإن كان جالسًا فليضطجعْ؛ لأن القائم مُتهيئٌ للشر، والقاعد دونه، والمضطجع أبْعَد، وذلك ما أمرَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي ذر- رضي الله عنه- حين قال:" إذا غضبَ أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلَّا فليضطجع". أخرجه أحمد(١).

والخلاصة: إذا أغضبك أحدٌ من الناس فلا تتسرَّع في الانتقام والإهانة والتعذيب، بل إذا غرَّتك قوَّتُك فتذكَّر قوة الله فوقك، وتذكَّرْ قدرة الله عليك عند قدرتك على غيرك.

روى مسلم عن أبي مسعود البدري- رضي الله عنه- قال:" كنتُ أضربُ غلامًا لي بالسوط، فسمعتُ صوتًا من خلفِي: اعلمْ أبا مسعود؛ فلم أفهَم الصوتَ من الغضب، قال: فلما دنا مني إذا هو رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يقول: اعلمْ أبا مسعود؛ اعلمْ أبا مسعود؛ قال: فألقيتُ السوط من يدي، فقال: اعلمْ أبا مسعود؛ أنَّ الله أقدَرُ عليك منك على هذا الغلام، قال: فقلتُ: لا أضربُ مملوكًا بعده أبدًا، وفي رواية: فقلتُ: يا رسول الله؛ هو حُرٌّ لوجه الله، فقال: أما لو لم تفعل للفحَتْك النار، أو لمسَّتك النار"(٢).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٥/ ٢٧٨) برقم (٢١٣٤٨). وأبو داود في سننه (٤/٢٤٩) برقم (٤٧٨٢) كتاب الأدب باب ما يقال عند الغضب. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٢٨٢).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٢٨٠) (١٦٥٩) كتاب الأيمان باب صحبة المماليك، وكفارة من لطم عبده.



٢٩ جمادى الثانية

التحذير من الغيبة والنميمة

إن داء الغيبة والنميمة داءٌ مِن أفسد وأفتك الأدواء التي تُبتلى بها الأفراد والجماعات، ومِن ثَمَّ حذَّرنا اللهُ تبارك وتعالى من هذا الداء في كتابه العزيز فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾(١).

يقول العلامة السعدي- رحمه الله-: ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا﴾ والغيبة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:" ذكرك أخاك بما يكره". رواه مسلم(٢). ولو كان فيه، ثم ذكر مثلًا مُنفِّرًا عن الغيبة، فقال: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُ﴾ شبَّه أكل لحمه ميتًا، المكروه للنفوس غاية الكراهة؛ باغتيابه، فكما أنكم تكرهون أكل لحمه، وخصوصًا إذا كان ميتًا فاقد الروح، فكذلك فلتكرهوا غيبته، وأكل لحمه حيًّا، ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ والتوَّاب الذي يأذن بتوبة عبده، فيوفِّقه لها، ثم يتوب عليه، بقبول توبته، رحيم بعباده، حيث دعاهم إلى ما ينفعهم، وقبِل منهم التوبة، وفي هذه الآية، دليل على التحذير الشديد من الغيبة، وأن الغيبة من الكبائر، لأن الله شبَّهها بأكل لحم الميت، وذلك من الكبائر(٣).

فالغيبة هي أن تذكر أخاك بما يَكْره، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟ قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟! قَالَ: إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ". رواه مسلم(٤).

فإنْ عِبْتَ قومًا بالذي ليسَ فيهمُ ... فذلكَ عندَ اللهِ والنَّاسِ أكبرُ
وإنْ عِبْتَ قومًا بالذي فيك مثلُهُ ... فكيفَ يَعِيبُ الناسَ مَنْ هُو أعورُ(٥)

---

(١) الحجرات: ١٢.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠١) (٢٥٨٩) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الغيبة.

(٣) تفسير السعدي (ص: ٨٠٢).

(٤) هو الحديث المتقدم قريبًا.

(٥) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص: ١٢٥).



والنميمة هي نقل الحديث من قومٍ إلى قومٍ، أو من إنسانٍ إلى إنسانٍ آخر، على وجه الإفساد؛ فهي خصلة ذميمة تجلب الشر، وتدعو إلى الفرقة، وتوغرُ الصدور وتثير الأحقاد، وتنفر الناس منه، فيصبح لا أنيس له ولا جليس، والعاقل من تبرَّأ من تلك الخصال الدنيئة، وتطهَّر من أدرانها الخبيثة، وعمل على محاربتها بكل ما في وسعه، قال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٍ مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[١].

يقول الشيخ السعدي في تفسيره ﴿هَمَّازٍ﴾أي: كثير العيب للناس والطعن فيهم بالغيبة والاستهزاء وغير ذلك، ﴿مَّشَّآءٍ بِنَمِيمٍ﴾أي: يمشي بين الناس بالنميمة، وهي: نقْل كلام بعض الناس لبعض، بقصد الإفساد بينهم، وإلقاء العداوة والبغضاء[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ". رواه مسلم[٣].

فالغيبة والنميمة داءان خطيران يُسبِّبان عذاب القبر وشدة الحساب، فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ:" إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ". رواه البخاري[٤].

والغيبة والنميمة انتهاك لحرمة المسلم التي أوجب رسول الله صلى الله عليه وسلم صونها وحفظها، فقد خطب صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع فقال: فَإِنَّ اللَّهَ حرَّمَ عَلَيْكُمْ دِماءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا". رواه البخاري[٥].

ولقد بَيَّنَ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطر الغيبة والنميمة، وإثمهما وسوء عاقبة أصحابهما، فقال- عليه الصلاة والسلام-:" لما عُرج بي مررتُ بقوم لهم أظفارٌ من نُحاسٍ يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلتُ: مَن هؤلاء يا جبريل؟! قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم". رواه أبو داود[٦].

---

(١) القلم: ١٠-١٣

(٢) تفسير السعدي (ص: ٨٧٩).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٠١) (١٠٥) كتاب الإيمان باب بيان غلظ تحريم النميمة.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٥٣) برقم (٢١٨) كتاب الوضوء باب ما جاء في غسل البول. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٤٠) (٢٩٢) كتاب الطهارة باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٧٧) (١٧٤٢) كتاب الحج باب الخطبة أيام منى.

(٦) رواه أحمد في مسنده (٢١/ ٥٣) برقم (١٣٣٤٠). وأبو داود في سننه (٤/٢٦٩) برقم (٤٨٧٨) كتاب الأدب باب في الغيبة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣٧٨).



وعَنْ عَائِشَةَ- رضي الله عنها- قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِي صلى الله عليه وسلم:" حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ بعض الرواة: تَعْنِي قَصِيرَةً، فَقَالَ: لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ". رواه أبو داود[١].

والغيبة أعظم من أكل الربا: فعَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ- رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ:"مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الاسْتِطَالَةُ فِي عِرْضِ المسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ". رواه أبو داود[٢].

ومَن اغتاب الناس تتبَّع الله عورته وفضحه في بيته: فعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ؛ لَا تَغْتَابُوا المسْلِمِينَ وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّبِعْ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ". رواه أبو داود[٣].

ومرَّ عَمْرو بن الْعَاصِ- رضي الله عنه- على بغل ميتٍ، فَقَالَ لبَعض أَصْحَابه: لَأَن يَأْكُلُ الرجلُ من هَذَا حَتَّى يمْلَأَ بَطْنَه؛ خيرٌ لَهُ من أَن يَأْكُلَ لحمَ رجلٍ مُسلمٍ[٤].

وجاء رجلٌ إلى عمرو بن عبيد فقال له: إن الأسواريَّ ما زال يذكرك في مجالسه بشَرٍّ، فقال عمرو: يا هذا؛ ما راعيتَ حقَ مجلس الرجل حين نقلتَ إلينا حديثه، ولا أدَّيتَ حقِّي حين أعلمتني عن أخي ما أكره، ولكن قل له: إنَّ الموتَ يعمُّنا، والقبرَ يضمُّنا، والقيامة تجمعنا، والله يحكم بيننا، وهو خير الحاكمين[٥].

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤/٢٦٩) برقم (٤٨٧٥) كتاب الأدب باب في الغيبة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣٧٥).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣/ ١٨٩) برقم (١٦٥١). وأبو داود في سننه (٤/٢٦٩) برقم (٤٨٧٦) كتاب الأدب باب في الغيبة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣٧٦).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٣/ ٢٠) برقم (١٩٧٧٦). وأبو داود في سننه (٤/٢٧٠) برقم (٤٨٨٠) كتاب الأدب باب في الغيبة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣٨٠).

(٤) الزهد لهناد بن السري (٢/ ٥٦٣). الزهد، المؤلف: أبو السَّري هَنَّاد بن السَّري بن مصعب بن أبي بكر بن شبر بن صعفوق بن عمرو بن زرارة بن عدس بن زيد التميمي الدارمي الكوفي (المتوفى: ٢٤٣هـ)، المحقق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، الناشر: دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ.

(٥) تعليق من أمالي ابن دريد (ص: ١٥٥). تعليق من أمالي ابن دريد، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: السيد مصطفى السنوسي، مدرس اللغة العربية بجامعة الكويت، الناشر: المجلس الوطني للثقافه والفنون والآداب بالكويت – قسم التراث العربي، الطبعة: الأولى، ١٤٠١هـ – ١٩٨٤م.



ورُوِيَ أن رجلًا قال لعبد الملك بن مروان: إني أريد أن أُسِرَّ إليكَ حديثًا، فأشار الخليفة إلى أصحابه بالانصراف، فلما أراد الرجل أن يتكلم؛ قال الخليفة: قِفْ، لا تَمْدحني، فأنا أعلم بنفسي منك، ولا تَكْذِبْني فأنا لا أعفو عن كذوب، ولا تَغْتَبْ عندي أحدًا فلستُ أسمعُ إلى مغتاب. فقال الرجل: هل تأذن لي في الخروج؟! فقال الخليفة: إن شئتَ فاخرج[١].

والخلاصة: أن الغيبة لا تُباح إلَّا لغرض شرعي؛ كأن يُعلن المظلوم عن ظلمه، أو يُدعى إنسانٌ للشهادة، أو يشهدَ من غير أن يُدعى لإثبات حق قد يضيعُ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ﴾[٢]. فإحقاق الحقوق مما هو مطلوب ومأمور به شرعًا، فقد سألتْ هِنْدُ زوجة أبي سفيان- رضي الله عنهما- رسول الله صلى الله عليه وسلم فقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ شَحِيحٌ، وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وَوَلَدِي، إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ وَهْوَ لَا يَعْلَمُ، فَقَالَ:" خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ". رواه البخاري[٣].

كما تجوز الغيبة عندما يسألك إنسان عن مصاهرة إنسانٍ أو مشاركته أو معاملته، فإنه يجوز لك أن تُبيّنَ مِنْ حاله وواقِعه بقدر الحاجة، وبنيَّة النصيحة لا التشفِّي.

كما أن المجاهِر بالمعاصي لا تحرُم غيبته إن أُمِنَ شَرُّهُ، وكذا الفاسق والمنافق والمارق من الدين؛ كي يجتَنب الناس شرورهم.

وينبغي لمن سمع غِيبةَ مسلمٍ أن يردَّها ويزجرَ قائلَها، فإن لم ينزجرْ بالكلامِ زجرَه بيدهِ، فإن لم يستطعْ باليدِ ولا باللسانِ؛ فارقَ ذلكَ المجلسَ، فإن سمعَ غِيبَةَ شيخهِ أو غيرِهِ ممَّن له عليه حقٌّ، أو كانَ من أهل الفضلِ والصَّلاحِ؛ كان الاعتناءُ بما ذكرناه أكثرُ، كما قال الإمام النووي[٤].

---

(١) التذكرة الحمدونية (٣/ ٥٠). التذكرة الحمدونية، المؤلف: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، بهاء الدين البغدادي (المتوفى: ٥٦٢هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.

(٢) البقرة: ٢٨٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٧٩) برقم (٢٢١١) كتاب البيوع باب من أجرى أمر الأمصار على ما يتعارفون بينهم: في البيوع والإجارة والمكيال والوزن، وسننهم على نياتهم ومذاهبهم المشهورة. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٣٨) (١٧١٤) كتاب الأقضية باب قضية هند.

(٤) الأذكار للنووي (ص: ٣٤٣). الأذكار، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.



٣٠ جمادى الثانية

التحذير من الفتور

الفتور هو أحد شِباك الشيطان التي يحاول بها أن يُكبِّل المؤمن السائر بعزم على طريق ربه، لكي يفت من عزمه، ويقيد خطواته حتى تخور قواه، فيستسلم لحبائل الشيطان، ويقع فريسة سهلة، يخوض في وحل الشهوات والمنكرات، ظنًّا منه أنها ستكون فترة قصيرة ويُعاود بعدها السير إلى ربه، فلا يجد نفسه إلا راكبًا سفينة تمخر به في بحر لُجي من الذنوب والشهوات والتنازلات، التي تراكمت بعضها فوق بعض، وقد فقد القدرة على التوقُّف، وكذلك القدرة على العودة، ولم يعد أمامه سوى خيار واحد، ألا وهو أن يخوض هذا الغِمار حتى النهاية، وهو لا يدري أنه بحر بلا قاع ولا شُطآن.

والفتور يُطلق في اللغة على معنيين: الأول: الكسل أو التراخي، أو التباطؤ بعد النشاط والجد، والثاني: السكون بعد الحركة، والانقطاع بعد الاستمرار. والفتور آفة تصيب النفس فيشعر صاحبها بقسوة في القلب، وضيق في الصدر، ووهن في الإرادة، واستسلام للكسل.

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ الإيمانَ لَيَخْلَقُ في جَوْفِ أحدِكُمْ كما يَخلَقُ الثّوبُ، فاسْألُوا اللهَ تعالَى أنْ يُجَدِّدَ الإيمانَ في قُلوبِكمْ"[١]. صحيح الجامع.

ولقد ذُكِر الفتور في القرآن الكريم بمعانٍ عديدة، كلها متقاربة في المعنى، فذُكِر الفتور بمعنى (الكسل- التثاقل- التثبيط- الغفلة- الضعف- الملل والسآمة- الرجوع عن الأمر) وهذه المعاني كلها صعبة، وتُؤدِّي إلى نتيجة واحدة، لا يرضى عنها الله عز وجل، ومن هذه الآيات:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٢].

وقال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[٣].

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٣/ ٣٧) برقم (٨٤). والحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٤٥) برقم (٥). المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٣٣٠) وفي سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ١١٣).

(٢) النساء: ١٤٢.

(٣) التوبة: ٣٨.

قال الشيخ السعدي: اعلم أن كثيرًا من هذه السورة الكريمة؛ نزلت في غزوة تبوك، إذ ندب النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين إلى غزو الروم، وكان الوقت حارًّا، والزاد قليلًا، والمعيشة عسرة، فحصل من بعض المسلمين من التثاقل ما أوجب أن يعاتبهم الله تعالى عليه ويستنهضهم، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ألا تعملون بمقتضى الإيمان، وداعي اليقين من المبادرة لأمر الله، والمسارعة إلى رضاه، وجهاد أعدائه والنصرة لدينكم، فـ ﴿مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾أي: تكاسلتم، وملتم إلى الأرض والدعة والسكون فيها[١].

وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمۡ كَٰرِهُونَ﴾[٣].

قال الشيخ السعدي: ﴿وَمَا مَنَعَهُمۡ أَن تُقۡبَلَ مِنۡهُمۡ نَفَقَٰتُهُمۡ إِلَّآ أَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ﴾ والأعمال كلها شرط قبولها الإيمان، فهؤلاء لا إيمان لهم ولا عمل صالح، حتى إن الصلاة التي هي أفضل أعمال البدن؛ إذا قاموا إليها قاموا كسالى، قال: ﴿وَلَا يَأۡتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمۡ كُسَالَىٰ﴾ أي: متثاقلون، لا يكادون يفعلونها مِن ثقلها عليهم[٤].

وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: كنت أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما نزل، فكنتُ أسمعه يُكثر أن يقول:" اللهمَّ إني أعوذ بك من الهمِّ والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال". رواه البخاري[٥].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لكلِّ عمل شِرَّة، ولكلِّ شِرَّة فَتْرة، فمن كانت فَتْرتُه إلى سنَّتي فقد أفلح، ومن كانت إلى غير ذلك فقد هلك". رواه أحمد[٦].

---

(١) تفسير السعدي (ص: ٣٣٧).

(٢) التوبة: ٤٦.

(٣) التوبة: ٥٤.

(٤) تفسير السعدي (ص: ٣٤٠).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ٣٦) (٢٨٩٣) كتاب الجهاد والسير باب من غزا بصبي للخدمة.

(٦) رواه أحمد في مسنده (١١/ ٣٧٥) برقم (٦٧٦٤). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٤٣١).



وَالْفُتُورُ هُوَ التَّرَاخِي بَعْدَ الْعَزْمِ، وَالضَّعْفُ بَعْدَ الْقُوَّةِ، وَالْكَسَلُ بَعْدَ النَّشَاطِ، وَالْفُتُورُ دَاءٌ عُضَال، يَجْتَاحُ جَمِيعَ النُّفُوسِ، وَهُوَ صِفَةٌ ذَمِيمَةٌ نَزَّهَ اللَّهُ مَلَائِكَتَهُ عَنْهَا؛ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾(١)، وَلَمَّا حَمَّلَ اللَّهُ مُوسَى- عليه السلام- رِسَالَةً إِلَى فِرْعَوْنَ؛ أَرْشَدَهُ إِلَى ذِكْرِهِ وَأَلَّا يَفْتُرَ عَنْهُ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ۝٤٢ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾(٢).

ومن أعظم ما يدفع عن الإنسان الفتور؛ دُعَاءُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يُعِينَكَ عَلَى الْخَيْرِ وَأَنْ يَقْبِضَكَ عَلَيْهِ، فَهَذَا هو النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم ؛ وَهُوَ مَنْ هُوَ فِي الْقَدْرِ وَالْمَكَانَةِ؛ كَانَ كَثِيرًا مَا يَقُولُ:" يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ؛ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ". رواه الترمذي(٣).

وأيضًا قِرَاءَةُ سِيَرِ الثَّابِتِينَ؛ فَبِرَغْمِ الْفِتَنِ الَّتِي وَاجَهَتْهُمْ لَكِنَّهَا لَمْ تُغَيِّرْ لَهُمْ مَبْدَأً، حَتَّى وَافَتْهُمُ الْمَنِيَّةُ، فَقِرَاءَةُ سِيَرِ هَؤُلَاءِ أَنْفَعُ لِإِيمَانِ الْعَبْدِ وَأَدْعَى لِثَبَاتِهِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تعالى لِنَبِيِّهِ- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾(٤).

وأيضا الرُّفْقَةُ الصَّالِحَةُ، وَهِيَ الْحِصْنُ الْحَصِينُ لِدَوَامِ صَلَاحِ الْمَرْءِ وَاسْتِقَامَتِهِ، كما قَالَ- صلى الله عليه وسلم-:" الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ". رواه الترمذي وأبو داود(٥)؛ ذَلِكَ أَنَّ كَثِيرًا مِمَّنْ انْحَرَفَ عَنْ مَسَارَاتِ الْهُدَى كَانَ سَبَبُهُ الرُّفْقَةَ السَّيِّئَةَ.

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ ... وَلَا تَصْحَبِ الْأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي(٦)

وأيضا: تَرْوِيضُ النَّفْسِ وَمُرَاعَاةُ أَحْوَالِهَا؛ فَإِنَّ قَوْمًا أَخَذُوا بِالْعَزَائِمِ دَائِمًا؛ فَأَثْقَلُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ؛ فَانْتَهَى بِهِمُ الْأَمْرُ إِلَى التَّرْكِ بِالْكُلِّيَّةِ؛ ولذلك قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ خُذُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنْ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ مَا دَامَ وَإِنْ قَلَّ". مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ(٧).

---

(١) الْأَنْبِيَاءِ: ٢٠.

(٢) طه: ٤٢-٤٣.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٩/ ١٦٠) برقم (١٢١٠٧). والترمذي في جامعه (٤/ ٤٤٨) برقم (٢١٤٠) أبواب القدر باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن. والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ١٥٦) برقم (٧٦٩٠) كتاب النعوت قوله: ولتصنع على عيني. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٥/ ١٢٦).

(٤) هُودٍ: ١٢٠.

(٥) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٥٩) برقم (٤٨٣٣) كتاب الأدب باب من يؤمر أن يجالس. والترمذي في جامعه (٤/ ٥٨٩) برقم (٢٣٧٨) أبواب الزهد باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٥٩٧).

(٦) الدر الفريد وبيت القصيد (٣/ ١٠٩).

(٧) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٥٥) برقم (٥٨٦١) كتاب اللباس باب الجلوس على الحصير ونحوه. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٤٠) (٧٨٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره.



وقال علي بن أبي طالب- رضي الله عنه-:

اجهدْ ولا تكسلْ ولا تكُ غافلًا فندامةُ العُقبَى لمن يتكاسلُ[١]

الخلاصة: أن علاج الفتور باستحضار علو الهمة وقطْع كل الأسباب التي من شأنها أن تُوقع المسلم في خنادق الفتور، ومهاوي التقصير، ليسلك وسائل الثبات، وطرق الالتزام، فيُعظِّم العبد ربه في قلبه، ويطبع هذا التعظيم على أقواله وأفعاله واعتقاده، ويتّبع سنة النبي صلى الله عليه وسلم بلا زيادة أو نقصان، ويضع الموت والنار والجنة نُصب عينيه، يرجو رحمة ربه، ويخاف عذابه، مُبتعدًا عن طرق الهوى والفتنة بشتى وسائلها، وصاحب هذه الآفة بفتوره هذا؛ يُضاعف الجهد على العاملين المجتهدين، ويغري بهم السُّفهاء بقعوده عنهم، وهو إن لم يبادر بالتوبة والأوبة؛ يُختَم له بسوء الخاتمة والعياذ بالله. نسأل الله العفو والعافية.

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان (١/ ١٦٣). موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، المؤلف: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الطبعة: الثلاثون، ١٤٢٤هـ.


تمت بحمد الله

٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري

فوائد شهر رجب



كتبه الفقير إلى عفو ربه

أ. د. خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

الجزء السابع

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ

ح خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن ، ١٤٤٥هـ

عبد الرحمن ، أ.د. خالد عبد الغفارعبد الله
فوائد شهر رجب الجزء السابع من سلسلة كتاب ٣٦٠ فائدة علي مدار العام الهجري./ أ.د. خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن
ط ١.- الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٣١ ص ! ١٧ x ٢٤ سم.- (٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري)

رقم الإيداع : ١٩٩٨٥ / ١٤٤٥
ردمك :٦-٥-٣٠٥-٠٥-٦٠٣-٩٧٨




بسم الله الرحمن الرحيم





إهــداء

إلى زوجـتي وأبنـائي الأوفيـاء الـذين كـان لهـم الفضـل بعـد الله عـزَّ وجـلَّ بتشـجيعي ودعمـي المتواصل لإعداد هذه السلسلة من الفوائد التي تُحفِّز المسلم والمسلمة للعمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما ينفع ويُرضي الله عزَّ وجلَّ.





مُقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. فبين يديك أخي القارئ الكريم الجزء السابع من كتاب "٣٦٠ فائدة " على مدار العام الهجري، وهو كتاب يضمُّ فوائد ودروسًا تُحفِّز المسلم والمسلمة على العمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما يَنفع ويُرضي الله عزَّ وجلَّ. تمَّ تقسيمها على أيَّام السنة الهجريَّة بحيث يستطيع القارئ أن يبدأ بالقراءة من تاريخ اليوم الذي عزم أن يقرأ الكتاب فيه، ويقطف من ثمرات وفوائد ذلك اليوم. وفي كلِّ يومٍ يجد القارئ جملة من المقتطفات التي تدور حول موضوع واحد قد يكون له ارتباط بذلك اليوم أو الأيَّام أو الشهر تحديدًا وقد لا يكون. ولكن الموضوعات تُشكِّل في مجملها خلاصة الفوائد والخواطر والدروس التي تُعين المسلم على التجارة مع الله والعمل الصالح الذي يكون بإذن الله زادًا له في الدنيا ونجاة له في الآخرة برحمة الله ومِنَّته وفضله. وهذا الجزء مُخصَّصٌ لفوائد شهر رجب، أسأل الله أن يكون فيه النفع والفائدة وحُجَّة لكاتبه وقارئه وكلِّ مَن أعان على نشْره وتوزيعه.

كتبه الفقير إلى عفو ربِّه

أ.د.خالد بن عبد الغفَّار آل عبد الرحمن
drkhalid63@gmail.com
الرياض

شهر رجب ١٤٤٥هـ



فهرس فوائد شهر رجب



١ رجب

السُّنن الرَّواتب

الصلاة هي صلة بين العبد وربِّه، وقد فرض الله تعالى على المسلمين خمس صلوات يُؤدُّونها في اليوم واللَّيلة، وهناك صلوات نوافل، وهي دون الفرائض، منها ما يُؤدَّى مع الفرائض، وتُسمَّى السنن الرواتب، ومنها النوافل غير الرواتب، وهي كثيرة، كصلاة الوتر وهي آكد النوافل، أقلُّها ركعة وأكثرها إحدى عشرة ركعة، وصلاة الضُّحى وهي من ركعتين إلى اثنتي عشرة ركعة، وكذلك سُنَّة الوضوء وهي ركعتان، وسُنَّة الاستخارة ركعتان، وسُنَّة قضاء الحاجة ركعتان، وصلاة العيدين ركعتان، وصلاة الاستسقاء ركعتان، وصلاة الكسوف والخسوف، وكلٌّ منهما ركعتان.

وهناك نوافل مطلقة تُصلى في غير أوقات المنع أو الكراهة وغير مُقيَّدة بعدد الرَّكعات.

أمَّا السنن الرواتب فهي صلواتٌ تابعةٌ للصَّلوات الفرائض، وتختلف في حكمها عن حكم صلاة الفرائض، إذ صلاة الفريضة يُجزَى فاعلُها على أدائها، ويُحاسَب تاركُها، بينما السنن الرواتب يُجزَى فاعلُها، ولا يُعاقَب تارِكُها، ولكن قد يُعاتَب على تركها.

وتأتي هذه السُّنن لتجبر النَّقص في الفرائض، أي قد تغفل القلوب أثناء أداء الفريضة، وقد تسهو، فتأتي السنن الرواتب لتُتِمَّ النَّقص الذي حصل في صلاة الفرض؛ وسُمِّيت الرَّواتب لأنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم لم يتركها في حَضَره، وهي اثنتا عشرة ركعة في اليوم واللَّيلة.

وفي الموسوعة الفقهية الكويتية: أنَّ الرواتب هي جمع راتبة، من رتب الشيء رتوبًا، أي: استقر ودام فهو راتب، وسُمِّيت السنن الرواتب بذلك لمشروعية المواظبة عليها.

قال الشافعية: السنن الرواتب هي: السنن التابعة لغيرها، أو التي تتوقَّف على غيرها أو على ما له وقتٌ مُعيَّنٌ كالعيدين والضُّحى والتراويح. ويُطلقها الفقهاء على الصلوات المسنونة قبل الفرائض وبعدها؛ لأنه لا يُشرَع أداؤها وحدها من دون تلك الفرائض.

ولم يقصر الشافعية السنن الرواتب على الصلاة فقد صرَّحوا بأنَّ للصوم سُننًا رواتب؛ كصيام ستٍّ من شوال[1].

---

(١) الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٥/ ٢٧٥). الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية الكويت،عدد الأجزاء: ٤٥جزءا، الطبعة: (من ١٤٠٤- ١٤٢٧هـ). الأجزاء١-٢٣: الطبعة الثانية، دارالسلاسل– الكويت،..الأجزاء ٢٤- ٣٨: الطبعة الأولى، مطابع دار الصفوة – مصر، الأجزاء ٣٩- ٤٥: الطبعة الثانية، طبع الوزارة.



ويرى جمهور الفقهاء استحباب المواظبة على السنن الرواتب.

وصرح الحنفية أنَّ تارك السُّنن الرواتب يستوجب إساءة وكراهية، وقال بعضهم: ترْك السُّنة المؤَكَّدة قريبٌ من الحرام(١)، وقال الحنابلة بكراهة ترْك الرواتب بلا عذر(٢).

وتنقسم السنن الرواتب إلى قسمين:

الأول: راتبة مؤَكَّدة؛ وهي ما جاء بها دليلٌ شرعيٌّ، وهي أقرب إلى الفرض، وهي اثنتا عشرة ركعة، مُوزَّعة بين الصلوات المفروضة، كما قال صلى الله عليه وسلم:" مَن صلَّى في يومٍ وليلةٍ ثِنْتَيْ عَشْرةَ ركعةٍ؛ بُنِيَ له بيتٌ في الجنَّةِ: أرْبَعًا قبلَ الظُّهرِ، وركعتيْنِ بعدَها، وركعتيْنِ بعدَ المغرِبِ، وركعتَيْنِ بعدَ العِشاءِ، وركعتيْنِ قبلَ الفَجرِ- صلاةِ الغَداةِ-" رواه الترمذي(٣).

إنْ شئت بيتًا بدارِ الخلدِ تسكنُها — في جَنّةٍ دُورُها سبحانَ بانيها

فاثنَتا عشرةَ للّه تَرْكَعُها — رواتبٌ كلُّها خيرٌ فأدِّيها(٤)

(١) ينظر: الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار (ص: ٦٥٠)؛ حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح (ص: ٦٤). الدر المختار شرح تنوير الأبصار وجامع البحار، المؤلف: محمد بن علي بن محمد الحِصْني المعروف بعلاء الدين الحصكفي الحنفي (المتوفى: ١٠٨٨هـ)، المحقق: عبد المنعم خليل إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م. حاشية الطحطاوي على مراقي الفلاح شرح نور الإيضاح، المؤلف: أحمد بن محمد بن إسماعيل الطحطاوي الحنفي - توفي ١٢٣١ هـ، المحقق: محمد عبد العزيز الخالدي، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٢) ينظر: غاية المنتهى في جمع الإقناع والمنتهى (١/ ١٩٥). غاية المنتهى في جمع الإقناع والمنتهى، المؤلف: مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي (المتوفى: ١٠٣٣ هـ)، اعتنى به: ياسر إبراهيم المزروعي، رائد يوسف الرومي، الناشر: مؤسسة غراس للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان، الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٢/ ٢٧٤) برقم (٤١٥) أبواب الصلاة باب ما جاء فيمن صلى في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة من السنة، ما له فيه من الفضل. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (١/ ٤١٥). سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة:الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م. صحيح وضعيف سنن الترمذي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٤) الأبيات من قصيدة بعنوان: قصيدة النوافل، ولم أقف على ناظمها. ينظر: **https://vb.ckfu.org/t691400.html**



الثاني: راتبة مُستحبَّة؛ وهي ما ثبتت بدليلٍ شرعيٍّ، ولكن هي أقلُّ رُتبةً من الراتبة المؤكَّدة، وتأتي في مقامٍ يتبع السُّنن المؤكَّدة، وهي ثمان ركعات، مُوزَّعة كما يأتي: أربع ركعات قبل فرض العصر، وركعتان قبل فرض المغرب، وركعتان قبل فرض العشاء.

وتُعدُّ صلاة سُنة صلاة الفجر آكد السنن الرواتب؛ فعن عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها- قالت:" لَمْ يَكُنِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم علَى شيءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أشَدَّ منه تَعَاهُدًا علَى رَكْعَتَيِ الفَجْرِ" رواه البخاري[١]. ويُسنُّ تخفيفُهما بأن يقرأ المصلِّي في الركعة الأولى سورة الكافرون، وفي الركعة الثانية سورة الإخلاص؛ وذلك لما رواه أبو هريرة- رضي الله عنه-:" أنَّ رَسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَرَأَ في رَكْعَتَيِ الفَجْرِ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)، وَ(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ)" رواه مسلم[٢].

وعن السُّنة الراتبة لصلاة الجمعة يقول أبو هريرة- رضي الله عنه- قال: قَالَ النبيُّ- صلى الله عليه وسلم-:" إِذَا صَلَّيْتُمْ بَعْدَ الْجُمُعَةِ فَصَلُّوا أَرْبَعًا". وفي رواية:" فَإِنْ عَجِلَ بِكَ شَيْءٌ فَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ فِي الْمَسْجِدِ، وَرَكْعَتَيْنِ إِذَا رَجَعْتَ" رواه مسلم[٣]. وعَنْ عَبْدِ اللهِ بن عمر- رضي الله عنهما- أَنَّهُ كَانَ إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ انْصَرَفَ، فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ قَالَ:" كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَصْنَعُ ذَلِكَ" رواه مسلم[٤].

وعَنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم "كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ رَكْعَتَيْنِ، وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ، وَبَعْدَ المَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ، وَبَعْدَ العِشَاءِ رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ لَا يُصَلِّي بَعْدَ الجُمُعَةِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ" رواه البخاري ومسلم[٥].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٧) برقم (١١٦٩) كتاب التهجد باب تعاهد ركعتي الفجر ومن سماهما تطوعًا. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ..

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٠٢) برقم (٧٢٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما وتخفيفهما، والمحافظة عليهما، وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٠٠) برقم (٨٨١) كتاب الجمعة باب الصلاة بعد الجمعة

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٦٠٠) برقم (٨٨٢) كتاب الجمعة باب الصلاة بعد الجمعة.

(٥) رواه البخاري في صحيحه واللفظ له (٢/ ١٣) برقم (٩٣٧) كتاب الجمعة باب الصلاة بعد الجمعة وقبلها. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٠٤) برقم (٧٢٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن، وبيان عددهن.



واختلف أهل العلم في الراتبة بعد صلاة الجمعة، فمنهم من قال: يُصلِّيها أربعًا؛ لحديث أبي هريرة- رضي الله عنه-، ومنهم من قال: يُصلِّيها ركعتين في البيت؛ لحديث ابن عمر- رضي الله عنهما- من فعل النبي صلى الله عليه وسلم.

ويقول الإمام ابن القيّم- رحمه الله-: وَكَانَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا صَلَّى الْجُمُعَةَ دَخَلَ إِلَى مَنْزِلِهِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ سُنَّتَهَا، وَأَمَرَ مَنْ صَلَّاهَا أَنْ يُصَلِّيَ بَعْدَهَا أَرْبَعًا. قَالَ شَيْخُنَا أبو العباس ابن تيمية- رحمه الله-: إِنْ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ صَلَّى أَرْبَعًا، وَإِنْ صَلَّى فِي بَيْتِهِ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ. قُلْتُ: وَعَلَى هَذَا تَدُلُّ الْأَحَادِيثُ، وَقَدْ ذَكَرَ أبو داود عَنِ ابْنِ عُمَرَ- رضي الله عنهما- أَنَّهُ كَانَ إِذَا صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ صَلَّى أَرْبَعًا، وَإِذَا صَلَّى فِي بَيْتِهِ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ(١)(٢).

قالَ العلَّامةُ ابن عثيمين- رحمه الله-: والأفضلُ أن تُصلَّى هذه الرواتب في البيت للمأموم والإمام؛ لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" أفضل صلاة المرء في بيته إلَّا المكتوبة" (٣) رواه أبو داود. حتَّى لو كنتَ في مكة أو في المدينة؛ فالأفضل أن تُصلِّي هذه السُّنن الراتبة في بيتك؛ لأنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يُصلِّيها في بيته(٤).

وتوجد الكثير من الفضائل التي يُحصِّلها المسلم عند مُحافظته على السُّنن الرَّواتب، وهي كثيرةٌ، منها ما يأتي:

---

(١) حديث ابن عمر رواه أبو داود عنه أنه قال: كان إذا كان بمكة فصلى الجمعة، تقدم فصلى ركعتين، ثم تقدم فصلى أربعا، وإذا كان بالمدينة صلى الجمعة، ثم رجع إلى بيته فصلى ركعتين، ولم يصل في المسجد، فقيل له، فقال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك» سنن أبي داود (١/ ٢٩٤) برقم (١١٣٠) تفريع أبواب الجمعة باب الصلاة بعد الجمعة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٣/ ١٣٠). سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. صحيح وضعيف سنن أبي داود، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية. وينظر: تمام المنة في التعليق على فقه السنة (ص: ٣٤١). تمام المنة في التعليق على فقه السنة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار الراية، الطبعة: الخامسة.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٤٢٤). زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٤٧) برقم (٧٣١) كتاب الأذان باب صلاة الليل. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٣٩) برقم (٧٨١) كتاب صلاة المسافرين باب استحباب صلاة النافلة في بيته، وجوازها في المسجد.

(٤) شرح رياض الصالحين (٥/ ١٢١). شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ..



١- جبْر نقص صلاة الفريضة: تُعدُّ صلاة النافلة من الأعمال التي تجبُرُ نقصَ صلاة الفريضة، فأوَّل ما يُحاسَبُ عليه الإنسان يوم القيامة صلاةُ الفرض، وعند عدم اكتمالها يُكمِّلها الله تعالى لعبده من صلاة النَّافلة، كما جاء في حديث النبيِّ صلى الله عليه وسلم:" أَوَّلُ ما يُحاسَبُ الناسُ بِهِ يَوْمَ القيامَةِ مِنْ أعمالِهِمُ الصلاةُ، يقولُ ربُّنا عزَّ وجلَّ لملائِكَتِهِ- وهو أعلمُ-: انظروا في صلاةِ عبْدِي أَتَمَّها أَمْ نَقَصَها؟ فَإِنْ كانتْ تامَّةً كُتِبَتْ لَهُ تَامَّةً، وَإِنْ كان انتقصَ منها شيئًا قال: انظروا هل لعبدي مِنْ تطَوُّعٍ؟ فإنْ كان له تَطَوُّعٌ قال: أَتِمُّوا لعبدي فريضتَهُ، ثُمَّ تُؤْخَذُ الأَعمالُ على ذاكم" رواه أبو داود[1]، فصلاة الراتبة تجبرُ الخللَ الواقع في صلاة الفرض، كأنْ يحصلُ بها نقصٌ في آدابها أو خُشوعها أو في التدبُّر في القراءة أو الأذكار.

٢- الرِّفعة في الجنة: تُعدُّ كثرة الصلاة من الأعمال التي ترفع من درجات العبد في الجنة يوم القيامة، بل إنَّها سببٌ في مُرافقة النبيِّ صلى الله عليه وسلم في الجنة، لما ورد عن ربيعة بن كعب الأسلميّ- رضي الله عنه- قال:" كُنْتُ أَبِيتُ مع رَسولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فأَتَيْتُهُ بوَضُوئِهِ وحَاجَتِهِ، فَقالَ لِي: سَلْ، فَقُلتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ في الجَنَّةِ. قالَ: أَوْ غيرَ ذلكَ؟ قُلتُ: هو ذَاكَ. قالَ: فأعِنِّي علَى نَفْسِكَ بكَثْرَةِ السُّجُودِ" رواه مسلم[2].

٣- التَّهيُّؤ للعبادة: ذكرَ ابن دقيق العيد في بيانِه لتقديم النوافل على الفرائض أنَّ ذلك يكون من باب الأُنس بالعبادة، والتَّهيُّؤ لها، حيثُ إنَّ النفوس تكون مشغولةً بأسبابٍ تُبعدُها عن الخُشوع والحُضور للصلاة، فتكون النافلة مُقدِّمةً للصلاة؛ ليدخلَ المسلم من خلالها في العبادة وأجوائها، وأجواء الخُشوع والخُضوع[3].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٥/ ٢٩٩) برقم (٩٤٩٤). وأبو داود في سننه (١/ ٢٢٩) برقم (٨٦٤) أبواب تفريع استفتاح الصلاة باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه». والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٢/ ٣٦٤). مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٣٥٣) برقم (٤٨٩) كتاب الصلاة باب فضل السجود والحث عليه.

(٣) هذا معنى كلامه، ونصه: "وفي تقديم السنن على الفرائض وتأخيرها عنها: معنى لطيف مناسب. أما في التقديم: فلأن الإنسان يشتغل بأمور الدنيا وأسبابها. فتتكيف النفس من ذلك بحالة بعيدة عن حضور القلب في العبادة، والخشوع فيها، الذي هو روحها. فإذا قدمت السنن على الفريضة تأنست النفس بالعبادة، وتكيفت بحالة تقرب من الخشوع. فيدخل في الفرائض على حالة حسنة لم تكن تحصل له لو لم تقدم السنة. فإن النفس مجبولة على التكيف بما هي فيه، لا سيما إذا كثر أو طال. وورود الحالة المنافية لما قبلها قد يمحو أثر الحالة السابقة أو يضعفه. وأما السنن المتأخرة: فلما ورد أن النوافل جابرة لنقصان الفرائض. فإذا وقع الفرض ناسب أن يكون بعده ما يجبر خللا فيه إن وقع". إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (١/ ١٩٩) وينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية (٢٥/ ٢٨٠). إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، المؤلف: ابن دقيق العيد، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

٤- بناء بيت في الجنة: صلاة النوافل من أسباب نيل أجرٍ عظيم الثواب عند الله في الجنة، فهي سببٌ لبناء بيتٍ لصاحبها في الجنّة، فمَن حافظ على صلاة اثنتي عشر ركعة من النوافل لله تعالى في اليوم والليلة؛ بنى الله تعالى له بيتًا في الجنة، عن أم حبيبة بنت أبي سفيان- رضي الله- عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَن صلَّى في يومٍ وليلةٍ ثنتي عشرة ركعة بُنِيَ له بيتٌ في الجنة" رواه مسلم[١].وهذه الركعات هي النوافل التابعة للفرائض. الخلاصة: أنَّ السنن الرواتب لها فضلٌ عظيمٌ عند الله، حتى قال العلماء بقضائها لمن فاتته لعذر، يقول الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: مَن فاته شيءٌ مِن هذه الرواتب؛ فإنَّه يُسنُّ له قضاؤه، بشرط أن يكون الفوات لعذر. ودليل ذلك: ما ثبت من حديث أبي هريرة وأبي قتادة- رضي الله عنهما- في قصة نوم النبيِّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم في السفر عن صلاة الفجر،" حيث صلى النبيُّ صلى الله عليه وسلم راتبة الفجر أوَّلًا، ثم الفريضة ثانيًا" رواه ابن ماجه[٢].وكذلك أيضًا حديث أم سلمة- رضي الله عنها- أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم" شُغِلَ عن الركعتين بعد صلاة الظهر؛ فقضاهما بعد صلاة العصر[٣]" رواه النسائي. وهذا نصٌّ في قضاء الرواتب[٤].

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٠٢) برقم (٧٢٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن، وبيان عددهن.

(٢)رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٧١) برقم (٦٨٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب قضاء الصلاة الفائتة، واستحباب تعجيل قضائها.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٦٩) برقم (٤٣٧٠) كتاب المغازي باب وفد عبد القيس. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٧١) برقم (٨٣٤) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب معرفة الركعتين اللتين كان يصليهما النبي صلى الله عليه وسلم بعد العصر.

(٤)الشرح الممتع على زاد المستقنع (٤/ ٧٢). الشرح الممتع على زاد المستقنع، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، دار النشر: دار ابن الجوزي، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨هـ..



٢ رجب

البكاء من خشية الله

لقد غاب عن حياة الكثيرين منا سَمتٌ جليلٌ، وسمة ربانيَّة، أنْسَتْنا الدنيا ومشاغلها، ولَهونا بها في الليل والنهار، هذه الخصْلة الكريمة الشريفة هي صفةٌ قدِ امتدحَ اللهُ ورسولُه صلى الله عليه وسلم فاعِلِيها. نعم، لقد فَقَدْنا البُكاءَ مِن خشية الله، وغاب عنَّا هذا السمت البُكائي وندُر، حتى صار يُقال: إنَّ فلانًا يبكي، وحتى صار منَ المسْتَغْرَب أن تجدَ مَن يخشع في الموعظة، وحتى صار صَفُّ الملتزمين في الصلاة أشَحَّ بالدَّمع منَ الصَّخر، إنَّ هذا كلَّه مُؤذِنٌ بِخَلَلٍ خطيرٍ، ومُنذرٌ بشرٍّ وَبِيل. لا نريد المخادَعة، ولا الضَّحِك على النَّفْس، فربَّما الْتَمَسَ الإنسان لنفسه أَلْف عُذْر، وربما قال ما قال إياس لأبيه: إنما هي رقَّة في القلوب[١]، يريد أنَّ المسألة طبائع، فهناك مَن في قلبه رِقَّة، وهناك مَن في قلبه قسوة، وكلُّ هذه مبررات واهِية، وحُجج ساقِطة، واجعل نُصب عينيكَ أبدًا قول مَن قال: إذا لم تبكِ مِن خشية الله؛ فابكِ على نفسك؛ لأنَّكَ لَمْ تبكِ. كثيرٌ منا مَن يقرأ القرآن؛ ولكن لا تدمع عيونُه مِن خشية الله، وكثيرٌ منَّا مَن يستمع إلى أحاديث تُذَكِّرُه بالآخرة، وتُخَوِّفه بالنار، وتُحَبِّبه في الجنَّة؛ ولكنَّ قلبَه لا يخشع ولا يخضع، ولا يلين، فقد عَمَّتِ البلوى، وانتشرتِ المعاصي والآثام، فلم يبقَ لهذا القلب خوفٌ منَ الله، ولم يبقَ لهذه العين خَشْيَة حتى تدمعَ شوقًا إلى الله.

إنَّ البكاء من خشية الله عبادة يُحبُّها الله تعالى، ويُرغِّب فيها، ويُعطي عليها الأجر العظيم، لأنَّ بها تتحقَّق العبودية الكاملة له سبحانه، ويتحقَّق الخشوع والخضوع والانكسار والتذلُّل بين يديه، والتوبة والإنابة إليه، كما أنَّها تُرقِّق القلب وتزيد الإيمان، وتُرقِّي العبد إلى أعلى مقامات الولاية والقُرْب من الله عزَّ وجلَّ. ولقد تنوَّعت أساليب القرآن الكريم في الحديث عن البكاء، فمرَّة يستنكر على المشركين اشتغالهم بالعجب والضحك، بدل البكاء، فيقول تعالى: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ﴾[٢]. وتارة يُبيِّنُ حال الصالحين ويُثني عليهم قائلًا: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[٣]، ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[٤].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (ص: ٥٦) برقم (٣٩). الرقة والبكاء، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار النشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨م.

(٢) النجم: ٥٩ – ٦٠.

(٣) الإسراء: ١٠٩.

(٤) مريم: ٥٨.

وللبكاء من خشية الله فضل عظيم: فقد كان السلف يتَّصفون به في حال سرِّهم وجهرهم، قال تعالى: ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١).

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم:" لا يلجُ النارَ رجلٌ بكى من خشية الله حتى يعود اللبنُ في الضرع" رواه الترمذي(٢).

وقالَ رسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم:" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظلُّهُ: إمامٌ عادِلٌ، وشابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ اللَّه تَعالى، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بالمِسَاجِدِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا في اللَّه، اجتَمَعَا عَلَيهِ وتَفَرَّقَا عَلَيهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخافُ اللَّه، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةَ فأَخْفاها حتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّه خالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ" رواه البخاري ومسلم(٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" عينانِ لا تمسُّهما النار: عينٌ بكتْ من خشية الله، وعينٌ باتتْ تحرُسُ في سبيل الله" رواه الترمذي(٤)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" ليس شيءٌ أحبُّ إلى الله من قطرتين وأثرين: قطرةٌ مِن دموع خشية الله، وقطرة دم تُهراق في سبيل الله، وأمَّا الأثرانِ: فأثرٌ في سبيل الله، وأثرٌ في فريضة من فرائض الله" رواه الترمذي(٥).

أمَّا الوسائل المعِينة على البكاء فكثيرة، منها: استشعار عظمة الله تعالى والخوف منه. والتفكُّر في حال النفس وتقصيرها في عبادة الله تعالى وجُرأتها على معصيته، والتفكُّر في الآخرة وأهوالها، والخوف من

---

(١) الطور: ٢٥ – ٢٨.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٦/ ٣٣٠) برقم (١٠٥٦٠). والترمذي في جامعه (٤/ ١٧١) برقم (١٦٣٣) أبواب فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل الغبار في سبيل الله. والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٢٧٤) برقم (٤٣٠١) كتاب الجهاد، فضل من عمل في سبيل الله على قدمه. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ١٣٣). السنن الكبرى المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٣) برقم (٦٦٠) كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٥) برقم (١٠٣١) كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة.

(٤) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ١٧٥) برقم (١٦٣٩) أبواب فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي

(٥) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ١٩٠) برقم (١٦٦٩) أبواب فضائل الجهاد باب ما جاء في فضل المرابط. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ١٦٩).



سوء الخاتمة، وقراءة القرآن الكريم وتدبُّر معانيه، والدعاء بأن يرزقه الله تعالى عينًا دامعة وقلبًا خاشعًا، وأن يتعوَّذ من قسوة القلب وجمود العين. قال عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما-: لأن أدمع من خشية الله أحبُّ إليَّ مِن أن أتصدَّق بألف دينارٍ[(١)]، وقال كعب الأحبار: لأن أبكي مِن خشية الله فتسيل دموعي على وجنتي؛ أحبُّ إليَّ من أن أتصدَّق بوزني ذهبًا[(٢)].

والبكاء أنواع: أحدها: بكاء الرحمة والرقَّة، والثاني: بكاء الخوف والخشية، والثالث: بكاء المحبَّة والشوق، والرابع: بكاء الفرح والسرور، والخامس: بكاء الجزع من ورود المؤلِم وعدم احتماله، والسادس: بكاء الحزن، والسابع: بكاء الخور والضعف، والثامن: بكاء النفاق، وهو أن تدمع العين والقلبُ قاسٍ، فيُظهِر صاحبُه الخشوعَ، وهو من أقسى الناس قلبًا، والتاسع: البكاء المستعار والمستأجَر عليه، كبكاء النائحة بالأجرة، فإنَّها كما قال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-: تبيع عبْرَتَها، وتبكي شجو غيرها، والعاشر: بكاء المواقة، وهو أن يرى الرجُلُ الناسَ يبكون لأمرٍ ورد عليهم؛ فيبكي معهم، ولا يدري لأيِّ شيءٍ يبكون، ولكن يراهم يبكون فيبكي. وما كان من البكاء مُستدعى متكلفًا؛ فهو التباكي، وهو نوعان؛ محمود: وهو أن يُستجلَب لرقَّة القلب، ولخشية الله، لا للرياء والسمعة. ومذموم: وهو أن يُجتلَب لأجل الخَلْق[(٣)].

قال ابن القيِّم- رحمه الله-: وأما بكاؤه صلى الله عليه وسلم فكان من جنس ضحكه، لم يكن بشهيقٍ ورفع صوت، كما لم يكن ضحكه بقهقهة، ولكن كانت تدمع عيناه حتى تَهْمُلا، ويُسمَع لصدره أزيزٌ، وكان بكاؤه تارةً رحمةً للميت، وتارةً خوفًا على أُمَّته وشفقةً عليها، وتارةً من خشية الله، وتارةً عند سماع القرآن، وهو بكاء اشتياقٍ ومحبَّةٍ وإجلالٍ، مُصاحِب للخوف والخشية.

ولما مات ابنه إبراهيم دمعت عيناه وبكى رحمةً له، وقال:" تدمع العينُ ويحزن القلبُ، ولا نقول إلَّا ما يُرضي ربَّنا، وإنَّا بك يا إبراهيم لمحزونون» رواه مسلم[(٤)(٥)]. وبكى النبيُّ صلى الله عليه وسلم وسالتْ

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٢/ ٢٥٣) برقم (٨١٦) الخوف من الله تعالى. شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٢٢٦) برقم (٣٥٥٤٤). الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المؤلف: أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، الناشر: مكتبة الرشد – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ١٧٧).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٠٧) برقم (٢٣١٥) كتاب الفضائل باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ١٧٦).

دموعه، وهو الذي غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، وحاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تكون منه معصية لله عزَّ وجلَّ، فهو المعصوم المنتقى، المختار المنزَّه عن فعل المعاصي والمنكرات.

قال عبد الله بن الشخير- رضي الله عنه-:" أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يُصلِّي، ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء" رواه النسائي(١).

هذا هو بكاء الخشية الشرعي، ليس هو الصراخ والعويل، وإقامة المآتم والنواح، وضرب الصدور وشق الجيوب، ومُشابَهة أهل الجاهلية، فكلُّ هذا جهلٌ وضلالٌ، وبِدعٌ ما أنزل الله بها من سلطان.

وعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأْ عليَّ القرآن، قلتُ: يارسول الله؛ أقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال:" إنِّي أحبُّ أن أسمعه من غيري" قال ابن مسعود: فقرأتُ النساء، حتَّى إذا بلغتُ ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾، قال: فرفعتُ رأسي فإذا عيناه تذرفان، وفي رواية: فرفعتُ رأسي فرأيتُ دموعه تسيل. رواه البخاري(٢). فلم يُحدِث النبيُّ صلى الله عليه وسلم صوتًا في بكائه، ولم يعلم به ابن مسعود- رضي الله عنه- إلَّا أنَّه رفع رأسه، وفي بعض الألفاظ: أنَّ رجُلًا غمزه فرفع رأسه، فرأى دموع النبي صلى الله عليه وسلم تسيل.

وقد قال بعض السلف: ابكوا من خشية الله، فإن لم تبكوا فتباكوا(٣).

بكيتُ على الذنوبِ لعظمِ جُرمِي — وحُـقَّ لمِـن عصـى مُـرُّ البُكَـاءِ
فلـو أنَّ البُكَـاءَ يَرُدُّ هَمِّي — لأسـعدتُ الدمـوعَ مع الدِّمَاءِ(٤)

الخلاصة: أنَّ البكاء من خشية الله تعالى من الأعمال التي يُحبُّها الله تعالى، ويرضى عن العبد بها، ويُجزل له الأجر والثواب، ويُنقذه من النار، كما أنَّه دأب الصالحين والأولياء، لذلك على المؤمن أن يعرف فضله، والوسائل المساعدة على حصوله، وأن يتجنَّب الأسباب التي تُقسِّي القلب وتُجمِّد العين، وأن يسأل الله تعالى أن يُكرمه بفضله ونعمته وحلاوته.

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (١/ ٢٩٢) برقم (٥٤٩) كتاب السهو، ذكر ما ينقض الصلاة، وما لا ينقضها، البكاء في الصلاة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن النسائي (٣/ ٣٥٨). صحيح وضعيف سنن النسائي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٤٥) برقم (٤٥٨٣) كتاب تفسير القرآن باب {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} [النساء: ٤١] ". ومسلم في صحيحه (١/ ٥٥١) برقم (٨٠٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر.

(٣) ينظر: مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ٢٢٥) برقم (٣٥٥٣٤).

(٤) الرقة والبكاء لابن أبي الدنيا (ص: ١٤٢).



٣رجب

غضُّ البصر

قال الإمام القرطبي: البصر هو الباب الأكبر الى القلب[١]، ولذلك وجب على كلِّ مُسلمٍ عاقلٍ يخاف الله ويرغب في رضاه؛ أن يَغضَّ بصره عن كلِّ ما حرَّم الله عليه.

وما أحسن قول الشاعر:

كـلُّ الحـوادثِ مبـدؤها مـن النظَـرِ ومُعظمُ النارِ مِن مُستصغَرِ الشرَرِ

كم نظرةٍ فتكتْ في قلبِ صاحبِها فتْكَ السهامِ بلا قوسٍ ولا وترِ؟![٢]

لماذا نغضُّ البصر؟

١- تنفيذ أوامر الله عزَّ وجلَّ: قال تعالى: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾[٣].

قال الشيخ السعدي في تفسيره: أي: أرشدِ المؤمنين، وقلْ لهم: الذين معهم إيمان يمنعهم من وقوع ما يخلُّ بالإيمان: {يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ} عن النظر إلى العورات، وإلى النساء الأجنبيات، وإلى المرْدان، الذين يخاف بالنظر إليهم الفتنة، وإلى زينة الدنيا التي تفتن، وتوقع في المحذور. {وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ} عن الوطء الحرام، في قُبُلٍ أو دُبُرٍ، أو ما دون ذلك، وعن التمكين من مسِّها، والنظر إليها. {ذَلِكَ} الحفظ للأبصار والفروج {أَزْكَى لَهُمْ} أطهرُ وأطيبُ، وأنمى لأعمالهم، فإنَّ مَن حفِظَ فرجه وبصره؛ طهُر من الخبث الذي يتدَّنس به أهل الفواحش، وزكتْ أعمالُه، بسبب ترْك المحرَّم، الذي تطمع إليه النفس وتدعو إليه، فمَن ترَك شيئًا لله؛ عوَّضه الله خيرًا منه، ومَن غضَّ بصره عن المحرَّم؛ أنار الله بصيرته، ولأنَّ العبد إذا حفظ فرجه وبصره عن الحرام ومُقدِّماته- مع داعي الشهوة-؛ كان حفظه لغيره أبلغ، ولهذا سمَّاه الله حفظًا، فالشيء المحفوظ إن لم يجتهد حافظه في مراقبته وحفظه، وعمل الأسباب الموجبة لحفظه؛ لم ينحفظ، كذلك البصر والفرج، إن لم يجتهد العبد في حفظهما؛ أوقعاه في بلايا ومِحنٍ، وتأمَّلْ كيف أمر بحفظ الفرج مطلقًا، لأنَّه لا يُباح في حالةٍ من الأحوال، وأمَّا البصر فقال: {يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ} أتى بأداة "من" الدالَّة على

---

(١) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٢٣). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

(٢) ينظر: الكبائر للذهبي (ص: ٥٩). الكبائر، المؤلف: تنسب لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الندوة الجديدة – بيروت.

(٣) النور: ٣٠.

التبعيض، فإنَّه يجوز النظر في بعض الأحوال لحاجة، كنظر الشاهد والعامل والخاطب، ونحو ذلك. ثم ذكَّرهم بعلمه بأعمالهم، ليجتهدوا في حفظ أنفسهم من المحرَّمات[١]. وهذه الآية اشتملت على ثلاثة معانٍ: تأديب، وتنبيه، وتهديد. أمَّا التأديب فقوله تعالى: {قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ...}، ولا بُدَّ للعبد من امتِثال أوامر ربِّه والتأدُّب معه، وإلَّا كان سيِّءَ الأدب، وأمَّا التنبيه فقوله: {ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ...}، فالزكاة هي الطهارة والزيادة؛ لأنَّ غضَّ البصر يزيد طهارة القلب، فيزداد العبد من الطاعات، وأمَّا التهديد فقوله: {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ}، قيل لأحد الصالحين: كيف أغضُّ بصري؟ قال: أنْ تعلم أنَّ نظر الله إليك أسرعُ مِن نظرك إلى المنظور إليه.

٢- استجابةً لتوجيه النبي صلى الله عليه وسلم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعليِّ بن أبي طالب- رضي الله عنه-:" يا عليُّ؛ لا تُتبعِ النظرةَ النظرة؛ فإنَّ لك الأولى، وليست لك الآخرة" رواه أبو داود[٢].

٣- ضمان دخول الجنة: فعن عبادة بن الصامت- رضي الله عنه- أن نبيَّ الله- صلى الله عليه وسلم- قال:" اضمَنوا لي سِتًّا من أنفسكم أضمنْ لكم الجنة: اصدُقوا إذا حدَّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا اؤتُمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضُّوا أبصاركم، وكفوا أيديكم" رواه أحمد[٣].

٤- تجنُّب الوقوع في الزنا: قال تعالى﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[٤]. وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" كُتبَ على ابنِ آدمَ نصيبُه من الزِّنا، مُدرِكٌ ذلك لا محالة؛ فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجْل زناها الخُطا، والقلب يَهوى ويتمنَّى، ويُصدِّقُ ذلك الفرجُ ويُكذِّبُه" رواه مسلم[٥].

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٦٦). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٨/ ٩٥) برقم (٢٢٩٩١). وأبو داود في سننه (٢/ ٢٤٦) برقم (٢١٤٩) كتاب النكاح باب ما يؤمر به من غض البصر. والترمذي في جامعه (٥/ ١٠١) برقم (٢٧٧٧) أبواب الأدب باب ما جاء في نظرة الفجاءة. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٢٧٧).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٤١٧) برقم (٢٢٧٥٧). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٤٥٤). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف) عام النشر: جـ ١ - ٤: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، جـ ٦: ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م، جـ ٧: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٤) الإسراء: ٣٢.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٥٤) برقم (٦٢٤٣) كتاب الاستئذان باب زنا الجوارح دون الفرج. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٧) برقم (٢٦٥٧) كتاب القدر باب قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره.



٥- النظر خطر على استقرار الفكر: لأنَّ النظر المتلذِّذ الجائع ليس خطرًا على خلُق العفاف فحسب، بل خطرٌ على استقرار الفكر وطمأنينة القلب الذي يُصاب بالشرود والاضطراب.

ومن فوائد غضِّ البصر: تخليص القلب من ألم الحسرة؛ فإنَّ مَن أطلق نظره دامتْ حسرتُه، فأضرُّ شيءٍ على القلب إرسالُ البصر؛ فإنَّه يُريه ما يشتدُّ طلبه ولا صبر له عنه ولا وصول له إليه، وذلك غاية ألمه وعذابه. كذلك فإنَّه يورث القلب نورًا وإشراقًا يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح، كما أنَّ إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه، ولهذا ذكر الله سبحانه آية النور في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1]، عقيب قوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾[2].

ويورث صحَّة الفراسة؛ فإنَّها من النور وثمراته، وإذا استنار القلب صحَّت الفراسة؛ لأنَّه يصير بمنزلة المرآة المجلوة، تظهر فيها المعلومات كما هي، والنظر بمنزلة التنفُّس فيها، فإذا أطلق العبد نظرةً تنفَّستْ نفسُه الصُّعَداء في مرآة قلبه، فطمستْ نورها.

ومن فوائده أيضًا أنَّه يَسدُّ عنه بابًا من أبواب جهنم؛ فإنَّ النظر باب الشهوة الحاملة على مُواقَعة الفعل، وتحريم الرَّبِّ تعالى، وشرْعُه حجابٌ مانعٌ من الوصول، فمتى هتَكَ الحجاب وقع في المحظور ولم تقف نفسه منه عند غاية، فإنَّ النفس في هذا الباب لا تقنع بغاية تقف عندها؛ وذلك أنَّ لذَّتها في الشيء الجديد، فغضُّ البصر يسدُّ عنه هذا الباب.

ومن الوسائل المعينة على غضِّ البصر:-

١- أن يتَّقي الله في سرِّه وعلانيته: قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾[3]، ويقول تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾[4].

قال ابن عبَّاسٍ- رضي الله عنهما- في قوله تعالى: {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ} قال: هو الرَّجُل يكون بين الرجال، فتمرُّ بهم امرأةٌ فينظرُ إليها، فإذا نظر إليه أصحابُه غضَّ بصرَه[5].

---

(١) النور: ٣٥.

(٢) النور: ٣٠.

(٣) الأنعام: ٣.

(٤) غافر: ١٩.

(٥) ينظر: تفسير السمعاني (٥/ ١٣). تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض – السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.



٢- أن يدعو الله عزَّ وجلَّ بأن يصرف عنه السوء والفحشاء: قال سبحانه وتعالى عن نبيّه يوسف- عليه السلام-: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[١]، قال ابن تيمية- رحمه الله-: فلا بُدَّ من التقوى بفعل المأمور والصبر على المقدور؛ كما فعل يوسف- عليه السلام- اتَّقى الله بالعفَّة عن الفاحشة، وصبَرَ على أذاهم له بالمراودة والحبس، واستعان الله ودعاه حتَّى يُثبِّته على العفَّة، فتوكَّل عليه أن يصرف عنه كيدهنَّ، وصبَرَ على الحبس[٢].

٣- تنشئة الأبناء على التربية الإسلامية: فالتربية الإسلامية تغرس الفضيلة والعفَّة في الأبناء، وتُربّيهم على الالتزام بالأحكام الشرعية منذ صغرهم.

٤- الزواج: الزواج المبكِّر من أقوى الوسائل المعِينة للعفاف، قال صلى الله عليه وسلم:" يا معشر الشباب؛ مَنِ استطاع منكم الباءة فلْيتزوجْ؛ فإنَّه أغضُّ للبصر، وأحصنُ للفرج، ومَن لم يستطعْ فعليه بالصوم؛ فإنَّه له وِجاء" رواه البخاري[٣].

٥- عدم الخلوة بالمرأة الأجنبية: قال صلى الله عليه وسلم:" الحمو الموت" رواه البخاري ومسلم[٤]، وقال: ما خلا رَجُلٌ بامرأةٍ إلَّا كان الشيطان ثالثهما" رواه البخاري[٥].

٦- عدم التبرج: قال تعالى: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾[٦].

٧- الاستئذان عند الدخول: وقد جعل الاستئذان من أجل البصر كما قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[٧].

---

(١) يوسف: ٣٣ – ٣٤.

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٣١). مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٣) برقم (٥٠٦٥) كتاب النكاح باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج» وهل يتزوج من لا أرب له في النكاح ". ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠١٨) برقم (١٤٠٠) كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٣٧) برقم (٥٢٣٢) كتاب النكاح باب لا يخلون رجل بامرأة إلا ذو محرم، والدخول على المغيبة. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧١١) برقم (٢١٧٢) كتاب السلام باب تحريم الخلوة بالأجنبية والدخول عليها.

(٥) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٤٦٦) برقم (٢١٦٥) أبواب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة بلفظ: "ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان". والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ١٦٥).

(٦) الأحزاب: ٣٣.

(٧) النور: ٢٧.



الخلاصة: أنَّ الله أمرنا بغضِّ البصر، وقدَّم الأمر به على حفظ الفرج لأنَّه بداية الزنا، فإنَّ كلَّ الموبقات تبتدئ بالنظر، لذلك نرى أنَّ النظرة المسمومة تولد الخطرة، ثم تولد الخطرة فكرة، ثم تولد الفكرة شهوة، ثم تولد الشهوة إرادة، ثم تقوى فتصير عزيمة قوية، فيقع الفعل، والفرج يُصدِّق ذلك أو يُكذِّبه. فعَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ- رضي الله عنه- قَالَ:" سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي" رواه مسلم(١).

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٦٩٩) برقم (٢١٥٩) كتاب الآداب باب نظر الفجأة.

٤ رجب

الدلالة على الخير

إنَّ الدلالة على الخير في الإسلام لها فَضلٌ عظيمٌ، وهي واجبٌ منوطٌ بتنفيذه كلُّ مُسلِمٍ قدْرَ استطاعته، والدلالة على الخير لها شِقَّان: الأول: توجيه الناس إلى الخير وتعليمهم الأمور التي فيها صلاح ونور، والثاني: هو النهي عن الضلال والشر وتحذير الناس ونصيحتهم ومنعهم منه، ووعظهم وتوضيح العقوبة في الدنيا والآخرة.

فمِن أُسس ودعائم الدلالة على الخير الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر. ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسوة الحسنة؛ حيث حثَّ كلَّ مُسلمٍ على فعل الخير مع الآخرين وأن يدُلَّهم عليه، ويُرغِّبهم بالإحسان وأن يُساعدهم على الهداية والابتعاد عن الضلال، فإنَّ في ذلك أجرًا عظيمًا، وفضلًا من الله تعالى على عباده الذين يسيرون على النهج السليم.

وقد ورد ذكر الدلالة على الخير في عدد من آيات القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١].

وفي تفسير الآية الكريمة يقول الشيخ السعدي رحمه الله تعالى: يَمدح الله تعالى هذه الأمَّة، ويُخبر أنَّها خيرُ الأمَم التي أخرجها الله للنَّاس؛ وذلك بتكميلهم لأنفسهم بالإيمان المستلزِم للقيام بكلِّ ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمرِ بالمعروف والنَّهي عن المنكر المتضمِّن دعوة الخَلق إلى الله، وجهادهم على ذلك، وبَذْل المستطاع في ردِّهم عن ضلالهم وغيِّهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خيرَ أمَّةٍ أُخرِجَت للناس[٢].

وقد بيَّنَ لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من خلال أحاديثه الشريفة النهج السليم الذي يجب السير عليه، وبيَّنَ لنا فضل كلِّ عملٍ فيه خيرٌ، ومن الأحاديث التي بَيَّنتْ فضْل الدلالة على الخير نذكر: قوله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الدالَ على الخيرِ كفاعلِه" رواه الترمذي[٣].

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٤٣).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٨/ ١٣٢) برقم (٢٣٠٢٧). والترمذي في جامعه (٥/ ٤١) برقم (٢٦٧٠) أبواب العلم باب ما جاء الدال على الخير كفاعله. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ١٧٠).



وقوله صلى الله عليه وسلم أيضًا:" مَن دَعا إلى هُدًى كانَ له مِنَ الأجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَن تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذلكَ مِن أُجُورِهِمْ شيئًا، ومَن دَعا إلى ضَلَالَةٍ كانَ عليه مِنَ الإثْمِ مِثْلُ آثامِ مَن تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذلكَ مِن آثامِهِمْ شيئًا " رواه مسلم[١].

والدلالة على الخير نوعان: مباشرة وغير مباشرة، فالدلالة المباشرة إذا سأل أحدٌ شخصًا آخر عن شيءٍ في أمور الدين أو الدنيا، ثم يدلُّه ويُجيبه بما يعلم، إذ تُعتبر هذه هي الدلالة المباشرة. ويأخذ الثواب كاملًا.

والدلالة غير المباشرة إذا سأل أحدٌ شخصًا آخر عن شيءٍ في أمور الدين أو الدنيا، لكنه لا يعرف الإجابة، فيدلُّه علي شخصٍ أفقه منه ليجيب على تساؤلاته، إذ تُعتبر هذه هي الدلالة غير المباشرة. ويأخذ الثواب كاملًا كفاعله.

وقد قسَّم الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- الدلالة على الخير إلى قسمين: دلالة القول، ودلالة الفعل، والناس يقتدون بالقول ويقتدون بالفعل، وربما كان اقتداؤهم بالفعل أكثر، فمثلًا إذا اقتدى بك إنسان في التهجُّد بالليل أو في إعانة الضعيف أو الصدقة على فقيرٍ؛ اقتدى بك وأنتَ لم تقلْ ذلك، فهذا يعتبر دلالة فعلية، وكذلك من دلَّ على ترْك المحظور وترْك الشرِّ بنيَّةٍ صالحةٍ، وترَكه غيرُه، بهذه النيَّة فله مثل أجر فاعله[٢].

كيف أكون دليلًا على الخير؟ إنَّ الدلالة على الخير هي أمرٌ يستوجب تحقيق عددٍ من الشروط، وذلك لزيادة قدرة المرء على هداية الآخرين وإرشادهم للخير، ومن هذه الأمور المعِينة على ذلك:

١- الحصول على العلم الكافي والذي يجعل الشخص مُؤهَّلًا وقادرًا على هداية الآخرين ودلالتهم على الخير. والدعاء لله تعالى وطلب التوفيق والهداية والتيسير منه في كل أمرٍ يفعله.
٢- حُسن المظهر وحُسن اللباس على ألَّا يكون ذلك مُبالَغًا فيه.
٣- حُسن المعشر وحُسن الأخلاق؛ لأنَّ ذلك يزيد من محبَّة الآخرين للشخص.
٤- توسيع دائرة العلاقات والمعارف؛ لأنَّ ذلك يزيد من قدر الناس الذين يُمكن دلالتهم إلى الخير.
٥- حُسن السيرة يجعل الآخرين يتأثَّرون بكلام الشخص، ويصغون لكلامه ونصائحه.

---

(١) مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٠) برقم (٢٦٧٤) كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة.
(٢) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام (٦/ ٢٩٩). فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، تحقيق وتعليق: صبحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.



٦- عدم التوجُّه لأشخاصٍ وترْك أشخاص؛ فإنَّ الدلالة للخير يجب أن تكون عامَّةً لكلِّ الناس بقدر الاستطاعة.

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: ينبغي للإنسان أن يُسارعَ في الخيرات؛ كلَّما ذُكر له شيءٌ من الخير بَادَرَ إليه، فمِن ذلك الصلاة، والصدقة، والصوم، والحج، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، إلى غير ذلك من مسائل الخير التي ينبغي المسارعة إليها؛ لأنَّ الإنسان لا يدري؛ فربما يتوانى في الشيءِ ولا يقدر عليه بعد ذلك، إمَّا بموتٍ، أو مرض، أو فوات، أو غير هذا، وقد جاء في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم:" مَن أراد الحجَّ فليتعجَّلْ؛ فإنَّهُ قد يمرَضُ المريضُ، وتضلُّ الضالَّةُ، وتعرِضُ الحاجَةُ" رواه ابن ماجه[1]. فقد يعرُض له شيءٌ يمنعه من الفعل، فسارِعْ إلى الخير ولا تتوانَ[2].

إنَّ الدلالة على الخير وإخلاص النية لله تعالى وحده لا شريك له؛ هو أمرٌ يزيد من أجر وحسنات الإنسان، ويجعله ذا شأنٍ رفيعٍ عند الله تعالى، ولا يقتصر فضل الدلالة على الخير على الفرد فقط، بل يشمل ذلك حصول الخير في سائر المجتمع، وانتشار المحبَّة والألفة بين الناس، وتحقيق تعاليم الدين الصحيحة، والتشريعات الإسلامية في المجتمع، والتقليل من الشر والسوء والضلال في المجتمع.

ثم إنَّ الدلالة على الخير يُمكن أن تتمثَّل على هيئات وأشكال مختلفة، وكلها فيها نفعٌ وفائدة، ومن هذه الصور نذكر:

١- الموعظة بشكل فردي: وهو نصح بعض الأشخاص وتوجيههم إلى الفعل الصحيح، ووعظهم بالابتعاد عن بعض الأمور التي فيها سوءٌ لهم، وذلك ضمن جلسات فردية مع هؤلاء الأشخاص.

٢- المحاضرت: القيام بأداء محاضرات بشكل متتالٍ ومستمر، تتحدَّث عن أمر مُحدَّدٍ وبيان فضله أو بيان آثاره السلبية، وتوضيح تعاليم الدين من خلال هذه المحاضرات.

٣- الدروس: تشكيل حلقات يتمُّ إعطاء الدروس فيها، وبيان طريق الخير للناس والنهج السليم في الحياة، ووعظهم وبيان أثر العمل السيء عليهم في الدنيا والآخرة

٤- المشاريع الخيرية: طرْح أفكار لأداء مشاريع خيرية مثل: مشاريع كفالة اليتيم، أو التدفئة في الشتاء وغيرها. وللدلالة على مجالات الخير من ذلك إخبار الآخرين بالكتب التي تحتوي على الفائدة أو الأسواق والجمعيات الخيرية التي تُساعد المحتاجين.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣/ ٣٣٣) برقم (١٨٣٤). وابن ماجه في سننه (٢/ ٩٦٢) برقم (٢٨٨٣) كتاب المناسك باب الخروج إلى الحج. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٦/ ٣٨٣). صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية - المجاني - من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٢) شرح رياض الصالحين (٢/ ٥). شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.



الخلاصة أنَّ الدلالة على الخير هي تعليم الناس التشريعات الإسلامية الصحيحة، وحثُّهم على إحياء السنن النبوية، والابتعاد عن كل ضلال، وعن كل أمر فيه سوء للإنسان، وهي أمرٌ فيه من الفضل الكثير والأجر العظيم الذي يُعادل أجر فاعل الخير ذاته، ويُمكن للإنسان أن يكون دالًّا على الخير من خلال كونه حسن المظهر والمعشر والأخلاق، وأن يكون ذا علمٍ ومعرفة، وأن يكون ذا سيرة حسنة، كما أنَّه من أساليب الدلالة على الخير القيام بالدروس والمحاضرات والمشاريع الخيرية والموعظة بشكل فردي، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من عباده الصالحين الدالين على الخير.

٥ رجب

أفشوا السلام بينكم

إفشاء السلام مَعْلَمٌ شرعي، وفضيلة عظيمة من فضائل الإسلام، ورابطٌ معنوي من روابط الإيمان، وواجبٌ اجتماعي جعله الإسلام من حقِّ المسلم على أخيه المسلم، وسببًا عظيمًا من أسباب الألفة والمحبَّة والأخوة التي تربط المسلم بأخيه المسلم، وتُصيِّر الناس كأنَّهم أمَّة واحدة يعرف بعضهم بعضًا، ويُحبُّ بعضهم بعضًا، كما جعل فيه من الأجر والخير والثواب ما يكون طريقًا إلى رضوان الله وجنَّته.

وتحية الإسلام هي التحية التي شرعها النبيُّ الكريم صلى الله عليه وسلم لأمَّته؛ وهي إرث أبيه آدم- عليه السلام- التي علَّمها الله سبحانه وتعالى له، وأمره بإلقائها على الملائكة أول لقائه لهم في الجنة؛ لتكون تحيته وتحية ذريته من بعده، وقد واظب النبي صلى الله عليه وسلم عليها، وحثَّ أصحابه على إفشائها.

ومعنى تحية الإسلام: الدعاء بالسلامة؛ فأنتَ تدعو لمن تُلقي عليه السلام بأن يُسلِّمَه الله من كلِّ آفةٍ؛ أي من الأمراض والشرور والمعاصي ومن عذاب النار، ولذلك قيل للجنة دار السلام؛ لأنَّها دار السلامة من كلِّ مكروهات النفس، قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَـٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[1].

والسلام أيضًا تحيَّة أهل الجنة فيما بينهم، وبها تُحيِّيهم الملائكة الكرام، وهي تُطمئنهم بأنَّه لن يصيبهم أيُّ مكروهٍ بإذن الله. والسلام اسمٌ من أسماء الله الحسنى. وقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" الْمُسْلِمُ مَن سَلِمَ المسْلِمُونَ مِن لِسانِهِ ويَدِهِ" رواه البخاري ومسلم[2].

قال الإمام النووي: معنى السلام: قيل: هو اسم الله تعالى، فقوله: السلام عليك؛ أي: اسم السلام عليك، ومعناه: اسم الله عليك؛ أي: أنتَ في حفظه، كما يقال: الله معك، والله يصحَبُك، وقيل: السلام بمعنى السلامة؛ أي: السلامة ملازمة لك[3].

---

(١) الأنعام: ١٢٧.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١) برقم (١٠) كتاب الإيمان باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٥) برقم (٤١) كتاب الإيمان باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل.

(٣) شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٤١). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.



كما أمر الإسلام بإفشاء السلام لفظًا يُردِّده المسلمون، فتنتشر معاني السلام بينهم، وتتنزَّل عليهم الرحمات والبركات قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١).

والذي نصَّ عليه المفسرون في تأويل هذه الآية ثلاثة أمور:

- أن يُسلِّم الإنسان على أخيه إذا دخل بيته.
- أن يُسلِّم على أهل بيته إذا دخل عليهم.
- أن يُسلِّم على عباد الله الصالحين إن كان البيت خاليًا(٢).

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: أي: فلْيسلِّمْ بعضُكم على بعض، لأنَّ المسلمين كأنَّهم شخصٌ واحدٌ، مِن توادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم، فالسلام مشروعٌ لدخول سائر البيوت، من غير فرْق بين بيتٍ وبيتٍ، والاستئذان تقدَّم أنَّ فيه تفصيلًا في أحكامه، ثم مدح هذا السلام فقال: {تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً} أي: سلامكم بقولكم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أو: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، إذ تدخلون البيوت،{تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} أي: قد شرعها لكم، وجعلها تحيتكم، {مُبَارَكَةً} لاشتمالها على السلامة من النقص، وحصول الرحمة والبركة والنماء والزيادة، {طَيِّبَةً} لأنها من الكلم الطيب المحبوب عند الله، الذي فيه طيبة نفسٍ للمُحيَّا، ومحبَّة وجلب مودَّة(٣).

وقال نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم: حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ. قِيلَ: مَا هُنَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ :" إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فشمِّتْه، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ" رواه البخاري ومسلم(٤).

وعدَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ردَّ السلام من حقِّ الطريق، قال صلى الله عليه وسلم: إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ عَلَى الطُّرُقَاتِ. فَقَالُوا: مَا لَنَا بُدٌّ، إِنَّمَا هِيَ مَجَالِسُنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا؟ قَالَ: فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا

---

(١) النور: ٦١.

(٢) ينظر: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٦١١). مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)، الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٧٦).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٧١) برقم (١٢٤٠) كتاب الجنائز باب الأمر باتباع الجنائز. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٥) برقم (٢١٦٢) كتاب السلام باب من حق المسلم للمسلم رد السلام. تنبيه: لفظ البخاري: "حق المسلم على المسلم خمس" دون قوله: "وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ".



الْمَجَالِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهَا. قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ؟ قَالَ :" غَضُّ الْبَصَرِ، وَكَفُّ الْأَذَى، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ، وَنَهْيٌ عَنْ الْمُنْكَرِ" رواه البخاري ومسلم(١).

ويُشترَط في ابتداء السلام وجوابه رفْعُ الصوت بحيث يحصل الاستماع، فعن ابنِ عمرَ- رضي الله عنهما-: إذا سلَّمْتَ فأسمِعْ؛ فإنَّها تحيةٌ من عندِ اللهِ(٢).

ويختلف حكم إلقاء السّلام عن حكم ردِّ السلام عند العلماء، فإلقاء السلام عند جمهور العلماء سُنَّة عينٍ على المنفرد، وسُنَّة كفاية على الجماعة، والأفضل السلام من جميعهم لتحصيل الأجر.

وأمَّا ردُّ السلام ففرضٌ بالإجماع، فإن كان السلام على واحدٍ فهو فرض عينٍ في حقِّه، وإن كان على جماعة فهو فرض كفاية، فإذا أجاب واحدٌ منهم أجزأ عن البقيَّة، وسقط الحرج عن الباقين، ودليل الوجوب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾(٣).

ولإفشاء السلام بين الناس فضائل وثمرات كثيرة، نذكر منها:

١- إفشاء السلام سبيلٌ لنشر معاني المحبَّة والتوادِّ والألفة بين المسلمين: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لَا تَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حتَّى تُؤْمِنُوا، ولَا تُؤْمِنُوا حتَّى تَحابُّوا، أوَلَا أدُلُّكُمْ علَى شيءٍ إذا فَعَلْتُمُوهُ تَحابَبْتُمْ؟ أفْشُوا السَّلَامَ بيْنَكُمْ" رواه مسلم(٤).

٢- إفشاء السلام سببٌ لنيل الأجر الكبير الذي وعد به النبيُّ صلى الله عليه وسلم: عن أبي هريرة- رضي الله عنه-" أنَّ رجلًا مرَّ علَى رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهوَ في مجلسٍ فقَالَ: السَّلَامُ عليكم. فقالَ: عشرُ حسَنَاتٍ. فمرَّ رجلٌ آخرُ فقالَ: السَّلامُ عليكُم ورحمةُ اللَّهِ.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٢) برقم (٢٤٦٥) كتاب المظالم والغصب باب أفنية الدور والجلوس فيها، والجلوس على الصعدات. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٦٧٥) برقم (٢١٢١) كتاب اللباس والزينة باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (ص ٣٤٧) برقم (١٠٠٥) باب يسمع إذا سلم. وصحح إسناده الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٣٨٥). الأدب المفرد، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩. صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٣) النساء: ٨٦.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٧٤) برقم (٥٤) كتاب الإيمان باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها



فقالَ: عِشرونَ حسنةً. فمرَّ رجُلٌ آخرُ فقالَ: السَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبرَكاتُهُ. فقالَ: ثلاثونَ حسنةً" رواه ابن حبان(١).

٣- إفشاء السلام سببٌ لسلامة الصدر من الأحقاد والضغائن: قال النبي- صلى الله عليه وسلم:" أفشوا السَّلَامَ تَسلَمُوا" رواه البخاري في الأدب المفرد(٢).

٤- إفشاء السلام خير الأعمال التي يُتقرَّب بها إلى الله تعالى: عن عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما-:" أنَّ رَجُلًا سَأَلَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم: أيُّ الإسْلَامِ خَيْرٌ؟ قالَ: تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وتَقْرَأُ السَّلَامَ علَى مَن عَرَفْتَ ومَن لَمْ تَعْرِفْ" رواه البخاري(٣).

٥- إفشاء السلام سببٌ لمغفرة الذنوب وسببٌ لدخول الجنة: لحديث النبي صلى الله عليه وسلم:"يا أيُّها الناسُ؛ أَفشُوا السلامَ، وأطعِموا الطعامَ، وصَلُّوا بالليلِ والناسُ نيامٌ؛ تدخُلوا الجَنَّةَ بسلامٍ" رواه ابن ماجه(٤).

قال الشاعر:

أمـرُّ بصـاحبي أُلـقي السَـلَامَا ... أميـلُ إليـهِ حُبًّـا واحترامَـا
فما أصفى القلوبَ إذا تآخَتْ ... وأشقاها إذا شحنَتْ خِصـامَا(٥)

وهناك آدابٌ لردِّ السلام بيَّنَها العلماء، نذكُر بعضها: منها بسْط الوجه وانشراح الصدْر أثناء ردِّ السلام؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المعروفِ شيئًا، ولو أنْ تَلْقَى أخاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ" رواه مسلم(٦)، وإدخال السرور على المسلمين من الأمور المستحبَّة التي يُؤجَر عليها المسلم.

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٢٤٦) برقم (٤٩٣). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٣٧٨). الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٤٩٤) برقم (١٨٥٣٠). والبخاري في الأدب المفرد (ص ٢٧٥) برقم (٧٨٧) باب الغناء واللهو. وحسنه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ٢٩٢).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢) برقم (١٢) كتاب الإيمان باب: إطعام الطعام من الإسلام. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٥) برقم (٣٩) كتاب الإيمان باب بيان تفاضل الإسلام، وأي أموره أفضل.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ٢٠١) برقم (٢٣٧٨٤). والترمذي في جامعه (٤/ ٦٥٢) برقم (٢٤٨٥) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (١/ ٤٢٣) برقم (١٣٣٤) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في قيام الليل. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٣/ ٣٣٤).

(٥) الأبيات من قصيدة لمحمود مفلح كما في **https://ebadalrehman-new.ahlamontada.com/t2295-topic**.

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٢٦) برقم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء.



وأيضًا أن يُسلِّم الصغير على الكبير، والماشي على القاعد، والقليل على الكثير؛ لحديث النبي صلى الله عليه وسلم:" يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الكَبِيرِ، والمَارُّ عَلَى القاعِدِ، والقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ" رواه البخاري[١].

أما الأماكن أو الحالات التي يُكره فيها إلقاء السلام؛ فمنها: السلام على من يُؤذّن أو يُقيم الصلاة، والسلام على المنشغل بالقراءة والذكر والتلبية، والسلام على المنشغل بالأكل، كذا السلام على مَن يقضي حاجته أو في مكان قضاء الحاجة- أي بيت الخلاء-، وأيضًا السلام في حال خُطبة الجمعة.

الخلاصة: إفشاء السلام من تعاليم دين الإسلام الحنيف التي تدعو إلى نشر المحبَّة والألفة في المجتمع، وهو دعاء بالسلامة من كلِّ شرٍّ ومرضٍ وذنبٍ، وهو سبيلٌ لتكفير السيئات والخطايا، وسببٌ مُيسَّرٌ لنيل الأجر الكبير والفوز بالجنة، وعلى المسلم أن يكون حصيفًا؛ فيتأدَّب بآداب السلام التي بيَّنها علماؤنا، ويتحرَّى الأماكن التي يُكرَه فيها إلقاء السلام؛ ليكون مُتمثِّلًا بهدي النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٥٢) برقم (٦٢٣١) كتاب الاستئذان باب تسليم القليل على الكثير.



٦ رجب

فضل الأذان

الأذان من الشعائر العظيمة التي جاء بها الإسلام، وهو الإعلام بدخول وقت الصلاة بألفاظ مخصوصة، والأذان على قلة ألفاظه مشتملٌ على مسائل العقيدة، لأنَّه بدأ بالأكبرية، وهي تتضمَّن وجود الله وكماله، ثم ثَنَّى بالتوحيد، ونفْي الشرك، ثم بإثبات الرسالة لمحمد- صلى الله عليه وسلم-، ثم دعا إلى الطاعة المخصوصة عقب الشهادة بالرسالة، لأنَّها لا تُعرَف إلَّا من جهة الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم دعا إلى الفلاح وهو البقاء الدائم، وفيه الإشارة إلى المعاد، ثم أعاد ما أعاد توكيدًا، ويحصل من الأذان الإعلام بدخول الوقت، والدعاء إلى الجماعة، وإظهار شعائر الإسلام، والحكمة في اختيار القول له دون الفعل سهولة القول وتيسُّره لكل أحدٍ في كل زمان ومكان.

أمَّا الإقامة فهي: الإعلام بالقيام للصلاة بذكر مخصوص.

وحكم الأذان في حقِّ الجماعة أنَّه فرض كفاية للصلوات الخمس المفروضة فقط في السفر والحضر؛ لأنَّه من شعائر الإسلام الظاهرة، فلا يجوز تعطيله، قال النبي- صلى الله عليه وسلم-:" فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، ثُمَّ لْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ" متفق عليه[1].

أمَّا في حقِّ المنفرد فهو سُنَّة، فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ- رضى الله عنه- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:" يَعْجَبُ رَبُّكَ مِنْ رَاعِي غَنَم فِي رَأسِ شَظِيَّةِ الْجَبَلِ (قطعة مرتفعة في رأس الجبل) يُؤَذِّنُ بِالصَّلَاةِ وَيُصَلِّي، فَيَقُولُ الله جل وعلا: انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي هَذَا، يُؤَذِّنُ، وَيُقِيمُ الصَّلَاةَ؛ يَخَافُ مِنِّي، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، وَأَدْخَلْتُهُ الْجَنَّة" رواه النسائي[2].

أمَّا عن الحكمة من الأذان فهي الإعلام بدخول وقت الصلاة ومكانها، والحث على صلاة الجماعة، وتنبيه الغافلين، وتذكير الناسين؛ لأداء الصلاة التي هي من أجَلِّ النعم.

وقد شُرِع الأذان في السنة الأولى من الهجرة، وسببه أنَّه لما دعت الحاجة إلى وضع علامة يعرف بها الجميع دخول وقت الصلاة؛ تشاور المسلمون في ذلك، فلما كان من الليل رأى عبد الله بن زيد في المنام رجلًا يحمل ناقوسًا (وهو الجرس) فقال له: أتبيع هذا الناقوس؟ فقال الرجل:

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٨) برقم (٦٢٨) كتاب الأذان باب من قال: ليؤذن في السفر مؤذن واحد. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٦٥) برقم (٦٧٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب من أحق بالإمامة.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٨/ ٦٤٩) برقم (١٧٤٤٢). والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ٢٤٧) برقم (١٦٤٢) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، الأذان لمن يصلي وحده. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن النسائي (٢/ ٣١٠).



ماذا تعمل به؟ قال عبد الله: ندعو به إلى الصلاة. فقال الرجل: ألا أدلك على ما هو خير منه؟ قال عبد الله: بلى. فَعَلَّمه الأذان المعروف، ثم علَّمه الإقامة. قال عبد الله: فلما أصبحتُ أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخبرتُه بما رأيتُ، فقال صلى الله عليه وسلم:" إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ- إِنْ شَاءَ اللهُ- فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَأَلْقِهَا عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ أَنْدَى صَوْتًا مِنْكَ" رواه أبو داود(١).

والأَذَانُ مِنْ خَيْرِ الأَعْمَال الَّتِي تُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَفِيهِ فَضْلٌ كَثِيرٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ، وَقَدْ وَرَدَتْ فِي فَضْلِهِ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: ما رواه أبو هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إذا نودي للصلاة أدبَر الشيطان وله ضُراط؛ حتى لا يسمعَ التأذين، فإذا قضىَ النِّداء أقبَل، حتى إذا ثُوِّب بالصلاة أدبَر ... " رواه البخاري(٢).

أيضًا مَا رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- عَنْ رَسُول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال:" لو يَعلمُ الناسُ ما في النِّداءِ والصفِّ الأول، ثمَّ لم يجدوا إلَّا أن يَسْتَهِموا عليه لاستهموا" رواه البخاري(٣). لأنَّ كلًّا إذا علم وتحقَّق ما في الأذان مِن عظيم الأجْر، وجزيل الثواب أحبَّ أن يَسبِق إليه، ويختصَّ هو بالأذان، وغيره أيضًا يُحبُّ ذلك فوجبتِ القُرعة لحلِّ النِّزاع بينهم، إنَّه الفضل العظيم والثواب الجزيل الذي لو عَلِمه الناس، لتسابقوا عليه ولحصلَ بينهم التنافُس، ورغِب كلُّ واحدٍ أن يكونَ هو السابق والنائل له، حتَّى لا يحلَّ نزاعَهم إلا القُرعة.

ويشهد للمؤذن عند الله جل وعلا يوم القيامة كلُّ ما يبلغه صوته، قال صلى الله عليه وسلم:" لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ، وَلَا إِنْسٌ، وَلَا شَيْءٌ؛ إِلَّا شَهِدَ لَه يَوْمَ الْقِيَامَةِ" رواه البخاري(٤).

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ- رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا- قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ:" المؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ القِيَامَةِ" أخرجه مسلم(٥).

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٦/ ٤٠٢) برقم (١٦٤٧٨). وأبو داود في سننه (١/ ١٣٥) برقم (٤٩٩) كتاب الصلاة باب كيف الأذان. والحديث قال عنه الألباني: "(حديث عبد الله بن زيد) حسن صحيح، (رواية ابن إسحاق عن الزهري) صحيح، (رواية معمر و يونس عن الزهري) صحيح، لكن الأصح تربيع التكبير" صحيح وضعيف سنن أبي داود (١/ ٤٩٩).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٥) برقم (٦٠٨) كتاب الأذان باب فضل التأذين. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٩١) برقم (٣٨٩) كتاب الصلاة باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٦) برقم (٦١٥) كتاب الأذان باب الاستهام في الأذان. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٢٥) برقم (٤٣٧) كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف، وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول، والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل، وتقريبهم من الإمام.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٥) برقم (٦٠٩) كتاب الأذان باب رفع الصوت بالنداء.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٩٠) برقم (٣٨٧) كتاب الصلاة باب فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه.



وعن فضل متابعة الأذان يَقُولُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:" إِذَا سَمِعْتُمُ المؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِي الوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ" أخرجه مسلم(١).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ- رَضِيَ اللهُ عَنهُمَا- أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلَاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ" رواه البخاري(٢).

وللدعاء بين الأذان والإقامة فضلٌ عظيمٌ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ- رَضِيَ اللهُ عَنهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الأَذانِ وَالإِقَامَةِ" رواه أبو داود(٣).

ومن أحكام الأذان والإقامة أنَّه لا يجوز الخروج من المسجد بعد الأذان وقبل إقامة الصلاة؛ لحديث أبي هريرة- رضي الله عنه- حين رأى رجلًا يجتاز المسجد خارجًا بعد الأذان، فقال: أمَّا هذا فقد عصى أبا القاسم(٤).

ولا يُؤذَّن ولا يُقام لشيء من النوافل، ولا للعيدين، ولا للاستسقاء، ولا لصلاة الجنازة، ولا للكسوف، إلَّا أنَّه يقول في الكسوف: الصلاة جامعة. كما يقول المؤذِّن في المطر أو البرد الشديد بعد (حَيَّ على الفلاح): ألَا صلُّوا في رحالكم.

الخلاصة: روى ابن ماجه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَنْ أَذَّنَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَكُتِبَ لَهُ بِتَأْذِينِهِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ سِتُّونَ حَسَنَةً، وَبِإِقَامَتِهِ ثَلاثُونَ حَسَنَةً"(٥).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٨٨) برقم (٣٨٤) كتاب الصلاة باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يسأل له الوسيلة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٦) برقم (٦١٤) كتاب الأذان باب الدعاء عند النداء.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٩/ ٢٣٤) برقم (١٢٢٠٠). وأبو داود في سننه (١/ ١٤٤) برقم (٥٢١) كتاب الصلاة باب ما جاء في الدعاء بين الأذان والإقامة. والترمذي في جامعه (١/ ٤١٦) برقم (٢١٢) أبواب الصلاة باب ما جاء في أن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٣٢) برقم (٩٨١٢) كتاب عمل اليوم والليلة الترغيب في الدعاء بين الأذان والإقامة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (١/ ٢١٢).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٥٣) برقم (٦٥٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن الخروج من المسجد إذا أذن المؤذن.

(٥) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ٢٤١) برقم (٧٢٨) كتاب الأذان والسنة فيه باب فضل الأذان، وثواب المؤذنين. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ١٠٢).

قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني: وفي هذا الحديث فضلٌ ظاهرٌ للمؤذِّن على أذانه هذه المدَّة المذكورة فيه، ولا يخفى أنَّ ذلك مشروط بمَن أذَّن خالصًا لوجه الله تعالى، لا يبتغي من ورائه رزقًا ولا رياءً ولا سُمعة؛ للأدلَّة الكثيرة في الكتاب والسُّنَّة، التي تُفيد أنَّ الله لا يقبل من الأعمال إلَّا ما خلص، وإنَّ ممَّا يؤسف له حقًّا أن هذه العبادة العظيمة، والشعيرة الإسلامية قد انصرف أكثر علماء المسلمين عنها في بلادنا، فلا تكاد ترى أحدًا منهم يُؤذِّن في مسجدٍ ما؛ إلَّا ما شاء الله، بل ربما خجلوا من القيام بها، بينما تراهم يتهافتون على الإمامة، بل ويتخاصمون، فإلى الله المشتكى من غربة هذا الزمان[١].

قال الشاعر:

إِذَا مَا دَعَا دَاعِي الهُدَى فِي المَآذِنِ ... وَجَالَ صَدَاهُ فِي القُرَى وَالمدَائِنِ
أُصَلِّي عَلَى المخْتَارِ طَهَ وَصَحْبِهِ ... نَبِيِّ الوَرَى المنْصُورِ صَافِي المعَادِنِ[٢]

(١) ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (١/ ١٠٤).
(٢) البيتان للشاعر ماجد الراوي. ينظر: http://www.alapn.co/ar/?p=82423.

٧ رجب

فضل أمَّة محمد صلى الله عليه وسلم

خَلَق الله الخلْق وفاضَلَ بينهم؛ فخلقَ آدم بيده وأسجدَ له الملائكةَ تكريمًا له، ثم أهبطَه وزوجَه إلى الأرض، وتفرَّقَت ذرِّيَّتُه في الأمصار وطالَت بهم الأزمان، وجعلَهم في الأرض أُممًا مُتفاضِلين، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾[1]، ولقد ختم الله سبحانه وتعالى الرسالات برسالة الإسلام، وختم النبوة بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وفضَّل أمَّة هذا النبي الكريم صلى الله عليه وسلم على سائر الناس، وجعلها خير الأمم التي قادت وَهَدَتْ وأنقذت، وقد خصَّ الله هذه الأمَّةَ بالفضلِ والتكريم على سائر الأُمَم، قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ﴾[2]، وجاء القُرآنُ بمدحِها والثناءِ عليها، قال جل وعلا: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[3]، قال ابنُ عبَّاس- رضي الله عنهما-: أي شرَّفكم[4].

ولهذه الأمَّة من الفضائل ما لا يُعدُّ ولا يُحصى، ومن تلك الفضائل:

فضيلة الخيريَّة؛ قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾[5].

قال الشيخ السعدي- رحمه الله- في تفسيره لهذه الآية: يمدح الله تعالى هذه الأمَّة، ويخبر أنَّها خير الأمم التي أخرجها الله للناس، وذلك بتكميلهم لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكلِّ ما أمَرَ الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ المتضمِّن دعوة الخلْق إلى الله، وجهادهم على ذلك، وبذْل المستطاع في ردِّهم عن ضلالهم وغيِّهم وعصيانهم، فبهذا كانوا خير أمَّة أخرجت للناس[6].

قلتُ: هذه الأمة نالتْ هذه الفضيلة (الخيرية من بين الأمم) لثلاثة أسباب: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان بالله. فإذا فقدت الأمَّة تلك الميزات فإنَّها لا تستحقُّ تلك الفضيلة.

---

(١) الأنعام: ١٦٥.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) الأنبياء: ١٠.

(٤) ينظر: ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٤٥٥). ظلال الجنة في تخريج السنة لابن أبي عاصم، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٣-١٩٩٣.

(٥) آل عمران: ١١٠.

(٦) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٤٣).



وقد اختلف العلماء في هذه الخيرية؛ لمن تكون؟ فقيل: إنَّها نزلت في الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو قول ابن عبَّاس- رضي الله عنهما-. وقال عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- مَن فعَل فِعْلهم كان مثلَهم. وقال الحسن بن أبي الحسن، وجماعة من أهل العلم: معنى الآية خطاب الأمَّة بأنَّهم خير أمَّةٍ أُخرجت للناس[(١)]. ويُؤيِّد هذا التأويل كونهم شهداء على الناس يوم القيامة في قوله تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[(٢)]. وقد روى الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنَّه سمِع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في قوله تعالى: { كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ } قال:" إنَّكم تُتمُّونَ سَبعينَ أمَّةً، أنتُمْ خَيرُها وأَكْرمُها علَى اللَّهِ".

وفضيلة الوسطية؛ قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[(٣)].

قال الإمام القرطبي: إنَّ أحمد الأشياء وسطها. ولما كان الوسط مُجانبًا للغلو والتقصير فيه؛ كان محمودًا[(٤)]. إنَّ الله تعالى قد قبل شهادة الأمَّة الإسلامية على غيرها من الأمم السابقة، وهذا يعني عدالة هذه الأمَّة؛ لأنَّ الله لا يقبل الشهادة إلَّا مِن عادل، وهذه شهادة مِن أعدل العادلين بهذه الأمَّة. وهذه الفضيلة لا توجد في دين من الأديان. ووسطية هذه الأمَّة تعني وسطية منهجها ونظامها؛ فهو منهج لأمَّة وسط، وهو منهج الاعتدال والتوازن الذي سلم من الإفراط والتفريط، أو من الغلو والتقصير.

وفضيلة اليُسر والسهولة ووضع الأغلال عنها؛ قال تعالى:﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[(٥)]، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[(٦)].

والحرج في الآية المتقدِّمة: الضيق، والشدَّة في الأوامر والنواهي. فعن جابر- رضي الله عنه- قال: قالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ

---

(١) ينظر: تفسير الطبري = جامع البيان (٥/ ٦٧١). تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) البقرة: ١٤٣.

(٣) البقرة: ١٤٣.

(٤) ينظر: تفسير القرطبي (٢/ ١٥٤). الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

(٥) الحج: ٧٨.

(٦) البقرة: ١٨٥.

شَهْرٍ، وجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وطَهُورًا، فأيُّما رَجُلٍ مِن أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وأُحِلَّتْ لِي المَغَانِمُ ولَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عَامَّةً" رواه البخاري(١).

وقد اختلف العلماء في هذا الحرج الذي رفعه الله تعالى، فقال عكرمة: هو ما أحلَّه تعالى من النساء مثنى وثلاث ورباع وما ملكتْ يمينُك. وقيل: المراد قصْر الصلاة، والإفطار للمسافر، وصلاة الإيماء لِمن لا يَقدر، وحطّ الجهاد عن الأعمى والأعرج والمريض، والعديم الذي لا يجد ما ينفق، وكذلك الغريم الذي عليه دَين، وجواز الصلاة في كلِّ مكانٍ في الأرض، عكس الأمم السابقة التي لا تُقبَل منها الصلاة إلَّا في الصوامع والكنائس والبيَّع، وإحلال الغنائم لهذه الأمة(٢)، ومنها أيضًا إذا أكل أو شرب ناسيًا؛ كان صومه مقبولًا، ورفْع الخطأ والنسيان وما استكره الإنسان عليه؛ لقوله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ اللهَ تعالى وضَعَ عن أُمَّتِي الخطأَ والنسيانَ وما اسْتُكرِهوا عليه" رواه ابن ماجه(٣).

ومِن ذلك أنَّ الله لا يُؤاخذهم على اللمم، وأنَّ الإنسان لا يُكلَّف أكثر من طاقته. كذلك وضَعَ عنهم الإصْر والأغلال التي كانت على بني إسرائيل؛ وكانت التوبة من الذنوب لا تُقبَل مِن أحدهم إلَّا بقتل نفسه. وهو ما رجَّحه الإمام الشوكاني قال: والظاهر أنَّ الآية أعمُّ(٤). يُؤيِّد ذلك عموم قوله صلى الله عليه وسلم:" يَسِّرُوا ولَا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا" متفق عليه(٥). وقوله:" لن يُشادَّ الدينَ أحدٌ إلَّا غلبه، فسدِّدوا، وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيءٍ من الدلجة" رواه البخاري(٦).

وفضيلة حِفْظِ الله لهذه الأمة دينَها ووعْدِه بإظهاره، فقال جلَّ شأنُه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾(٧).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٧٤) برقم (٣٣٥) كتاب التيمم. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٧٠) برقم (٥٢١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (١٢/ ١٠٠).

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ٦٥٩) برقم (٢٠٤٥) كتاب الطلاق باب طلاق المكره والناسي ولفظه: "إن الله قد تجاوز عن أمتي ...". والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٥/ ٤٥).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٣/ ٥٥٧). فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢٥) برقم (٦٩) كتاب العلم باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٥٩) برقم (١٧٣٤) كتاب الجهاد والسير باب في الأمر بالتيسير، وترك التنفير.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٩) كتاب الإيمان باب الدين يسر.

(٧) التوبة: ٣٣.



وبشَّرنا النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ الإسلامَ سيبلُغُ الآفاق، لقوله صلى الله عليه وسلم:"إنَّ اللهَ زوَى ليَ الأرضَ فرأيتُ مشارِقَها ومغارِبَها، وإنَّ أمَّتي سيبلُغُ مُلكُها ما زُوِيَ لي منها" رواه مسلم(١).

وفضيلة اكتمال الدين وإتمام النعمة على هذه الأمَّة المحمَّديَّة، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾(٢).

الخلاصة: هل أدركتْ هذه الأمَّة مقدار ذلك التفضيل وذلك التكريم؟! وهل حافظتْ على تلك النعم التي أنعم الله بها عليها؟! وهل قامت بواجبها المنوط بها تجاه خالقها العظيم، وتجاه دينه، وتجاه أمَّتِهم، وتجاه العالم أجمع؛ بالدعوة الجادَّة إلى دينه في كلِّ بقاع الأرض حقَّ القيام، وشكرتْه حقَّ شكره بالقول والعمل؟! أم أنَّهم ما زالوا في دوامات وتيارات ما يأتيهم من الشرق والغرب من أفكار هدَّامة، ومبادئ هزيلة سامة وحضارة خواء؟!! ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾(٣).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢١٥) برقم (٢٨٨٩) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض.
(٢) المائدة: ٣.
(٣) إبراهيم: ٧.



٨ رجب

فضل الاختلاط بالناس

اعلم أنَّ العزلة عن الناس طورًا والاختلاط بهم طورًا؛ ضروريتان للإنسان تارة وواجبتان تارة، وذلك أنَّ الإنسان مضطرٌ في بعض أحواله إلى التفرُّد، ولكنَّ حديثنا عن أنَّه مُضطرٌ في أكثر أحواله إلى الاجتماع مع الناس لتعلُّق حاجته بهم. ولهذا قيل: الإنسان مدني بالطبع، لأنَّه لا بُدَّ من مخالطة بعضهم بعضًا لنقصان بهم، وتعلُّق ضرورات بعضهم ببعض في مراعاة أمورهم، ولذلك قال عبد الله بن عبَّاس- رضي الله عنهما- لرجُلٍ- سمعه يقول: اللهمَّ أغنني عن الناس-: أيُّها الرجُل؛ ما أراكَ تسأل الله إلَّا الموت! إنَّ الناس ما داموا أحياء؛ لا يستغني بعضهم عن بعض، فقل: اللهمَّ أغنني عن شرار الناس[1].

فالناس خُلِقوا كأعضاء لجسم واحد لا يستغنى بعضها عن بعض، وسُمِّي إنسانًا لأُنس بعضهم ببعض، لا كما قال أبو تمام:

لا تَنسَيَن تِلكَ العُهودَ فَإِنَّما   سُمّيتَ إِنساناً لِأَنَّكَ ناسي[2]

وأفضل الاختلاط بالناس؛ هو حضور جمعهم وجماعاتهم، ومشاهد الخير، ومجالس الذكر معهم، وعيادة مريضهم، وحضور جنائزهم، ومواساة محتاجهم، وإرشاد جاهلهم، وغير ذلك من مصالحهم، لمِن قدر عَلَى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وقمع نفسه عن الإيذاء، وصبر عَلَى الأذى، وهذا من أفضل العبادات.

والاخْتِلاط بالنَّاسِ على الوجه الذي ذكرناه هو المختار الذي كان عليه رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فمِن أفعاله صلى الله عليه وسلم: كجهاده في سبيل الله، ودعوة الناس في خطب الجمعة، ودروسه وتذكيره للناس، ففي هذا كلِّه مخالطة لهم، فلا نحتاج أن نقول: كان يختلط بهم في كذا وكذا، فقد كانت كلُّ حياته صلى الله عليه وسلم اختلاطًا بالناس من المؤمنين وغيرهم؛ يُعلِّمهم

---

(١) ينظر: روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار (ص: ٢١٠). روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار، المؤلف: محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، محيي الدين، ابن الخطيب قاسم (المتوفى: ٩٤٠هـ)، الناشر: دار القلم العربي، حلب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ..

(٢) ينظر: توجيه اللمع (ص: ٥٦٨). توجيه اللمع، المؤلف: أحمد بن الحسين بن الخباز، دراسة وتحقيق: أ. د. فايز زكي محمد دياب، أستاذ اللغويات بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة - كلية اللغة العربية جامعة الأزهر، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

ويهديهم إلى ربِّه سبحانه[١]، وسائِر الأَنبياء- صلواتُ اللَّهِ وسلامه عَلَيْهِم-، وكذلك الخلفاء الراشدون وَمَن بعدهُم مِنَ الصحابةِ والتابعين، ومَن بَعدَهُم مِن علَماءِ المسلمينَ وأَخيارِهم، وهو مذهب أكثر التابعين ومَنْ بَعدَهُم، وَبِهِ قَالَ الشَّافعيُّ وأَحْمَدُ وأَكْثَرُ الفُقَهَاءِ أَجمعين[٢].

روى الترمذي وابن ماجه في سننهما من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ؛ أَعظَمُ أَجرًا مِنَ المؤمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُهُمْ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ[٣].

كما استدلُّوا بما أوجبه الله على المسلمين من حضور الجُمَع والجماعات، وعيادة مرضاهم، وتشييع جنائزهم، وإجابة دعوتهم، وأمْرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، ولا يتحقَّق ذلك إلَّا بمُخالطتهم.

والصواب هو التفصيل في ذلك: فمَن آتاه الله العلم والقوة، واستطاع القيام بحقِّ المخالَطة من تعليم العلم، والدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع السلامة مِن الفتن؛ فالاختلاط في حقِّ هذا أفضل؛ ومَن لم يكن قادرًا على ذلك ويخشى الفتنة في دينه، فالعزلة في حقِّه أولى، والأوَّل أفضل من الثاني كما جاء النصُّ بذلك في الحديث المتقدِّم.

جاء في الموسوعة الفقهية أنَّ: المخالَطة فيها اكتساب الفوائد، وشهود شعائر الإسلام، وتكثير سواد المسلمين، وإيصال الخير إليهم ولو بعيادة المرضى، وتشييع الجنائز، وإفشاء السلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتعاون على البرِّ والتقوى، وإعانة المحتاج، وحضور جماعاتهم، وغير ذلك مما يقدر عليه كلُّ أحدٍ[٤].

والذي ينبغي اجتنابه هو فضول المخالطة، لأنَّها تُفضي إلى تضييع الأوقات، وربَّما الوقوع في المحرَّمات.

وجاء في الموسوعة الفقهية أيضًا: والمطلوب إنَّما هو ترْك فضول الصحبة، لما في ذلك من شغل البال وتضييع الوقْت عن المهمَّات، ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغداء والعشاء، فيقتصر منه على ما لا بُدَّ له منه، فهو روح البدن والقلب[٥].

---

(١) ينظر: شرح رياض الصالحين – حطيبة (٤٥/ ٨، بترقيم الشاملة آليا). شرح رياض الصالحين، المؤلف: الشيخ الطبيب أحمد حطيبة، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

(٢) رياض الصالحين (ص: ٢٠٠). رياض الصالحين، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تعليق وتحقيق: الدكتور ماهر ياسين الفحل رئيس قسم الحديث –كلية العلوم الإسلامية – جامعة الأنبار، الناشر: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٩/ ٦٤) برقم (٥٠٢٢). وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٣٨) برقم (٤٠٣٢) كتاب الفتن باب الصبر على البلاء. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ٣٢).

(٤) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٠/ ٨٤).

(٥) الموسوعة الفقهية الكويتية (٣٠/ ٨٥).



قال الغزالي: إن وجدتَ جليسًا يُذكِّرك اللهَ رؤيتُه وسيرتُه فالزمْه ولا تفارقْه، واغتنمْه ولا تستحقرْه، فإنَّها غنيمة المؤمن وضالَّتُه، وتحقَّق أنَّ الجليس الصالح خيرٌ من الوِحْدة، وأنَّ الوِحْدة خيرٌ مِن الجليس السوء[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: فهذه المسألة وإن كان الناس يتنازعون فيها؛ إمَّا نزاعًا كليًا، وإمَّا حاليًا، فحقيقة الأمر أنَّ الخلطة تارة تكون واجبة، أو مُستحبَّة، والشخص الواحد قد يكون مأمورًا بالمخالطة تارة، وبالانفراد تارة. وجماع ذلك: أنَّ المخالطة إن كان فيها تعاونٌ على البرِّ والتقوى فهي مأمورٌ بها، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهيٌّ عنها، فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات كالصلوات الخمس، والجمعة، والعيدين، وصلاة الكسوف، والاستسقاء، ونحو ذلك هو ممَّا أمَرَ الله به ورسولُه- صلى الله عليه وسلم-.

وكذلك الاختلاط بهم في الحج، وفي غزو الكُفَّار، والخوارج المارقين، وإن كان أئمة ذلك فُجَّارًا، وإن كان في تلك الجماعات فُجَّار، وكذلك الاجتماع الذي يزداد العبد به إيمانًا إمَّا لانتفاعه به، وإمَّا لنفعه له ونحو ذلك.

ولا بُدَّ للعبد من أوقات ينفرد بها بنفسه في دعائه، وذكره، وصلاته، وتفكُّره ومحاسبة نفسه، وإصلاح قلبه، وما يختصُّ به من الأمور التي لا يُشركه فيها غيره، فهذا يحتاج فيها إلى انفراد بنفسه، إمَّا في بيته، كما قال طاووس: نِعْمَ صومعة الرجل بيته، يكفُّ فيها بصره، ولسانه، وإمَّا في غير بيته.

فاختيار المخالطة مطلقًا خطأ، واختيار الانفراد مطلقًا خطأ، وأمَّا مقدار ما يحتاج إليه كلُّ إنسانٍ من هذا وهذا وما هو الأصلح له في كل حال؛ فهذا يحتاج إلى نظر خاص[٢].

الخلاصة: هذا الكلام النفيس للعلامة ابن القيم- رحمه الله- حيث يقول: إنَّ فضول المخالطة هي الداء العضال الجالب لكلِّ شرٍّ، وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة، وكم زرعت من عداوة، وكم غرست في القلب من حزازات، تزول الجبال الراسيات وهي في القلوب لا تزول، ففضول المخالطة فيه خسارة الدنيا والآخرة، وإنَّما ينبغي للعبد أن يأخذ مِن المخالطة بمقدار الحاجة ويجعل الناس فيها أربعة أقسام، متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينها؛ دخل عليه الشرُّ.

---

(١) إحياء علوم الدين (٢/ ٢٣٢). إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.
(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٢٥).



أحدها: مَن مخالطته كالغذاء لا يُستغنَى عنه في اليوم والليلة، فإذا أخذ حاجته منه ترَكَ الخلطة، ثم إذا احتاج إليه خالطه هكذا على الدوام، وهذا الضرب أعزُّ من الكبريت الأحمر، وهم العلماء بالله تعالى وأمْره ومكايد عدوه وأمراض القلوب وأدويتها، الناصحون لله تعالى ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولخلقه، فهذا الضرب في مخالطتهم الربح كلُّه.

القسم الثاني: مَن مخالطته كالدواء، يُحتاج إليه عند المرض، فما دمتَ صحيحًا فلا حاجة لك في خلطته، وهم مَن لا يُستغنَى عن مخالطتهم في مصلحة المعاش، وقيام ما أنتَ مُحتاجٌ إليه من أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارة والعلاج للأدواء ونحوها، فإذا قضيتَ حاجتك مِن مخالطة هذا الضرب بقيتْ مخالطتهم من القسم الثالث.

وهم: مَن مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوَّته وضعفه.

القسم الرابع: مَن مخالطته الهلك كلُّه، ومخالطته بمنزلة أكل السم، فإن اتَّفق لأكله ترياقٌ، وإلَّا فأحسنَ الله فيه العزاء، وما أكثرَ هذا الضرب في الناس، لا كثَّرهم الله، وهم أهل البدع والضلالة، الصادُّون عن سُنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الداعون إلى خلافها، الذين يَصدُّون عن سبيل الله ويبغونها عوجًا[1].

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٧٣). بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.



٩ رجب

آداب قضاء الحاجة

إنَّ لفظة الخلاء وقضاء الحاجة هي بذاتها تُعدُّ أدبًا من الآداب الإسلامية، إذ إنَّ الشريعة الإسلامية استخدمت ذلك اللفظ كناية عن خروج النجاسة من السبيلين، ولا شك أنَّ هذا اللفظ الكنائي أجمل من أن يتمَّ ذكر الاسم الخارج صراحةً، وقد استخدم القرآن الكريم هذا الأدب في قول الله تعالى:﴿ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ﴾[١]. حيث إنه استخدم لفظ الغائط والذي يأتي بمعنى المكان النازل والهابط من الأرض كناية عمَّا يخرج من السبيلين.

والحاجة: كنايةٌ عن خروج البول والغائط، وهو مأخوذ من قوله صلى الله عليه وسلم:" إِذَا جَلَسَ أَحَدُكُمْ عَلَى حَاجَتِهِ، فَلَا يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ، وَلَا يَسْتَدْبِرْهَا" رواه مسلم[٢].

وآداب قضاء الحاجة كثيرة، ويُستحبُّ تعلُّم هذه الآداب، بل وقد يجب أحيانًا، ومنها:-

١- يُستحبُّ عدم اصطحاب ما فيه اسم الله؛ لأنَّ ذلك من تعظيم شعائر الله، ولا يحرُم ذلك لعدم ثبوت ما يمنع ذلك، وخاصة إذا حفظه من التلوُّث بالنجاسات.

٢- يُستحبُّ الابتعاد والتَسَتُّر عن الناس عند إرادة قضاء الحاجة، لفعله صلى الله عليه وسلم كما في صحيح سنن أبي داود عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم" كان إذا أراد البراز انطلق حتى لا يراه أحد"[٣]، ولا يُستحبُّ الاستتار بشيءٍ إذا لم يوجد أحدٌ من الناس، لعدم ثبوت شيء في ذلك.

٣- لا يجوز التخلِّي في الطُرُقِ والظِلالِ والمواردِ، لحديث:" اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةَ الطَّرِيقِ، وَالظِّلِّ" رواه الحاكم[٤]. والموارد هي: المواضع التي يأتيها الناس كالأنهار والعيون والآبار، وأبواب المساجد وغيرها.

---

(١) النساء: ٤٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٢٤) برقم (٢٦٥) كتاب الطهارة باب الاستطابة.

(٣) رواه أبو داود في سننه (١/ ١) برقم (٢) كتاب الطهارة باب التخلي عند قضاء الحاجة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١/ ٨٠).

(٤) رواه أبو داود في سننه (١/ ٧) برقم (٢٦) كتاب الطهارة باب المواضع التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن البول فيها. وابن ماجه في سننه (١/ ١١٩) برقم (٣٢٨) كتاب الطهارة وسننها باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق. والحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٢٧٣) برقم (٥٩٤). والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١/ ١٠٤). المستدرك على الصحيحين، المؤلف: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠.



٤- يُستحبُّ قول: بسم الله، اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من الخبث والخبائث؛ لما ثبت عن أنس- رضي الله عنه- قال:" كَانَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا دَخَلَ الخَلَاءَ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ" رواه البخاري ومسلم(١). ولما ثبت عند الترمذي وابن ماجه مرفوعًا:" سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ: إِذَا دَخَلَ أَحَدُهُمُ الخَلَاءَ أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ اللَّهِ"(٢).

٥- يجوز الاستنجاء بالماء أو بالحجارة، أو بما يقوم مقامهما، كالورق وكلِّ مُنقٍّ، وهناك أحاديث في النهي عن الاستجمار بالرجيع والعظم ، فيجوز الاستنجاء بغيرها، ولم يصح عنه صلى الله عليه وسلم أنَّه جمع بين الماء والحجارة.

٦- يُستحبُّ دلْك اليد بالتراب بعد الاستنجاء: لحديث أبي هريرة- رضي الله عنه-:" أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ اسْتَنْجَى مِنْ تَوْرٍ، ثُمَّ دَلَكَ يَدَهُ بِالْأَرْضِ" رواه ابن ماجه(٣)، واستعمال الصابون ونحوه يُجزئ عن ذلك.

٧- لا يجوز تحادُثُ اثنين على غائطهما؛ ينظر كلٌّ منهما إلى عورة صاحبه، لما أخرجه أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبي سعيد- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم -:" لَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ عَلَى غَائِطِهِمَا، يَنْظُرُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى عَوْرَةِ صَاحِبِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَمْقُتُ عَلَى ذَلِكَ"(٤).

٨- يجوز الكلام المباح حال قضاء الحاجة لعدم صحَّة ما يمنع ذلك، وإن كان الكلام في نفسه مُستهجنًا حال قضاء الحاجة.

٩- لا يجوز ذكْر الله تعالى أثناء قضاء الحاجة: لما رواه الجماعة إلَّا البخاري عن ابن عمر- رضي الله عنهما- قال :" مَرَّ رَجُلٌ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يَبُولُ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٤٠) برقم (١٤٢) كتاب الوضوء باب ما يقول عند الخلاء. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٨٣) برقم (٣٧٥) كتاب الحيض باب ما يقول إذا أراد دخول الخلاء.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٢/ ٥٠٣) برقم (٦٠٦) أبواب السفر باب ما ذكر من التسمية عند دخول الخلاء. وابن ماجه في سننه (١/ ١٠٩) برقم (٢٩٧) كتاب الطهارة وسننها باب ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (١/ ٣٦٩).

(٣) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ١٢٨) برقم (٣٥٨) كتاب الطهارة وسننها باب من دلك يده بالأرض بعد الاستنجاء. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (١/ ٤٣٠).

(٤) رواه أحمد في مسنده (١٧/ ٤١٢) برقم (١١٣١٠). وأبو داود في سننه (١/ ٤) برقم (١٥) كتاب الطهارة باب كراهية الكلام عند الحاجة. والنسائي السنن الكبرى (١/ ٨٦) برقم (٣٥) النهي للمتغوطين أن يتحدثا. وابن ماجه في سننه (١/ ١٢٣) برقم (٣٤٢) كتاب الطهارة وسننها باب النهي عن الاجتماع على الخلاء والحديث عنده. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (١/ ٤١٤).



السَّلَامَ"(١)، وكذلك ما رواه ابن ماجه عن جابر- رضي الله عنه-:" إِذَا رَأَيْتَنِي عَلَى مِثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ فَلَا تُسَلِّمْ عَلَيَّ، فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ لَمْ أَرُدَّ عَلَيْكَ"(٢)، فنهاه عن السلام وهو واجبٌ، فيدلُّ على تحريم ذكْر الله أثناء قضاء الحاجة، فلا تجوز الأذكار الشرعية وإجابة المؤذن وتشميت العاطس وتلاوة القرآن وذكْر الله حال قضاء الحاجة.

١٠- لا يجوز مسُّ الذكر باليمين أثناء التبوُّل: لما في الصحيحين عن أبي قتادة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لَا يُمْسِكَنَّ أَحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ وَهُوَ يَبُولُ" رواه مسلم(٣).

١١- ولا يجوز التمسُّح والاستنجاء من الخلاء باليمين، لحديث أبي قتادة- رضي الله عنه:"... لا يُمْسِكَنَّ أحَدُكُمْ ذَكَرَهُ بيَمِينِهِ وهو يَبُولُ، وَلَا يَتَمَسَّحْ مِنَ الخَلَاءِ بيَمِينِهِ" رواه مسلم(٤).

١٢- يجب التنزُّه من البول والاستتار من رشاشه، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" تَنَزَّهُوا مِنَ الْبَوْلِ؛ فَإِنَّ عَامَّةَ عَذَابِ الْقَبْرِ مِنْهُ" رواه الدارقطني(٥)، ولحديث" الَّذَيْنِ يُعذَّبان في قبريهما، وإنَّ أحدهما كان لا يستتر من بوله" رواه البخاري ومسلم(٦).

١٣- ومن آداب قضاء الحاجة أنه لا يجوز استقبال واستدبار القبلة ببول أو غائط، في الفضاء والبنيان، على القول الراجح من أقوال العلماء، لظاهر أحاديث النهي القولية، ومنها قوله صلى الله عليه وسلم:" إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ، وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا بِبَوْلٍ وَلَا غَائِطٍ، وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا" رواه البخاري، قال أبو أيوب الأنصاري- رضي الله عنه-:" فَقَدِمْنَا الشَّامَ فَوَجَدْنَا مَرَاحِيضَ قَدْ بُنِيَتْ قِبَلَ الْقِبْلَةِ، فَنَنْحَرِفُ عَنْهَا وَنَسْتَغْفِرُ اللهَ"(٧).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٨١) برقم (٣٧٠) كتاب الحيض باب التيمم.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ١٢٦) برقم (٣٥٢) كتاب الطهارة وسننها باب الرجل يسلم عليه وهو يبول. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (١/ ٤٢٤).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١١٢) برقم (٥٦٣٠) كتاب الأشربة باب النهي عن التنفس في الإناء. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٢٥) برقم (٢٦٧) كتاب الطهارة باب النهي عن الاستنجاء باليمين.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٢٥) برقم (٢٦٧) كتاب الطهارة باب النهي عن الاستنجاء باليمين.

(٥) رواه الدارقطني في سننه (١/ ٢٣١) برقم (٤٥٩) كتاب الطهارة باب نجاسة البول والأمر بالتنزه منه والحكم في بول ما يؤكل لحمه. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (١/ ٣١٠). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى : ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٩) برقم (١٣٧٨) كتاب الجنائز باب عذاب القبر من الغيبة والبول. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٤٠) برقم (٢٩٢) كتاب الطهارة باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه.

(٧) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨٨) برقم (٣٩٤) كتاب الصلاة باب قبلة أهل المدينة وأهل الشأم والمشرق. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٢٤) برقم (٢٦٤) كتاب الطهارة باب الاستطابة.

١٤- لا يجوز الاستنجاء بأقل من ثلاثة أحجار: لحديث سلمان عند مسلم والأربعة قال: " لَقَدْ نَهَانَا صلى الله عليه وسلم أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ لِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ" واللفظ لمسلم[١]، وإذا لم يحصل الإنقاء بثلاثة أحجار تجوز الزيادة حتى يُنقي، ويُستحبُّ الإيتار، لحديث:" إِذَا اسْتَجْمَرَ أَحَدُكُمْ فَلْيُوتِرْ" رواه مسلم[٢]، ولم يرد دليلٌ صحيحٌ في كيفية استعمال الأحجار.

١٥- الاستجمار بثلاثة أحجار للغائط فقط: أمَّا الخارج من القُبل كالبول والمذي فلا عدد فيه لعدم وجود الدليل، والدليل في الغائط فقط.

١٦- لا يجوز الاستنجاء بالرجيع وهو الرَوَث؛ لأنَّه رجسٌ أي: حرامٌ، وكذلك لا يجوز الاستنجاء بالعظم؛ لأنَّه طعام الجنِّ كما في البخاري[٣]، فقد صحَّ النهي عن الاستنجاء بهما في حديث سلمان- رضي الله عنه-:" أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم نهانا عن أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ"[٤].

وكذلك لا يجوز الاستنجاء بما له حُرمة: كورق التفسير والحديث وكُتب الدِّين، وكذلك لا يجوز الاستنجاء بالحمم، وهو الفحم، لما رواه أبو داود مرفوعًا:" يَا مُحَمَّدُ؛ انْهَ أُمَّتَكَ أَنْ يَسْتَنْجُوا بِعَظْمٍ أَوْ رَوْثَةٍ أَوْ حُمَمَةٍ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ لَنَا فِيهَا رِزْقًا"[٥].

١٧- يقوم غير الحجارة ممَّا يُنقي مقامهما في الاستنجاء: لأنَّ الأمر بالحجارة خرج على الغالب؛ لأنَّه المتيسَّر، وللنهي عن الاستجمار بالعظم والروث والحمم، فيُفهَم منه أنَّ غيرها من الأشياء كالورق والخِرَقِ وغيرها يُطَهِّرُ ذلك.

١٨- يُستحبُّ قول: (غُفرانَك) إذا فرغ من قضاء حاجته؛ لما أخرجه الخمسة، وهو في صحيح سنن أبي داود عن عائشة- رضي الله عنها- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الغَائِطِ قَالَ:" غُفْرَانَكَ"[٦].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٢٣) برقم (٢٦٢) كتاب الطهارة باب الاستطابة.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢١٣) برقم (٢٣٩) كتاب الطهارة باب الإيتار في الاستنثار والاستجمار.

(٣) جاء في مسلم بلفظ: «أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأت عليهم القرآن» قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم وسألوه الزاد فقال: " لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحما وكل بعرة علف لدوابكم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم». صحيح مسلم (١/ ٣٣٢) برقم (٤٥٠) كتاب الصلاة باب الجهر بالقراءة في الصبح والقراءة على الجن.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٢٣) برقم (٢٦٢) كتاب الطهارة باب الاستطابة.

(٥) رواه أبو داود في سننه (١/ ١٠) برقم (٣٩) كتاب الطهارة باب ما ينهى عنه أن يستنجى به. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١/ ١١٧).

(٦) رواه أحمد في مسنده (٤٢/ ١٢٤) برقم (٢٥٢٢٠). وأبو داود في سننه (١/ ٨) برقم (٣٠) كتاب الطهارة باب ما يقول الرجل إذا خرج من الخلاء. والترمذي في جامعه (١/ ١٢) برقم (٧) أبواب الطهارة باب ما يقول إذا خرج من الخلاء. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٣٥) برقم (٩٨٢٤) كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا خرج من الخلاء. وابن ماجه في سننه (١/ ١١٠) برقم (٣٠٠) كتاب الطهارة وسننها باب ما يقول إذا خرج من الخلاء. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (١/ ٩١).

١٩- ويجوز التبوُّل قائمًا إذا أَمِنَ الرشاش على القول الراجح، لما أخرجه الستة عن حذيفة- رضي الله عنه- قال:" أَتَى النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم سُبَاطَةَ قَوْمٍ فَبَالَ قَائِمًا" [١]. وذكر ابن حجر في الفتح: ثبوت ذلك عن عمر وعليٍّ وزيد بن ثابت وغيرهم- رضي الله عنهم- أنَّهم بالوا قيامًا؛ ولأنَّه لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في النهي عن ذلك شيء[٢].

٢٠- لا يجوز البول في الماء الراكد أو المسْتَحَمِّ، لحديث جابر- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه" نَهَى أنْ يُبالَ في الماءِ الرَّاكِدِ" رواه مسلم[٣].

الخلاصة: هذه بعض آداب قضاء الحاجة، والناظر إلى هذه الآداب لا يخفى عليه حرص الهدي النبوي على صحَّة الإنسان، وحمايته من الأمراض، والحرص أيضًا على النبات والحيوان، والحفاظ على البيئة من التلوُّث أو الضرر.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٥٤) برقم (٢٢٤) كتاب الوضوء باب البول قائمًا وقاعدًا. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٢٨) برقم (٢٧٣) كتاب الطهارة باب المسح على الخفين.

(٢) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٣٣٠). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٣٥) برقم (٢٨١) كتاب الطهارة باب النهي عن البول في الماء الراكد.

١٠ رجب

فضل التبكير لصلاة الجمعة

إنَّ يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، وقد صرف الله تعالى عنه الأمم السابقة، وجعله يومًا فاضلًا لهذه الأُمَّة المرحومة، وفيه من الأعمال الصالحة ما يحسُن بالمسلم الحرصُ عليها، والإتيان بها، والتبكير إلى الجمعة هو سويعات يقضيها المسلم في بيت من بيوت الله تعالى، مُنتظِرًا للصلاة، ذاكرًا لله تعالى بما يُوفِّقه الله إليه من الأقوال والأفعال، وذلك فضلٌ عظيمٌ يُؤتيه الله تعالى مَنْ يشاء، والله ذو الفضل العظيم، هذا من جهة، ومن جهة أخرى هو يهنأ بتلك الساعات، وتقرُّ عينه بدعوات الملائكة له بقولهم: " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ"، فلو تأمَّل المتأخِّر ما يناله المتقدِّم من الأجور والمنح؛ لبادر كما يبادر الموفَّقون، وعمل ما يكون سببًا لتبكيره، ومبادرته لهذا العمل المبارك، ففي الصحيحين عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إذا كان يوم الجمعة وقفت الملائكة على المسجد يكتبون الأول فالأول، ومثل المهجِّر كمثل الذي يُهدي بدنة، ثم كالذي يُهدي بقرة، ثم كبشًا، ثم دجاجة، ثم بيضة، فإذا خرج الإمام طووا صحفهم ويستمعون الذِّكر"[١].

وللتبكير إلى الصلاة عامة فضائل وفوائد عديدة، منها: ترديد الأذان خلف المؤذِّن، والدُّعاء بعد الأذان، والتواجد أثناء وقت تكبيرة الإحرام والمحافظة عليها، وحضور صلاة الجماعةِ كاملة من غير نُقصان، وكسْب التأمين خلف الإمام في حال كانت الصلاة جهرية، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا قالَ الإمامُ:" غيرِ المغضوبِ عليهم ولَا الضَّالِّين"، فقولوا:" آمينَ"، فإنَّه مَن وافقَ قولُهُ قولَ الملائِكةِ غفرَ لَهُ ما تقدَّمَ من ذنبِهِ" رواه البخاري[٢].

كذلك من الفضائل: الصلاة في الصَّفِ الأول من صُفوف المصلِّين، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لو يعلمُ النَّاسُ ما في النِّداءِ والصَّفِّ الأوَّلِ ثمَّ لم يجِدوا إلَّا أن يستَهِموا عليه لاستَهموا" رواه البخاري[٣].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١١) برقم (٩٢٩) كتاب الجمعة باب الاستماع إلى الخطبة. ومسلم في صحيحه (٢/ ٥٨٢) برقم (٨٥٠) كتاب الجمعة باب الطيب والسواك يوم الجمعة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٥٦) برقم (٧٨٢) كتاب الأذان باب جهر المأموم بالتأمين. ومسلم في صحيحه (١/ ١٣٦) برقم (٤٠٩) كتاب الصلاة باب التسميع، والتحميد، والتأمين.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢٦) برقم (٦١٥) كتاب الأذان باب الاستهام في الأذان. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٢٥) برقم (٤٣٧) كتاب الصلاة باب تسوية الصفوف، وإقامتها، وفضل الأول فالأول منها، والازدحام على الصف الأول، والمسابقة إليها، وتقديم أولي الفضل، وتقريبهم من الإمام.



أيضًا الحرص على الصلاة في الجانب الأيمن من الصفوف، وأداء ما شرعه الله من النوافل بين الأذان والإقامة؛ كقراءة القرآن، والدُّعاء، وقراءة الأذكار، والاستغفار.

كذلك استغفار الملائكة للعبد طوال انتظاره للصلاة، وحصول الأجر والثواب أثناء ذلك، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" المَلَائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أحَدِكُمْ ما دامَ فِي مُصَلَّاهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ له، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، لَا يَزالُ أحَدُكُمْ فِي صَلَاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلَاةُ تَحْبِسُهُ، لَا يَمْنَعُهُ أنْ يَنْقَلِبَ إلى أهْله إلَّا الصلاة" رواه البخاري(١).

وحضور صلاة الجمعةِ مُبكّرًا له فضلٌ كبيرٌ وعظيمٌ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَن غسَّلَ واغتَسلَ يومَ الجمعةِ، وبكَّر وابتكر، ومشَى ولم يركب، ودنا من الإمامِ، واستمع، ولم يلغُ كان له بكلِّ خطوةٍ أجرُ عملِ سنة، صيامها وقيامها، وذلك على الله يسير" رواه أبو داود(٢).

ويُراد بلفظ التهجير إلى الصلاة: التبكير إليها وحضورها في أول وقتها، ويُطلَق التبكير على المبادرة أيضًا، ويتحقَّق التبكير إلى الصلاة بالتأهُّب والاستعداد لها قبل الانشغال بغيرها عنها، وإن كان لفظ التبكير مُخفَّفًا فمعناه التعجيل بالحضور، ويحصل التبكير لمن هو في المسجد بتجهيز نفسه للصلاة والاستعداد لها، ويُسَنُّ التبكير في الحضور إلى المسجد إن كان مأمومًا، أمَّا الإمام فالسُّنَّة في حقِّه التأخير، وذلك اتِّباعًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومَن بعدَه مِن الخلفاء الراشدين، ويتحصَّل في حضور المصلِّي مُبكِّرًا الاقتراب من الإمام، وبالتبكير ينال فضل وأجر انتظار الصلاة، فتزداد بهذا حسناته.

وقد اختلف العلماء في معنى (بكَّر وابتكر) على أقوال:

١- بكَّر: أتى الصلاة في أول وقتها، وكلُّ من أسرع إلى شيء فقد بكَّر إليه، وأما ابتكر فمعناه: أدرك أوَّل الخطبة، وأوَّل كلِّ شيءٍ باكورته، وقال ابن قتيبة: وأما قوله: (بَكَّر) فإنَّ العوام تذهب في

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٢) برقم (٦٥٩) كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد. ومسلم في صحيحه مختصرًا (١/ ٤٦٠) برقم (٦٤٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٦/ ٩٣) برقم (١٦١٧٣). وأبو داود في سننه (١/ ٩٥) برقم (٣٤٥) كتاب الطهارة باب في الغسل يوم الجمعة. والترمذي في جامعه (٢/ ٣٦٧) برقم (٤٩٦) أبواب الجماعة باب ما جاء في فضل الغسل يوم الجمعة. والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ٢٦٨) برقم (١٦٩٧) كتاب الجمعة، فضل الغسل. وابن ماجه في سننه (١/ ٣٤٦) برقم (١٠٨٧) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في الغسل يوم الجمعة. والحديث صححه الألباني كما في مشكاة المصابيح (١/ ٤٣٧). مشكاة المصابيح، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٩٨٥م.

هذا إلى أنَّه الغدو إلى المسجد الجامع، وليس كذلك إنَّما التبكير ها هنا إتيان الصلاة لأوَّل وقتها، وكلُّ مَن أسرع إلى شيءٍ فقد بكّر إليه.

٢- (بكَّر) أي: في بكرة النهار، وهي أوَّله. وابتكر: بالغ في التبكير، أي: جاء في أوَّل البكرة. فهو للمبالغة والتوكيد.

٣- (بكَّر): راح في الساعة الأولى، (وابتكر): فَعَلَ فِعْلَ المبتكرين من الصلاة والقراءة وسائر وجوه الطاعة. ذكره النووي وحكاه عن الغزالي، والقاضي أبي الطيب(١).

واختلف أهل العلم في أفضل وقت الذهاب إلى الجمعة؟ على قولين:

القول الأول: لا يُستحبُّ التبكير قبل الزوال، وهو قول مالك. واستدلَّ بعدة أدلة:

أ – قال الرسول صلى الله عليه وسلم:" مَن راح إلى الجمعة". والرواح بعد الزوال، وعمَلُ أهل المدينة أنَّهم كانوا لا يذهبون إلَّا بعد الزوال.

ب – عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لَغَدْوَةٌ في سبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ؛ خَيْرٌ مِن الدُّنْيَا وَمَا فِيها" رواه ابن البخاري(٢)، فالغدوة بالغداة، والرواح بعد الزوال.

وقد أنكر ابن القيم على الإمام مالك عمل أهل المدينة فقال:" وأمَّا كون أهل المدينة لم يكونوا يروحون إلى الجمعة أوَّل النهار؛ فهذا غاية عملهم في زمان مالك- رحمه الله-، وهذا ليس بحُجَّة ولا عند مَن يقول: إجماع أهل المدينة حُجَّة، فإنَّ هذا ليس فيه إلَّا ترْك الرواح إلى الجمعة من أوَّل النهار، وهذا جائزٌ بالضرورة، وقد يكون اشتغال الرجل بمصالحه، ومصالح أهله ومعاشه، وغير ذلك من أمور دينه ودنياه؛ أفضل من رواحه إلى الجمعة من أوَّل النهار(٣).

القول الثاني: أفضل وقت من أوَّل النهار، فكلَّما كان أبكر كان أولى وأفضل. وهذا مذهب الأوزاعي، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، وابن المنذر. واستدلوا بعدة أدلة:

---

(١) ينظر: المجموع شرح المهذب (٤/ ٥٤٣)؛ مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود (١/ ٢١٢). المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي)) المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار الفكر. مرقاة الصعود إلى سنن أبي داود، المؤلف: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٨٤٩ – ٩١١ هـ)، بعناية: محمد شايب شريف، الناشر: دار ابن حزم، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٦) برقم (٢٧٩٢) كتاب الجهاد والسير باب الغدوة والروحة في سبيل الله، وقاب قوس أحدكم من الجنة. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٩٩) برقم (١٨٨٠) كتاب الإمارة باب فضل الغدوة والروحة في سبيل الله.

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٣٩٣).



أ – حديث أبي هريرة– رضي الله عنه– أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" مَن اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة، ثم راح في الساعة الأولى فكأنما قرَّب بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرَّب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرَّب كبشًا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرَّب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرَّب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يسمعون الذكر" رواه البخاري ومسلم(١).

ب – وروى علقمة قال:" خرجت مع عبد الله بن مسعود– رضي الله عنه– إلى الجمعة، فوجد ثلاثة قد سبقوه، فقال: رابع أربعة، وما رابع أربعة ببعيد، إِنِّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" إنَّ الناس يجلسون من الله– عز وجل– يوم القيامة على قدر رواحهم إلى الجمعة" رواه ابن ماجه(٢).

الخلاصة: تُعدُّ الصلاة على وقتها من أفضل الأعمال التي يقوم بها المسلم، والتبكير إلى الجمعة، والقُرْبُ من الإمام عملٌ كبيرٌ فاضِلٌ، فإنَّ الله تعالى يتجلَّى لأوليائه المؤمنين في الجَنَّة في كلِّ يوم جمعة، ويزورونه، فيكون أقربُهم منه أقربَهم إلى الإمام، وأسبقُهم إلى زيارة الله أسبقَهم إلى الجمعة.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٣) برقم (٨٨١) كتاب الجمعة باب فضل الجمعة. ومسلم في صحيحه (٢/ ٥٨٢) برقم (٨٥٠) كتاب الجمعة باب الطيب والسواك يوم الجمعة.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ٣٤٨) برقم (١٠٩٤) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في التهجير إلى الجمعة. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٣/ ٩٤).

١١ رجب

فضل السواك

السِّواكُ نوعٌ من أنواع النظافة، وخصلة من خصالها، وسُنَّة في شرعنا، شرعه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورغَّب فيه، وبيَّن لنا فضله وأحكامه.

ومعرفة أحكام السواك من الفقه في الدين، ومن العلم النافع للمسلم في الدنيا والآخرة، والسِّواكُ يُطلَق على الفعل وهو الاستياك، ويُطلَق على الآلة التي يُستاك بها؛ يُقال: ساك فاه يسوكه سَوكًا إذا دلَّكه بالسواك، والسواك هو استعمال عودٍ أو نحوه في الأسنان؛ لإذهاب التغيُّر ونحوه، وهو مندوبٌ إليه، وهو من سُنن الفطرة، وهذا باتِّفاق المذاهب الفقهية الأربعة: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة، وحُكي الإجماع على ذلك، قال الإمام النووي- رحمه الله-: السواك مُستحبٌّ في جميع الأوقات؛ لكن في خمسة أوقات أشدُّ استحبابًا: عند الصلاة، وعند الوضوء، وعند قراءة القرآن، وعند الاستيقاظ من النوم، وعند تغيُّر الفم، وتغيُّره يكون بأشياء منها: ترْك الأكل والشرب، ومنها أكْل ما له رائحة كريهة، ومنها طول السكوت وكثرة الكلام[١].

والأدلة من السُّنَّة على استحبابه:

١- عن أبي هريرة- رضي اللهُ عنه- أن رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم قال:" لولا أن أشُقَّ على أمَّتي- أو على النَّاس- لأمَرتُهم بالسِّواكِ مع كلِّ صلاةٍ " رواه البخاري[٢]، ووجه الدَّلالة أنَّ السِّواكَ لو كان واجبًا؛ لأمرهم به صلى الله عليه وسلم؛ شقَّ أو لم يشُقَّ.

٢- عن عائشةَ- رَضِيَ اللهُ عنها- أنَّها كانت تقولُ:" إنَّ مِن نِعَمِ اللهِ عليَّ أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم تُوفِّي في بَيتي، وفي يَومِي، وبين سَحْرِي ونَحْرِي، وأنَّ اللهَ جمَع بين رِيقي ورِيقِه عند مَوتِه؛ دخَل عليَّ عبدُ الرَّحمنِ وبِيَدِه السِّواكُ، وأنا مُسنِدةٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فرَأيتُه ينظُرُ إليه، وعَرفتُ أنَّه يُحِبُّ السِّواكَ، فقُلتُ: آخُذُه لك؟ فأشار برأسِه: أنْ نعَمْ، فتناولتُه فاشتدَّ عليه، وقلتُ: أُليِّنُه لك؟ فأشار برأسِه: أنْ نعَمْ، فلَيَّنْتُه، فأمَرَّه" رواه البخاري[٣].

٣-عن عائشةَ- رَضِيَ اللهُ عنها-:" أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان إذا دخَلَ بَيتَه بدأ بالسِّواكِ" رواه مسلم[٤].

---

(١) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٤٢).
(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٤) برقم (٨٨٧) كتاب الجمعة باب السواك يوم الجمعة.
(٣) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٣) برقم (٤٤٤٩) كتاب المغازي باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته.
(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٢٠) برقم (٢٥٣) كتاب الطهارة باب السواك.



أما عن الحالات التي يُشرَع فيها السِّواك فمنها:

الأول: السِّواكُ للصائم: لا يُكرَه للصائم استعمال السواك في أي وقت، سواء كان قبل الزوال أو بعد الزوال، وهذا مذهب الحنفية، وهو قول للشافعي، ورواية عن أحمد، وبه قالت طائفة من السلف، واختاره ابن تيمية، وابن القيم، والشوكاني، وابن باز، وابن عثيمين، فعن عائشة- رضي اللهُ عنها- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" السِّواكُ مَطهرةٌ للفَمِ، مَرضاةٌ للربِّ" رواه البخاري مُعلَّقًا[1].

وجْهُ الدَّلالة: أنَّه إذا كان السِّواكُ مَرضاةً للرَّبِّ؛ فمَرضاةُ اللهِ مَطلوبةٌ دائمًا، وفي كلِّ وقتٍ دُونَ استثناءٍ، وإذا كان مَطهرةً للفَمِ؛ فإنَّه يتأكَّدُ في حقِّ الصَّائِمِ أكثرَ مِن غَيرِه؛ لحاجَتِه إلى تطهيرِ الفَمِ وتَخفيفِ أثَرِ الخُلوفِ؛ وذلك لأنَّ مِن أسبابِ مَشروعيَّةِ السِّواكِ تَطهيرَ الفَم، والسواك عبادة غير مؤقَّتة بوقتٍ، بل تجوز في جميع الأوقات على رأي جمهور أهل العلم؛ خلافًا للشافعية الذين كرهوه آخر النهار للصائم، أمَّا معجون الأسنان فيجوز للصائم استخدامه بشرط أن لا يتسرَّب لجوفه. وقد اختلف العلماء في استخدام السواك للصائم بعد الظهر، فالشافعية منعوه إعمالًا لحديث" لخلوف فم الصائم......."[2]، والجمهور على الجواز، لأحاديث فضل السواك، ولأنَّ طيب الرائحة لا يعود إلى الرائحة أصلًا بل يعود إلى الصيام ذاته.

الثاني: السِّواكِ عند الوضوء: يُسنُّ السواك عند الوضوء، وهذا باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة؛ فعن أبي هُرَيرةَ- رَضِيَ اللهُ عنه- عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" لولا أنْ أشُقَّ على أُمَّتي لأمَرتُهم بالسِّواكِ مع كلِّ وُضوءٍ" رواه البخاري مُعلَّقًا[3].

الثالث: السِّواكُ عند ذِكرِ اللهِ وعند قراءةِ القُرآن: يُستحَبُّ السِّواكُ عند ذِكرِ اللهِ وقراءةِ القُرآنِ، وهذا باتِّفاقِ المذاهِبِ الفِقهيَّةِ الأربَعةِ: الحنفيَّة، والمالكيَّة، والشافعيَّة، والحنابلة؛ فعن عليٍّ- رَضِيَ اللهُ عنه- قال: قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم:" إنَّ العَبدَ إذا تَسوَّكَ ثم قام يُصلِّي؛ قام المَلَك خلْفَه، فتسمَّع لقراءَتِه، فيدنو منه- أو كلمةً نحوها- حتَّى يضعَ فاه على فِيه، فما يَخرُجُ من فيه شيءٌ مِنَ القرآن إلَّا صار في جوفِ المَلَك؛ فطهِّروا أفواهَكم للقُرآنِ" صحَّحه الألباني[4].

---

(١) صحيح البخاري (٣/ ٣١) باب سواك الرطب واليابس للصائم.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٦٤) برقم (٥٩٢٧) كتاب اللباس باب ما يذكر في المسك. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٠٧) برقم (١١٥١) كتاب الصيام باب فضل الصيام.

(٣) صحيح البخاري (٣/ ٣١) ولفظه: "لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء".

(٤) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٢١٥).



الرابع: السِّواكُ عند دُخولِ البَيتِ: يُستحبُّ السِّواكُ عند دُخولِ المنزلِ، وهذا باتِّفاقِ المذاهِبِ الفِقهيَّةِ الأربَعةِ: الحنفيَّة، والمالكيَّة، والشافعيَّة، والحنابلة؛ فعن شُرَيح قال:" سألتُ عائشةَ- رضي اللهُ عنها- قُلتُ: بأيِّ شيءٍ كان يبدأُ النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا دخَل بيتَه؟ قالت: بالسِّواكِ" رواه مسلم(١).

الخامس: السِّواكُ عند الاستيقاظِ مِن النَّوم: يُستحبُّ السِّواكُ عند الاستيقاظِ مِن النَّومِ، وهذا باتِّفاقِ المذاهِبِ الفِقهيَّةِ الأربَعةِ، فعن حُذَيفةَ بنِ اليَمانِ- رَضِيَ اللهُ عنه- قال:" كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا قام مِن اللَّيلِ يَشوصُ فاه بالسِّواكِ" رواه البخاري(٢).

السادس: السِّواكُ عند تغيُّرِ الفَم: يُستحبُّ السِّواكُ عند تغيُّرِ رائحةِ الفَمِ، وهذا باتِّفاقِ المذاهِبِ الفِقهيَّةِ الأربَعةِ، فعن حُذَيفةَ بنِ اليَمانِ- رَضِيَ اللهُ عنه- قال:" كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا قام مِن اللَّيلِ يَشوصُ فاه بالسِّواكِ" رواه البخاري ومسلم(٣).

أما عن كيفية الاستياك فالأفضل الاستياكُ باليَدِ اليُمنى، عن عائشةَ- رَضي اللهِ عنها- قالت:" كان النبي صلى الله عليه وسلم يُعجِبُه التيمُّنُ في تنعُّلِه وترجُّلِه وطُهورِه، وفي شأنِه كلِّه" رواه البخاري(٤)، والسواك عِبادةٌ مَقصودة، وما كان عبادة مَقصودة؛ كان باليَمين.

هذا ولم يثبت دعاء ولا ذِكر يُقال عند السِّواكِ أو قبله أو بعده.

الخلاصة: السِّواك من الفطرةِ وخصالها، وقد صحَّ عن السبعة إلَّا البخاري:" عشر من الفطرة؛ وذكَر منها السواكَ"(٥). وقد ذُكر في السِّواكِ أكثر من مائة حديثٍ. قال الإمام الصنعاني: فواعجبًا لسُنَّةٍ تأتي فيها الأحاديث الكثيرةُ ثم يُهمِلُها كثيرٌ من الناس، بل كثيرٌ من الفقهاءِ، فهذه خيبة عظيمة(٦).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٢٠) برقم (٢٥٣) كتاب الطهارة باب السواك.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٥٨) برقم (٢٤٥) كتاب الوضوء باب السواك. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٢٠) برقم (٢٥٥) كتاب الطهارة باب السواك.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٥٨) برقم (٢٤٥) كتاب الوضوء باب السواك. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٢٠) برقم (٢٥٥) كتاب الطهارة باب السواك.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٤٥) برقم (١٦٨) كتاب الوضوء باب التيمن في الوضوء والغسل. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٢٦) برقم (٢٦٨) كتاب الطهارة باب التيمن في الطهور وغيره.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٢٣) برقم (٢٦١) كتاب الطهارة باب خصال الفطرة.

(٦) سبل السلام (١/ ٥٧). سبل السلام، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، الناشر: دار الحديث، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

ومن فوائده الصِّحِّيَّة أنَّه يُطيِّبُ الفم، ويُقلِّل البلغَم، ومُقوٍّ لِلَّثةِ، ويَمنعُ تَسَوُّسَ الأسنانِ، ويُنقِّي الأسنان، ويُساعدُ في هَضْمِ الطعامِ، ويطردُ النَّومَ، ويُميط الأذَى بأنواعه عن الفَمِ.

ولقد ورد ذِكْر السواك في الشعر العربي، فمِن ذلك قولُ بعضهم:

تَاللهِ إنْ جُـــزْتَ بـــوَادي الأرَاكِ   وقَبَّلَـتْ أغصـانُهُ الخُضـرُ فـاكَ

فابعثْ إلى المملـــوكِ مِن بعضِها   فـــإنَّني واللهِ مَـــا لِي سِـــوَاكَ[1]

---

(١) ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب (٢/ ٦٨). نهاية الأرب في فنون الأدب، المؤلف: أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (المتوفى: ٧٣٣هـ)، الناشر: دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ..



١٢ رجب

فضل صدقة السر

للصدقة فوائد وأسرار لا يُدركها إلَّا مَن جرَّبها، وذاق حلاوتها، واستشعر سعادة العطاء عبْرها. فقد نتكلَّم عن سعادة الفقير عندما يصله طعامٌ يسدُّ جوعه، أو مالٌ يُعيلُ به أُسرته، أو أرملةٍ تمنحها سقفًا يمُدُّها بالدفء والأمان لها ولأولادها. لكن ماذا عن سعادة المعطي وهو يستشعر فوائدها؟ فتلك تعكس فلسفة العطاء لدى المسلم، وتلك هي السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة.

وصدقة السر من أكبر مظاهر وبراهين صدق إيمان الإنسان وإخلاصه لمولاه سبحانه، وهذه الصفة ترفع درجات الإنسان وتُعلي شأنه عند ربِّه، ومن أهمِّ فوائد إخفاء الصدقة رفْع نفسيَّة الفقير، وإلزام المتصدِّق جانب التواضع وعدم السعي نحو السمعة والرياء. ومن فضائل صدقة السر الكبيرة والكثيرة أنَّ: الصَّدقة مِن أسباب النجاة من حرِّ يوم القيامة. وهي من أسباب دخول الجنَّة والعتق من النَّار. كما أنَّها تجلب البركة والزيادة والخلف من الله تعالى. ويترتَّب عليها الأجر العظيم، والصدقة الخفية من أفضل أنواع الصدقات؛ لأنَّها أقرب إلى الإخلاص من المعلَنة، وفي ذلك يقول جل وعلا: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[1]. قال الشيخ السعدي- رحمه الله- في قوله تعالى:" إن تبدوا الصدقات" أي: فتُظهروها وتكون علانية حيث كان القصد بها وجه الله" فنعمَّا هي" أي: فنعم الشيء هي؛ لحصول المقصود بها "وإن تخفوها" أي: تُسرُّوها "وتؤتوها الفقراء فهو خيرٌ لكم"، ففي هذا أنَّ صدقة السر على الفقير أفضل من صدقة العلانية، وأمَّا إذا لم تؤت الصدقات الفقراء؛ فمفهوم الآية أنَّ السرَّ ليس خيرًا من العلانية، فيرجع في ذلك إلى المصلحة، فإن كان في إظهارها إظهار شعائر الدين وحصول الاقتداء ونحوه؛ فهو أفضل من الإسرار، ودلَّ قوله: "وتؤتوها الفقراء" على أنَّه ينبغي للمُتصدِّق أن يتحرَّى بصدقته المحتاجين، ولا يُعطي مُحتاجًا وغيرُه أحوجُ منه، ولما ذكر تعالى أنَّ الصدقة خيرٌ للمُتصدِّق ويتضمَّن ذلك حصول الثواب قال: "ويُكفِّر عنكم من سيئاتكم" ففيه دفْع العقاب "والله بما تعملون خبير" من خير وشر، قليل وكثير، والمقصود من ذلك المجازاة[2]؛ فأخبر أنَّ إعطاءها للفقير في خفية خيرٌ للمنفِق من إظهارها وإعلانها، وتأمَّل تقييده تعالى الإخفاء

(١) البقرة: ٢٧١.

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١١٦).



بإتيان الفقراء خاصَّة، ولم يقل: وإن تخفوها فهو خيرٌ لكم، فإنَّ مِن الصدقة ما لا يمكن إخفاؤه كتجهيز جيشٍ، وبناء قنطرة، وإجراء نهر، أو غير ذلك، وأمَّا إيتاؤها الفقراء ففي إخفائها من الفوائد، والستر عليه، وعدم تخجيله بين الناس وإقامته مقام الفضيحة، وأن يرى الناس أنَّ يده هي اليد السفلى، وأنَّه لا شيء له، فيزهدون في معاملته ومعاوضته، وهذا قدر زائد من الإحسان إليه بمجرد الصدقة مع تضمُّنه الإخلاص، وعدم المراءاة، وطلبهم المحمدة من النّاس. وكان إخفاؤها للفقير خيرًا من إظهارها بين الناس، ومِن هذا مدَحَ النبي صلى الله عليه وسلم صدقة السَّر، وأثنى على فاعلها، وأخبر أنَّه أحد السبعة الذين هم في ظلِّ عرش الرحمن يوم القيامة، ولهذا جعله سبحانه خيرًا للمُنفِق، وأخبر أنَّه يُكفِّر عنه بذلك الإنفاق من سيئاته(١).

وقال الله تعالى أيضًا: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾(٢).

أيضًا صدقة السر تقيك الحرَّ يوم القيامة: عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" سبعةٌ يُظلُّهم الله تعالى في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه: إمامٌ عادلٌ، وشابٌّ نشأ في عبادة الله، ورجلٌ قلبُه مُعلَّقٌ في المساجد، ورجلانِ تحابَّا في الله؛ اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجلٌ دعتْه امرأةٌ ذاتُ منصبٍ وجَمالٍ فقال: إنِّي أخاف الله، ورجلٌ تصدَّق بصدقةٍ فأخفاها؛ حتَّى لا تعلمَ شمالُه ما تُنفقُ يمينه، ورجلٌ ذَكَرَ الله خاليًا ففاضتْ عيناه" مُتَّفَق عليه(٣).

كذلك صدقة السر سببٌ من أسباب حُبِّ الله لك: روى الترمذي عن أبي ذر- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" ثلاثةٌ يُحبُّهم الله، وثلاثةٌ يبغضهم الله؛ فأمَّا الذين يُحبُّهم الله؛ فرجلٌ أتى قومًا فسألهم بالله، ولم يسألهم بقرابةٍ بينه وبينهم، فمنعوه فتخلَّف رجلٌ بأعقابهم فأعطاه سرًّا لا يعلم بعطيته إلَّا الله والذي أعطاه، وقوم ساروا ليلتهم حتى إذا كان النوم أحبَّ إليهم مما يُعدَل به، نزلوا فوضعوا رؤوسهم، فقام أحدهم يتملَّقني ويتلو آياتي، ورجلٌ كان في سرية، فلقِي العدو فهزموا، وأقبل بصدره حتى يُقتَل أو يُفتَح له، والثلاثة الذين يبغضهم الله: الشيخ الزاني، والفقير المختال، والغني الظلوم"(٤).

---

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص: ٣٧٦). طريق الهجرتين وباب السعادتين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار السلفية، القاهرة، مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٤هـ.

(٢) البقرة: ٢٧٤.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٣) برقم (٦٦٠) كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٥) برقم (١٠١٣) كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٥/ ٢٨٥) برقم (٢١٣٥٥). والترمذي في جامعه (٤/ ٦٩٨) برقم (٢٥٦٨) أبواب صفة الجنة باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ٦٧) برقم (٢٣٦٢) كتاب الزكاة، ثواب من يعطي سرًّا. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٦٨).

ولعظيم أجر الصدقة ومكانتها في الإسلام، ودورها في التكافل والتعاون بين الناس؛ فقد أكَّد عليها الرسول صلى الله عليه وسلم في عدَّة أحاديث نبوية شريفة، ومنها ما يأتي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَا مِن يَومٍ يُصْبِحُ العِبادُ فِيهِ؛ إلَّا مَلَكانِ يَنْزِلانِ، فيَقولُ أحَدُهُما: اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، ويقولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا" رواه البخاري[١].

وعن معاذ بن جبل- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ألَا أدلُّكَ على أبوابِ الخيرِ؟ قلتُ: بلَى يا رسولَ اللهِ، قال: الصَّومُ جُنَّةٌ، والصَّدقةُ تُطْفِئُ الخطيئةَ كما يُطْفِئُ الماءُ النَّارَ" رواه الترمذي[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لَا يَتَصَدَّقُ أحَدٌ بتَمْرَةٍ مِن كَسْبٍ طَيِّبٍ؛ إلَّا أخَذَها اللَّهُ بيَمِينِهِ، فيُرَبِّيها كما يُرَبِّي أحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، أوْ قَلُوصَهُ، حتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ، أوْ أعْظَمَ" رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنه- قال:" أنَّ رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قالَ وهو علَى المِنْبَرِ، وذَكَرَ الصَّدَقَةَ، والتَّعَفُّفَ، والمسْأَلَةَ: اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، فَاليَدُ العُلْيَا: هي المُنْفِقَةُ، والسُّفْلَى: هي السَّائِلَةُ" رواه البخاري[٣].

الخلاصة: أنَّ من أسباب إخفاء صدقة السر: أنَّ في إخفائها يكون الإنسان أبعد عن الرياء والسمعة، وأيضًا لا يحصل لصاحبها من الشهرة والمدح والتعظيم، التي هي من مُحبطات الأعمال. وقد يكون في إظهار الصدقة هتكٌ لشرف الفقير، وإظهارٌ لفقره، وهذا ممَّا لا يرضاه الفقير. وقد يكون في إظهارها إذلالٌ له، وهو غير جائز، وقد يتعرَّض الفقير في إظهار الصدقة أمام الناس للتجريح والغيبة،

---

(١)رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١١٥) برقم (١٤٤٢) كتاب الزكاة باب قول الله تعالى: {فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى، فسنيسره للعسرى} [الليل: ٦] «اللهم أعط منفق مال خلفا». ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٠) برقم (١٠١٠) كتاب الزكاة باب في المنفق والممسك.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٣٤٤) برقم (٢٢٠١٦). والترمذي في جامعه (٥/ ١١) برقم (٢٦١٦) أبواب الإيمان باب ما جاء في حرمة الصلاة. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٢١٤) برقم (١١٣٣٠) كتاب التفسير قوله تعالى: {تتجافى جنوبهم عن المضاجع} [السجدة: ١٦]، وقوله تعالى: {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين} [السجدة: ١٧]. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣١٤) برقم (٣٩٧٣) كتاب الفتن باب كف اللسان في الفتنة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٨/ ٤٧٣).

(٣)رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٠٨) برقم (١٤١٠) كتاب الزكاة باب الصدقة من كسب طيب لقوله: {ويربي الصدقات، والله لا يحب كل كفار أثيم، إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} [البقرة: ٢٧٧]. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٢) برقم (١٠١٤) كتاب الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها.

بسبب ظَنِّهم أنَّه غير محتاج لها، والسبب الآخر لأفضلية صدقة السر على صدقة العلانية؛ هو تأكيد القرآن والسنة على أفضلية السر على العلن. وفي هذا يقول الشاعر:

يَا مَـنْ تـَصَدَّقَ؛ مـالُ الله تبْذُلـهُ ... في أوجُـهِ الخـيرِ مَـا لِلمـالِ نُقصَـانُ

كَمْ ضاعَفَ اللهُ مَالًا جَادَ صَاحِبُهُ ... إنَّ السَـخَاءَ بِحُكـْمِ اللَّـهِ رِضـوَانُ[1]

(١) البيتان للشاعر عطا سليمان مروني. ينظر: https://lhad.yoo7.com/t7003-topic.



١٣ رجب

فضل ركعتي الفجر

مَنَّ الله تعالى على عباده بنعمة الهداية للإسلام، ومِن النعم العظيمة في إسلامنا الصلاة، إذ تُعدُّ الركن الثاني من أركان الإسلام، وتُعتبَر صلاة الفجر من أعظم الصلوات، وأكثرها فضلًا وأجرًا، فهي نورٌ لصاحبها يوم القيامة كما وعد رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم، وبابٌ من أبواب الجنة، والمقصود بالفجر هو الشفق، ويُقصَد به الضوء في الصباح، كما يُقسَّم الفجر إلى فجرين هما؛ الفجر الأول: وهو ظهور البياض المستطيل في إحدى نواحي السماء، ثم ما يلبث النور قليلًا إلى أن ينقضي، ويحلَّ مكانه الظلام، ومن أجل ذلك يُسمَّى الفجر الكاذب. والفجر الثاني: وهو اعتراض البياض المستطير في الأفق، ويبقى النور في ازديادٍ إلى حين طلوع الشمس، لذلك يُسمَّى الفجر الصادق، فما إن يبدأ النور بالظهور حتى يتبعه انتشارٌ في الأفق، وهذا الفجر الذي تنبني عليه الأحكام، وتتعلَّق به، ويبدأ به وقت صلاة الفجر، وينتهي وقته بطلوع الشمس.

وقد اختص الله تعالى صلاة الفجر بالكثير من الأهمية، ومنها أنَّها: تعادل قيام ليلة كاملة، فقد وضَّح النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ صلاة العشاء في جماعة تعادل قيام نصف ليلة، بينما صلاة الفجر تعادل قيام ليلة كاملة. فقد صحَّ عند مسلمٍ عن عثمان بن عفان- رضي الله عنه- أنَّه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" مَن صلَّى العشاء في جماعة فكأنَّما قام نصف الليل، ومَن صلَّى الصبح في جماعة فكأنَّما قام الليل كلَّه"(١).

وأيضًا سببٌ لحفْظ العبد في ذلك اليوم من البلاء والمصائب، ذلك لأنَّ صلاة الفجر أمانٌ وحفْظ من الله تعالى للعبد الذي يكون بعدها في ذمَّة الله تعالى وحفْظه ورعايته؛ فعن سمرة بن جندب- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" مَن صلَّى الصُبح في جماعةٍ فهو في ذمَّة الله تعالى" رواه ابن ماجه(٢). وقال صلى الله عليه وسلم أيضًا:" مَن صلَّى الصبح فهو في ذمَّة الله، فلا يطلُبنَّكم الله مِن ذِمَّته بشيء، فإنَّ مَن يطلبه مِن ذِمَّته بشيءٍ يُدركه، ثم يكبُّه على وجهه في نار جهنَّم" رواه مسلم(٣).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٥٤) برقم (٦٥٦) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٠١) برقم (٣٩٤٦) كتاب الفتن باب المسلمون في ذمة الله عز وجل. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٨/ ٤٤٦).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٥٤) برقم (٦٥٧) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة.



وهي سببٌ لتحقيق النور التامِّ يوم القيامة؛ فعن سهل بن سعد الساعدي- رضي الله عنه- أنَّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" بَشِّرِ المَشَّائين في الظُلمِ إلى المساجد بالنور التامِّ يوم القيامة" رواه ابن ماجه(١).

والحصول على الرزق والبركة فيه، فموعد الصلاة هو موعد تقسيم الأرزاق، ومَن ينام فإنَّه يفقد البركة. فصلاة الفجر تجلب الرزق الواسع؛ يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" اللهمَّ بارِكْ لأمَّتي في بكورها، وكان إذا بعث سَرِيَّةً أو جيشًا بعثهم أوَّلَ النهارِ" رواه أبو داود والترمذي(٢).

وهي سببٌ لدخول الجنة والتنعُّم بنعيمها؛ فعن أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" مَن صلَّى البردَينِ دخل الجنة" رواه البخاري ومسلم(٣). والبردان- كما قال أهل العلم-: هما الصبح والعصر.

كما أنَّ صلاة الفجر حجابٌ للعبد عن النار، فقد صحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال:" لن يلج النارَ أحدٌ صلَّى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها" يعني الفجر والعصر، رواه مسلم(٤).

ومِن فضل صلاة الفجر أيضًا شهود الملائكة، وحضورها لصلاة المسلم، ودعاؤها له، فوقت صلاة الفجر وقتٌ مشهودٌ، وهذا ما دلَّ عليه قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ﴾(٥).

قال الشيخ السعدي- رحمه الله- في تفسير هذه الآية" وَقُرْآنَ الْفَجْر" أي: صلاة الفجر، وسُمِّيتْ قُرآنًا لمشروعية إطالة القرآن فيها أطول من غيرها، ولفضل القراءة فيها حيث شهدها الله، وملائكة

(١) رواه أبو داود في سننه (١/ ١٥٤) برقم (٥٦١) كتاب الصلاة باب ما جاء في المشي إلى الصلاة في الظلام. والترمذي في جامعه (١/ ٤٣٥) برقم (٢٢٣) أبواب الصلاة باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة. وابن ماجه في سننه (١/ ٢٥٧) برقم (٧٨١) كتاب المساجد والجماعات باب المشي إلى الصلاة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٢/ ٦١).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ١٧٧) برقم (١٥٤٤٣). أبو داود في سننه (٣/ ٣٥) برقم (٢٦٠٦) كتاب الجهاد باب في الابتكار في السفر. والترمذي في جامعه (٣/ ٥٠٩) برقم (١٢١٢) أبواب البيوع باب ما جاء في التبكير بالتجارة. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ١٢٠) برقم (٨٧٨٢) كتاب السير الوقت الذي يستحب فيه توجيه السرية. وابن ماجه في سننه (٢/ ٧٥٢) برقم (٢٢٣٦) كتاب التجارات باب ما يرجى من البركة في البكور. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٦/ ١٠٦).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١٩) برقم (٥٧٤) كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة الفجر. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٤٠) برقم (٦٣٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٤٠) برقم (٦٣٤) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما.

(٥) الإسراء: ٧٨.

الليل وملائكة النهار[١]، والمعنى أنَّ صلاة الفجر هي الصلاة التي يجتمع فيها ملائكة الليل وملائكة النهار، ويُخبرون الله سبحانه بعدها عن حال عباده، ويؤكِّد ذلك حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم يُصلُّون، وأتيناهم يُصلُّون" رواه البخاري[٢].

ومن فضائل تلك الصلاة العظيمة؛ براءة المسلم وأمانه من صفة النفاق؛ وذلك لأنَّ أكثر صلاتين تصعبان على المنافق هما: الفجر، والعشاء، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أثقلُ الصلاة على المنافقين صلاةُ العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا" رواه البخاري ومسلم[٣].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا شكَّ في إيمان رجلٍ بحث عنه في صلاة الفجر، فإن لم يجده تأكَّد عنده الشك الذي في قلبه. فقد أخرج الإمام أحمد وغيره عن أُبي بن كعب- رضي الله عنه- قال: صلَّى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح ثم قال:" أَشَهِدَ فلانٌ الصلاة؟" قالوا: لا، قال:" ففلان"، فقالوا: لا، فقال:" إنَّ هاتين الصلاتين- أي الصبح والعشاء- مِن أثقل الصلاة على المنافقين، ولو يعلمون ما فيهما لأتوهما ولو حبوًا"[٤].

وروى ابن أبي شيبة بسندٍ صحيح عن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنه قال:" كنَّا إذا فقدنا الرجل في صلاة الفجر والعشاء أسأنا به الظنَّ"[٥].

وصلاة سنة الفجر خير من الدنيا وما فيها كما أخبر رسول الله ﷺ :" رَكْعتا الفجْرِ خيْرٌ مِنَ الدُّنيا ومَا فِيها" رواه مسلم[٦].

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٦٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٢) برقم (٦٥٧)كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٣٩) برقم (٦٣٢)كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١٥) برقم (٥٥٥)كتاب الأذان باب فضل العشاء في الجماعة. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٥١) برقم (٦٥١)كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٥/ ١٨٨) برقم (٢١٢٦٥). أبو داود في سننه (١/ ١٥١) برقم (٥٥٤)كتاب الجهاد باب في فضل صلاة الجماعة. والنسائي في السنن الكبرى (١/ ٤٤٤) برقم (٩١٩)كتاب المساجد، الجماعة إذا كانوا اثنين. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن النسائي (٢/ ٤٨٧).

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (١/ ٢٩٢) برقم (٣٣٥٣).

(٦) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٠١) برقم (٧٢٥)كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما وتخفيفهما، والمحافظة عليهما، وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما.



وأقسم الله تعالى بالفجر، فقال الله تعالى: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ وَلَيَالٍ عَشۡرٍ﴾[١].

الخلاصة: أنَّ مَن غاب عن صلاة الفجر عُرضةٌ لأن يُضرب عليه الكسل طول يومه، مع شعوره بضيقٍ في صدره، ويُصبحُ خبيث النفس كسلان، وهو ما أخبر به الحديث الذي صحَّ عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ قال:" يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد، يضرب على مكان كلِّ عقدة: عليك ليلٌ طويلٌ فارقد، فإن استيقظ فذكر الله انحلَّت عقدة، فإن توضَّأ انحلَّت عقدة، فإن صلَّى انحلَّت عقدة، فأصبح نشيطًا طيب النفس، وإلَّا أصبح خبيث النفس كسلان" رواه البخاري[٢].

وأخيرًا:

لا يغُرَّكَ عن صلاةِ الفجرِ نومٌ ... ركعتا الفجرِ خيرٌ مِنَ الحياةِ

قُمْ لا يلعبْ بك الشيطانُ قُمْ ... لا تقلْ: النوم خيرٌ مِن الصلاةِ[٣]

(١) الفجر: ١،٢.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٢) برقم (١١٤٢) كتاب التهجد باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل بالليل. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٣٨) برقم (٧٧٦) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح.

(٣) البيتان للشاعر عبد الله الطلحي الهذلي. ينظر:
https://twitter.com/talhi_abdullah/status/1158533099233468417?lang=ar

١٤ رجب

نعم المال الصالح للعبد الصالح

يُعَدُّ العمل الصالح من الأمور المهمة في الإسلام، حيث يُعدُّ العمل الصالح هو ثمرة الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر، وبالرسول محمد ﷺ؛ فالعمل الصالح يعكس الصورة العمليَّة لما يؤمن به المرء ويُقرُّه في قلبه، وما هو إلَّا وسيلة للقُرب من الله- عز وجل-، وهو سببٌ لتكفير السيئات وغفران الذنوب، ومَن آمن وقرن إيمانه بالعمل الصالح فقد فاز فوزًا عظيمًا، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾[1].

ويدخل في مُسمَّى العمل الصالح كلُّ عملٍ أَمَرَ الله تعالى به؛ سواء كان الأمر للوجوب أم للاستحباب، بالإضافة إلى كلِّ قربةٍ لله تعالى؛ سواء كانت مشروعة أم مباحة، ويجب أن تكون هذه الأعمال خالصةً لوجهه الكريم.

وإنَّ المال الصالح في يد الشخص الصالح؛ الذي يكسبه من حِلِّه وينفقه في حقِّه، لهو نعمة عظيمة، يجب عليه أن يشكر الله عليها، وشكْرُها يكون بالحفاظ عليها، وصرْفها فيما أمر الله به.

ومن المسلَّمات المعلومة بالضرورة؛ أنَّ المال زينة الحياة الدنيا، وأنَّه مطلوبٌ محبوبٌ، وأنَّ الإسلام لا يمنع طلبه عن طريق حلال، بل إنَّه يُحرِّض على كسبه، وحسن التصرُّف، لتُقضى به الحقوق، وتُؤدَّى الواجبات، وتُصان الحُرُمات، والمال في الحقيقة لا يُطلَب لذاته في هذه الدنيا، وإنَّما يُطلَب عادةً لما يضمنه من مصالح، ولما يُحقِّقه من منافع، إنه في حدِّ ذاته وسيلة لا غاية، والوسيلة عادة تُحمَد أو تُعاب بمقدار ما يترتَّب عليها من نتائج حسنة أو آثار سيئة، فالمال كالسلاح؛ إن كان في يد مُجرمٍ قتل به الأبرياء، وإن كان في يد مُجاهدٍ مُناضلٍ دافَع به عن دينه ونفسه وأهله ووطنه، وقد قال تعالى عن المال وما يسوقه من خيرٍ أو شرٍّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ وَمَا يُغْنِى عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[3].

إن الشيطان بحيله ومكره يُخوِّف المؤمنين من كسب المال، فينفر طالب الآخرة منه، ويُبادر التائب يُخرِج ما في يده، فإذا أخرجوا ما بأيديهم بذلوا أوَّل السلع في التحصيل؛ دينَهم وعِرْضَهم،

---

(١)العصر: ١-٣.

(٢)الليل: ٥-١١.

(٣)العلق: ٦-٧.



ويقفون في مقام اليد السفلى التي هي الدون، والعاقل مِن الناس مَن يسعى لكسب ماله وحفْظ ما معه؛ لينجو من مُداراة غنيّ ظالمٍ، أو مُداهنة بطرٍ جاهلٍ، وقد تعرض نوائب كالمرض يحتاج فيها إلى شيءٍ من المال؛ فلا يجد الإنسان بُدًّا من الاضطراب في طلبته، فيبذل عِرْضه أو دينه.

إن الإسلام يريد من أهله أن يكونوا أغنياء أقوياء، لا مهازيل ضعفاء، أغنياء بمالهم ليكون سياجًا للدين، ومددًا لتسليحه وحمايته، فقد قال تعالى في قيمة المال لإحراز النصر ورفع الشأن: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾[١]؛ فإنَّ الأمم تنتصر بعد توفيق الله؛ بالمال والبنين، ويوم يكون مالها أداة ترفٍ، ومصدر استعلاءٍ وطغيانٍ، ويوم يكون به الأغنياء أحلاس لهو ولعب؛ فالويل والخسران لأمَّةٍ أورثها مالُها هذه الحال.

لما فُقِدَ المالُ الصالحُ من يد الرجل الصالح؛ بُليت المجتمعات بطائفتين مُنحرِفتين: الأولى منهما هي: طائفة الأثرياء المترفين، الذين ضعُف عند بعضهم الخُلُق والدين، واستخفُّوا بقواعد الإيمان ومبادئ الإسلام، يأكلون كما تأكل الأنعام، ويشربون شُرْب الهيم، دون أن يُؤدُّوا واجبًا لدينهم أو مجتمعهم، يتعاملون في الشرف على أصول من المعدة، لا من الروح، وإذا عظَّموا الدينار والدرهم فإنَّما عظَّموا النفاق والطمع والكذب، إذ إنَّ حرصهم فوق بصيرتهم، ولهم في النفوس رائحة الخبز، دينهم في مقاييس البشر: خمس وخمس تساوي عشرة، وسجاياهم المتكرِّرة: منع وهات؛ بل هات وهات، لكنهم مع ذلك لا يجدون في المال معنى الغنى، إذ كم من غنيٍّ يجد وكأنَّه لم يجد إلَّا عكس ما كان يجد!

والطائفة الثانية: طائفة المفلسين القعدة؛ الذين يستثمرون في الكسل والبطالة والتشرُّد، دون مالٍ يملكونه، أو عملٍ يُؤدُّونه، ومع ذلك يُطلقون لأنفسهم العنان في مباءات من الانحلال والمعاصي، فيجمعون بين السوأتَينِ؛ ضلالٍ وإفلاسٍ قبيحَينِ.

إن الذين يكسلون ولا يربحون، ثم يتسوَّلون أو يحتالون باسم التكسُّب أو العيش؛ ليسوا على سواء الطريق، والذين يُحبُّون المال حبًّا جمًّا، حتى يعميهم عن دينهم وأخلاقهم، وخلواتهم القلبية وخلواتهم الروحية؛ ليسوا على سواء الطريق أيضًا؛ إذ كلا طرفي قصْد الأمور ذميم، وخير الأمور الوسط، والوسط ما قاله رسول الهُدى ﷺ:" نعم المال الصالح للرجل الصالح" رواه أحمد[٢].

---

(١) الإسراء: ٦.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٩/ ٢٩٩) برقم (١٧٧٦٣) ولفظه: "يا عمرو، نعما بالمال الصالح للرجل الصالح". والحديث صححه الألباني كما في صحيح الأدب المفرد (ص: ١٢٦). صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حقق أحاديثه وعلق عليه: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الطبعة: الرابعة، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.



قال الشيخ الشنقيطي- رحمه الله-: فالمال الصالح يتوقَّف على حكم مِن الله بصلاحه، والرجل الصالح المراد به: مَن أصلح الله سريرته، وأصلح الله علانيته، فإنَّ الرجل إذا باع بيعه واتَّقى الله في بيعه، فهي شهادةٌ من النبي ﷺ بصلاحه، وهذا خيرٌ للتاجر الصالح: أن يظفر بتزكية النبي ﷺ له بكونه صالحًا، فالرجل الصالح هو الذي يسلم من الدَّخَل في قلبه، فإذا جاء إلى دكانه أو إلى بقالته أو إلى متجره أو إلى محلِّ عمله دخل وقلبه نقيًّا للمسلمين، يُحبُّ لهم ما يُحبُّ لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه، فإن بلغ ذلك فقد نصح لله ورسوله ﷺ ولعباده المؤمنين؛ فهذا جريرٌ اشترى فرسًا، وأعجبه هذا الفرس، فجاء إلى بائع الفرس وزاده في المال، ثمَّ ذهب وركب الفرس فأعجبه، فرجع ثانية وزاده في المال، ثم ركب مرة ثالثة فأعجبه فجاء إلى الرجل وزاده، فنظر إليه الرجل-كأنَّه يظنُّ أنَّ جريرًا به شيء في عقله- فقال جرير- رضي الله عنه-:" بايعتُ رسول الله ﷺ على السمع والطاعة، والنصيحة لكل مسلم" رواه البخاري ومسلم[١]. فلن أغشَّك، رأيتُ أنَّ فرسك هذا يستحقُّ أكثر؛ فلذلك زدتُك[٢].

الخلاصة: إنَّ العمل- مهما كان حقيرًا- فهو خيرٌ من البطالة، وخيرٌ من سؤال أحدٍ من ذوي المال؛ إن أعطاه فقد حمل ثقل المنَّة مع ذُلِّ السؤال، وإن منعه فقد باء بذلِّ الخيبة مع ذلِّ السؤال، والعزُّ بلا سؤال ألذُّ من كلِّ لذةٍ بسؤال، والخروج عن ربقة المنن ولو بسفِّ التراب أفضل، وإنَّ نفس الحُرِّ لتحتمل الظمأ، حتى لقد قال الفاروق:" مكسبة في دناءة خيرٌ من سؤال الناس"[٣]، ولقد قال لقمان لابنه:" يا بُنيَّ؛ استغنِ بالكسب الحلال، فإنَّه ما افتقر أحدٌ إلَّا أصابته إحدى ثلاث خصال: رقَّة في دينه، أو ضعْف في عقله، أو وهاء في مروءته، وأعظم من هذا استخفاف الناس به"[٤].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢١) برقم (٥٧) كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: " الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ". ومسلم في صحيحه (١/ ٧٥) برقم (٥٦) كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة.

(٢) ينظر: دروس للشيخ محمد المختار الشنقيطي (٢٢/ ٨، بترقيم الشاملة آليا). دروس للشيخ محمد المختار الشنقيطي، المؤلف: محمد بن محمد المختار الشنقيطي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

(٣) ذكره ابن قتيبة في المسائل والأجوبة لابن قتيبة (ص: ٢٩٢) بلفظ: "مَكْسَبَةٌ فيها بَعْضُ الرِّيبَةِ خَيرٌ من مَسْأَلةِ النَّاسِ". المسائل والأجوبة في الحديث والتفسير، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (٢١٣ - ٢٧٦ هـ)، المحقق: مروان العطية - محسن خرابة، الناشر: دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٤) ينظر: مختصر منهاج القاصدين (ص: ٨٢). مُخْتَصَرُ مِنْهَاجِ القَاصِدِينْ، المؤلف: نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٩هـ)، قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان، الناشر: مكتَبَةُ دَارِ البَيَانْ، دمشق، عام النشر: ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.



١٥ رجب

فضل سورة الكهف

يحرص الكثير من الناس على قراءة سورة الكهف يوم الجمعة من كل أسبوع؛ كما أوصانا الرسول صلى الله عليه وسلم، وكما كان يفعل، ويرجع السبب في ذلك إلى فضائل سورة الكهف العديدة، وتُعدُّ سورة الكهف من السور المكِّيَّة في القرآن الكريم، ومن حيث ترتيب المصحف فهي السورة الثامنة عشر، حيث تأتي بعد سورة الإسراء، وتلحقها سورة مريم، ويبلغ عدد آياتها ١١٠ آية، كما أنَّها إحدى السور الخمس التي تبدأ بحمد الله تعالى.

قال أحد السلف:" إذا أردتَ أن يُكلِّمَكَ اللهُ فعليك بقراءة القرآن، وإذا أردتَ أن تُكلِّم اللهَ فعليك بالدعاء، وإذا أردتَ أن تُكلِّم اللهَ ويُكلِّمَكَ فعليك بالصلاة"[١]، وكان الحسن يقول: روي أنَّ عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال:" أيها الناس؛ اقرأوا القرآن، وابتغوا ما عند الله عز وجل بقراءته، مِن قبل أن يقرأَه قومٌ يبتغون به ما عند الناس"[٢].

فقراءة القرآن الكريم لها فضل كبير على المسلم، وقد خصَّ الله بعض السور والآيات بمزيد من الفضل، وخصوصًا إذا قُرئت في وقت مُعيَّن، فقراءة سورة الكهف كل يوم جمعة تقي من فتنة المسيح الدجال، حيث قال ﷺ:" مَن حفِظ عشر آيات من أول سورة الكهف وتدبَّرها؛ عُصم من الدجال" رواه مسلم[٣]، أي: حفِظه الله ووقاه من فتنة الدجال؛ الذي يخرج في آخر الزمان ويدَّعي الألوهية.

وسورة الكهف نورٌ لمن يقرأها؛ عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ قال:" مَنْ قرأَ سورةَ الكهفِ كما أُنْزِلَتْ كانَتْ لهُ نُورًا يومَ القيامةِ، من مَقَامِهِ إلى مكةَ، ومَنْ قرأَ عشرَ آياتٍ من آخِرِها ثُمَّ خرجَ الدَّجَّالُ لمْ يَضُرَّهُ" رواه الألباني في السلسلة الصحيحة[٤].

والنور المذكور قد يكون نورًا معنويًّا؛ والمعنى أنَّ مَن قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة كان ذلك مانعًا له من المعاصي، هاديًا إلى الصواب ما بين الجمعتين، كما أنَّ النور يُستضاء به، وقد يكون نورًا حسيًّا؛ بمعنى أنَّه يسطع له نورٌ مِن تحت قدمه بحيث يكون ظاهرًا على وجهه يوم القيامة، وفي الدنيا يكون على وجهه أيضًا نورٌ وبهاء.

---

(١) لم أقف على قائله.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٦/ ١٢٥) برقم (٣٠٠٠٣).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٥) برقم (٨٠٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي.

(٤) ينظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ٣١٢).



وتُستحبُّ قراءة سورة الكهف كلَّ يوم جُمعة، فقد كان الصحابيُّ الجليل عبد الله بن عمر- رضي الله عنه- يقرأها؛ لِما لها من الثواب والأجر الكبير، إلَّا أنَّ أغلب الأحاديث التي وردت في بيان فَضل قراءتها ضعيفة الإسناد، ولكن يؤخذ بها في فضائل الأعمال، كما أنَّها يُقوِّي بعضُها بعضًا، ولذلك فإنَّ قراءة سورة الكهف يوم الجمعة سُنَّة.

وسورة الكهف تحمي وتحفظ قارئها من فتنة المسيح الدجال، وذلك بحفظه لأوَّل عشر آياتٍ منها، وقد ورد عن أبي الدرداء- رضي الله عنه- أنَّ النبي ﷺ قال:" مَن حَفِظَ عَشْرَ آياتٍ مِن أوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ" رواه مسلمٌ[١]. وما أخرجه مُسلمٌ أيضًا في صحيحه بحديثٍ طويلٍ يتعلَّق بالدجَّال:" فمَن أَدْرَكَهُ مِنكُمْ فَلْيَقْرَأْ عليه فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ"[٢]، وقيل: إنَّها آخر عشر آياتٍ من سورة الكهف، كما ورد في الرواية التي أخرجها ابن حبَّان:" مَن قرَأ عَشْرَ آياتٍ من آخِرِ الكهفِ عُصِم مِن الدَّجَّالِ"[٣].

كما تؤكِّد سورة الكهف أنَّ الله مع مَن آمن به، والتزم طاعته، وصار على نهجه، يدافع عنه بطرقٍ ربما يصعب على العقل البشري إدراكها، ويظهر لنا هذا بوضوح في قصة أصحاب الكهف، هؤلاء الفتية الذين آمنوا بربهم، وخرجوا من بلادهم ليحافظوا على دينهم، ولجأوا إلى كهف في الجبل، ليمكثوا فيه حتى يأتي الصبح، فألقى الله عليهم النوم ثلاثمائة وتسع سنين، ثم بعثهم الله بعد تلك المدَّة الطويلة ليكونوا آية تشهد على قدرة الله وعظمته وحفْظه للمؤمنين.

وأيضًا سورة الكهف تُؤكِّد أنَّ الشرَّ والخير فتنة، وأنَّ الابتلاء كما يكون بالنقم والبلايا يكون أيضًا بالنعم والعطايا، قال تعالى:﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ﴾[٤]، وهذا الملمح

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٥) برقم (٨٠٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل سورة الكهف، وآية الكرسي.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٥٠) برقم (٢٩٣٧) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب ذكر الدجال وصفته وما معه.

(٣) رواه ابن حبان في صحيحه (٣/ ٦٦) برقم (٧٨٦) كتاب الرقائق، ذكر البيان بأن الآي التي يعتصم المرء بقراءتها من الدجال هي آخر سورة الكهف. وصححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ١٨٣). التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

(٤) الأنبياء: ٣٥.



نتعلَّمه من سورة الكهف من خلال صاحب الجنتين، الذي كان من الأغنياء؛ ومع ذلك بدلًا من أن يشكر الله على هذه النعمة كفر، فأخذها الله منه.

وسورة الكهف تُعلِّمنا أنَّ فوق كلِّ ذي علمٍ عليم، وأنَّ المعرفة دائمًا نسبيَّة، وأنَّ الإنسان مهما بلغ من العلم؛ فعلمه قليل، قال تعالى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾(١)، وأنَّ الإنسان مهما أوتي من المعرفة؛ فهناك مَن هو أكثر معرفة وعلمًا ودراية منه، قال تعالى: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾(٢)، وهذا الملمح نتعلَّمه من سورة الكهف من خلال قصة سيدنا موسى- عليه السلام- مع الخضر، وما جرى من الأمور الغيبية التي أطلع الله عليها ذلك العبد الصالح، ولم يُحِطْ بها علمًا نبي الله موسى- عليه السلام-، حتى أعلمه بها ذلك العبد الصالح.

أمَّا عن وقت قراءة سورة الكهف يوم الجُمعة فلم تُحدَّدْ بزمنٍ، إنَّما تكون في أي وقتٍ من يوم الجمعة، سواءً أوَّل اليوم، أو آخره، أو أوسطه، دون تحديد أي مكانٍ، فتصحُّ في المسجد، أو في الطريق إليه، وغير ذلك من المواضع، ويُعرَف اليوم في الاصطلاح الشرعي ويُقدَّر من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وقال بعض العلماء: إنَّ قراءة الكهف تكون من وقت غروب الشمس في يوم الخميس حتى غروب شمس يوم الجمعة، حيث أضاف المناوي: يندب قراءتها يوم الجمعة، وكذا ليلتها كما نص عليه الشافعي(٣).

وأكَّد العلماء على أنَّ قراءتها مُستحبَّة للمسلم لما ذُكر من فضلها في الأحاديث الشريفة.

والخلاصة: سُئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- عن قراءة سورة الكهف في يوم الجمعة وليلتها؛ أهو عملٌ مندوبٌ؟ فأجاب: قراءة سورة الكهف يوم الجمعة عملٌ مندوبٌ إليه، وفيه فضلٌ، ولا فرق في ذلك بين أن يقرأها الإنسان من المصحف، أو عن ظهر قلب، واليوم الشرعي من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، وعلى هذا فإذا قرأها الإنسان بعد صلاة الجمعة أدرك الأجر، بخلاف الغسل يوم الجمعة، لأنَّ الغسل يكون قبل الصلاة لأنَّه اغتسالٌ لها فيكون مُقدَّمًا عليها(٤).

---

(١) الإسراء: ٨٥.

(٢) يوسف: ٧٦.

(٣) التيسير بشرح الجامع الصغير (٢/ ٤٣٦). التيسير بشرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي – الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

(٤) فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٥/ ٢، بترقيم الشاملة آليا). فتاوى نور على الدرب، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، [الكتاب مرقم آليا].



وقد حاول الشاعر أن يجمع بعضًا من الدروس المستفادة من سورة الكهف فقال:

الكهــــفُ مَنجَـــاةٌ وفيـــه الـــزادُ	مِــنْ فِتْيَــةٍ هَرَبُــوا؛ لِكَــيْ يَــرْتَادُوا
وَذَوَا الجِنَـــانِ تَجَـــادَلَا أَنْ رُبَّمَـــا	يُجْنَى مِـنَ البُسْـتَانِ مَـا يُعْتَـادُ لَا
وَالمِـــالُ زِينَـــةُ رَبِّـــهِ، وَكَــذَا ابْنُـــهُ	تَشْـــــــغَلَنَّكَ زِينَـــــــــةٌ وَوِلَادُ
إِبْلِـــيسُ يَأْبَى أَنْ يُبِيتَـــكَ مُؤْمِنًـــا	فَالنَّـــارُ خِلْقَتُـــهُ وَأَنْـــتَ رَمَـــادُ
هَـــذَا كَلِـــيمُ اللهِ يَطْلُـــبُ عَالِمًـــا	عَبْـــدًا تَعَلَّـــمَ مِـــنْ لَدُنْـــهُ عِبَـــادُ
وَأَخُـــوهُ ذُو القَـــرْنَيْنِ يَبْلُـــغُ مَغْـــرِبًا	وَالشَّـــرْقَ، يَعْـــدِلُ حُكْمَـــهُ أَوْتَادُ
السَّـــدُّ يَبْنِيـــهِ الحَدِيـــدَ بِقَطْـــرِهِ	وَيَمُوجُ كلُّ النَّاسِ حَيْثُ مِدَادُ إِنَّ
يَا قَارِئِينَ الكَهْفَ صَلُّـــوا تَسْعَدُوا	الصَّـــــــلاةَ عَلَى الحَبِيبِ عِمَادُ[1]

(١) الأبيات للشاعر محمد حجاج من قصيدة بعنوان أنوار الكهف. ينظر موقع الألوكة:



١٦ رجب

فضل آية الكرسي

آية الكرسي سيدة آي القرآن الكريم، وهي أعظم آية في القرآن،وهي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[(١)].

قال الشيخ السعدي- رحمه الله- في تفسيرها: هذه الآية الكريمة أعظم آيات القرآن وأفضلها وأجلُّها، وذلك لما اشتملت عليه من الأمور العظيمة والصفات الكريمة، فلهذا كثرت الأحاديث في الترغيب في قراءتها، وجعْلِها وِردًا للإنسان في أوقاته صباحًا ومساءً، وعند نومه وأدبار الصلوات المكتوبات، فأخبر تعالى عن نفسه الكريمة بأن {لا إله إلا هو} أي: لا معبود بحقٍّ سواه، فهو الإله الحقُّ الذي تتعيَّن أن تكون جميع أنواع العبادة والطاعة والتألُّه له تعالى، لكماله وكمال صفاته وعظيم نعمه، ولكون العبد مُستحِقًّا أن يكون عبدًا لربه، مُمتثِلًا أوامره، مُجتنِبًا نواهيه، وكلُّ ما سوى الله تعالى باطلٌ، فعبادة ما سواه باطلة، لكون ما سوى الله مخلوقًا ناقصًا، مُدبَّرًا فقيرًا من جميع الوجوه، فلم يستحق شيئًا من أنواع العبادة، وقوله:{ الحي القيوم} هذان الاسمان الكريمان يدلَّان على سائر الأسماء الحسنى دلالة مُطابَقة وتضمُّنًا ولزومًا، فالحيُّ مَن له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات، كالسمع والبصر والعلم والقدرة، ونحو ذلك، والقيوم: هو الذي قام بنفسه وقام بغيره، وذلك مُستلزِمٌ لجميع الأفعال التي اتَّصف بها ربُّ العالمين، مِن فعله ما يشاء مِن الاستواء والنزول، والكلام والقول، والخلق والرزق، والإماتة والإحياء، وسائر أنواع التدبير، كلُّ ذلك داخلٌ في قيوميَّة الباري، ولهذا قال بعض المحقِّقين: إنَّهما الاسم الأعظم؛ الذي إذا دُعِي الله به أجاب، وإذا سُئِل به أعطى، ومن تمام حياته وقيوميَّته أن { لا تأخذه سِنَة ولا نوم}، والسِّنة النُّعاس { له ما في السماوات وما في الأرض} أي: هو المالك، وما سواه مملوك، وهو الخالق الرازق المدبِّر، وغيره مخلوقٌ مرزوقٌ مُدبَّرٌ لا يملك لنفسه ولا لغيره مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، فلهذا قال:{ مَن ذا الذي يشفع عنده إلَّا بإذنه} أي: لا أحد يشفع عنده بدون إذنه، فالشفاعة كلُّها لله تعالى، ولكنَّه تعالى إذا أراد أن

---

(١) البقرة: ٢٥٥.

يرحم مَن يشاء مِن عباده؛ أذِن لمِن أراد أن يُكرمه مِن عباده أن يشفع فيه، لا يبتدئ الشافعُ قبل الإذن، ثم قال:{ يعلم ما بين أيديهم} أي: ما مضى مِن جميع الأمور، { وما خلفهم} أي: ما يستقبل منها، فعلْمُه تعالى مُحيطٌ بتفاصيل الأمور، مُتقدِّمها ومُتأخِّرها، بالظواهر والبواطن، بالغيب والشهادة، والعباد ليس لهم مِن الأمر شيء، ولا من العلم مثقال ذرة إلَّا ما علَّمهم تعالى، ولهذا قال:{ ولا يحيطون بشيءٍ مِن علمه إلَّا بما شاء وسِع كرسيُّه السماوات والأرض}، وهذا يدلُّ على كمال عظمته وسعة سلطانه، إذا كان هذه حالة الكرسي- أنَّه يسع السماوات والأرض على عظمتهما وعظمة مَن فيهما، والكرسي ليس أكبر مخلوقات الله تعالى، بل هنا ما هو أعظم منه وهو العرش، وما لا يعلمه إلَّا هو، وفي عظمة هذه المخلوقات تتحيَّر الأفكار وتكلُّ الأبصار، وتُقلقَل الجبال، وتكعُّ عنها فحول الرجال- فكيف بعظمة خالقها ومُبدِعها، والذي أودع فيها من الحِكَم والأسرار ما أودع، والذي قد أمسك السماوات والأرض أن تزولا من غير تعب ولا نصب، فلهذا قال:{ ولا يؤوده} أي: لا يُثقله{ حفظهما وهو العليُّ} بذاته فوق عرشه، العليُّ بقهره لجميع المخلوقات، العليُّ بقدره لكمال صفاته،{ العظيم} الذي يتضاءل عند عظمته جبروت الجبابرة، وتصغر في جانب جلاله أنوف الملوك القاهرة، فسبحان مَن له العظمة العظيمة، والكبرياء الجسيمة، والقهر والغلبة لكلِّ شيءٍ، فقد اشتملت هذه الآية على توحيد الإلهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، وعلى إحاطة ملكه، وإحاطة علمه، وسعة سلطانه، وجلاله ومجده، وعظمته وكبريائه، وعلوِّه على جميع مخلوقاته، فهذه الآية بمفردها عقيدة في أسماء الله وصفاته، متضمِّنة لجميع الأسماء الحُسنى، والصفات العُلا[(١)].

ودلَّت السنة النبوية على فضل قراءة آية الكرسي دبر الصلاة، فروى أبو أمامة الباهلي- رضي الله عنه- عن رَسُول اللَّهِ ﷺ أنَّه قال:" مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا الْمَوْتُ" رواه النسائي[(٢)].

كذلك إذا داوم الإنسان على قراءة آية الكرسي في كلِّ ليلةٍ قبل النوم؛ فإنَّها تحميه من الشيطان الرجيم، كما أنَّه إذا تُوفِّيَ في هذه الليلة دخل الجنة.

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١١١).

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى (٩/ ٤٤) برقم (٩٨٤٨) كتاب عمل اليوم والليلة، ثواب من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ١١٠٣). صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.



والدليل على ذلك ما ورد إلينا عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّه قال:" وكَّلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آتٍ فجعل يحثو من الطعام، فأخذتُه وقلتُ: واللهِ لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ، قال: إنِّي مُحتاجٌ، وعليَّ عيالٌ، ولي حاجة شديدة، قال: فخليتُ عنه فأصبحتُ، فقال النبي ﷺ: يا أبا هريرة؛ ما فعل أسيرُك البارحة؟ قال: قلتُ: يا رسول الله؛ شكا حاجةً شديدةً، وعيالًا فرحمتُه، فخليتُ سبيله، قال: أما إنَّه قد كذبك وسيعود، فعلمتُ أنَّه سيعود لقول رسول الله ﷺ إنَّه سيعود، فرصدتُه، فجاء يحثو من الطعام، فأخذتُه فقلتُ: لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني؛ فإنِّي مُحتاجٌ، وعليَّ عيالٌ، لا أعود. فرحمتُه فخليتُ سبيله فأصبحتُ، فقال لي رسول الله ﷺ: يا أبا هريرة؛ ما فعل أسيرُك؟ قلتُ: يا رسول الله؛ شكا حاجةً شديدةً، وعيالًا فرحمتُه فخليتُ سبيله، قال: أما إنَّه قد كذبك وسيعود. فرصدتُه الثالثة، فجاء يحثو مِن الطعام فأخذتُه فقلتُ: لأرفعنَّك إلى رسول الله، وهذا آخر ثلاث مرَّاتٍ أنَّك تزعم لا تعود ثم تعود. قال: دعني أعلِّمك كلمات ينفعك الله بها، قلتُ: ما هي؟ قال: إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ حتَّى تختم الآية، فإنَّك لن يزال عليك من الله حافظٌ، ولا يَقربنَّك شيطانٌ حتَّى تُصبح. فخليتُ سبيله فأصبحتُ، فقال لي رسول الله ﷺ: ما فعل أسيرُك البارحة؟ قلتُ: يا رسول الله؛ زعم أنَّه يُعلِّمني كلماتٍ ينفعني الله بها فخلَّيتُ سبيله. قال: ما هي؟ قلتُ: قال لي: إذا أويتَ إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أوَّلها حتَّى تختم الآية: ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وقال لي: لن يزال عليك مِن الله حافظٌ، ولا يقربك شيطانٌ حتَّى تُصبح. وكانوا أحرص شيءٍ على الخير، فقال النبي ﷺ: أما إنَّه قد صدقك وهو كذوب! تعلم مَن تُخاطب منذ ثلاث ليالٍ يا أبا هريرة؟ قلتُ: لا، قال: ذاك الشيطان" رواه البخاري(١).

الخلاصة: آية الكرسي مِن الآيات التي إذا قام الإنسان بقراءتها فهي بإذن الله تكون كافية وشافية من كل داء، وهي ذات حصن حصين من كلِّ سوءٍ وشرٍ، فإنَّ آية الكرسي من الآيات التي تكون حصنًا من السحر، وحصنًا من المسِّ والعين. ومَن قام بالحفاظ على قراءتها فإنَّه يكون في حفْظ الله سبحانه وتعالى، فإذا مسه ضرٌّ أو أصابه داء وقام بقراءتها شُفِيَ من كلِّ ما فيه. فآية الكرسي من الآيات التي جعلها الله عز وجل حرزًا من الشياطين والجن، والسحرة والمشعوذين الدجَّالين، فمَن يقوم بقراءتها عندما يصبح فقد حفظه الله من كلِّ سوءٍ وشرٍّ حتَّى يُمسي، ومَن يقرأها حين يُمسي فقد حفظه الله عز وجل من كلِّ سوءٍ وشرٍّ حتَّى يُصبح.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٠١) برقم (٢٣١١) كتاب الوكالة باب إذا وكل رجلا، فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز.



١٧ رجب

فضل سورة الفاتحة

سورة الفاتحة هي سورة مكِّيَّة، نزلت في مكَّة المكرمة استنادًا لقوله تعالى في سورة الحجر: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾(١). والمقصود بالسبع المثاني أي سورة الفاتحة، وعدد آياتها سبع آيات إجماعًا، ولكن هناك عددًا من العلماء والمفسِّرين لم يَعُدُّوا البسملة آيةً من آيات سورة الفاتحة، واعتبروا قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾(٢)، آيتين منفصلتين؛ تنتهي الأولى عند لفظ عليهم، وتبدأ الثانية عند لفظ غير، وبذلك تكون السورة سبع آيات من دون البسملة، كما قال العديد من أهل العلم أنَّ سورة الفاتحة من أوائل ما نزل من القرآن الكريم في مكة المكرمة حين فُرضت الصلاة، وقيل: نزلت مرَّة أخرى في المدينة المنوَّرة عند تحويل القبلة، وهي أوَّل سورة في ترتيب سور القرآن الكريم، ولا شكَّ في أنَّ افتتاح الكتاب العزيز بهذه السورة برهانٌ على فضلها ومكانتها ورفعة قدرها، وهي ركنٌ من أركان الصلاة، لا تصحُّ الصلاة إلَّا بها؛ فلقد روى البخاري ومسلم عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ- رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ:" لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ"(٣)، وهي أفضل وأعظم سورةٍ وردت في القرآن الكريم، وذلك مصداقًا لقول رسول الله ﷺ:" لَأُعَلِّمَنَّكَ سُورَةً هي أعْظَمُ سُورَةٍ في القُرْآنِ، قالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ، هي السَّبْعُ المَثانِي، والقُرْآنُ العَظِيمُ الذي أُوتِيتُهُ" رواه البخاري(٤).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: أَتُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ؟ قَالَ: فَقَرَأَ أُمَّ الْقُرْآنِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الْإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا" رواه الترمذي(٥).

---

(١) الحجر: ٨٧.

(٢) الفاتحة: ٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٥١) برقم (٧٥٦) كتاب الأذان باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها، في الحضر والسفر، وما يجهر فيها وما يخافت. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٩٥) برقم (٣٩٤) كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٧) برقم (٤٤٧٤) كتاب تفسير القرآن باب ما جاء في فاتحة الكتاب.

(٥) رواه أحمد في مسنده (١٤/ ٣١١) برقم (٨٦٨٢). والترمذي في جامعه (٥/ ١٥٥) برقم (٢٨٧٥) أبواب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل فاتحة الكتاب. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ١٠٨) برقم (١١١٤١) كتاب التفسير، قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول} [الأنفال: ٢٤]. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٣٧٥) .

وسورة الفاتحة رقيةٌ للمريض، وفيها شفاءٌ للناس، ودليل ذلك إقرار النبي ﷺ لجماعةٍ من الصحابة الرقية بالفاتحة، إلَّا أنَّ الرقية بها لا تنفع إلَّا بتحقُّق عددٍ من الشروط الواجب أخْذُها بعين الاعتبار، ودليل ما سبق ما رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- أنَّه قال:" أنَّ نَاسًا مِن أصْحَابِ النبيِّ ﷺ أتَوْا علَى حَيٍّ مِن أحْيَاءِ العَرَبِ فَلَمْ يَقْرُوهُمْ، فَبيْنَما هُمْ كَذلكَ؛ إذْ لُدِغَ سَيِّدُ أُولَئِكَ، فَقالوا: هلْ معكُمْ مِن دَوَاءٍ أوْ رَاقٍ؟ فَقالوا: إنَّكُمْ لَمْ تَقْرُونَا، ولَا نَفْعَلُ حتَّى تَجْعَلُوا لَنَا جُعْلًا، فَجَعَلُوا لهمْ قَطِيعًا مِنَ الشَّاءِ، فَجَعَلَ يَقْرَأُ بأُمِّ القُرْآنِ"[١].

قال ابن القيم- رحمه الله-: فأمَّا اشتمالها على شفاء القلوب؛ فإنَّها اشتملت عليه أتمَّ اشتمال، فإنَّ مدار اعتلال القلوب وأسقامها على أصلين: فساد العلم، وفساد القصد، ويترتَّب عليهما داءان قاتلان؛ وهما الضلال والغضب، فالضلال نتيجة فساد العلم، والغضب نتيجة فساد القصد، وهذان المرضان هما ملاك أمراض القلوب جميعها، فهداية الصراط المستقيم تتضمَّن الشفاء من مرض الضلال، ولذلك كان سؤال هذه الهداية أفرض دعاء على كلِّ عبدٍ وأوجبه عليه كلَّ يومٍ وليلةٍ في كلِّ صلاةٍ، لشدَّة ضرورته وفاقته إلى الهداية المطلوبة، ولا يقوم غير هذا السؤال مقامه[٢].

كذلك من فضائلها أنَّها تُعين على قضاء حوائج الناس، فعندما تقرأ قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[٣]؛ فإنَّك استعنتَ بالله- عز وجل- في قضاء حاجتك، وهذا شاهدٌ على الاستعانة بالله في قضاء الحوائج؛ إذ يقول للشيء: كن فيكون. كما أنَّ تلاوة هذه السورة تُعين العباد على تسيير شتى أمورهم وتحلُّها بإذن الله تعالى، فإذا قمتَ بقراءة هذه السورة بتدبُّر؛ ستجد حقًّا صفات الله وتدابيره، وقراءة هذه السورة تُؤدِّي إلى القضاء بالعدل عند الوقوف مع أي خصم.

كذلك لسورة الفاتحة فضل عظيم في استجابة الدعاء، من خلال التدبُّر والتفكُّر في دلالات ومعاني قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾[٤]، والذي يدلُّ على أنَّ التوجُّه إلى الله بإخلاص وصدق، والتوسُّل إليه وسؤاله سبحانه

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٣١) برقم (٥٧٣٦) كتاب الطب باب الرقى بفاتحة الكتاب. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٢٧) برقم (٢٢٠١) كتاب السلام باب جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار.

(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٧٦). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م.

(٣) الفاتحة: ٥.

(٤) الفاتحة: ٦- ٧.



الهداية للصراط المستقيم، وهو دليلٌ على استجابة الله للدعاء، ورضا ربِّ العالمين عن الناس، واستجابة دعائهم بدخول الجنة والإقامة فيها بنعيم.

ولفضل سورة الفاتحة في تحقيق المناجاة مع الله؛ فرَض الله على كلِّ مسلمٍ قراءة سورة الفاتحة في كلِّ ركعةٍ يُؤدِّيها، وجُعِلتْ رُكنًا من أركان الصلاة؛ لا تُقبَل الصلاة إلَّا بها، يُكرِّرُها العبد على الأقل سبعة عشرة مرَّة كلَّ يومٍ، وذلك مصداقًا لقول رسول اللَّهِ ﷺ:" كلُّ صلاةٍ لَا يُقرَأُ فيها بفاتحةِ الكِتابِ فهي خِداجٌ، كلُّ صَلاةٍ لَا يُقرَأُ فيها بفاتحةِ الكِتابِ فهي خِداجٌ، كلُّ صلاةٍ لَا يُقرَأُ فيها بفاتحةِ الكِتابِ فهي خداجٌ" رواه ابن حبَّان[١]، ويُقصد بلفظ خِداج: الفساد.

قال النووي: فيه وجوب قراءة الفاتحة، وأنَّها مُتعيِّنةٌ لا يُجزي غيرُها إلَّا لعاجزٍ عنها، وهذا مذهب مالك والشافعي وجمهور العلماء من الصحابة والتابعين ومَن بعدهم[٢].

كما أنَّ قراءة سورة الفاتحة في الصلاة تتحقّق فيها المناجاة بين العبد وربِّه، فإذا قال العبد:" الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"؛ قال الله:" حَمَدَنِي عبدي"، وحين يقول العبد:" الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ"؛ يأتيه الجواب مِن الله: أن" أثنى عليَّ عبدي"، وأثنى: أي كرَّر الحمد مرَّةً ثانيةً، فالحمد وصفٌ بالكمال والإفضال، مع المحبَّة والتعظيم. وبقول:" مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ"؛ يقول الله:" مجَّدني عبدي"، ممَّا يدلُّ على العظمة والمِلْك، وحين يقرأ العبد:" إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ"؛ يقول الله تعالى:" هذا بيني وبين عبدي، ولعبدي ما سأل" رواه مسلم[٣].

وسُمِّيتْ سورة الفاتحة بأمِّ القرآن وأمِّ الكتاب لأنَّها تشتمل على معاني القرآن بشكلٍ عامٍّ، فيما يتعلَّق بالتوحيد والأحكام، وفي العادة يُقال: إنَّ للشيء أُمًّا إن كان له مرجِعٌ يرجع إليه، وعلامةً تُقصد ويُتجَّه إليها.

والخلاصة: أنَّ سورة الفاتحة تشتمل على أفضل الدعاء؛ بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم، كما أنَّها تشتمل على آداب الدعاء؛ بالحمد أوَّلًا، ثمَّ الثناء، ثمَّ التمجيد، وإفراد العبودية لله، والاستعانة به دون سواه، قال رسول الله ﷺ:" إذا صلَّى أحدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللهِ والثَّناءِ عليهِ، ثُمَّ لْيُصَلِّ على النبيِّ ﷺ ثُمَّ لْيَدْعُ بَعْدُ بِمَا شَاءَ" رواه الترمذي[٤].

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه (٥/ ٨٩) برقم (١٧٨٨). والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٣/ ٢٩٨).

(٢) شرح النووي على مسلم (٤/ ١٠٢).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٩٦) برقم (٣٩٥) كتاب الصلاة باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وإنه إذا لم يحسن الفاتحة، ولا أمكنه تعلمها قرأ ما تيسر له من غيرها.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ٣٦٣) برقم (٢٣٩٣٧). والترمذي في جامعه (٥/ ٥١٧) برقم (٣٤٧٧) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ٤٧٧).

فالسورة على قصرها تشتمل على أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبيَّة، وتوحيد الألوهيَّة، وتوحيد الأسماء والصفات.

قال الشاعر:

فَضْــلًا إلهــي خَصَّنــا سُبْحانَــهُ بِــالفَاتِحَهْ
سَبْعُ المَثَاني سُوْرَةٌ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ فَاتِحَهْ حَمْدًا
عَلَى نَعْمَائِهِ قَدْ أوْجَبَتْ مَدَائِحَهْ بِهَا الكُنُوزُ
تُغْتَنَمْ هِيَ التِّجَارَةْ الرَّابِحَهْ أنْتَ الرَّحِيمُ رَحْمَتَكْ
عَلَى العِبَادِ سَابِحَهْ يَا مَالِكًا يَوْمَ اللِّقَاءِ اهْدِ
القُلُوبَ الجَانِحَهْ العَابِدِينَ اللهَ هُمْ أهْلُ الفِعَالِ
الرَّاجِحَهْ إيَّاكَ نَسْتَعِينُ كَي تَخْفَى اللَّيَالِي
الكَالِحَهْ ربِّ اهْدِنَا نَهْجَ الصِّرَاطِ امْنَحْ فِعَالًا
صَالِحَهْ حِرْزٌ مِنَ الآلَامِ تُتْلَى لِلشِّفَاءِ مَانِحَهْ[١]

---

(١) الأبيات للشاعر عطا سليمان رموني. ينظر:
https://www.palestineremembered.com/GeoPoints/Rammun_6775/Article_20196.html.

١٨ رجب

فضل سورة الإخلاص

سورة الإخلاص سورة مكِّيَّة، عدد آياتها أربع آيات، وترتيبها في المصحف ١١٢ في الجزء الثلاثين من القرآن الكريم، وهي تعدل ثلث القرآن، وتُعدُّ سورة الإخلاص من السور المميَّزة، حيث تميَّزت بأنَّها سورةٌ تحمل الكثير من المعاني العظيمة، حيث تدلُّ على التوحيد والإيمان بالله عز وجل، وقد ورد في كتاب" أسباب النزول" للواحدي(١) سببُ نزول سورة الإخلاص، وهو:" أنَّ اليهودَ أتوا النبيَّ ﷺ فقالوا: صِفْ لنا ربَّك الذي تعبدُ. فأنزل اللهُ عزَّ وجلَّ (٢)، فقال: هذه صفةُ ربِّي عزَّ وجلَّ" أخرجه البيهقي بسندٍ حسنٍ(٣).

وقد ورد أنَّ عامر بن الطفيل وأربد بن ربيع هما مَن سألا رسول الله ﷺ: إلى ماذا تدعونا؟ فلمَّا علموا أنَّه يدعوهم إلى الله، ومِن جهلهم به ظنُّوا أنَّه مصنوعٌ من خشبٍ أو ذهبٍ أو غيره كأصنامهم، فنزلتْ سورة الصمد لبيان صفات الله عز وجل، ويجب على المؤمن أن يعتقد ويؤمن بأنَّ الله تعالى هو الفرد الصمد المستحقُّ للعبادة وحدَه.

ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في فضل سورة الإخلاص عن النبي ﷺ قال:" أَيعجِزُ أحدُكم أن يقرأ في ليلةٍ ثُلث القرآن؟ قالوا: وكيف يقرأ ثُلث القرآن؟ قال: قل هو الله أحد؛ تعدل ثلث القرآن" رواه مسلم(٤).

---

(١) ينظر: أسباب النزول (ص: ٤٧١). أسباب نزول القرآن، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، المحقق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح – الدمام، الطبعة: الثانية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

(٢) الإخلاص: ١– ٤.

(٣) رواه البهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٩) برقم (٦٠٦). والحديث قال عنه الألباني: "منكر"كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (١١/ ٣٤٨). الأسماء والصفات للبيهقي، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله بن محمد الحاشدي، قدم له: فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، الناشر: مكتبة السوادي، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٦) برقم (٨١١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة قل هو الله أحد.

وفي صحيح البخاريِّ من حديثِ أبي سعيدٍ الخدري- رضي الله عنه- أنَّ رجلًا سمِعَ رجُلًا يقرأُ:" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" يُرَدِّدُها، فلمَّا أصبحَ جاءَ إلى النبيِّ ﷺ فذكرَ ذلكَ لهُ- وكأنَّ الرجلَ يتقالُّها- فقال رسول اللَّه ﷺ:"والذي نفسِي بيده؛ إنَّها لَتعدلُ ثُلُثَ القرآنِ"[١].

ويُستفاد من الحديثين: أنَّ مَن قرأها فقد نال ثواب قراءة ثلث القرآن، وقد سُئل فضيلة الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: يُقال: إنَّ سورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، فهل صحيح هذا؟ وأنَّ مَن يقرأها ثلاث مرَّاتٍ كأنَّه قرأ القرآن كلَّه؟ فأجاب فضيلته: صحيح أنَّ" قل هو الله أحد" تعدل ثلث القرآن، ثبت ذلك عن النبي ﷺ في صحيح البخاري وغيره، ولكن ليس معنى المعادَلة أنَّها تُجزئ عن القرآن، فإنَّ المعادلة قد لا تكون مُجزِئة. وانظر إلى ما ثبت به الحديث عن النبي ﷺ مِن أنَّ قول: لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيءٍ قدير؛ عشر مرَّاتٍ تعدل عتق أربعة أنفس من ولد إسماعيل[٢]، ومع ذلك لو قال الإنسان هذا الذكر مائة مرَّةٍ لم يُجزِئه عن العتق رقبةً في كفارة. فالمعادَلة- مُعادَلة الشيء بالشيء- لا تقتضي إجزاء الشيء عن الشيء، فنحن نقول كما قال النبي ﷺ:" إنَّ قل هو الله أحد؛ تعدل ثلث القرآن". لكننا نقول: إنَّ قراءتها لا تُجزئ عن قراءة القرآن، بل لا بُدَّ من هذا وهذا. ولذلك لو أنَّ الإنسان قرأها في صلاته ثلاث مرَّاتٍ ولم يقرأ الفاتحة ما صحَّت صلاته، ولو كانت تُجزئ عن القرآن لقلنا: إنَّك إذا قرأتَها ثلاث مرَّاتٍ في الصلاة أجزأتَك عن الفاتحة، ولا قائل بذلك من أهل العلم[٣].

وعن أمِّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-:" أنَّ النّبي ﷺ بعث رجلًا على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم فيختم بـ" قل هو الله أحد"، فلمَّا رجعوا ذكروا ذلك للنَّبي ﷺ، فقال: سلوه لأيِّ شيءٍ يصنع ذلك؟ فسألوه، فقال: لأنَّها صفة الرَّحمن، وأنا أحبُّ أن أقرأ بها، فقال النَّبي ﷺ: أخبروه أنَّ الله يُحبُّه" رواه البخاري[٤].

والمستفاد من الحديث: أنَّ مَن أحبَّ سورة الإخلاص وقرأها؛ نال محبَّة الله.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٨٩) برقم (٥٠١٣) كتاب فضائل القرآن باب فضل قل هو الله أحد.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧١) برقم (٢٦٩٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٣) فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٥/ ٢، بترقيم الشاملة آليا).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١١٥) برقم (٧٣٧٥) كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٥٧) برقم (٨١٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل قراءة قل هو الله أحد.

وعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- أنَّ رجلًا من الأنصار كان يَؤمُّ المصلِّين في مسجد قباء، وكان في كلِّ ركعةٍ يفتتح قراءته بـ" قل هو الله أحد"، ثم يقرأ بعدها سورة أخرى، فطلب منه أصحابه أن يدع ذلك فأبى، فنقلوا فِعْلَه هذا إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا فلان؛ ما يمنعك أن تفعل ما يأمرُك به أصحابُك؟ وما يَحملُك على لزوم هذه السورة في كلِّ ركعة؟ فقال: إنِّي أحبُّها، فقال: حُبُّك إيَّاها أدخلكَ الجنَّة" رواه البخاري[١].

ويُستفاد من الحديث: أنَّ حُبَّ سورة الإخلاص وقراءتها سببٌ من أسباب دخول الجنَّة.

ومِن فضائلها: أنَّ قراءَتَها تكفِي مِنَ الشرِّ وتمنعهُ، وقد ثبتَ في صحيح البخاريِّ عنْ عائشةَ- رضي الله عنها- أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذَا أوَى إلى فِراشِهِ قرأَها مع المعوِّذتينِ، ومَسَحَ ما استطاعَ مِنَ جسدِهِ[٢].

ومِن فضائلها: أنَّها تضمَّنت الردَّ على اليهود والنصارى والمشركين، وهي حُجَّة الله على خلقه، حتى قال السيوطي في الإكليل: فيها الردُّ على اليهود والنصارى، والمجوس والمشركين، والمجسِّمة والمشبِّهة، والحلولية والاتحادية، وجميع الأديان الباطلة[٣]، ويدلُّ على هذا ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي ﷺ عن ربِّه قال:" كَذَّبَنِي ابْنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اتَّخَذَ اللهُ وَلَدًا، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ"[٤].

ومن فضائلها كذلك: أنَّه يُبنَى لقارئها بيتٌ في الجنة: فعَنْ سَهْلِ بنِ مُعَاذِ بن أَنَسٍ الجُهَنِيِّ عَنْ أَبِيهِ عن جدِّه- رضي الله عنه- عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: مَنْ قَرَأَ:" قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ" عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ بنى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ عُمَرُ بن الْخَطَّابِ- رضي الله عنه-: إِذَنْ نَسْتَكْثِرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:" اللَّهُ أَكْثَرُ وَأَطْيَبُ" رواه أحمد[٥].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه تعليقًا مجزومًا به (١/ ١٥٥) كتاب الأذان باب الجمع بين السورتين في الركعة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٩٠) برقم (٥٠١٧) كتاب فضائل القرآن باب فضل المعوذات.

(٣) الإكليل في استنباط التنزيل (ص: ٣٠٢). الإكليل في استنباط التنزيل، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: سيف الدين عبد القادر الكاتب، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٨٠) برقم (٤٩٧٤) كتاب تفسير القرآن باب قوله: (وامرأته حمالة الحطب).

(٥) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ٣٧٦) برقم (١٥٦١٠). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ١٣٦).



ومنْ فضائلهَا: أنَّ الدعاءَ بها مُستجابٌ، ففي السنن الأربعةِ عنْ عبدِ اللَّهِ بنِ بريدةَ عنْ أبيهِ- رضي الله عنه- أنَّ النبيَّ ﷺ سَمِعَ رجلًا يُصلِّي يَدْعُو يقولُ:" اللهُمَّ إِنِّي أسأَلُك بأنِّي أشهَدُ أن لا إله إلَّا أنتَ، الأحَدُ الصّمدُ، الذي لمْ يلدْ ولم يُولدْ، ولم يكن له كفوًا أحدٌ، قالَ: والذي نفْسي بيدِهِ؛ لقدْ سألَهُ باسمِهِ الأعظمِ، الَّذِي إذا سُئِلَ به أعطى، وإذا دُعِيَ بِهِ أجابَ"[(١)].

يقول الإمام الشاطبي- رحمه الله-:

وَإِنَّ كِتَابَ اللهِ أَوْثَقُ شَافِعٍ ... أَغْنَى غَنَاءٍ وَاهِبًا مُتَفَضِّلَا

وَخَيْرُ جَلِيسٍ لَا يُمَلُّ حَدِيثُهُ ... وَتَرْدَادُهُ يَزْدَادُ فِيهِ تَجَمُّلَا

وَحَيْثُ الْفَتى يَرْتَاعُ فِي ظُلُمَاتِهِ ... مِنَ الْقَبرِ يَلْقَاهُ سَنًا مُتَهَلِّلَا

يُنَاشِدُ فِي إِرْضَائِهِ لحبِيبِهِ ... وَأَجْدِرْ بِهِ سُؤْلًا إِلَيْهِ مُوَصَّلَا

فَيَا أَيُّهَا الْقَارِي بِهِ مُتَمَسِّكًا ... مُجِلًّا لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجِّلَا

هَنِيئًا مَرِيئًا وَالِدَاكَ عَلَيْهِمَا ... مَلَابِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالْحُلَا[(٢)]

وختامًا؛ مِن فضل سورة الاخلاص أنَّها تُعدُّ حافظةً للشخص الذي حافظ على قراءتها أطراف النهار وآناء الليل. فقد كان رسول الله ﷺ مُحافِظًا على قراءتها في جميع أوقاته؛ لعظم مكانتها، فاحرصوا أنتم أيضًا أيها المسلمون على قراءتها.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٨/ ٤٥) برقم (٢٢٩٥٢). وأبو داود في سننه (٢/ ٧٩) برقم (١٤٩٣) باب تفريع أبواب الوتر باب الدعاء. والترمذي في جامعه (٥/ ٥١٥) برقم (٣٤٧٥) أبواب الدعوات باب جامع الدعوات عن النبي صلى الله عليه وسلم. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٥١) برقم (١١٦٥٢) كتاب التفسير، سورة الإخلاص. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٦٧) برقم (٣٨٥٧) كتاب الدعاء باب اسم الله الأعظم. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٣/ ٤٩٣).

(٢) متن الشاطبية (ص: ٢). متن الشاطبية = حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع، المؤلف: القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني، أبو محمد الشاطبي (المتوفى: ٥٩٠هـ)، المحقق: محمد تميم الزعبي، الناشر: مكتبة دار الهدى ودار الغوثاني للدراسات القرآنية، الطبعة: الرابعة، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

١٩ رجب
صلاة الضحى

صلاة الضحى تُعدُّ إحدى الوصايا النبوية الثلاث، التي حثَّ عليها رسول الله ﷺ، وشدَّد على ضرورة اغتنامها للفوز بثوابها العظيم، كما أنَّها مِن النوافل التي حرص رسول الله ﷺ على المداومة عليها، بل وحثَّ عليها الصحابة- رضوان الله تعالى عنهم-، وصلاة الضحى هي نفسها صلاة الشروق، ولكنها تُسمَّى صلاة الشروق إن صُلّيَتْ بعد شروق الشمس وارتفاعها قدر رمح، وتُسمَّى صلاة الضحى إن كانت بعد ذلك الوقت، وتُسمَّى أيضًا: صلاة الأوَّابين.

قال الدهلوي: وسرُّها أنَّ الحكمة الإلهية اقتضت ألَّا يخلو كلُّ ربعٍ من أرباع النهار من صلاة؛ تذكر له ما ذهل عنه من ذكر الله، لأنَّ الربع ثلاث ساعات، وهي أوَّل كثرة للمقدار المستعمَل عندهم في أجزاء النهار عربهم وعجمهم، ولذلك كان الضحى سُنَّة الصالحين قبل النبي ﷺ، وأيضًا فأوَّل النهار وقت ابتغاء الرزق والسعي في المعيشة، فسنَّ في ذلك الوقت صلاة لتكون ترياقًا لسُمِّ الغفلة الطارئة فيه(١).

وقال الإمام المناوي: وإنَّما أضاف الصلاة في هذا الوقت إلى الأوَّابين؛ لأنَّ النفس تركن فيه إلى الدعة والاستراحة، فصرْفُها إلى الطاعة والاشتغال فيه بالصلاة رجوعٌ من مراد النفس إلى مرضاة الربِّ(٢)، وهي صلاة تُؤدَّى بعد ارتفاع الشمس قيد رمح، وقيل: بعد مُضي ربع النهار.

وصلاة الضحى أحد أنواع صلاة النفل، وحكمها مُستحبَّة، وهذا باتفاقِ المذاهب الفقهية الأربعة: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابِلة، وأقلُّها ركعتان، وأوسطها أربع ركعات، وأفضلها ثماني ركعات، وأكثرها اثنتا عشرة ركعة.

والأَدلَّة مِنَ السنَّة: عن أبي ذرٍّ- رَضِيَ اللهُ عنه- عنِ النبيِّ ﷺ أنَّه قال:" يُصبحُ على كلِّ سُلَامَى من أحدِكم صَدَقَةٌ؛ فكلُّ تَحميدةٍ صدقةٌ، وكلُّ تهليلةٍ صدقةٌ، وأمْرٌ بالمعروفِ صَدقةٌ، ونهيٌ عن المنكَرِ صدقةٌ، ويُجزِئُ عن ذلك ركعتانِ يَركعُهما من الضُّحَى" رواه مسلم(٣).

---

(١) حجة الله البالغة (٢/ ٢٩). حجة الله البالغة، المؤلف: أحمد بن عبد الرحيم بن الشهيد وجيه الدين بن معظم بن منصور المعروف بـ «الشاه ولي الله الدهلوي» (المتوفى: ١١٧٦هـ)، المحقق: السيد سابق، الناشر: دار الجيل، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥م.

(٢) فيض القدير (٤/ ٢١٦). فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٩٨) برقم (٧٢٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة الضحى، وأن أقلها ركعتان، وأكملها ثمان ركعات، وأوسطها أربع ركعات، أو ست، والحث على المحافظة عليها.



وعن أبي الدَّرداءِ- رَضِيَ اللهُ عنه- قال:" أَوْصاني حبيبي بثلاثٍ لنْ أَدَعهنَّ ما عشتُ: بصيامِ ثلاثةِ أيَّامٍ من كلِّ شهرٍ، وصلاةِ الضُّحى، وأنْ لا أنامَ حتى أُوتِرَ" رواه مسلم(١).

وقتُها: يبدأُ من ارتفاع الشمسِ قِيد رمح بعد طلوعِها إلى استواءِ الشمس قبل زوالها؛ نصَّ على هذا الحنفية، والمالِكية، والحَنابِلَة، وبه قال الشافعيةُ في أحد الوَجهين؛ فعن عَمرِو بنِ عَبسةَ- رَضِيَ اللهُ عنه- قال:" قدِمَ النبيُّ ﷺ المدينةَ، فقدِمْتُ المدينةَ، فدخلتُ عليه، فقلتُ: أخبِرْني عن الصلاةِ، فقال: صلِّ صلاةَ الصُّبحِ، ثم أَقصِرْ عن الصَّلاةِ حين تطلُعُ الشمسُ حتى ترتفعَ؛ فإنَّها تطلُع حين تطلُع بين قرنَيْ شيطانٍ، وحينئذٍ يَسجُد لها الكفَّارُ، ثم صلِّ؛ فإنَّ الصلاةَ مشهودةٌ محضورةٌ، حتى يستقلَّ الظلُّ بالرُّمح" رواه مسلم(٢).

وقال الشيخ ابن باز- رحمه الله-: صلاة الضحى يدخل وقتُها من ارتفاع الشمس قدر رمح، إلى وقوف الشمس قبل الزوال(٣).

وأفضل وقتٍ لصلاةِ الضحى إذا علت الشمس، واشتدَّ حرُّها، وهذا مذهبُ الجمهور: فعن زيدِ بنِ أرقمَ- رضي الله عنه- أنَّه رأى قومًا يُصلُّون من الضُّحى في مسجدِ قُباءٍ، فقال: أمَا لقَدْ علِموا أنَّ الصلاةَ في غيرِ هذه الساعةِ أفضلُ، قال:" خرَجَ رسولُ اللهِ ﷺ على أهلِ قُباءٍ وهم يُصلُّونَ الضُّحى، فقال: صلاةُ الأوَّابِين إذا رَمِضَتِ الفصالُ من الضُّحَى" رواه مسلم(٤).

أمَّا عن عدد ركعات صلاة الضحى؛ فأقلُّ ركَعاتها ركعتان، وهذا باتفاق المذاهب الفقهية الأربعة؛ فعن أبي هُرَيرَة- رَضِيَ اللهُ عنه- قال:" أَوْصاني خليلي ﷺ بثلاثٍ: صيامِ ثلاثةِ أيَّامٍ من كلِّ شهرٍ، وركعتي الضُّحى، وأنْ أُوتِرَ قبل أنْ أنامَ" رواه البخاري(٥)، ولم يُنقَل أنَّ النبي ﷺ صلَّاها دون الركعتين.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٩٩) برقم (٧٢٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة الضحى، وأن أقلها ركعتان، وأكملها ثمان ركعات، وأوسطها أربع ركعات، أو ست، والحث على المحافظة عليها.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٦٩) برقم (٨٣٢) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب إسلام عمرو بن عبسة.

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (١١/ ٣٩٥). مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥١٥) برقم (٧٤٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة الأوابين حين ترمض الفصال ولفظه: «صلاة الأوابين حين ترمض الفصال» .

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤١) برقم (١٩٨١) كتاب الصوم باب صيام أيام البيض: ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٩٨) برقم (٧٢١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة الضحى، وأن أقلها ركعتان، وأكملها ثمان ركعات، وأوسطها أربع ركعات، أو ست، والحث على المحافظة عليها.

واختلف أهلُ العلم في أكثر صلاة الضحى على أقوال؛ الأوَّل: أنَّ أكثر صلاة الضحى ثماني ركَعات، وهذا مذهبُ الجمهور: المالكية، والشافعية على المعتمَد، والحنابلة، ودليلهم حديثُ أمِّ هانئ- رضي الله عنها-:" أنَّ النبيَّ ﷺ عامَ الفتحِ صلَّى ثمانيَ ركعاتٍ سُبحةَ الضُّحى" رواه مسلم(١)، والقول الثاني: أنه لا حدَّ لأكثر صلاة الضحى، واختارَه ابن جرير الطبري، وابن باز، وابن عُثيمين، ودليلهم عن عائشةَ- رَضِيَ اللهُ عنها- قالت:" كان النبيُّ ﷺ يُصلِّي الضُّحى أربعًا، ويَزيد ما شاءَ اللهُ" رواه مسلم(٢).

وقد علق الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- على هذا الحديث فقال: لا يدلُّ على أنَّ هذا هو أعلاها، هذا وقع اتفاقًا، وما يقع اتفاقًا ليس فيه دليلٌ على الحصر، وعلى هذا فنقول: أقلُّها ركعتانِ ولا حدَّ لأكثرها، صلِّ ما شئتَ، لكن كان النبي ﷺ يُصلِّي أربعًا، وربَّما صلَّى ثمانيًا، فينبغي للإنسان أن يغتنم عمره بصالح الأعمال، لأنَّه سوف يندم إذا جاءه الموت؛ أن أمضى ساعة مِن دهره لا تُقرِّبُه فيها إلى الله عز وجل، كلُّ ساعةٍ تمضي عليك وأنتَ لا تتقرَّب إلى الله بها فهي خسارة، لأنَّها راحت عليك فلم تنتفع بها، فانتهز الفرصة بالصلاة والذكر، وقراءة القرآن، والتعلُّق بالله عز وجل، اجعل قلبك دائمًا مع الله سبحانه وتعالى، ربُّك في السماء وأنتَ في الأرض، لا تغفلْ عن ذكر الله بلسانك، وبفعالك، وبجنانك بالقلب، فإنَّ الدنيا ذاهبةٌ لم تبقَ لأحدٍ(٣).

أمَّا عن كيفية أداء صلاة الضحى؛ فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أنَّ طريقة صلاة الضحى؛ أنَّها تُؤدَّى مثنى مثنى؛ والمقصود أن يُسلِّم المصلِّي بعد كلِّ ركعتين، واستدلُّوا بذلك لما جاء في حديث أم هانئ- رضي الله عنها- حيث قالتْ:" يُسلِّمُ من كلِّ ركعتينِ" رواه النووي في المجموع(٤).

والخلاصة: أنَّ لصلاة الضحى فضلًا مثل فضل سائر السنن والنوافل من أجر ومثوبة عظيمة عند الله، كما أنَّها تعدل الصدقة عن ثلاثمائة وستين مفصلًا على الإنسان أن يتصدَّق عنها كلَّ يوم، وقد لا يستطيع الإنسان التصدُّق عن كلِّ مفاصله، لذا فإنَّ في أداء ركعتي الضحى صدقة عنها جميعها،

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨٠) برقم (٣٥٧) كتاب الصلاة باب الصلاة في الثوب الواحد ملتحفًا به. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٦٦) برقم (٣٦٦) كتاب الحيض باب تستر المغتسل بثوب ونحوه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٩٧) برقم (٧١٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب استحباب صلاة الضحى، وأن أقلها ركعتان، وأكملها ثمان ركعات، وأوسطها أربع ركعات، أو ست، والحث على المحافظة عليها.

(٣) شرح رياض الصالحين (٥/ ١٥٣).

(٤) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٢٨) برقم (١٢٩٠) كتاب الصلاة باب صلاة الضحى. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٣/ ٢٩٠). وينظر: المجموع شرح المهذب (٤/ ٣٩) .



كما قيل في فضلها أيضًا أن أداء أربع ركعات في الضحى تكفي الإنسان وتحميه ممَّا قد يصيبه من مخاطر لا يعلمها، فمُصلِّي الضحى في حِفْظ الله ورعايته، ومن هنا فإنَّ الأجدر بالمسلم المواظبة على صلاة الضحى، لينال الأجر والمثوبة من اتِّباع سُنَّة النبي ﷺ. ومنه يُستنتَج أنَّ مَن لم يُصلِّها لا إثم عليه؛ لأنَّها كغيرها من السنة والنوافل مُستحبَّة الفعل.



٢٠ رجب

فضل التبكير في طلب الرزق

طلبُ الرزق أمرٌ حضَّ عليه الشرع ببذْل الأسباب الموصِّلة إليه، والتوكُّل على الله بعد ذلك، وهذا هو الأصل العام الذي شرعه الله لعباده، أن يطلبوا الشيء بأسبابه الشرعية والحسية، وقد حثَّت الشريعة الغرَّاء الإنسان المسلم على العمل والجدِّ، وأوصت بالابتعاد عن الذُّلِّ والمسألة، كما حضَّ على ذلك العقل، وحضَّت عليه الفطرة السليمة، ولقد جعل الله تعالى للرزق قوانين لا تتغيَّر ولا تتبدَّل، مَن اتَّبعها نال الرزق منه سبحانه، وأوَّلُ هذه القوانين أنَّ الرزق يحتاج إلى سعيٍ وطلبٍ، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [(١)]، ففي الآية إشارة واضحة للسعي في طلب الرزق، فالله هو الرازق لكن على الإنسان ألَّا يركن لذلك فيتواكل، بل يأخذ بالأسباب جميعها، ويسعى مُتوكِّلًا على الله وحده، والأصل أنَّ الرزق قائمٌ على الأسباب، فلا يُنال الرزقُ إلَّا بالسعي، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [(٢)].

قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره: مناكبها: أطرافها وفجاجها ونواحيها[(٣)]، ولقد ضرب لنا النبي ﷺ مثال السعي؛ على الطيور تخرج قبل شروق الشمس من أعشاشها في الصباح الباكر بحثًا عن رزقها وطعامها دون تلكؤٍ أو كسلٍ، في حديثه الشريف الذي قال فيه:" لو أنَّكم تتوكَّلون على الله حقَّ توكُّله؛ لرزقكم كما يرزق الطيرَ، تغدو خماصًا وتروح بطانًا" رواه الترمذي[(٤)]، أي تخرج وهي جائعة وبطونها خاوية من الطعام، وتعود وهي شبعى؛ قد ملأت بطونها من رزق الله، ولهذا ممَّا لا شكَّ فيه هناك صلة كبيرة وقوية بين الرزق وبين البكور أي وقت الصباح وأول النهار.

يقول الله سبحانه وتعالى: ويقول: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[(٥)]، ويقول: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا

---

(١) الجمعة: ١٠.

(٢) الملك: ١٥.

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ١٨٠). تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٤) رواه أحمد في مسنده (١/ ٣٣٢) برقم (٢٠٥). والترمذي في جامعه (٤/ ٥٧٣) برقم (٢٣٤٤) أبواب الزهد باب في التوكل على الله. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٨٩) برقم (١١٨٠٥) كتاب الرقائق. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٩٤) برقم (٤١٦٤) كتاب الدعاء باب التوكل واليقين. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ١٦٤).

(٥) يونس: ٦٧.



﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾[(١)]، وكان صلى الله عليه وسلم إذا بعث سرية أو جيشًا، بعثهم من أول النهار، والبكور هو صدر النهار وأوَّله، وروى أبو داود وأحمد والنسائي من حديث النعمان بن مُقَرِّن- رضي الله عنه- قال:" شَهِدْتُ معَ رسولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَكانَ إذا لَم يقاتِلْ أوَّلَ النَّهارِ؛ انتَظرَ حتَّى تزولَ الشَّمسُ، وتَهُبَّ الرِّياحُ، وينزلَ النَّصرُ"[(٢)].

وإنَّما خصَّ صلى الله عليه وسلم البكور بالدعاء بالبركة فيه من بين سائر الأوقات- والله أعلم- لأنَّه وقتٌ يقصده الناس بابتداء أعمالهم، وهو وقت نشاطٍ وقيامٍ من دَعَة فخصَّه بالدعاء، لينال بركة دعوته جميع أمَّته.

وقد نصَّ الشافعية والترمذي، وابن بطال وابن العربي، وابن القيم والشوكاني: على الحثِّ على التبكير في طلب الرزق (البيع والشراء)؛ لأنَّ وقت البكور هو وقت النشاط الجالب للبركة، ولقد أمر الله تعالى الإنسان بالعمل وطلب الرزق وبذْل الأسباب، مع كمال التوكُّل على الرزَّاق الكريم، ونهى عن تكفُّف الناس وسؤالهم والذلِّ لهم؛ قال صلى الله عليه وسلم:" لأن يحتطب أحدكم حُزمة على ظهره خيرٌ له من أن يسأل أحدًا، فيعطيه أو يمنعه" رواه البخاري[(٣)]، وقال صلى الله عليه وسلم:" مَا أَكَلَ أحَدٌ طَعامًا قَطُّ خَيْرًا مِن أنْ يَأْكُلَ مِن عَمَلِ يَدِهِ، وإنَّ نَبِيَّ اللَّهِ داوُدَ- عليه السَّلامُ- كانَ يَأْكُلُ مِن عَمَلِ يَدِهِ" رواه البخاري[(٤)]، وقال صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الرِّزقَ ليطلُبُ العبدَ كما يطلُبُه أجَلُه" رواه ابن حبَّان[(٥)].

وإنَّ من أسباب جلب الرزق: التبكير في طلب الرزق لأنَّه يزيد الرزق؛ فعن صخر الغامدي- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" اللَّهمَّ بارِكْ لأمَّتي في بُكورِها".

---

(١) النبأ: ٩ – ١١.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ١٥٣) برقم (٢٣٧٤٤). والترمذي في جامعه (٤/ ١٦٠) برقم (١٦١٣) أبواب السير باب ما جاء في الساعة التي يستحب فيها القتال. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ٣٣) برقم (٨٥٨٣) كتاب السير، التعبئة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٤/ ١١٣).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٥٧) برقم (٢٠٧٤) كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٢١) برقم (١٠٤٢) كتاب الزكاة باب كراهة المسألة للناس.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٥٧) برقم (٢٠٧٢) كتاب البيوع باب كسب الرجل وعمله بيده.

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه (٨/ ٣١) برقم (٣٢٣٨) كتاب الزكاة، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من قلة الجد في طلب رزقه بما لا يحل. والحديث قال عنه الألباني: "صحيح لغيره" كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٥/ ١٧٤).



وَكانَ إذا بَعثَ سريَّةً أو جيشًا بَعثَهُم من أوَّلِ النَّهارِ. وَكانَ صخرٌ رجلًا تاجرًا، وَكانَ يَبعثُ تجارتَهُ من أوَّلِ النَّهارِ فأثرَى وَكَثُرَ مالُهُ. رواه أبو داود[١].

قال الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله – في شرح رياض الصالحين: حديث صخر– رضي الله عنه– أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" اللهمَّ باركْ لأمَّتي في بكورها". أي: في أوَّل النهار، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم أن يبارك الله في أوَّل النهار فيه لأمَّته؛ لأنَّه مستقبل العمل، فإنَّ النهار– كما قال الله تعالى– معاشٌ، ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا﴾[٢]، فإذا استقبله الإنسان من أوَّله صار في ذلك بركة، وهذا شيءٌ مُشاهَد؛ أنَّ الإنسان إذا عمل في أوَّل النهار وجد في عمله بركة، لكن– وللأسف– أكثرُنا اليوم ينامون في أوَّل النهار، ولا يستيقظون إلَّا في الضحى، فيفوت عليهم أوَّل النهار الذي فيه بركة، وقد قال العامة: أمير النهار أوَّله، يعني أنَّ أوَّل النهار هو الذي يتركَّز عليه العمل، وكان صخر يبعث بتجارته أوَّل النهار، فأثرى وكثر ماله؛ مِن أجل دعاء النبي صلى الله عليه وسلم بالبركة لهذه الأمَّة في بكورها[٣].

والتبكير في طلب الرزق يعني أنَّ المسلم استيقظ مُبكِّرًا وأدَّى صلاة الفجر، لينطلق بعدها في طلب رزقه الحلال، بحيث يسعى في الأرض ويباشر عمله، فيرزقه الله من فضله الكثير، أمَّا الذي يتأخَّر في النوم فهو لا يقوم لصلاة الفجر، رغم أنَّ عدم صلاة الفجر فيه حرمان من الرزق وبركته، وقال ابن القيم– رحمه الله–:" نومة الفجر تمنع الرزق؛ لأنَّه وقت تقسيم الأرزاق". ولقد قال بعض العلماء: إنَّ نوم الصبح يمنع الرزق؛ ولهذا فهو يُسمَّى بالحيلولة؛ أي أنَّه يحول بين الرجل والرزق، وهذا فيه ترغيبٌ للمسلم أن يجدَّ ويجتهد في طلب الرزق من الصباح الباكر، ولقد رأى ابن عبَّاس– رضي الله عنهما– ابنًا له نائمًا نوم الصبح، فقال له: قُمْ، أتنام في الساعة التي تُقسَّم فيها الأرزاق؟! وذلك وقت تَطلب فيه الخليقةُ أرزاقها، وهو وقت قسمة الأرزاق[٤].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ١٧٧) برقم (١٥٤٤٣). وأبو داود في سنه (٣/ ٣٥) برقم (٢٦٠٦) كتاب الجهاد باب في الابتكار في السفر. والترمذي في جامعه (٣/ ٥٠٩) برقم (١٢١٢) أبواب البيوع باب ما جاء في التبكير في التجارة. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ١٢٠) برقم (٨٧٨٢) كتاب السير، الوقت الذي يستحب فيه توجيه السرية. وابن ماجه في سننه (٧٥٢/٢) برقم (٢٢٣٦) كتاب التجارات باب ما يرجى من البركة في البكور. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣/ ٢١٢) .

(٢) النبأ: ١١.

(٣) شرح رياض الصالحين (٤/ ٥٨٢).

(٤) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٢٢١).

ورحم الله الإمام الشافعي إذ يقول:

توكَّلتُ فِي رزقي على اللهِ خالِقِي ... وأيقنتُ أنَّ اللهَ لا شكَّ رازِقِي

وَمَا يكُ مِن رزقي فليسَ يفوتُني ... ولو كان في قاع البحار العوامِقِ[1]

والخلاصة: أنَّه ممَّا يُستفاد من أحاديث التبكير في الرزق: الدعوة إلى النشاط وترك الكسل، والأخذ بأسباب وفرة الإنتاج، وكثرة الربح في كلِّ المجالات. كذلك الحرص على تحصيل البركة التي دعا بها النبي صلى الله عليه وسلم في طلب المعيشة، وطلب العلم، وطلب الغزو، ونحو ذلك. والحثُّ على اغتنام الأوقات. وأنَّ بعض الأوقات أفضل من بعض. فينبغي للمؤمن أن يحرص على الكسب وطلب الرزق بالوسائل المباحة التي أباحها الله وأحلَّها.

---

(١) ديوان الإمام الشافعي (ص: ٧٨). ديوان الإمام الشافعي، المؤلف : أبى عبد الله محمد بن ادريس الشافعى المتوفى عام ٢٠٤هـ.



٢١ رجب
الصراط المستقيم

القرآن الكريم هو كتاب الله الخاتم الذي جاء للناس كافَّة حتى قيام الساعة، ولقد ورد لفظ الصراط المستقيم في القرآن الكريم أكثر من ثلاثين مرَّة، ولقد تعدَّدت الآراء في معنى الصرط المستقيم؛ فما هو؟ المقصود بالصراط المستقيم هو الطريق الذي يسير عليه المسلم على هُدَى من ربِّه.

ولقد تعدَّدت الأقاويل المذكورة عن الصراط المستقيم؛ فذهب البعض لقول: إنَّ الصراط المستقيم هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم والأنبياء من قبله، وذهب آخرون بقول: إنَّه القرآن، وآخرون بأنه الإسلام. وذهب ابن القيم- رحمه الله- بالقول الجامع في هذا الأمر فقال: الصراط المستقيم هو الطريق الذي نصبه الله لعباده على ألسنة رسله، وجعله مُوصِّلًا لعباده إليه، ولا طريق لهم سواه، وهو إفراده بالعبودية، وإفراد رسله بالطاعة، وهو مضمون شهادة أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمدًا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله(١).

وقال ابن عثيمين- رحمه الله-: إنَّ الصراط لا يُطلَق على الطريق إلَّا إذا كان واسعًا، أمَّا الطريق الضيق فليس بصراط، ووجه ذلك في المعنى: أنَّ الصراط والزراط والسراط كلَّها تدلُّ على سعة وسهولة النفوذ، يُقال: زرط الرجل اللقمة. أي: ابتلعها بسرعة وسهولة، هنا الصراط أي: الطريق الواسع الذي يمضي به الإنسان من غير تعب ولا مشقة؛ لكنَّ الصراط قد يكون مائلًا، وقد تكون فيه مرتفعات ومنخفضات، ولهذا قال: (الْمُسْتَقِيمَ) أي: الذي لا اعوجاج فيه، وليس فيه منخفض ولا مرتفع، لأنَّ الطريق المعوَّج يعوق(٢).

وقد كان من تمام رحمة الله تعالى أن بعث رسله مُبشِّرين ومُنذِرين ليعتدل أمر الناس ويستبينوا طريق الله تعالى من طريق الشيطان، يقول سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾(٣)، وكانت دعوتهم جميعًا إلى صراط الله المستقيم؛ ثم جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة الخاتمة، ودعا إلى ما دعتْ إليه الرسل من التزام هذا

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤٠) .

(٢) لقاء الباب المفتوح (١١٣/ ٤، بترقيم الشاملة آليا). لقاء الباب المفتوح، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، [لقاءات كان يعقدها الشيخ بمنزله كل خميس. بدأت في أواخر شوال ١٤١٢هـ وانتهت في الخميس ١٤ صفر، عام ١٤٢١هـ]، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

(٣)الحديد: ٢٥.



الصراط، ووصفه ربُّه بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾[١]، والصراط المستقيم هو دعوة الرسل جميعًا، وهو الهدف الذي يسعى إبليس اللعين أن يقعد لبني آدم عليه فيصدَّهم عنه، ومعنى كون الله تعالى على صراط مستقيم أنَّه سبحانه على طريق مستقيم في قضائه وقدره، وأمره ونهيه، يهدي مَن يشاء إليه بفضله ورحمته، ويصرف عنه مَن يشاء بعدله وحكمته.

ولقد صوَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم التزام الصراط المستقيم والخروج عنه، أي ذلك الصراع بين طاعة الرحمن وطاعة الشيطان فيما يرويه عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: خطَّ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خطًّا بيدِهِ ثم قال: هذا سبيلُ اللهِ مستقيمًا، وخطَّ خطوطًا عن يمينِه وشمالِه، ثم قال: هذه السبلُ ليس منها سبيلٌ إلَّا عليه شيطانٌ يدعو إليه، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ﴾[٢]، رواه أحمد[٣].

أمَّا دعوته صلى الله عليه وسلم إلى هذا الصراط المستقيم في قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴾[٤]، فهي كما يقول ابن القيم- رحمه الله تعالى-: كلُّ علم أو عمل أو حقيقة، أو حال أو مقام خرج من مشكاة نبوته، فهو من الصراط المستقيم، وما لم يكن كذلك فهو من صراط أهل الغضب والضلال. فما ثمَّ خروج عن هذه الطرق الثلاث: طريق الرسول- صلى الله عليه وسلم- وما جاء به، وطريق أهل الغضب (المغضوب عليهم)، وهي طريق مَن عرف الحق وعانده، وطريق أهل الضلال وهي طريق مَن أضله اللهُ عنه. ولهذا قال عبد الله بن عبَّاس وجابر بن عبد الله- رضي الله عنهما-:" الصراط المستقيم: هو الإسلام" وقال عبد الله بن مسعود وعلي بن أبي طالب- رضي الله عنهما-:" هو القرآن"، ولا ريب أنَّ ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه علمًا وعملًا وهو معرفة الحق وتقديمه، وإيثاره على غيره، فهو الصراط المستقيم[٥].

---

(١) الشورى: ٥٢ – ٥٣.

(٢) الأنعام: ١٥٣.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٧/ ٤٣٦) برقم (٤٤٣٧). والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٩٥) برقم (١١١٠٩) كتاب التفسير، سورة الأنعام قوله تعالى: {وأن هذا صراطي مستقيما} [الأنعام: ١٥٣]. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١/ ١٤٦).

(٤) الشورى: ٥٢.

(٥) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٨١) .



إنَّ الابتلاء والفتنة يُمحِّصانِ العبد ويرُدَّانِه إلى هذا الصراط المستقيم؛ إذا استطاع الشيطان في لحظة من لحظات الضعف الإنساني أن يُخرِج الإنسان عن هذا الصراط المستقيم ويسلك به سبلًا أخرى،وقد كان من رحمة الله سبحانه ألَّا يدع الإنسان فريسة لهذا الشيطان، وإنَّما زوَّده بوسائل الحماية والوقاية منه، ثم هيَّأ له وسائل الإفلات إن وقع في الفخ وخرج عن الصراط المستقيم، فمن ذلك:

١-الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة المطهرة: مصداق ذلك قول الله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(١).

٢- واعظ الله- عز وجل- في قلوب عباده المؤمنين: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ضربَ اللهُ تعالى مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعلى جنْبَتَي الصراطِ سورانِ ، فيهما أبوابٌ مُفَتَّحَةٌ ، وعلَى الأبوابِ ستورٌ مُرْخَاةٌ، وعلى بابِ الصراطِ داعٍ يقولُ: يا أيُّها الناسُ؛ ادخلوا الصراطَ جميعًا ولَا تَتَعَوَّجُوا، وداعٍ يدعُو مِنْ فَوْقِ الصراطِ، فإذا أرادَ الإنسانُ أنْ يفتحَ شيئًا مِنْ تِلْكَ الأبْوابِ قال: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ، فإِنَّكَ إنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، فالصراطُ الإسلامُ، والسُّورانِ حدودُ اللهِ، والأبوابُ الْمُفَتَّحَةُ محارِمُ اللهِ تعالى، وذلِكَ الدَّاعِي على رأسِ الصراطِ كتابُ اللهِ، والداعي مِنْ فوقٍ واعظُ اللهِ في قلْبِ كُلِّ مسلِمٍ" رواه الترمذي(٢)؛ فهذا الواعظ في قلوب المؤمنين هو الإلهام الإلهي بواسطة الملائكة أو نور الفطرة.

٣- الدعاء والاعتصام بالله: تشتدُّ حاجة العبد أن يسأل ربَّه أن يهديه إلى هذا الصراط المستقيم، وكان سؤال هذه الهداية أوجب دعاء على كلِّ عبدٍ، وقد أوجبه الله عليه كلَّ يومٍ وليلةٍ؛ بقوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾(٣)، ويُردِّد المسلم ذلك بعدد ركعات صلاة كلِّ يومٍ حتى يأتيه اليقين لشدَّة ضرورته وفاقته إلى الهداية المطلوبة.

---

(١) المائدة: ١٥-١٦.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٩/ ١٨١) برقم (١٧٦٣٣). والترمذي في جامعه (٥/ ١٤٤) برقم (٢٨٥٩) أبواب الأمثال باب ما جاء في مثل الله لعباده. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ١٢٣) برقم (١١١٦٩) كتاب التفسير، سورة يونس. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٣٥٩) .

(٣) الفاتحة: ٦-٧.



قال شيخ الإسلام- رحمه الله-: فإنَّ الله تبارك وتعالى إذا هدى العبد إلى الصراط المستقيم؛ أعانه على طاعته، وترْك معصيته، فسلِم من الشرور في الدنيا والآخرة، وحصلتْ له السلامة، وحصل له الفوز والنعيم والراحة والروح، وحصلتْ له الحياة الكاملة بحسب لزومه لهذا الصراط المستقيم، فأعظم الدعاء أن يدعو العبد ربه أن يهديه صراطه المستقيم[١].

الخلاصة: لا بُدَّ لنا أن نتمسَّك بوصية الله لنبيِّه صلى الله عليه وسلم بالتمسُّك بالصراط المستقيم في قوله تعالى:﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٢].

وقال الشاعر:

هُـدِيتُ إلى الصِّـرَاطِ المسـتَقيمِ　　　فَجِئـتُ لحَجَّـةِ البيـتِ العَظِـيمِ
وَعِندَ الحِجْرِ قَالَ الحِجْرُ: أبْشـرِ　　　فَقَدْ حُطِّمَتْ ذُنوبُكَ بِالحَطِيمِ[٣]

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٢١٦).

(٢) الزخرف: ٤٣.

(٣) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر (٤/ ٩٤). سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، المؤلف: محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني، أبو الفضل (المتوفى: ١٢٠٦هـ)، الناشر: دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٢٢ رجب
آداب الدعاء

يُعتبَر الدعاء عبادةً من العبادات التي تُقرِّبُ العبد من الله سبحانه وتعالى، فإنَّ الدعاء يُحقِّق للعبد طلبه وسؤاله، فيتوسَّل إلى الله تعالى لينال حاجته. ولقد وعدَنا الله عز وجل بالاستجابة، فإنَّ الدعاء يكون بسؤال الله الحاجات، والأخذ بالأسباب التي تُؤدِّي إلى تحقيق المرجوِّ، والدعاءِ هو استدعاء العبد ربَّه عز وجل العناية، واستمداده منه المعونة؛ فلا يتخلَّى عن دعاء مولاه إلَّا قانطٌ أو مُتكبِّرٌ مُستغنٍ، وهذا مُوجبٌ لغضب الله سبحانه وسخطه، فدعاء العبادة ودعاء المسألة من الأمور التي يُحبُّها الله سبحانه من عباده المتقين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم: ومَن اعتاد الدعاء المشروع في أوقاته: كالأسحار، وأدبار الصلوات، والسجود ونحو ذلك؛ أغناه عن كلِّ دعاءٍ مُبتدَعٍ في ذاته أو في بعض صفاته[١].

والآداب التي تحتفُّ بالدعاء ثلاثةأقسام: قبل الدعاء، وخلاله، وبعده:

أوَّلًا: آداب قبل الدعاء منها: التوبة وردُّ المظالم لأهلها. قال تعالى:﴿ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ﴾[٢]، والتقدُّم بين يدي ربِّه بحُسن العبادة من الفرائض، وبرِّ الوالدين، والنوافل كالصدقة وغيرها؛ التي يَستجلِب بها العبد محبَّة ربِّه تبارك وتعالى، فعن أَبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الله قال: مَن عادى لي وَلِيًّا فَقَد آذَنتُهُ بِالحَربِ، ومَا تَقربَ إِلَيَّ عَبدِي بِشَيءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افترَضتُ عَلَيهِ، ومَا يَزَالُ عَبدِي يَتقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنوَافِلِ حَتى أُحِبَّهُ، فَإِذا أَحبَبتُهُ كُنتُ سَمعَهُ الذِي يَسمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الذي يُبصِرُ بِهِ، وَيدَهُ التِي يَبطِشُ بِهَا، وَرِجلَهُ التي يَمشِي بِهَا، وَإِن سَألَنِي لأعطِيَنَّهُ، وَلَئِن استعَاذنِي لأُعِيذنَّهُ"رواه البخاري[٣].

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (٢/ ٢٧٠). اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: ناصر عبد الكريم العقل، الناشر: دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

(٢) هود: ٩٠.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٥) برقم (٦٥٠٢) كتاب الرقاق باب التواضع.



وتحرّي المال الحلال. قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1]، وعن أَبِي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أَيُّهَا النَّاسُ؛ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ المؤمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المرسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[2]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[3]، ثُم ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشعَثَ أَغبَرَ، يَمُدُّ يَدَيه إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالحَرَامِ، فَأَنَّى يُستجَابُ لِذَلِكَ؟! "رواه مسلم[4].

ثانيًا: آداب عند الدعاء منها: الوضوء واستقبال القبلة؛ يُستحبُّ للعبد قبل أن يبدأ بالدعاء ومناجاة الله عز وجل أن يتوضَّأ ويستقبل القبلة، وفي هذا اقتداءٌ بفِعْلِ رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فعن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عبَّاس- رضي الله عنهما- قالا:" لَمَّا كانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إلى المشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِئَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ صلى الله عليه وسلم القِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ برَبِّهِ: اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لي ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ ما وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إنْ تُهْلِكْ هذِه العِصَابَةَ مِن أَهْلِ الإسْلَامِ لا تُعْبَدْ في الأرْضِ، فَما زَالَ يَهْتِفُ برَبِّهِ، مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ القِبْلَةِ، حتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عن مَنْكِبَيْهِ" رواه مسلم[5].

ثم البدء بحمد الله والثناء عليه؛ ليكون دعاء المسلم أقرب للإجابة، ويحصل له منه أكبر أجر، وأن يتخيَّر لذلك أفضل ما يُحسنه من الألفاظ التي تليق بالله جل جلاله، ويتخيَّر أنبل الصفات وأكرمها، فهو يخاطب ملك الملوك، وأن يختم دعاءه بالثناء والحمد.

والدليل على استحباب ذلك: عن فضالة بن عبيد- رضيَ الله عنه- قال:" سمعَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم رجُلًا يدعو في صَلاتهِ، ولم يحمَدِ اللهَ، ولم يُصلِّ علَى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فقالَ: عَجِلَ هذا، ثمَّ دعاهُ، فقالَ: إذا صلَّى أحدُكم فليبدَأْ بتحميدِ ربِّهِ والثَّناءِ علَيهِ، ثمَّ يصلِّي علَى النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، ثمَّ يدعو بعدُ بما شاءَ" رواه أحمد[6].

---

(١) المائدة: ٢٧.

(٢) المؤمنون: ٥١ .

(٣) البقرة: ١٧٢.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٣) برقم (١٠١٥)كتاب الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٨٣) برقم (١٧٦٣)كتاب الجهاد والسير باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم.

(٦) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ٣٦٣) برقم (٢٣٩٣٧). وأبو داود في سننه (٢/ ٧٧) برقم (١٤٨١) باب تفريع أبواب الوتر باب الدعاء. والترمذي في جامعه (٥/ ٥١٧) برقم (٣٤٧٧) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ٧١) برقم (١٢٠٨)كتاب المساجد، التحميد، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ٤٧٧) .



ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند شروعه بالدعاء، وذلك لأنَّ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تجعل الدعاء أدعى للقبول، وفي موضع الصَّلاة على النبيّ صلى الله عليه وسلم ١أثناء الدعاء ثلاثة أقوال؛ وهي: أن يُصلِّي على النبيّ صلى الله عليه وسلم قبل الدعاء وبعد الحمد والثناء، وأن يُصلِّي على النبيّ صلى الله عليه وسلم أوَّل الدعاء وأوسطه وآخره، وأن يُصلِّي على النبي صلى الله عليه وسلم أوَّل الدعاء وآخره.

قال النووي: أجمع العلماء على استحباب ابتداء الدعاء بالحمد لله تعالى والثناء عليه، ثم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك يُختَم الدعاء بهما[١].

والعزم والجزم في الدعاء؛ فعن أَبِي هريرة- رضي الله عنه- أَن رَسُولَ اللهِ- صلى الله عليه وسلم- قال:" لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُم: اللهمَّ اغفِرْ لي إِن شِئتَ، اللهمَّ ارحَمني إِن شِئتَ، لِيَعزِمِ المسأَلَةَ؛ فإنهُ لا مُكرِهَ لَهُ" رواه البخاري[٢].

يقول العلامة ابن عثيمين- رحمه الله- حول أسباب كراهية مثل هذا النوع من الدعاء:

"الأول: أنَّه يُشعِر بأنَّ الله له مُكْرِهٌ على الشيء، وأنَّ وراءه مَن يستطيع أن يمنعه، فيقول: أنا لا أُكرِهك إن شئتَ فاغفرْ، وإن شئتَ فلا تغفرْ.

الثاني: أنَّ قول القائل: إن شئتَ كأنَّه يرى أنَّ هذا أمرٌ عظيمٌ على الله، فقد لا يشاؤهُ، لكونه عظيمًا عنده.

الثالث: أنَّه يُشعِر بأنَّ الطالب مُستغنٍ عن الله، كأنَّه يقول: إن شئتَ فافعل، وإن شئتَ فلا تفعل، فأنا لا يُهمُّني، والتعليق يُنافي ذلك؛ لأنَّ المعلِّق للشيء المطلوب يُشعِر أنَّه مُستغنٍ عنه، والإنسان ينبغي أن يدعو الله تعالى وهو يشعر أنَّه مُفتقِرٌ إليه غاية الافتقار، وأنَّ الله قادرٌ على أن يُعطيه ما سأل، وأن لا يدعو بهذه الصيغة، بل يجزم فيقول: اللهمَّ اغفرْ لي، اللهمَّ ارحمني، اللهمَّ وفِّقني، وما أشبه ذلك"[٣].

---

(١) الأذكار للنووي (ص: ١١٧). الأذكار، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧٤) برقم (٦٣٣٩) كتاب الدعوات باب ليعزم المسألة، فإنه لا مكره له. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٣) برقم (٢٦٧٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب العزم بالدعاء ولا يقل إن شئت.

(٣) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٠/ ٩١٧- ٩١٨). مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن - دار الثريا، الطبعة: الأخيرة - ١٤١٣هـ.



ثالثًا: آداب بعد الدعاء: أن يُوقن بالإجابة، ويُحسِن الظنَّ بالله سبحانه، ولا يستعظم المسألة. يقول الله عز وجل:" أنا عند ظنِّ عبدي بي، وأنا معهُ حين يذكرني" رواه مسلم(١)، وأن يستمرَّ في الدعاء في الشدَّة والرخاء؛ عن أَبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" مَن سَرَّهُ أَن يَستَجِيبَ اللهُ لَهُ عِندَ الشَّدائِدِ وَالكَرْبِ، فَلْيُكثرِ الدُّعَاءَ فِي الرخَاءِ" رواه الترمذي(٢).

وأن لا ييأس من الدعاء، ولا يقول: دعوتُ ولم يُستجَبْ لي، ولا يستعجل الإجابة. عن عبادة بن الصامت- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" ما على الأرض مسلمٌ يدعو الله بدعوةٍ إلَّا آتاه الله إياها، أو صَرَفَ عنه مِن السوء مِثلَها، ما لم يدعُ بإثم أو قطيعة رحم"، فقال رجلٌ من القوم: إذًا نُكثر، قال:" الله أكثر" رواه الترمذي(٣).

فقد تتأخَّر الإجابة لِحِكَمٍ يعلمها الله سبحانه، فقد يستجيب له حالًا، وربَّما يستجيب له بعوضٍ، أَو يدفع عنه مِن السوء ما لا يعلم، وربَّما يرتبط العبد بربِّه ويزيد في أجره، فيُحاسِب نفسه ويتفقَّد أعماله، ويتذلَّل إلى ربِّه، ويبكي بين يديه ليرفع قدره.

وقد قال الشافعي:

أَتَهْــزَأُ بِالـــدُعاءِ وَتَزْدَريـــهِ وَمـا تَـدري بِمَا صَنَعَ الـدُّعَاءُ

سِهَامُ اللَيلِ لَا تُخْطِي وَلَكِنْ لَهَـا أَمَـدٌ وَلِلأَمَـدِ انقِضَـاءُ(٤)

الخلاصة: قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- في فتاوى" نورٌ على الدرب": إنَّ من آداب الدعاء أن يُلِحَّ الإنسان في الدعاء ويُكرِّر، حتَّى وإن تخلَّف في الإجابة في أوَّل مرَّة، أو ثاني مرَّة، فليكرِّر، فإنَّ الله تعالى قد يمنع العبد من الإجابة في أوَّل مرَّة مِن أجل أن يزداد في دعاء ربِّه وافتقاره إليه، وأيضًا يكون امتحانًا للعبد؛ هل يستمر في دعائه لله؟!(٥)

فعلى العاقل أن يجتهد في اتِّباع السُّنَّة في كلِّ شيءٍ من ذلك، ويعتاض عن كلِّ ما يظنُّ من البدع أنَّه خيرٌ بنوعه من السُّنن، فإنَّه من يتحرَّ الخيرَ يُعطَه، ومَن يتوقَّ الشرَّ يُوقَه".

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١٢١) برقم (٧٤٠٥) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {ويحذركم الله نفسه} [آل عمران: ٢٨]. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦١) برقم (٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله تعالى.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٤٦٢) برقم (٣٣٨٢) أبواب الدعوات باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ٣٨٢).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٤٤٨) برقم (٢٢٧٨٤). والترمذي في جامعه (٥/ ٥٦٦) برقم (٣٥٧٣) أبواب الدعوات باب في انتظار الفرج وغير ذلك. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ٧٣).

(٤) ديوان الإمام الشافعي (ص: ٣).

(٥) فتاوى نور على الدرب للعثيمين (٢٤/ ٢، بترقيم الشاملة آليا) .

٢٣ رجب

آداب قراءة القرآن

القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة إلى يوم الدين، وكتابه المبين الذي أنزله نورًا وهدىً للناس؛ لا تستقيم حياة الإنسان دون تلاوته وتدبُّره واستقاء الأحكام من آياته. قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾[١].

وفي فضل تلاوة القرآن الكريم يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أُوصيكَ بتَقْوى اللهِ؛ فإنَّه رأسُ كُلِّ شَيءٍ، وعليكَ بالجِهادِ؛ فإنَّه رَهبانيَّةُ الإسلامِ، وعليكَ بذِكْرِ اللهِ وتِلاوةِ القُرآنِ؛ فإنَّه رُوحُك في السَّماءِ، وذِكْرٌ لك في الأرضِ" رواه أحمد[٢].

والمراد بترتيل القرآن: تلاوته تلاوة يتبيَّن حروفها، ويتأنَّ في أدائها؛ ليكون أدنى إلى فهم المعاني، والقراءة أعمُّ من التلاوة فكلُّ تلاوةٍ قراءةٌ، وليست كلُّ قراءةٍ تلاوةٌ، لا يُقال: تلوتُ رُقعتك، وإنَّما يُقال في القرآن في شيءٍ إذا قرأتَه وجبَ عليك اتِّباعه، كذا قال الراغب[٣]، ويُفهَم منه أنَّ التلاوة خاصَّة بالقرآن الكريم مع الاتِّباع، وليست القراءة كذلك، وفرَّق التهانوي بين القراءة والتلاوة والأداء؛ فقال: والفرق بينها وبين الأداء والقراءة: أنَّ الأداء الأخْذ عن المشايخ، والقراءة تُطلَق عليهما معًا أي الأداء والتلاوة، إذ هي أعمُّ منهما[٤].

ولتلاوة القرآن الكريم وسماعه آدابٌ ينبغي على المسلم أن يراعيها، ويتخلَّق بها لينتفع بها، ويبلغ رضا الله عز وجل، وقراءة القرآن لها فضلٌ عظيمٌ، فهو نورٌ يُضيء دروبنا بالإيمان، ونرفع به درجاتنا، فإنَّ لقارئ القرآن الأجر العظيم من عند الرحمن، كما ورد في حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ- رَضِيَ الله

---

(١) محمد: ٢٤.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٨/ ٢٩٧) برقم (١١٧٧٤). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٩٤).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ١٦٧). المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.

(٤) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم (١/ ٥٠٥). موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، المؤلف: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد ١١٥٨هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون — بيروت، الطبعة: الأولى - ١٩٩٦م.



عَنْهُ- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ" رواه الترمذي[١].

ومن آداب تلاوة القرآن الكريم:

١- إخلاص النِّيَّة: فمن أهمِّ آداب تلاوة القرآن الكريم أن يُخلِص القارئ نيَّته لله تعالى وحده، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:" إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّما لِكلِّ امرئٍ ما نوى" متفق عليه[٢]، وأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قد ذكر قارئ القرآن من ضمن الثلاثة الذين تُسعَّر بهم النار يوم القيامة، ولا شكَّ أنَّ سبب تسعير النار به؛ هو قصْده وجهًا آخر في قراءته، يقول النبي صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الله إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكلُّ أمةٍ جاثية، فأوَّل مَن يُدعَى به رجلٌ جمع القرآن، ورجلٌ قُتل في سبيل الله، ورجلٌ كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلِّمك ما أنزلتُ على رسولي؟ قال: بلى يا رب، قال: فماذا عملتَ بما علمتَ؟ قال: كنتُ أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله له: كذبتَ، وتقول له الملائكة: كذبتَ، ويقول الله له: بل أردتَ أن يُقال: فلانٌ قارئٌ، فقد قيل ذلك- أي أخذتَ أجرك في الدنيا- ثم يُسحَب إلى النار، والعياذ بالله" رواه الترمذي[٣].

٢- تلاوة القرآن على طهارة: ورغم الخلاف الحاصل بين العلماء في حكم الطهارة لتلاوة القرآن ومسِّ المصحف؛ إلَّا أنَّه لا شكَّ في أنَّ ذلك أفضل، قال النووي: أجمع المسلمون على جواز قراءة القرآن للمُحدِث، والأفضل أن يتطهَّر لها[٤]، ويرى السيوطي استحباب الوضوء؛ لأنَّ القرآن الكريم أفضل الأذكار، وكان صلى الله عليه وسلم يكره أن يذكر الله إلَّا على طهر، قال إمام الحرمين: ولا تُكرَه القراءة للمُحدِث؛ لأنَّه صحَّ أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ مع الحدث

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ١٧٥) برقم (٢٩١٠) أبواب فضائل القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٤١٠).

(٢)رواه البخاري في صحيحه (١/ ٦) برقم (١) بدء الوحي كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥١٥) برقم (١٩٠٧)كتاب الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنية»، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال.

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٥٩١) برقم (٢٣٨٢) أبواب الزهد باب ما جاء في الرياء والسمعة. والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٩٥) برقم (١١٨٢٤)كتاب الرقائق. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ٣٨٢).

(٤) المجموع شرح المهذب (٢/ ١٦٣).

الأصغر، وإذا كان يقرأ تعرَّضت له ريح أمسك عن القراءة حتى يستتمَّ خروجها، وأمَّا الجنب والحائض فتحرُم عليهما القراءة، وإن كان يجوز لهما النظر في المصحف، وإمراره على القلب[١]، أي التلاوة بغير صوت.

٣- استقبال القبلة: ذكر بعض أهل العلم أنه من آداب تلاوة القرآن الكريم، واستدلُّوا على ذلك بحديث:" إنَّ أشرف المجالس ما استُقبِل به القبلة" رواه أبو داود وابن ماجه[٢]، وإن كان الحديث ضعيفًا، إنَّما إذا استقبل القارئ القبلة يكون ذلك أفضل.

٤- التسوُّك: فيُستحبُّ لقارئ القرآن التسوُّك، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم:" إنَّ العبد إذا تسوَّك ثم قام يُصلِّي؛ قام الملك خلفه فيستمع لقراءته، فيدنو منه أو كلمة نحوها، حتى يضع فاه على فيه، فما يخرج من فيه شيءٌ من القرآن؛ إلَّا صار في جوف الملك، فطهِّروا أفواهكم للقرآن" صحيح الترغيب والترهيب[٣].

٥- وكذلك من آداب تلاوة القرآن الكريم؛ أن يستعيذ القارئ بالله من الشيطان الرجيم، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[٤]، أي: إذا أردتَ القراءة، وبعض أهل العلم قد أوجب الاستعاذة عند قراءة القرآن الكريم لظاهر الآية، ولكنَّ جمهور العلماء على استحباب ذلك، ويُفضَّل للقارئ أن يجهر بالاستعاذة لكي ينصت المستمعون حوله للقراءة، ومن أفضل صيغ الاستعاذة: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (١/ ٣٦٣). الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

(٢) لم أقف عليه في سنن أبي داود ولا ابن ماجه، لكن رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٣٢٠) برقم (١٠٧٨١). والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٣٠٠) برقم (٧٧٠٦). والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٦/ ٣٠٠). ولعله يغني عنه حديث: "إن لكل شيء سيدا، وإن سيد المجالس قبالة القبلة" ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٦/ ٣٠٠). المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

(٣) صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٢٠٤). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٢١٥). صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٤) النحل: ٩٨.



٦- وأن يحافظ القارئ على قراءة البسملة عند أوَّل كلِّ سورةٍ غير براءة؛ لفعل الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه كان يعرف انقضاء السورة وابتداء السورة التي تليها عن طريق البسملة(١)، إلَّا في موضعٍ واحد وهو ما بين الأنفال وبراءة، فقد تركهما الصحابة بغير بسملةٍ بينهما؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم تُوفِّي ولم يبيِّن لهم هل هما سورةٌ واحدةٌ أم لا؟ وبما أنَّ البسملة تكون في بداية كلِّ سورةٍ، فإذا بدأ القارئ من وسط السورة فيكتفي بالاستعاذة.

٧- كذلك من الآداب ترتيل القرآن قال تعالى: ﴿أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾(٢)، وكانت أم سلمة- رضى الله عنها- تصف قراءة الرسول صلى الله عليه وسلم أنَّها قراءةٌ مُفسَّرةٌ حرفًا حرفًا(٣)، وقال ابن مسعود- رضي الله عنه-: لَا تَهُذُّوا الْقُرْآنَ كَهَذِّ الشِّعْرِ، وَلَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ، وَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ(٤).

٨- ومن الآداب أيضًا أن يسجد إذا مرَّ بآيةِ سجدةٍ؛ وهو على وضوءٍ في أيِّ وقتٍ كان من ليلٍ أو نهارٍ، فيُكبِّر للسجود ويقول: سبحان ربي الأعلى، ويدعو، ثم يرفع من السجود بدون تكبير ولا سلام، لأنَّه لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم، إلَّا أن يكون السجود أثناء الصلاة، فإنَّه يُكبِّر إذا سجد وإذا قام، لحديث أبي هريرة- رضي الله عنه-: أنَّه كان يُكبِّر في الصلاة كلَّما خفض ورفع، ويُحدِّث أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك" رواه مسلم(٥).

---

(١) رواه أبو داود في سننه (١/ ٢٠٩) برقم (٧٨٨) أبواب تفريع استفتاح الصلاةباب من جهر بها. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٢/ ٢٨٨) .

(٢) المزمل: ٤.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤٤/ ١٤٧) برقم (٢٦٥٢٦). وأبو داود في سننه (٢/ ٧٣) برقم (١٤٦٦) باب تفريع أبواب الوتر باب استحباب الترتيل في القراءة. والترمذي في جامعه (٥/ ١٨٢) برقم (٢٩٢٣) أبواب فضائل القرآن باب ما جاء كيف كانت قراءة النبي صلى الله عليه وسلم. والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ٢٨) برقم (١٠٩٦) كتاب المساجد، تزيين القرآن بالصوت. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٣/ ٤٦٦).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ٢٥٦) برقم (٨٧٣٣).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٥٧) برقم (٧٨٥) كتاب الأذان باب إتمام التكبير في الركوع. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٩٣) برقم (٣٩٢) كتاب الصلاة باب إثبات التكبير في كل خفض، ورفع في الصلاة إلا رفعه من الركوع فيقول: فيه سمع الله لمن حمده.

٩- وممَّا يتعلَّق أيضًا بآداب تلاوة القرآن؛ الاجتماع لتلاوته، كما قال الرسول- صلى الله عليه وسلم-:" ما اجتمَعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللَّهِ يتلونَ كتابَ اللَّهِ، ويتدارسونَهُ فيما بينَهم إلَّا نزلَت عليهِم السَّكينةُ، وغشِيَتهُمُ الرَّحمةُ، وحفَّتهُمُ الملائكَةُ، وذكرَهُمُ اللَّهُ فيمَن عندَهُ" رواه مسلم(١). فإنَّ الاجتماع لتلاوة القرآن الكريم وتدبُّره من المستحبَّات التي لها آثارٌ عظيمة.

١٠- وكذلك من الآداب: البكاء عند تلاوة القرآن الكريم لقول الله تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩﴾(٢)، والبكاء يكون دليلًا على الخشوع، فالنبيُّ صلى الله عليه وسلم لما أمر ابن مسعود- رضي الله عنه- أن يقرأ عليه التفت إليه ابن مسعود- رضي الله عنه-، فإذا عيناه صلى الله عليه وسلم تذرفان. رواه البخاري(٣).

وليس شرطًا أن يكون بكاءً مُصطنعًا، لكن لا ننسى أنَّ التباكي والشعور بكلمات القرآن هو ما يُوصِّل للخشوع وإيصال المعاني إلى القلب.

الخلاصة: قراءة القرآن الكريم لها فضلٌ عظيمٌ. قال الشاعر:

يَا حامِلَ القرءان اقرأْ وارتقِ ... رتِلْ، فأنتَ المؤمنُ الرَّبَّانِي
بل أنتَ خيرُ الناسِ قال المصطفى ... بحدِيثِه المرْوِيّ عن عُثمانِ(٤)

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤) برقم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(٢) الإسراء: ١٠٧ – ١٠٩.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٤٥) برقم (٤٥٨٢) كتاب تفسير القرآن باب {فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} [النساء: ٤١]. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٥١) برقم (٨٠٠) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضل استماع القرآن، وطلب القراءة من حافظه للاستماع والبكاء عند القراءة والتدبر.

(٤) البيتان من قصيدة بعنوان "عقود الجمان في حفظ القرآن". ينظر:
https://ar-ar.facebook.com/JmytAqraWArtq/posts/1164132333713355/.

٢٤ رجب
فضل الجلوس بعد الصلاة المكتوبة في المسجد

الصلاة هي العبادة العظيمة، والصلة القوية بين العبد وربِّه الكريم، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾(١).

والصلاة لها فضائل كبيرة وأجور كثيرة؛ منها أجر انتظار الصلاة، ولقد ورَد في السُّنَّة النبوية الكثير من المحفِّزات لنيل أجر هذه العبادة الميسَّرة؛ فعن أبي موسى الأشعري- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ أعظم الناس أجرًا في الصَّلاة؛ أَبْعَدُهم إليها مَمْشًى فأبعدُهم، والذي يَنتظر الصلاة حتَّى يُصلِّيها مع الإمام أعظمُ أجرًا مِن الذي يُصلِّيها ثم ينام" رواه مسلم(٢).

والمسلم اللبيب مَن يجعل انتظاره للصلاة غنيمة كبرى، فيمكنه استِثمار الوقت بذكر الله تعالى عن طريق الأذكار الشرعية، فينال أجر ذكره لله الكريم، وينال أجر انتظاره للصلاة، وينال فضل دعاء الملائكة الكرام- عليهم الصلاة والسلام-، ويمكنه أيضًا تعليم القرآن الكريم للغير لمِن استطاع، أو قراءة القرآن الكريم فيكتسب أجرًا كبيرًا مِن تلاوة القرآن الكريم بكلِّ كلمة يقرأها؛ فعن عبد الله بنِ مسعودٍ- رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم:" مَن قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: الم حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف" رواه الترموذي(٣).

ومن فضل الجلوس بعد الصلاة المكتوبة استغفار الملائكة للعبد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لَا يَزَالُ الْعَبْدُ فِي صَلَاةٍ مَا كَانَ فِي مُصَلَّاهُ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ، وَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، حَتَّى يَنْصَرِفَ أَوْ يُحْدِثَ" رواه مسلم(٤).

---

(١) النساء: ١٠٣ .

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٦٠) برقم (٦٦٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل كثرة الخطا إلى المساجد.

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ١٧٥) برقم (٢٩١٠) أبواب فضائل القرآن باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ماله من الأجر. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٤١٠) .

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٥٩) برقم (٦٤٩) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاة الجماعة وانتظار الصلاة.



وفي رواية أخرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الملائكةُ تُصلِّي على أحدكم ما دام في مُصلَّاه، ما لم يُحدِثْ: اللهمَّ اغفرْ له، اللهمَّ ارحمْه، ولا يزال أحدُكم في صلاةٍ ما دامت الصلاةُ تحبسُه، لا يمنعه أن ينقلبَ إلى أهلِه إلَّا الصلاةُ" رواه البخاري(١).

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: ويشمل هذا الأجر المرأة لو صلَّت في مسجد بيتها، وجلست فيه تنتظر الصلاة؛ إذا كان يحبسها عن قيامها لأشغالها انتظار الصلاة. وهذا الثواب مشروط بألَّا يُحدِث المنتظر حدثًا في الإسلام، يعني ما لم يعصِ؛ بأن يُؤذي أحدًا بغيبة، أو سباب، أو نحوه، وقيل: بألَّا يُحدِث حدثًا ينقض الوضوء؛ لأنَّه إذا أحدث حدثًا ينقض الوضوء فإنَّه يبطل الصلاة، فيمنع أن يكون في صلاة، وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ الملائكة تقول في استغفارها للعبد: اللهمَّ اغفر له، اللهم ارحمه، والفرق بين المغفرة والرحمة: أنَّ المغفرة سترُ الذنوب والتجاوز عنها، والرحمة إفاضة الإحسان إليه.

وبيَّن صلى الله عليه وسلم أجرًا آخر لمن جلس ينتظر الصلاة، فذكر أنَّ له أجر المصلِّي وثوابه طيلة المدة التي تحبسه فيها الصلاة، ما دام لا يمنعه من الذهاب إلى أهله إلَّا الصلاة، ومقتضاه أنَّه إذا صرف نيَّته عن ذلك صارفٌ آخر انقطع عنه الثواب المذكور.

وكذا إذا شارك نيَّة الانتظار أمرٌ آخر(٢)، وقد كان المسلمون في زمن الرسول- صلى الله عليه وسلم- لا يخرجون من صلاتهم قبل خروج الرسول صلى الله عليه وسلم احترامًا وتعظيمًا له، وظاهره: أنَّ هذا الفضل لمن جلس ولم يُحْدِث ولم يُؤذِ بغيبة ونحوها، سواء انشغل بذكرٍ أم لا، وفضل الله الكريم واسعٌ، وكرمُه عظيمٌ، فيُرجَى لك هذا الثواب إن شاء الله تعالى، وإن انشغلتَ بالذكر أو بقراءة القرآن الكريم فهذا أكمل وأفضل، يجلس المصلّي في مُصلَّاه فترةً بعد انتهاء صلاته لكي يستغفر الله عز وجل.

وتعلُّق القلب بالصلاة وانتظارها دليلٌ على صدْق الإيمان بالله تعالى، وطريق لنيل الأجر العظيم من الله عز وجل، وسببٌ للاستظلال يوم القيامة؛ فمن السبعة الذين يُظلُّهم الله تعالى يوم القيامة رجل قلبه مُعلَّقٌ بالمساجد، وهو حديث في الصحيحين:" سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: الإمَامُ العَادِلُ، وشَابٌّ نَشَأَ في عِبَادَةِ رَبِّهِ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المَسَاجِدِ، ورَجُلَانِ تَحَابَّا في اللَّهِ اجْتَمعا عليه وتَفَرَّقَا عليه، ورَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وجَمَالٍ، فَقَالَ: إنِّي أخَافُ اللَّهَ، ورَجُلٌ تَصَدَّقَ، أخْفَى حتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ"(٣).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٢) برقم (٦٥٩) كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد.

(٢) لم أقف عليه من كلام الشيخ ابن عثيمين، لكن ذكر في موقع الدرر السنية. ينظر:
https://dorar.net/hadith/sharh/33211. وينظر قريبًا من هذا المعنى أيضًا: شرح رياض الصالحين (٥/ ٦٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٣) برقم (٦٦٠) كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٥) برقم (١٠٣١) كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة.



وفي رواية لمسلم:" وَرَجُلٌ مُعَلَّقٌ بِالْمَسْجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ"[١].وما تعلَّق قلبُه بالمسجد إلَّا لحبِّه إياه، وحبِّه المكث فيه، ومَن أحبَّ المسجد فقد أحبَّ ما يُحبُّ الله تعالى؛ لأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ:" أَحَبُّ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ الْبِلَادِ إِلَى اللهِ أَسْوَاقُهَا" رواه مسلم[٢].

ومن الفضائل أيضًا أنَّه مُكفِرٌ للخطايا؛ كما في الحديث القدسي في اختصام الملأ الأعلى وفيه: فَقَالَ الله تعالى:" يَا مُحَمَّدُ؛ قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الملَأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الكَفَّارَاتِ، قَالَ: مَا هُنَّ؟ قُلْتُ: مَشْيُ الأَقْدَامِ إِلَى الجَمَاعَاتِ، وَالجُلُوسُ فِي المِسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ" رواه الترمذي[٣].

أيضًا: أنَّه معدودٌ في الرباط المذكور في قول الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[٤]، وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ألا أدلُّكم على ما يمحو اللهُ به الخطايا ويرفعُ به الدرجاتِ؟ قالوا: بلى يا رسولَ الله، قال: إسباغ الوضوءِ على المكارهِ، وكثرةُ الخُطا إلى المساجدِ، وانتظارُ الصَّلاة بعد الصلاةِ، فذلكم الرِّباطُ" رواه مسلم[٥].

وقد استنبط بعض العلماء منه: أنَّ المكث في المسجد بعد الصلاة أفضل من المكث قبلها. قال الحافظ ابن رجب- رحمه الله تعالى-: وهذا أفضل من الجلوس قبل الصلاة لانتظارها، فإنَّ الجالس لانتظار الصلاة ليُؤدِّيها ثم يذهب تقصر مدة انتظاره، بخلاف مَن صلَّى صلاة ثم جلس ينتظر أخرى فإنَّ مُدَّته تطول، فإن كان كلَّما صلَّى صلاة جلس ينتظر ما بعدها استغرق عمره بالطاعة، وكان ذلك بمنزلة الرباط في سبيل الله عز وجل[٦]، وكان يحيى القطَّان يلتمس الجدار حتى يصل إلى

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧١٦) برقم (١٠٣١) كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٤٦٤) برقم (٦٧١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح، وفضل المساجد.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٥/ ٤٣٧) برقم (٣٤٨٤). والترمذي في جامعه (٥/ ٣٦٦) برقم (٣٢٣٣) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة ص. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ٢٣٣) .

(٤) آل عمران: ٢٠٠.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢١٩) برقم (٢٥١) كتاب الطهارة باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره.

(٦) اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى (ص: ٦٧). اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: جسم الفهيد الدوسري، الناشر: مكتبة دار الأقصى – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ – ١٩٨٥.



المسجد وهو يقول: الصف الأول[1]، الصف الأول، الصف الأول، المساجد هي التي ربَّت الرجال، المساجد هي التي أخرجت الأبطال، المساجد هي التي علَّمتنا وثقَّفتنا، فأين البطَّالون؟!!

لا يُصنعُ الأبطـالُ إلَّا ... في مســاجدِنا الفســاحِ
روضةُ القــرآنِ فــي ... ظلِّ الأحاديثِ الصِّحـاحِ[2]

الخلاصة: المكث في المسجد طاردٌ للهموم والغموم والوساوس؛ فإنَّ أكثر ما يصيب العبد منها مِن تسلُّط الشيطان عليه، فإذا جلس في المسجد وجد فيه راحة لا يجدها في غيره؛ إذ يكون مُتهيئًا لقراءة القرآن، ولصلاة النافلة، وللتطوُّع بأنواع الذكر، وكلُّ ذلك ممَّا يُريح القلب، ويجلب الطمأنينة والسكينة؛ فإنَّ الصلاة راحة المؤمن، وبالذكر يطمئن القلب؛ قال تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[3]، ولأهمِّيَّة الذكر بعد الصلاة المكتوبة حثَّ الله تعالى عليه الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، سواء كان قولًا أم فعلًا، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾[4]، فحريٌّ بالمؤمن أن يُطيل المكث في المسجد، ويُكثر فيه من الأعمال الصالحة من ذكر وقرآن، وصلاة وإحسان.

القَلْــبُ يَخْــشَعُ بِالصَّـلَاةِ ... جَــماعَةً فِي المِسْجــدِ
قَلْــبٌ تَعَلَّــقَ بِالمِسَاجِــدِ ... نُــورُ حَــقٍّ يَهْتَــدِي
يَا سَعْــدُ عَبْــدًا مُؤمِنَــا ... بُــرْدًا تَقِــيًّا يَرْتَــدي
يا نَفْسُ عِيشي فِي خُشــوعٍ ... ذِكْــــرُ رَبِّي رَدِّدي[5]

---

(١) رواه قريبًا منه أبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٥/ ٥٠). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٢) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (٢/ ٧٠٠). دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ (موضوعات للخطب بأدلتها من القرآن الكريم والسنة الصحيحة) مع ما تيسر من الآثار والقصص والأشعار، المؤلف: شحاتة محمد صقر، الناشر: جـ١ / دَارُ الفُرْقَان للتُرَاث – البحيرة، جـ ٢/ دار الخلفاء الراشدين - دار الفتح الإسلامي (الإسكندرية) .

(٣) الرعد: ٢٨.

(٤) ق: ٤٠.

(٥) لم أقف عليه.



٢٥ رجب
فضل المشي في حاجة الناس

الإنسان مُطالَبٌ دائمًا بفعل الخير؛ ولكن ابتغاء مرضاة الله سبحانه وتعالى، وقضاء حوائج الناس تنشر المحبَّة بين أفراد المجتمع، وتُؤلِّف بين قلوب الناس؛ لذلك أمرنا الله تعالى بالتعاون في ميدان البر، ونهانا عن التعاون في ميدان الشر قال عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[(١)]، وقد جاء الأمر بفعل الخير بعد ذكر جملة من الشعائر؛ للدلالة على أنَّ فعل الخير لا يقلُّ عنها في المنزلة والثواب، يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[(٢)]، وأيّدت السُّنَّة ذلك؛ فعن ابن عمر- رضي الله عنهما- أنَّ رَسولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قالَ:" المسْلِمُ أَخُو المسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ ولَا يُسْلِمُهُ، ومَن كانَ في حَاجَةِ أَخِيهِ كانَ اللَّهُ في حَاجَتِهِ، ومَن فَرَّجَ عن مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرُبَاتِ يَومِ القِيَامَةِ، ومَن سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَومَ القِيَامَةِ" رواه مسلم[(٣)].

قال سَماحة العلَّامةِ الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: الحوائج: ما يحتاجه الإنسانُ ليكمل به أموره، وأمَّا الضروريات فهي ما يضطر إليه الإنسان ليدفع به ضرره، ودفْع الضرورات واجبٌ؛ فإنَّه يجب على الإنسان إذا رأى أخاه في ضرورة أن يدفع ضرورته؛ فإذا رآه في ضرورة إلى الطعام أو إلى الشراب، أو إلى التدفئة، أو إلى التبردة؛ وجب عليه أن يقضي حاجته، ووجب عليه أن يُزيلَ ضرورته ويرفعها. حتَّى إنَّ أهل العلم يقولون: لو اضطر الإنسان إلى طعامٍ في يد شخص أو إلى شرابه، والشخص الذي بيده الطعام أو الشراب لم يضطر إليه ومنَعَه بعد طلبه، ومات، فإنَّه يَضمَنُه؛ لأنَّه فرَّط في إنقاذ أخيه من هلَكة. أمَّا إذا كان الأمر حاجيًّا وليس ضروريًّا، فإنَّ الأفضل أن تُعِينَ أخاك على حاجته، وأن تُيسِّرَها له، ما لم تكن الحاجة في مضرَّته، فإن كانت الحاجة في مضرَّته فلا تُعِنْه؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾[(٤)][(٥)]،

---

(١) المائدة: ٢.

(٢) الحج: ٧٧ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٨) برقم (٢٤٤٢) كتاب المظالم والغصب باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٦) برقم (٢٥٨٠) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم.

(٤) المائدة: ٢.

(٥) شرح رياض الصالحين (٣/ ٢٣) .



ولقد حثَّنا الله تعالى على السعي في قضاء حوائج الناس؛ لأنَّ ذلك من وسائل التقرُّب إلى الله تعالى، والحصول على الحسنات؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ (١).

قال الإمام الطبري- رحمه الله-: ما تُقدِّموا- أيُّها المؤمنون- لأنفسكم في دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها في سبيل الله، أو غير ذلك من نفقة في وجوه الخير، أو عمل بطاعة الله من صلاة أو صيام أو حج، أو غير ذلك من أعمال الخير في طلب ما عند الله؛ تجدوه عند الله يوم القيامة في معادكم هو خيرًا لكم ممَّا قدَّمتم في الدنيا، وأعظم منه ثوابًا؛ أي: ثوابه أعظم من ذلك الذي قدَّمتموه لو لم تكونوا قدَّمتموه(٢).

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الله عز وجل يقول يوم القيامة: يا ابن آدم؛ مرِضتُ فلم تعُدني- تَزُرْني-، قال: يا ربِّ؛ كيف أعودك وأنتَ ربُّ العالمين؟ قال: أما علمتَ أنَّ عبدي فلانًا مرِضَ فلم تعُده، أما علمتَ أنَّك لو عُدتَه لوجدتَني عنده؟ يا ابن آدم؛ استطعمتُك فلم تُطعمني، قال: يا ربِّ؛ وكيف أطعمك وأنتَ ربُّ العالمين؟ قال: أما علمتَ أنَّه استطعمك عبدي فلانٌ؛ فلمْ تُطعمْه؟ أما علمتَ أنَّك لو أطعمتَه لوجدتَ ذلك عندي، يا ابن آدم؛ استسقيتُك، فلمْ تُسقني، قال: يا ربِّ؛ كيف أسقيك وأنتَ ربُّ العالمين؟ قال: استسقاك عبدي فلانٌ فلمْ تسقِه، أما إنَّك لو سقيتَه لوجدتَ ذلك عندي"(٣).

والمؤمنون الذين يقضون الحوائج هم مفاتيح الخير؛ روى ابن ماجه عن أنس بن مالك- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ مِن الناس مفاتيح للخير مغاليق للشرِّ، وإنَّ مِن الناس مفاتيح للشرِّ مغاليق للخير، فطُوبَى لمن جعل الله مفاتيح الخير على يديه(٤)، وويلٌ لمن جعل الله مفاتيح الشرِّ على يديه"؛ فقوله صلى الله عليه وسلم: إنَّ مِن الناس مفاتيح للخير؛ أي: إنَّ الله تعالى أجرى على أيديهم فتح أبواب الخير؛ كالعلم والصلاح على الناس، حتى كأنَّه ملَّكهم مفاتيح الخير ووضعها في أيديهم.

---

(١) المزمل: ٢٠.

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان (٢٣/ ٣٩٨).

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٠) برقم (٢٥٦٩) كتاب البر والصلة والآداب باب فضل عيادة المريض.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ٨٦) برقم (٢٣٧) افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب من كان مفتاحًا للخير. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (١/ ٣٠٩).



كما أنَّ الله في عون الذين يقضون حوائج الناس؛ فقد روى مسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَن نفَّسَ عن مؤمن كربةً مِن كرب الدنيا نفَّسَ الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومَن يسَّرَ على مُعسرٍ يسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، ومَن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه"(١).

قوله صلى الله عليه وسلم: والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه: فيه تنبيهٌ على فضيلة عون الأخ على أموره، وإشارة إلى أنَّ المكافأة عليها بجنسها من العناية الإلهية؛ سواء كان بقلبه أم ببدنه، أو بهما معًا لدفع المضار، أو جذب المنافع؛ إذ الكُلُّ عون.

ويُعتبَر التعاون على الخير بين أفراد المجتمع ضرورة إنسانية واجتماعية، لا يستطيع الناس الاستغناء عنها؛ روى مسلم عن النعمان بن بشير- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَثلُ المؤمنين في توادِّهم وتراحُمهم وتعاطُفهم؛ مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد (أي: دعا بعضُه بعضًا إلى المشاركة في ذلك) بالسهر والحُمَّى"(٢).

قال الإمام النووي- رحمه الله-: هذا الحديث صريحٌ في تعظيم حقوق المسلمين بعضهم على بعض، وحثِّهم على التراحُم والملاطفة والتعاضُد في غير إثمٍ ولا مكروه(٣).

ويُعَدُّ الإصلاح بين المتخاصمين من أفضل وسائل قضاء حوائج الناس؛ لأنَّه يترتَّب عليه التأليف بين قلوب الناس، وإخماد نار الفتنة، فقد روى البخاري عن جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما-" أنَّ أباه تُوفِّي وترك عليه ثلاثين وسقًا لرجُلٍ مِن اليهود، فاستنظره جابر فأبى أن يُنظِره، فكلَّم جابرٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشفع له إليه، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلَّم اليهودي ليأخذ ثمر نخله بالذي له، فأبى فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم النخل فمشى فيها، ثم قال لجابر: جُدَّ له، فأوْفِ له الذي له، فجَدَّه بعدما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأوفاه ثلاثين وسقًا، وفضلت له سبعة عشر وسقًا، فجاء جابر رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُخبره بالذي كان، فوجَده يُصلِّي العصر، فلما انصرف أخبَره بالفضل فقال: أخْبِرْ ذلكَ ابْنَ الخَطَّابِ، فذهب جابر إلى عمر فأخبَرَه، فقال له عمر: لقد علِمتُ حين مشى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليُبارَكَنَّ فيها"(٤).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤) برقم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠) برقم (٦٠١١) كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٩) برقم (٢٥٨٦) كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

(٣) الظاهر أن هذا من كلام الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي. ينظر: شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٣٩).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١١٧) برقم (٢٣٩٦) كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس باب إذا قاص أو جازفه في الدين تمرا بتمر أو غيره.



قال محمد بن واسع: ما رددتُ أحدًا عن حاجة أقدر على قضائها، ولو كان فيها ذَهابُ مالي[١]، وقال محمد بن المنكدر: لمْ يبقَ من لذة الدنيا إلَّا قضاء حوائج الإخوان[٢]، وقال الحسن البصري: لأنْ أقضي لأخٍ لي حاجةً أحبُّ إليَّ مِن أن أعتكف شهرين، قال حكيم بن حزام- رضي الله عنه-: ما أصبحتُ وليس ببابي صاحب حاجة؛ إلَّا علمتُ أنَّها من المصائب التي أسأل الله الأجرَ عليها[٣].

قال أبو العتاهية:

اقْضِ الحوائجَ ما استطعْتَ ... وكُنْ لِهَمِّ أخيك فارجْ
فلَخيرُ أيامِ الفتى ... يومٌ قضَى فيه الحوائج[٤]

الخلاصة: أنَّ لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم القدوة الحسنة؛ فقد قالت عنه السيدة خديجة- رضي الله عنها- عندما عاد من غار حراء:" والله؛ ما يُخزيك الله أبدًا، إنَّك لَتصلُ الرحم، وتصدُق الحديث، وتحمل الكَلَّ، وتُكسب المعدوم، وتُعين على نوائب الحق" رواه البخاري[٥].

فمساعدة الناس تكون سببًا في النجاة مِن المِحَن؛ فلا تبخلْ على إخوانك بالمساعدة فيما وهبك الله، واحتسبْ أجرك عند الله.

---

(١) قضاء الحوائج لابن أبي الدنيا (ص: ٦٤). قضاء الحوائج، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المحقق: مجدي السيد إبراهيم، الناشر: مكتبة القرآن – القاهرة.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (٥٦/ ٥٣). تاريخ دمشق، المؤلف: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)، المحقق: عمرو بن غرامة العمروي، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عام النشر: ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥م.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٥/ ١٢٥).

(٤) ثواب قضاء حوائج الإخوان (ص: ٨٧). ثواب قضاء حوائج الأخوان وما جاء في إغاثة اللهفان، المؤلف: محمد بن علي بن ميمون، أبو الغنائم النَّرْسِي الكوفي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: د عامر حسن صبري، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م..

(٥) واه البخاري في صحيحه (١/ ٧) برقم (٣) بدء الوحي كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. ومسلم في صحيحه (١/ ١٣٩) برقم (١٦٠) كتاب الإيمان باب بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.



٢٦ رجب
فضل قيام الليل

تُعدُّ صلاة قيام الليل من أفضل الصلوات النوافل وأحبِّها إلى الله عز وجل، وهي سُنَّة مُؤَكَّدة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، يمتدُّ وقتها من بعد صلاة العشاء إلى ما قبل الفجر، يُصلِّي فيها المسلم ما شاء من الركعات، ويُستحبُّ له أن يُطيل فيها القراءة والركوع والسجود، مُنيبًا خاشعًا لله تعالى، ولا بدَّ من الإشارة إلى أنَّه لا يقتصر قيام الليل على الصلاة فقط، بل يشمل قراءة القرآن الكريم، والذِّكر من تهليلٍ، وتسبيحٍ، وتحميدٍ، وتكبيرٍ، وغيره، ويحرص المرء أن يكون عمله فيها أقرب إلى الإخلاص، قال عنها الرسول صلى الله عليه وسلم:" أَفْضَلُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ المَكْتُوبَةِ الصَّلَاةُ في جَوْفِ اللَّيْلِ" رواه مسلم(١).

واهتمَّ القرآن الكريم اهتمامًا كبيرًا بالحثِّ على صلاة قيام الليل، لما فيها من المنفعة والفضائل الكبيرة التي تعود على الإنسان في الدنيا والآخرة من البركة والعافية وسعة الرزق والسكينة في القلب. قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٢).

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ؛ أي: ترتفع جنوبهم، وتنزعج عن مضاجعها اللذيذة، إلى ما هو ألذُّ عندهم منه وأحبُّ إليهم، وهو الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالى(٣).

وقال تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾(٤).

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: قَلِيلا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ؛ أي: كان هجوعهم أي: نومهم بالليل قليلًا، وأمَّا أكثر الليل فإنَّهم قانتون لربهم؛ ما بين صلاة، وقراءة، وذكر، ودعاء، وتضرع(٥).

وقد سُئل سماحة الشيخ ابن باز- رحمه الله- عن فضل قيام الليل فقال: التهجُّد بالليل سُنَّة وقُربة، وأفضله آخر الليل، أفضله السدس الرابع والخامس، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: أفضل الصلاة صلاة داود، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه ويقول صلى الله عليه وسلم:"

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٢١) برقم (١١٦٣) كتاب الصيام باب فضل صوم المحرم.

(٢) السجدة: ١٦- ١٧ .

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٥٥).

(٤) الذاريات: ١٧- ١٨ .

(٥) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٠٩).

ينزل ربُّنا إلى السماء الدنيا كلَّ ليلةٍ حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: مَن يدعوني فأستجيب له؟ مَن يسألني فأعطيه؟ مَن يستغفرني فأغفر له؟" رواه البخاري[(١)(٢)].

وقيام الليل من العبادات التي لها فضائل تعود على العبد بالنَّفع في دُنياه وآخرته، فقد بيَّنَ الله- تعالى- أنَّ قيام الليل من علامات المتَّقين، وهم يتَّقون بقيام الليل عذابَ الله- تعالى-، ويرجون أن تكون لهم الجنَّة، وهي صفة من صفات عباد الرحمن الصالحين؛ قال- تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[(٣)].

كذلك فضَّلَ الله- تعالى- الذين يقومون الليل على غيرهم من الناس بالأجر والمكانة عنده؛ فقـــال: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[(٤)].

وبيَّنَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ قيام الليل مِن أسباب دخول الجنَّة، وهو وَعدٌ مِن الله لعباده؛ قال صلى الله عليه وسلم:" أيُّها النَّاسُ؛ أفشوا السَّلامَ، وأطعِموا الطَّعامَ، وصلُّوا والنَّاسُ نيامٌ، تدخلوا الجنَّةَ بسلامٍ" رواه الترمذي[(٥)].

ولا تكون ثمرة قيام الليل في الآخرة فقط؛ فالذي يقوم الليل يشعر بحلاوة ولَذّة، وراحة وسكينة في الدُّنيا أيضًا، ولقد بيَّنَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أنَّ قيام الليل سببٌ لتحقيق رحمة الله- تعالى- بالعبد وبالأمَّة؛ قال صلى الله عليه وسلم:" رحمَ اللهُ رجلًا قامَ من الليلِ فصلَّى وأيْقظَ امرأتَه فصلَّتْ، فإنْ أبَتْ نضحَ في وجهِها الماءَ، ورحمَ اللهُ امرأةً قامتْ من الليلِ فصلَّت وأيقظتْ زوجَها فصلَّى، فإنْ أبَى نضحتْ في وجهِه الماءَ " رواه أبو داود والنسائي[(٦)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٣) برقم (١١٤٥) كتاب التهجد باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٢١) برقم (٧٥٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل، والإجابة فيه.

(٢) فتاوى نور على الدرب لابن باز (١٠/ ٤٢). فتاوى نور على الدرب، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ.

(٣) الذاريات: ١٥- ١٧.

(٤) الزمر: ٩.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٣٩/ ٢٠١) برقم (٢٣٧٨٤). والترمذي في جامعه (٤/ ٦٥٢) برقم (٢٤٨٥) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (١/ ٤٢٣) برقم (١٣٣٤) كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها باب ما حاء في قيام الليل. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ٤٨٥) .

(٦) رواه أحمد في مسنده (١٢/ ٣٧٢) برقم (٧٤٠٩). وأبو داود في سننه (٢/ ٣٣) برقم (١٣٠٨) أبواب قيام الليل باب قيام الليل. والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ١١٥) برقم (١٣٠٢) كتاب قيام الليل وتطوع النهار الترغيب في قيام الليل. وابن ماجه في سننه (١/ ٤٢٤) برقم (١٣٣٦) كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٣/ ٣٠٨).



ولقد اعتنى النبي صلى الله عليه وسلم بقيام الليل، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتَّى تتورَّم قدماه، وقد كان يجتهد اجتهادًا عظيمًا لأدائها، حريصًا على الالتزام بها، جاء في الحديث:" أنَّ نَبِيَّ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هذا يا رَسولَ اللَّهِ، وقدْ غَفَرَ اللَّهُ لكَ ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِكَ وما تَأَخَّرَ؟ قالَ: أفلا أُحِبُّ أنْ أكُونَ عَبْدًا شَكُورًا، فَلَمَّا كَثُرَ لَحْمُهُ صَلَّى جَالِسًا، فَإِذَا أرَادَ أنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ" رواه البخاري(١).

ومن آداب قيام الليل:

١- النية: فإن لم تستيقظْ كُتِبَ لك ثوابُ القيام؛ يقول صلى الله عليه وسلم:" إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّما لكُلِّ امرِئٍ مَا نَوَى"متفق عليه(٢).

٢- الوضوء بعد الاستيقاظ مباشرة، واستخدام السِّواك.

٣- افتتاح القيام بركعتين خفيفتين، ثم الصلاة بعدهما ما يشاء.

٤- الصلاة على قدرِ الاستطاعة؛ لقولِهِ تعالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾(٣)، فإذا غلب الإنسانَ النوم نام، حتى يعرف ما يقول في صلاته.

٥- الدعاء عند القيام بدعاءِ النبي صلى الله عليه وسلم:" اللَّهُمَّ اجعلْ في قلبِي نورًا، وفي بصرِي نورًا، وفي سمعي نورًا، وعنْ يميني نورًا، وعنْ يساري نورًا، ومن فوقِي نُورًا، ومن أمامي نورًا، وأعظمْ لِي نورًا" رواه مسلم(٤).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٣٥) برقم (٤٨٣٧) كتاب تفسير القرآن باب {ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر، ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما} [الفتح: ٢].

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٦) برقم (١) بدء الوحي كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥١٥) برقم (١٩٠٧) كتاب الإمارة باب قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنية»، وأنه يدخل فيه الغزو وغيره من الأعمال.

(٣) البقرة: ٢٨٦.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٢٥) برقم (٧٦٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.



وختامًا؛ إليك بعض الوصايا التي تُعينُك على قيام الليل:

١- هجْر الذّنوب: يقول سفيان الثّوريّ: حُرِمتُ قيام الليل خمسة أشهر لذنب أذنبتُه. قيل له: وما هذا الذّنب؟ قال: رأيتُ رجلًا يبكي فقلتُ: هذا مُرَاءٍ[١]. وقال الحسن بن علي: إذا لم تقدرْ على قيام الليل وعلى صيام النهار؛ فاعلم أنَّك محرومٌ، وقد كثُرتْ ذنوبُك[٢].

٢- التفكُّر في أهوال الآخرة: قال طاووس: إنَّ ذِكْر جهنَّم طيَّر نوم العابدين[٣].

٣- عدم الإكثار من الطعام: قال بعض الصالحين: كم من أكلةٍ منعتْ قيام ليلة، وكم من نظرة منعتْ قراءة سورة، وإنَّ العبد ليأكل أكلة، أو يفعل فِعْلة؛ فيُحرَم بها قيام سَنَة، وكما أنَّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات[٤].

٤- القيلولة: يُروَى أن الحسن كان إذا دخل السوق فسمع لَغَطَهُمْ ولغوهم، قال: أظنُّ أنَّ ليل هؤلاءِ ليلُ سوءٍ، فإنَّهم لا يقِيلون[٥].

ونصيحة من ناصح أمين: لا تبدأ قيام الليل كلَّه، أو نصفه أو ثلثه مرَّةً واحدةً، ولكن عليك بالتدرُّج؛ لأنَّ الرَّسول صلى الله عليه وسلم يقول:" إنَّ هذا الدِّين متينٌ؛ فأَوْغلوا فيه برفق" رواه أبو داود[٦].

وأخيرًا: قال الشاعر:

أَيُّها الرَّاقِدُ ذا اللَّيلَ التَّمَام ... قُـم بِجِـدٍّ فَـالليالِي فِي انصِرام

وَتَقَرَّب بِصَلاةٍ وَصِيــام ... ابتَهِـــل لِلَّهِ فـــي جُنـــحِ

فَعَسَى تَلْحَقُ بِالقَومِ الكِرَام الظَّلام[٧]

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين (١/ ٣٥٦) .

(٢) ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨/ ٩٦) .

(٣) ينظر: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص: ٣٧). التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، المحقق: بشير محمد عيون، دار النشر: مكتبة المؤيد - الطائف، دار البيان – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤٠٩ – ١٩٨٨.

(٤) إحياء علوم الدين (١/ ٣٥٦).

(٥) حسن التنبه لما ورد في التشبه (٦/ ١٠٤). حسن التنبه لما ورد في التشبه «وهو كتاب فريد في بابه يشتمل على بيان ما يتشبه به المسلم وما لا يتشبه به»، المؤلف: نجم الدين الغزي، محمد بن محمد العامري القرشي الغزي الدمشقي الشافعي (المولود بدمشق سنة ٩٧٧ هـ، والمتوفى بها سنة ١٠٦١ هـ)، تحقيق ودراسة: لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، الناشر: دار النوادر، سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

(٦) رواه أحمد في مسنده (٢٠/ ٣٤٦) برقم (١٣٠٥٢). والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته (١/ ٤٤٧).

(٧) ينظر: مجموعة القصائد الزهديات (٢/ ٣٦٢). مجموعة القصائد الزهديات، المؤلف: أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (ت ١٤٢٢هـ)، الناشر: مطابع الخالد للأوفسيت – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ.



٢٧ رجب
فضل اللغة العربية

حظيت اللغة العربية بشرفٍ عظيمٍ؛ إذ تنزَّل بها الكتاب الكريم، كتاب ربِّ العالمين، على الرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، الذي كان أفصح البشر لسانًا، فزاد مِن شرف اللغة العربية أنَّها كانت لغته صلى الله عليه وسلم التي مكَّنه الله- عز وجل- منها أيَّما تمكُّنٍ، وكان صحابته الكرام وسلف الأمة- رضوان الله عليهم- على النهج ذاته في العناية باللغة العربية تكريمًا وعناية وتشريفًا.

وعندما نتأمَّل عناية القرآن الكريم باللغة العربية نجد عدَّة آيات تنصُّ على نزول القرآن عربيًّا، وهو شرفٌ أيُّ شرفٍ لهذه اللغة، أن تكون اللغة التي اصطفاها الله- عز وجل- لمخاطبة عباده، حيث وُصف القرآن بكونه عربيًّا في ست آيات، منها قوله تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[2]، كما جاء وصفه باللسان العربي في قوله تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[3]، وجاء تفصيل كونه عربيًّا وليس أعجميًّا في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾[4]، والحاصل من ذلك أنَّ مجموع ما ورد من ألفاظ العربية في وصف القرآن إحدى عشر آية تدلُّ على شرف اللغة العربية، دلالة لا يُنكرها إلَّا مُكابرٌ أو جاحِدٌ. قال الفراء: وجدنا للغة العرب فضلًا على لغة جميع الأمم اختصاصًا من الله تعالى وكرامة أكرمهم بها، ومن خصائصها أنَّه يوجد فيها من الإيجاز ما لا يوجد في غيرها من اللغات[5].

---

(١) يوسف: ١- ٢ .

(٢) الزمر: ٢٧- ٢٨.

(٣) النحل: ١٠٢- ١٠٣.

(٤) فصلت: ٤٤.

(٥) صبح الأعشى في صناعة الإنشاء (١/ ١٨٤). صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، المؤلف: أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي ثم القاهري (المتوفى: ٨٢١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت.



قال ابن شبرمة: إذا سرَّك أن تعظم في عين مَن كنتَ في عينه صغيرًا، أو يصغر في عينك مَن كان فيها كبيرًا؛ فتعلَّم العربية، فإنَّها تُجرِّئُك على المنطق، وتُدنيك من السلطان، قال الشاعر:

اللحنُ يُصلِح مِن لسان الألكنِ	والمــرءُ تُعظِّمــه إذا لم يلحــنِ
ولحنُ الشريف محطَّةٌ من قدره	فتراه يسقط من لحان الأعينِ
وترى الدنيَّ إذا تكلَّم مُعربًا	حازَ النهاية باللسانِ المعلنِ
وإذا طلبتَ مــن العلوم أجلَّها	فأجلُّها منهــا مقيم الألسنِ(١)

واللغة العربية من أهمِّ لغات الأرض اليوم، فهي لغة المسلمين الأولى، والمسلمون اليوم يزيدون عن مليار نسمة، وهي اللغة الرسمية لثمانية وعشرين دولة عربية تمتدُّ هذه الدول بين قارَّتَين، ومعظمها دولٌ مُؤثِّرة في القرارات الدولية الكبيرة، وتُشكِّل اللغة العربية اللغة الرسمية للمؤتمرات والاجتماعات الدولية الكبرى بين هذه الدول.

أمَّا في سابق السنين فأهمية اللغة العربية لا تقلُّ عن أهميتها اليوم أبدًا، فهي لغة التراث، ولغة كتب التفسير القرآني، ولغة الأدب والعلم الحقيقي؛ الذي صدَّره العرب للشعوب أجمعها في العصور الوسطى، هي لغة حاضرة المشرق أيام العبَّاسيين، ولغة قرطبة حاضرة الأندلس، ملتقى الأدب والأدباء، والعلم والعلماء، مجتمع كلِّ ذي علمٍ في ذلك الزمن، لقد كانت اللغة العربية- ولما تزلْ- لغة من أهمِّ وأشهر اللغات في هذا العالم، فهي الأقدر على التعبير، وهي الأفصح لسانًا والأبلغ والأجمل والأرهف أيضًا، لغة الشعراء العرب، والخطباء والفصحاء العرب؛ الذين ذاع صيتهم في الأمصار قبل الإسلام، ولغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بعد ظهور الإسلام، لغة الفاتحين الذين دانتْ لهم الأرض، ولغة العلم والعلماء والمعلِّمين الأوائل من علماء المسلمين عبر السنين، كما أنَّها من اللُّغات التي ظلَّت مُحافظة على قواعدها اللغوية حتَّى هذا الوقت؛ لأنَّها لغة الإسلام والمسلمين والقرآنِ الكريم، كما أنَّ الثّقافة العربية غنية جدًّا بالعديد من المؤلَّفات، سواءً الأدبية، أو العلمية، أو غيرها، والتي كُتِبتْ بِلُغَة عربية فصيحة.

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية (٢/ ١٢٩). الآداب الشرعية والمنح المرعية، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الراميني ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب. وينظر أيضًا للأبيات:الدر الفريد وبيت القصيد (٤/ ١٩١). الدر الفريد وبيت القصيد، المؤلف: محمد بن أيدمر المستعصمي (٦٣٩ هـ - ٧١٠ هـ)، المحقق: الدكتور كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥م.



كما أنَّ للغة العربية أهميةً كبيرةً في الثقافة والتراث والأدب العربي؛ لأنَّها تُعتَبر جزءًا من الحضارة العربية، وتُعدُّ اللغة العربية من اللغات الإنسانية السامية، والتي ما زالت محافظةً على تاريخها اللغوي والنحوي منذ قديم الزمان. كما تُعتَبر اللغة العربية لغة العديد من الشعوب والقبائل، مثل ثمود، وعاد، وغيرهم، وساهم ذلك في انتشارها في الجزيرة العربية وبلاد الشام. ولقد ساهمت اللغة العربية في نهوض العديد من الحضارات، وخصوصًا الأوروبية، ممَّا أدى إلى تشجيع الأوروبيين لتعلُّمها وفهمها للتعرُّف على حروفها وكلماتها، وتتمتَّع اللغة العربية بخصوصية لغوية تجعلها تتميَّز عن اللغات العالمية الأُخرى، والتي تظهر في بيانها ووضوح مفرداتها وكلماتها؛ لأنَّها تَستخدم العديد من الكلمات اللغوية في اللغات السامية كلمات ذات أصل عربي، ممَّا ساهم في تعزيز التقارب بين اللغة العربية واللغات العالمية الأُخرى.

ومن المميِّزات الأساسية للغة العربية أنَّ نظام النطق فيها من أهمِّ أنظمة الكلام اللغوي، فيستخدَم اللسان، والحلق، والحنجرة من أجل نُطْق الحروف والكلمات بناءً على أصواتها، وتُقسَّم الأصوات في اللغة العربية إلى مجموعة من الأقسام، مثل أصوات الإطباق، وأصوات الحنجرة، وغيرها. وأيضًا من المفردات وهي الكلمات التي تتكوَّن منها اللغة العربية، ويُصنَّف المعجم اللغوي الخاص فيها بأنَّه من أكثر المعاجم اللغوية الغنية بالمفردات والتراكيب؛ فيحتوي على أكثر من مليون كلمة، وتُعتَبر المفردات الأصلية في اللغة العربية عبارة عن جذور ثلاثية للكلمات الأُخرى، فينتج الجذر اللغوي الواحد العديد من الكلمات والمفردات.

ومن المميِّزات اللفظ: وهي الطريقة التي تُنطَق فيها كلمات اللغة العربية، وتُلفَظ الكلمات بالاعتماد على استخدام حركات لغوية، ويُطلَق عليها مُسمى التشكيل، ويتغيَّر اللفظ الخاص في كلِّ كلمةٍ بناءً على طبيعة تشكيلها؛ أي الحركات المكتوبة على حروفها، كما أنَّ اللفظ يشمل التهجئة الخاصة في الحروف، والتي يتعلَّمها كلُّ شخصٍ يُريد تعلُّم العربية؛ حتى يسهل عليه فهمها، والتعامل مع كلماتها وجملها بطريقة صحيحة.

ومن مُميِّزاتها أيضًا الصرف: وهو الأسلوب المرتبط بالمفردات؛ إذ يعتمد على نظام جذور الكلمات التي تكون ثلاثيةً في الغالب، وقد تصبح رباعية في بعض الأحيان، كما تتميَّز اللغة العربية عن الكثير من اللغات الأُخرى بوجود صيغ للكلمات الخاصة بها، فمن الممكن تحويل الكلمة المفردة إلى مثنى، أو جمع، وغيرها من الطُرق التي تستخدمها اللغة العربية في تصنيف الكلمات.

والنحو: هو أساس الجملة في اللغة العربية، وتُقسَّم الجُمل العربية إلى نوعين، وهما: الجملة الاسمية، والجُملة الفعلية، ولكلٍّ نوعٍ أُسس وقواعدُ نحوية يجب استخدامها في كتابتها وصياغتها حتى تُساهم في نقل الأفكار الخاصة بها، وأيضًا يعتمد النحو في اللغة العربية على استخدام مجموعة من الأدوات التي تربط بين الجمل، والعديد من الوسائل الأُخرى التي تحافظ على سلامة مبناها؛ لذلك تُصنَّف اللغة العربية كواحدةٍ من اللغات التي تحتفظ بنظام نحوي خاص بها، ويُساعد في إعراب جُملها وبيان طُرق كتابتها.

وأجمل ما نختم به ما ذكره الرافعي: إنَّ هذه العربية بُنيتْ على أصلٍ سحري؛ يجعل شبابها خالدًا عليها فلا تهرم ولا تموت، لأنَّها أُعِدَّتْ من الأزل فَلكًا دائِرًا للنيِّرَين الأرضيين العظيمين: كتاب الله وسُنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومِن ثَمَّ كانت فيها قوة عجيبة من الاستهواء كأنَّها أخذة السحر[(١)].

---

(١) تحت راية القرآن (ص: ٢٦). تحت راية القرآن، المؤلف: مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (المتوفى: ١٣٥٦هـ)، الناشر: المكتبة العصرية - صيدا - بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.



٢٨ رجب
فضل المدينة

تُعتبَر المدينة المنوَّرة واحدة من أهمِّ المدن الإسلامية حول العالم، فهي العاصمة الأولى للدولة الإسلامية التي تأسَّست على يد الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم، كما تُعتبَر أيضًا ثاني أقدس المدن بعد مدينة مكَّة المكرَّمة.

وتقع المدينة المنوَّرة اليوم في المملكة العربية السعودية، وتحديدًا في منطقة الحجاز، حيث تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة مكَّة المكرَّمة، وتبعد عنها قرابة أربعمائة كيلومتر تقريبًا، كما تقع أيضًا إلى الجهة الشرقية من البحر الأحمر. وقد عُرفت المدينة المنوَّرة بفضائلها العظيمة بين المسلمين، والتي تميَّزت بها عن باقي مناطق العالم.

كما تتَّسم المدينة المنوَّرة بطابعٍ إسلامي مُتميِّز، وفيها العديد من المعالم التي يزورها المسلمون، ويعتبرونها من أهمِّ الأماكن التي يجب أن يذهبوا لزيارتها عند ذهابهم إلى المدينة المنوَّرة، والمعلم الأبرز فيها والذي لا يُمكن مقارنته بأي شيء هو المسجد النبوي الشريف؛ الذي بُني لأوَّل مرَّة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أحد المساجد الثلاثة التي تُشدُّ الرحال إليها، وتُعادل الصلاة فيه أكثر من ألف صلاة، ويتميَّز بتصميم إسلامي بالغ الروعة، وفيه المآذن الجميلة، والمصابيح التي تُضيء جميع أرجاء المسجد، وتضمُّ المدينة المنورة قبور أكثر من سبعين من الصحابة- رضوان الله عليهم-، ومسجد قباء الذي يُعدُّ من أشهر معالم المدينة المنوَّرة، فهو أوَّل مسجد بُني في الإسلام، وكان ذلك في عام ستمائة واثنين وعشرين ميلادية، ووضع النبي صلى الله عليه وسلم حجر الأساس له، وله محراب رائع ومآذن رخامية، وهو اليوم يتَّسع إلى أكثر من خمسة آلاف مُصلٍّ، أمَّا مسجد ذي القبلتين فهو المسجد الوحيد من بين جميع المساجد الذي تمَّت الصلاة فيه باتجاه القبلتين، حين تمَّ تغيير القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة الشريفة، ويعود تاريخ بنائه إلى عام ستمائة وثلاثة وعشرين ميلادية، وله لونٌ أبيض ناصع. ولقد هاجر النبى صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنوَّرة، التى شرُفت بهجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إليها، وأُطلق اسم المدينة المنوَّرة على مدينة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وقد تم وصفها بالمنوَّرة لأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم نوَّرها عندما قدم إليها، ونُـوِّرتْ بما جاء بها من الشرع والهُدى، وقد أُطلق على المدينة المنوَّرة العديد من الأسماء منها:

العاصمة، والمحرَّمة، وطيبة، وطابة، والعذراء، والمسكينة، والمحبَّة، والجابرة، والمحبورة، ويثرب، والمباركة، والقدسية، والمرزوقة، والمختارة، وغيرها الكثير من الأسامي المباركة.

وقد وردت النصوص الكثيرة في فضلها، وحُرمتها، ومكانتها، إخبارًا ودعاءً، وترغيبًا وترهيبًا؛ منها: أنَّ الله جعلها حَرَمًا: فعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقاصٍ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" إِنِي أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ، أَنْ يُقْطَعَ عِضَاهُهَا، أَوْ يُقْتَلَ صَيْدُهَا، وَقَالَ: الْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، لَا يَدَعُهَا أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلَّا أَبْدَلَ اللهُ فِيهَا مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْهُ، وَلَا يَثْبُتُ أَحَدٌ عَلَى لأْوَائِهَا وَجَهْدِهَا إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا، أَوْ شَهِيدًا، يَوْمَ الْقِيَامَةِ" رواه مسلم(١).

وفي حديث أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" وَإِنِّي حَرَّمْتُ الْمَدِينَةَ حَرَامًا مَا بَيْنَ مَأْزِمَيْهَا، أَلَا يُهْرَاقَ فِيهَا دَمٌ، وَلَا يُحْمَلَ فِيهَا سِلَاحٌ لِقِتَالٍ، وَلَا تُخْبَطَ فِيهَا شَجَرَةٌ إِلَّا لِعَلْفٍ" رواه مسلم(٢).

وفي هذا الحديث دليلٌ على تحريم المدينة، وأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم حرَّمها بتحريم الله تعالى لها كما حرَّم إبراهيم- عليه السلام- مكَّة، ودعا لأهلها بالبركة وسعة العيش؛ حيث قال: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾(٣)، قال الشيخ ابن باز- رحمه الله-: ومَن سكن المدينة يعرف ذلك، يعرف ما فيها من البركة في طعامها وشرابها، وما يحصل لأهلها من الكفاية بالقليل، ولا سيما في حقِّ أهل الإيمان والتقوى(٤).

ومنها: أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم سمَّاها طيبة وطابة، روى مسلم في صحيحه مِن حَدِيثِ فَاطِمَةَ بِنتِ قَيسٍ- رضي اللهُ عنها- عن النبي صلى الله عليه وسلم:" هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ، هَذِهِ طَيْبَةُ يَعْنِي الْمَدِينَةَ"(٥).

قال ابن حجر- رحمه الله-: والطاب والطيب لغتان بمعنى، واشتقاقها من الشيء الطيِّب، وقيل: لطهارة تُربتها، وقيل: لطيبها لساكنها، وقيل: من طيب العيش بها(٦).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٩٩٢) برقم (١٣٦٣) كتاب الحج باب فضل المدينة، ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة، وبيان تحريمها، وتحريم صيدها وشجرها، وبيان حدود حرمها.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٠١) برقم (١٣٧٤) كتاب الحج باب الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها.

(٣) البقرة: ١٢٦ .

(٤) لم أقف عليه في كتب الشيخ رحمه الله. لكن ينظر موقع الألوكة:

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٦٢) برقم (٢٩٤٢) كتاب الفتن وأشراط الساعة باب قصة الجساسة.

(٦) فتح الباري لابن حجر (٤/ ٨٩).



ومنها: ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه وصفها بأنَّها قَرْيَةٌ تَأْكُلُ الْقُرَى، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ- رضي اللهُ عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى يَقُولُونَ: يَثْرِبُ، وَهِيَ الْمَدِينَةُ، تَنْفِي النَّاسَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ"(١)، والمراد بـ"تَأْكُلُ الْقُرَى" أي: ينصر الله الإسلام بأهل المدينة ويفتح على أيديهم القرى، فتجلب الغنائم إلى المدينة ويأكل أهلها، وأضاف الأكل إلى القرية والمراد: أهلها.

ومنها: ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من الدعاء لها بالبركة، روى مسلم في صحيحه مِن حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ- رضي اللهُ عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مَدِينَتِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي صَاعِنَا، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي مُدِّنَا، اللَّهُمَّ اجْعَلْ مَعَ الْبَرَكَةِ بَرَكَتَيْنِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ مَا مِنَ الْمَدِينَةِ شِعْبٌ وَلَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ مَلَكَانِ يَحْرُسَانِهَا حَتَّى تَقْدَمُوا إِلَيْهَا"(٢).

ومن فضائلها: أنَّه لا يدخلها الطاعون ولا الدجَّال، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ- رضي اللهُ عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" عَلَى أَنْقَابِ الْمَدِينَةِ مَلَائِكَةٌ، لَا يَدْخُلُهَا الطَّاعُونُ وَلَا الدَّجَّالُ"(٣).

ومنها: أنَّ في المدينة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو من المساجد التي لا تُشَدُّ الرحال إلَّا إليها، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ- رضي اللهُ عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ- صلى الله عليه وسلم-، وَالمِسْجِدِ الْأَقْصَى"(٤).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٠) برقم (١٨٧١) كتاب فضائل المدينة باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٠٦) برقم (١٣٨٢) كتاب الحج باب المدينة تنفي شرارها.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ١٠٠١) برقم (١٣٧٤) كتاب الحج باب الترغيب في سكن المدينة والصبر على لأوائها.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٢) برقم (١٨٨٠) كتاب فضائل المدينة باب لا يدخل الدجال المدينة. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٠٥) برقم (١٣٧٩) كتاب الحج باب صيانة المدينة من دخول الطاعون، والدجال إليها.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٦٠) برقم (١١٨٨) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠١٤) برقم (١٣٩٧) كتاب الحج باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد.



والصلاة فيه مُضاعفة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ- رضي اللهُ عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا، أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ، إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ"(١).

ومنها: فضل الروضة الشريفة، روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ- رضي اللهُ عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي"(٢). قال ابن حجر: وفي الحديث إشارة إلى الترغيب في سُكنى المدينة. وقوله: "رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ" أي: في نزول الرحمة وحصول السعادة بما يحصل من العبادة فيها المؤدِّية إلى الجنة، أو أنَّ المراد روضة حقيقية بأن ينتقل ذلك الموضع بعينه في الآخرة إلى الجنة(٣).

قال الشاعر:

أنا المدينة مَن في الكون يَجهلُني ... ومَن تراه درى عنِّي وما شغلا حتَّى
تتلمَّذَ المجدُ طفلًا عند مدرستي ... تخـــرَّجَ منهـــا عالِمًـــا رجُـــلا
فتحتُ قلبي لخيرِ الخلقِ قاطبةً ... فلم يُفارقْه يومًا منذُ أن دخلا واسمي
وصـــــرتُ سيدة الدنيا به شرفًا ... لكلِّ حدودِ الأرضِ قد وصـــــلا(٤)

الخلاصة: حبُّ الأنصار من علامات الإيمان، وبُغضهم من علامات النفاق، وحذَّر النبي صلى الله عليه وسلم من التعرُّض لهم بأذى، وأنَّ مَن يقوم بذلك يكون قد عرَّض نفسه للانتقام من الله، وقد حثَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على سُكنى المدينة المنوَّرة، وأخبر أنَّه سيشفع لمِن سكنها، وصبر على شِدَّتها، ومات فيها، وأخبر عن أقوامٍ سيسعون للانتقال منها، والمدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٦٠) برقم (١١٩٠) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠١٢) برقم (١٣٩٤) كتاب الحج باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٦١) برقم (١١٩٦) كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة باب فضل ما بين القبر والمنبر. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠١١) برقم (١٣٩١) كتاب الحج باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة.

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٤/ ١٠٠).

(٤) الأبيات للشاعر عبد المحسن بن حليت. ينظر http://saleh4.blogspot.com/2016/07/blog-post.html .



٢٩ رجب

فضل المشي في حاجة الناس

اصطفى اللهُ تعالى مكَّةَ المكرَّمةَ مِن بين بقاعِ الأرضِ ليكونَ فيها بيته الحرام، وَيتوجَّه إليه المسلمون من سائرِ أنحاء الأرض، ولهذَا الحرمِ أهميته عند اللهِ- عز وجل-، فقد ذكره الله تعالى فِي القرآنِ الكريمِ بأسماء عديدة؛ وهي: مكَّةُ، وبكَّةُ، وأمُّ القُرى، والبلد الأمين، والبلد، والبلدة، والمسجد الحرام، وما تعدَّدت هذه الأسماءِ إلَّا دليلًا على شرفِ المسَمَّى وَعِظَمِ مكانتِه عندَ اللهِ تعالى، وقد أشار بعضُ العلماءِ إلى أسماءٍ أخرى كثيرة لمكَّة المكرَّمة، ومكَّة هي مولد النبي الأمين صلى الله عليه وسلم الذي أضاء الكون عدلًا، ومسرى النبي الكريم صلى الله عليه وسلم ومسكنه فهي أحبُّ البقاع إليه، وأحبُّ مَن وطأتْ قدمه، بها أدَّى الأمانة، وبلَّغ الرسالة، وجمع القلوب؛ لتُجلى بجلاء الإيمان، وتُنقَّى من الخبث والدنس، في مكَّة كلُّ شيءٍ يحنُّ للنبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد أنزله الله للناس رحمة لأهل مكَّة ولمخلوقاتها ولكلِّ شيءٍ فيها.

يقولُ ابنُ القيّم- رحمه الله- في كتابه زاد المعادِ: وَمِن هذا اختيارُه سبحانه وتعالى من الأماكِنِ والبلادِ خَيْرَها وأشرَفَها، وهي البَلَدُ الحرامُ؛ فإنَّه سبحانه وتعالى اختاره لنبيّه صلى الله عليه وسلم، وجعله مناسِكَ لعبادِه، وأوجب عليهم الإتيانَ إليه من القُربِ والبُعدِ؛ مِن كُلِّ فَجٍّ عميقٍ[١].

وتوصَّل أحدُ الباحثين إلى أنَّ مكَّةَ المكرَّمةَ هي مركزُ الأرضِ، وَتُعتبَر منتصفَ العالمِ، أي أنَّ الأرضَ اليابسةَ على سطحِ الكرةِ الأرضيةِ مُوزَّعة حولَ مكَّة المكرَّمةَ، توزيعًا مُنتظمًا، والخالق عزَّ وجلَّ فضَّل بعض المخلوقات على بعض، واختار منها ما شاء، ومن الأماكن الفاضلة- التي فَضَّلَهَا الله على غيرها- مكة، البلد الأمين مهبط الوحي، ومنبع الرسالة، وهي البلد الذي أقسم الله به فقال: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ﴾[٢]. قال ابن كثير: هذا قسَمٌ من الله تعالى بمكَّة أمِّ القُرى في حال كون الساكن فيها حالًّا ليُنبِّه على عظمة قدرها في حال إحرام أهلها[٣]، قال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾[٤].

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٤٧) .

(٢) البلد: ١- ٢.

(٣) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٠٢).

(٤) التين: ٣.



وقد وردت نصوص كثيرة في فضلها وحُرمتها؛ فمن ذلك: أنَّ فيها بيت الله العتيق أوَّل بيتٍ وُضِع للناس، قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾[١]. وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ- رضي اللهُ عنه- قَالَ:" سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ أَوَّلِ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ عَامًا"[٢].

ومنها: أنَّ الله جعلها حَرَمًا آمنًا لا يُسْفَك فيه دم، ولا تعضد به شجرة، ولا ينفر له صيد، ولا يختلى خلاه، ولا تلتقط لقطته للتمليك بل للتعريف ليس إلَّا. روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أَبِي شُرَيْحٍ- رضي اللهُ عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" إِنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللَّهُ وَلَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلَا يَحِلُّ لِامْرِئٍ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، وَلَا يَعْضِدَ بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ لِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِيهَا فَقُولُوا: إِنَّ اللهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أَذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالْأَمْسِ وَلْيُبَلِّغْ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ"[٣].

ومن فضائلها: ما ورد في فضل الصلاة في المسجد الحرام، فقد روى الإمام أحمد في مسنده مِن حَدِيثِ جَابِرٍ- رضي اللهُ عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ"[٤]، وقد بحث أهل العلم هنا مُضاعَفة الصلاة: هل هي في الحَرَم كلِّه؟ وهل سائر الحسنات كذلك؟

فأمَّا المسألة الأولى ففي الحديث السابق وهو قَوْلُهُ صلى الله عليه وسلم:" وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ". ونصوص القرآن والسُّنَّة التي ذُكِرَ فيها المسجد الحرام إنَّما عُنِيَ به الحَرَم كلُّه، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[٥].

---

(١) آل عمران: ٩٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٤٥) برقم (٣٣٦٦) كتاب أحاديث الأنبياء باب بدون ترجمة. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٧٠) برقم (٥٢٠) كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٣٢) برقم (١٠٤) كتاب العلم باب ليبلغ العلم الشاهد الغائب. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٨٧) برقم (١٣٥٤) كتاب الحج باب تحريم مكة وصيدها وخلاها وشجرها ولقطتها، إلا لمنشد على الدوام.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢٣/ ٤٦) برقم (١٤٦٩٤). وابن ماجه في سننه (١/ ٤٥١) برقم (١٤٠٦) كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها باب ما جاء في فضل الصلاة في المسجد الحرام ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٣/ ٤٠٤).

(٥) البقرة: ١٩٦.



وأمَّا المسألة الثانية: فقد وردت آثارٌ عن السلف بالمضاعَفة لجميع الأعمال الصالحة، ومَن تأمَّل قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ﴾(١)؛ أيقن أنَّ تعظيم حرمة الحَرَم تدلُّ على فضله. قال الشيخ ابنُ باز- رحمه الله-: وبقية الأعمالِ الصالحةِ تُضاعَف-أي: في الحرم- ولكِن لم يَرِدْ فيها حدٌّ محدودٌ، إنَّما جاء الحدُّ والبيانُ في الصَّلاةِ، أمَّا بقيَّةُ الأعمالِ الصَّالحةِ كالصَّومِ والأذكارِ وقِراءةِ القُرآنِ والصَّدَقاتِ، فلا أعلَمُ فيها نصًّا ثابتًا يدُلُّ على تضعيفٍ محَدَّدٍ(٢).

ومنها: أنَّ الله أخبر أنَّها أمُّ القُرى كما في قَولِهِ تَعَالَى:﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا﴾(٣). فالقُرى كلُّها تبعٌ لها وفرعٌ عليها.

ومنها: أنَّها قِبلةٌ لأهل الأرض كلِّهم فليس على وجه الأرض قِبلةٌ غيرها، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾(٤). روى البخاري ومسلم في صحيحيهما مِن حَدِيثِ أُسَامَةَ بنِ زَيدٍ- رضي اللهُ عنهما- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم لَمَّا خَرَجَ مِنَ البَيتِ، رَكَعَ فِي قُبُلِ البَيتِ رَكعَتَينِ، وَقَالَ: "هَذِهِ الْقِبْلَةُ"(٥).

ومنها: الأمن لداخِل الحرم، قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(٦). وهذا إمَّا خبرٌ بمعنى الأمر لاستحالة الخُلف في خبره تعالى، وإمَّا خبرٌ عن شرعه ودينه الذي شرعه في حرمه، وإمَّا إخبارٌ عن الأمر المعهود المستمر في حرمه في الجاهلية والإسلام، كما قَالَ تَعَالَى:﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ﴾(٧).

---

(١) الحج: ٢٥ .

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٣٨٨) .

(٣) الشورى: ٧.

(٤) البقرة: ١٤٩ .

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨٨) برقم (٣٩٨) كتاب الصلاة باب قول الله تعالى: {واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى} [البقرة: ١٢٥]. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٦٨) برقم (١٣٣٠) كتاب الحج باب استحباب دخول الكعبة للحاج وغيره، والصلاة فيها، والدعاء في نواحيها كلها.

(٦) آل عمران: ٩٧ .

(٧) العنكبوت: ٦٧ .



ومنها: أنَّه يحرُم استقبالها واستدبارها عند قضاء الحاجة دون سائر البقاع، لِقَولِهِ- صلى الله عليه وسلم- كما في الصحيحين مِن حَدِيثِ أَبِي أَيُّوبَ الأَنصَارِيِّ- رضي اللهُ عنه-:" إِذَا أَتَيْتُمُ الْغَائِطَ فَلَا تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا بِبَولٍ وَلَا غَائِطٍ، وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا" رواه البخاري [١].

ومنها: أنَّ الله اختارها لمناسك الحج، وجعل القصد إليها عبادة؛ تُرفَع بها الدرجات، وتُمحَى بها السيئات، كما جاء في الصحيحين مِن حَدِيثِ أَبِي هُرَيرَةَ- رضي اللهُ عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ؛ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ" رواه البخاري [٢].

ومنها: أنَّ مكَّة خيرُ البلاد وأحبُّها إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فقد روى الترمذي في سننه مِن حَدِيثِ عَبدِ اللهِ بنِ عَدِيٍّ- رضي اللهُ عنه- أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" وَاللَّهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ" [٣].

ومنها: أنَّ الله تعالى عطف القلوب إلى بيته الحرام وجعله مثابة للناس، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ [٤]. أي: يثوبون إليه على تعاقُب الأعوام من جميع الأقطار، ولا يقضون منه وطرًا، بل كلَّما ازدادوا زيارة له؛ ازدادوا له اشتياقًا[٥]، قال الشاعر:

لَا يَرجِعُ الطَّرفُ عَنهَا حِينَ يَنظُرُهَا ... حَتَّى يَعُودَ إِلَيهَا الطَّرفُ مُشْتَاقًا [٦]

وختامًا؛ وممَّا يدلُّ على فضلها ومكانتها: ما جاء في المعاقبة على الهمِّ بالسيئة فيها وإن لم تُفعَلْ، لِقَولِهِ تَعَالَى:﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[٧]. قال الشيخ عبد الرحمن السعدي- رحمه الله-: فمجرد الإرادة للظلم والإلحاد موجبٌ للعذاب، وإن كان غيره لا يُعاقَب العبد عليه إلَّا بعمل الظلم، وفي الآية الكريمة: وجوب احترام الحرَم، وشدَّة تعظيمه، والتحذير من إرادة المعاصي فيه وفِعْلها [٨].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٨٨) برقم (٣٩٤) كتاب الصلاة باب قبلة أهل المدينة وأهل الشأم والمشرق. ومسلم في صحيحه (١/ ٢٢٤) برقم (٢٦٤) كتاب الطهارة باب الاستطابة.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٣٣) برقم (١٥٢١) كتاب الحج باب فضل الحج المبرور. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٨٣) برقم (١٣٥٠) كتاب الحج باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣١/ ١٠) برقم (١٨٧١٥). والترمذي في جامعه (٥/ ٧٢٢) برقم (٣٩٢٥) أبواب المناقب باب في فضل مكة. والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٢٤٨) برقم (٤٢٣٨) كتاب المناسك، فضل مكة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٣٧) برقم (٣١٠٨) كتاب المناسك باب فضل مكة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ٤٢٥) .

(٤) البقرة: ١٢٥ .

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٥١) .

(٦) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٥١) .

(٧) الحج: ٢٥ .

(٨) ينظر: تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٣٦- ٥٣٧).



٣٠ رجب
الصحبة الصالحة

إنَّ صحبة الصالحين الأخيار تُعين على الطاعة وتحضُّ على العبادة، فالصاحب الصالح ينصح صاحبه ويحثُّه على فعل الخيرات وينهاه عن المنكرات، وقد يقوم المرء بترْك فعْلٍ ما حياءً من أصحابه الصالحين، ولكن يكون ذلك فيما بعدُ سببًا لالتزامه بطاعة، أو إقلاعه عن ذنبٍ بشكلٍ دائمٍ ومستمرٍّ، وقد أمر الله- تعالى- بمصاحبة ومجالسة الأخيار، حيث قال سبحانه: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾[1]، فهؤلاء يسعون في نشر الفضائل والعلوم، ومَن جالسهم انتفع بهم واهتدى بهديهم.

إنَّ صحبة الأخيار والصالحين لها العديد من الفوائد وتشمل ما يلي: إنَّ الصحبة الصالحة تُقوِّي الدافع نحو طاعة أوامر الله وتوجيه النفس وتهذيبها، وتساعدك على الحثِّ بترْك الدنيا وحُطامها. والصحبة الصالحة تُعزِّز بنفسك حب الخير. فعندما تصاحب صاحبًا صالحًا؛ فإنَّه يزيد بداخلك الرغبة في الوصول إلى ما وصل إليه.

أمَّا رفيق السوء فيحرمك من ذلك كلِّه، والدليل على ذلك قول الله تعالى :﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا﴾[2].

فما هي فوائد الصحبة الصالحة في الدنيا؟ إنَّ من فوائد تلك الصُّحبة:

١- الإعانة على الطاعة: تُعين الصُّحبة الصَّالحة المسلم على الالتزام في طريق الاستقامة، فالصَّديق الصَّالح يكون بمثابة مُنبِّهٍ لصاحبه؛ فيُذكِّره بأعمال الخير ويدلُّه عليها باستمرار، كما يُساعد صديقه على أن يقوم بالطَّاعات على أتمِّ وجهٍ، ويُذكِّره بالجزاء والنَّعيم الذي أعدَّه الله تعالى لهم إن سلكوا هذا الطَّريق، كمَن اتَّخذ صاحبًا يُعينه ويُشجِّعه ويوقظه على صلاة الفجر، فما مِن مسلم غيورٍ يرى أهل الصَّلاح يتنافسون على فعل الخير إلَّا أصابه شعور أن يكون مثلهم، فتقوى عزيمته على مجاراتهم وفعل الطَّاعات ليصل إلى ما وصل إليه هؤلاء الصَّالحون، وإنَّ المرء يكون على دين خليله.

---

(١) الكهف: ٢٨.

(٢) الفرقان: ٢٧-٢٩ .



٢- تصحيح سلوكيات النفس: إنَّ من شأن الصُّحبة الصَّالحة أن تُعطي صاحبها هِمَّةً ودافعًا للتَّغيير نحو الأفضل، وتصحيح سلوكيات النَّفس التي اعتاد عليها؛ لأنَّ مَن خالط إنسانًا سليم الطِّباع تعلَّم منه كيف يكون سلوك المسلم الصَّحيح، فإن فَعَلَ ما هو مخالفٌ أمامهم نَظَرَ إلى نفسه بازدراء، فيحرص على ترْك المعاصي والمنكرات.

٣- التنافُس في الخيرات: تغرس صحبة الأخيار في نفس صاحبها حبَّ الخير وحبَّ المنافسة في أمور الدُّنيا والآخرة؛ لأنَّ الإنسان بطبعه مجبولٌ على حبِّ المجاراة، فلا يرى أحدًا أخير منه إلَّا وأحبَّ أن يفعل كما فعل، فتكون الصُّحبة الصَّالحة دافعًا لهم ليتنافسوا في ما هو خيرٌ لهم، كمن يتنافسون على نيل أعلى الدَّرجات والعلامات عند طلب العلم، فتكون تلك الصُّحبة سببًا في التَّسابق لنيل المعارف والعلوم، وتكون سببًا للتَّحلِّي بأفضل الأخلاق وأحسن الأعمال.

٤- الحصول على بركة الصالحين: ينال المسلم من مجالسة الصالحين بركةً؛ فلا يقوم من مجالسهم دون أن يكسب خيرًا، وقد شبَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم الصَّاحب الصَّالح كحامل المسك، فالجلوس معه كلُّه خيرٌ، إمَّا أن نشتري منه، وإمَّا أن يضع لنا شيئًا من الطِّيب، وإن لم نستفد من هذا ولا ذاك؛ فإنَّنا نشتمُّ منه رائحةً زكيَّةً. وقد ورد هذا في الحديث الذي رواه أبو موسى الأشعري- رضي الله عنه- عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّما مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ والجَلِيسِ السَّوْءِ؛ كَحامِلِ المِسْكِ ونافِخِ الكِيرِ، فَحامِلُ المِسْكِ: إمَّا أنْ يُحْذِيَكَ، وإمَّا أنْ تَبْتاعَ منه، وإمَّا أنْ تَجِدَ منه رِيحًا طَيِّبَةً، ونافِخُ الكِيرِ: إمَّا أنْ يُحْرِقَ ثِيابَكَ، وإمَّا أنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً" رواه مسلم[١].

٥- تقوية صفِّ المسلمين وتوحيد كلمتهم: إذا كان كلُّ مسلمٍ مُنغمِسًا في مجموعةٍ من الصَّالحين، فإنَّ الشَّيطان ليس له سبيلٌ عليهم، فلا يوسوس لهم بترْك الطَّاعات وإتيان المنكرات؛ لأنَّه لو قوي على أحدهم لن يقوى على الآخر، لأنَّهم يُحبُّون الخير لبعضهم، فيكونون كأنَّهم جسدٌ واحدٌ، حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" عليكمْ بالجماعةِ، وإياكم والفرقةَ، فإنَّ الشيطانَ مع الواحدِ، وهو من الاثنينِ أبعدُ، مَن أراد بحبوحةَ الجنةِ فلْيلزمِ الجماعةَ، مَن سرَّتْهُ حسنتُه، وساءتْه سيئتُه فذلكمُ المؤمنُ" رواه الترمذي[٢].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٦٣) برقم (٢١٠١) كتاب البيوع باب في العطار وبيع المسك. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٢٦) برقم (٢٦٢٨) كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب مجالسة الصالحين، ومجانبة قرناء السوء.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٤٦٥) برقم (٢١٦٥) أبواب الفتن باب ما جاء في لزوم الجماعة. والنسائي في السنن الكبرى (٨/ ٢٨٦) برقم (٩١٨١) كتاب عشرة النساء، ذكر اختلاف ألفاظ الناقلين لخبر عمر فيه. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ١٦٥).



ومن شروط الصحبة: الإخلاص لله تعالى في هذه الصُّحبة، وأن يكون الدَّافع الحقيقيُّ لتلك الأخوَّة والمحبَّة هو الحبُّ في الله تعالى، ولا تكون تلك الصَّداقة من أجل تحقيق مكاسب دنيويَّةً، فلا يُتَّخذ الصَّاحبُ من أجل نسبٍ رفيعٍ، أو من أجل منصبٍ، أو لتحقيق نفعٍ دنيويٍّ، إنَّما يُتَّخَذ الصَّاحب لقُربه من الله تعالى.

ومن شروطها أيضًا: التَّحلِّي بالأخلاق الحميدة؛ لأنَّ النَّاس تُحبُّ معاشرة صاحب الخُلُق الحسن وتألفه، وتُحبُّ مُجالسته، في حين لا يُطيقون مَن كانت أخلاقه ذميمةً، وينفرون من مجالسه، ومن الأخلاق الفاضلة التي يجب أن تكون في الصَّديق: أن يتحلَّى بالصِّدق، والأمانة، والكرم، والوفاء، والتَّواضع، وغيره، وأن يبتعد عن الغشِّ والكذب والخداع، وأن لا يشهد زورًا.

وأيضًا من شروط الصحبة الصالحة: الإحسان لله تعالى والإحسان لعباده؛ وذلك بمساعدة المريض منهم والفقير والمحتاج، وإظهار الرَّحمة والشَّفقة بهم، وهي من أهمِّ صفات المتَّقين الأخيار. وسلامة الصَّدر، وخلوُّ القلب من الضَّغينة والحقد والحسد، فلا يُعقَل أن تكون صحبةٌ صالحةٌ إلَّا إذا كانت سرائرُهم سليمةً وصدورُهم صافيةً، وأيُّ أخوَّةٍ خلت من هذا الصِّفاء فإنَّها لا تستمرُّ ولا تبقى، تصديقًا لقول الله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾[1].

ولذا فإنَّ للصحبة الطيبة الصالحة أثرًا طيبًا في حياة العبد وآخرته، ومن بين تلك الآثار ما يأتي: الصحبة الطيبة تعمل على الهداية إلى الحق والدلالة على الخير. وانظر إلى قصة إسلام أبي ذر- رضي الله عنه-؛ فقد أسلم بسبب صحبته الراقية لعلي بن أبي طالب- رضي الله عنه- فالصحبة الطيبة سبيل الهداية إلى الرشاد، وانظر إلى ما كان يفعله الصحابيُّ الجليل الصادق في صحبته لإخوانه، حين كان يصرخ فيهم: هيَّا بنا نؤمن ساعة.

والصحبة الصالحة تعمل على إصلاح حال الصاحب حين يُخطِئ، وصدق عمر- رضي الله عنه- حين قال: رحم الله امرءًا أهدَى إليَّ عيوبي[2].

---

(١) الحجر: ٤٧.

(٢) نثر الدر في المحاضرات (٢/ ٢٤). نثر الدر في المحاضرات، المؤلف: منصور بن الحسين الرازي، أبو سعد الآبى (المتوفى: ٤٢١هـ)، المحقق: خالد عبد الغني محفوط، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت/ لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

والصحبة الطيبة تدعوك دائمًا للترقّي التعبديّ والأخلاقيّ، وتصرفُك عن خطوات الفشل والتردِّي السلوكي؛ فكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم:" المؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ؛ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا، وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ" رواه البخاري(١).

والصحبة الطيبة تُعدُّ فرصة ذهبية للمحبَّة الأخروية، ولدخول الجنَّة يوم القيامة؛ فكُلُّ صحبَةٍ قامَتْ علَى أساسٍ غيْرِ سليمٍ كانَتْ سببًا لندَمِ صاحبِهَا فِي الدنيَا والآخرةِ إلَّا صحبة الصلاح، قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾(٢)، وقد ثبت أنَّ الصاحب الصالح إذا دخل الجنة فلم يجد صاحبه الذي كان يُرافقه أحيانًا في الطاعات وربما قصَّر لكنه لم يدخل الجنة؛ لجأ هذا الصاحب إلى ربّه يطلب مرافقة صديقه له في الجنَّة، فيتعطَّف ربُّنا عليهما بدخول جنَّته. ويكفي دليلًا على ذلك أيضًا: أنَّ السبعة الذين يمنُّ الله عليهم بظلِّ عرشه، منهم: ورجلان تحابَّا في الله؛ اجتمعا عليه، وتفرَّقا عليه. متفق عليه(٣).

وعلى هذا فإنّ الصحبة الصالحة قُوّة للفرد والمجتمع. قال أبو تمام:

مَـــنْ لي بإنســـانٍ إذَا أَغْضَـــبْتُهُ	وجَهِلْتُ كَانَ الحِلْمُ رَدَّ جَوَابِهِ
وإذَا طَرَبْــتُ إلَى المـدَامِ شَــرِبْتُ	أخْلاقِـه وسـكِرْتُ مـن آدَابِـهِ
مِنْ وَتَرَاهُ يُصْغِي للحِـديثِ بِقَلْبِهِ	وبِسَـــــمْعِهِ ولَعَلَّهُ أَدْرى بِهِ(٤)

وفي الختام: نريد من الآباء صحبة أبنائهم وبناتهم واحتضانهم في البيوت؛ حتى لا يبحثوا عن تلك الأحضان، وصحبةٍ أخرى تضرُّ بحالهم خارج البيت.

وأنتم أيُّها الشباب تخيَّروا أصحابكم؛ فالصاحب-كما يُقال- ساحب. فانتقوا أصحابكم كما تنتقون الطعام والشراب والملبس. وكن أنت الصاحب الصالح لغيرك ممَّن ابتعد عن طريق الله، أو قصَّر في حقِّ مولاه.

كما يجب التأكيد على أنَّ الاختيار لا يقف عند صحبة المدارس أو الجامعات أو الأعمال؛ بل يدخل في ذلك ضرورة اختيار الأصحاب على وسائل التواصل الاجتماعي.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٠٣) برقم (٤٨١) كتاب الصلاة باب تشبيك الأصابع في المسجد وغيره. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٩) برقم (٢٥٨٥) كتاب البر والصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

(٢) الزخرف: ٦٧.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٣) برقم (٦٦٠) كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٥) برقم (١٠٣١) كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة.

(٤) مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٣/ ١٨٤، بترقيم الشاملة آليا) .


تمت بحمد الله

٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري

فوائد شهر شعبان



كتبه الفقير إلى عفو ربه

أ. د. خالد بن عبد الغفار آل عبد الرحمن

الجزء الثامن

الطبعة الأولى

١٤٤٥هـ

ح **خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن ، ١٤٤٥هـ**

عبد الرحمن ، أ.د. خالد عبد الغفارعبد الله
فوائد شهر شعبان الجزء الثامن من سلسلة كتاب ٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري./ أ.د. خالد عبد الغفار عبد الله آل عبد الرحمن
ط ١.- الرياض ، ١٤٤٥هـ
١٣٢ ص ! ١٧ x ٢٤ سم.- (٣٦٠ فائدة على مدار العام الهجري)

رقم الإيداع : ١٩٩٨٤ / ١٤٤٥
ردمك :٩-٤٤-٣٠٤٤-٠٥-٠٣-٦٠٣-٩٧٨


بسم الله الرحمن الرحيم



إهــداء

إلى زوجتي وأبنائي الأوفياء الذين كان لهم الفضل بعد الله عز وجل بتشجيعي ودعمي المتواصل لإعداد هذه السلسلة من الفوائد التي تُحفّز المسلم والمسلمة للعمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما ينفع ويرضي الله عز وجل.



مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين. فبين يديك أخي القاري الكريم الجزء الثامن من كتاب " ٣٦٠ فائدة " على مدار العام الهجري، وهو كتاب يضم فوائد ودروسًا تُحفِّز المسلم والمسلمة على العمل الصالح واغتنام أيام العمر فيما يَنفع ويُرضي اللهَ عزَّ وجلَّ. تمَّ تقسيمها على أيام السنة الهجرية بحيث يستطيع القارئ أن يبدأ بالقراءة من تاريخ اليوم الذي عزم أن يقرأ الكتاب فيه، ويقطف من ثمرات وفوائد ذلك اليوم. وفي كل يوم يجد القارئ جملة من المقتطفات التي تدور حول موضوع واحد قد يكون له ارتباط بذلك اليوم أو الأيام أو الشهر تحديدًا وقد لا يكون. ولكن الموضوعات تُشكِّل في مجملها خلاصة الفوائد والخواطر والدروس التي تُعين المسلم على التجارة مع الله والعمل الصالح الذي يكون بإذن الله زادًا له في الدنيا ونجاة له في الآخرة برحمة الله ومِنَّته وفضله. وهذا الجزء مخصص لفوائد شهر شعبان، أسأل الله أن يكون فيه النفع والفائدة وحجة لكاتبه وقارئه وكل من أعان على نشره وتوزيعه.

كتبه الفقير إلى عفو ربِّه

أ.د.خالد بن عبد الغفَّار آل عبد الرحمن
drkhalid63@gmail.com
الرياض

شهر شعبان ١٤٤٥هـ



فهرس فوائد شهر شعبان



غرة شعبان

فضْل شهر شعبان والأعمال المُستحَبَّة فيه

أنعم الله تعالى على عباده بمواسم مُعيَّنة لزيادة الأعمال والطاعات والعبادات فيها، والتقرُّب من الله تعالى، فتنال الأعمال فيها البركة ببركة الزمان التي حدثتْ فيه.

ومن الأزمان- التي كان يُكثِر فيها النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم من العبادات والقُرُبات- شهر شعبان، فعن أمِّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- أنَّها قالت:" لم يكنِ النبيُّ صلى الله عليه وسلم يصومُ شهرًا أكثرَ من شَعبانَ، فإنَّه كان يصومُ شعبانَ كلَّه" رواه البخاري ومسلم(١).

وقد كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم حريصًا على الطاعة والعبادة رغم مغفرة الله له ما تقدَّم وما تأخَّر من ذنبه، كما كان الصحابة- رضي الله عنهم- يتنافسون ويتسابقون في الطاعات والعبادات، ولا بدَّ للمسلم من الحرص على الاجتهاد في مواسم العبادات، والاجتهاد في شهر شعبان خاصَّةً، حيث إنَّه يُعين على الاجتهاد في شهر رمضان.

وفي ذلك يقول ابن رجب- رحمه الله-: إنَّ صيام شعبان كالتمرين على صيام رمضان لئلا يدخل في صوم رمضان على مشقة وكلفة، بل قد تمرَّن على الصيام واعتاده، ووجد بصيام شعبان قبلَه حلاوة الصيام ولذَّته، فيدخل في صيام رمضان بقُوَّة ونشاط، ولما كان شعْبان كالمقدِّمة لرمضان شرع فيه ما يُشرَع في رمضان من الصيام وقراءة القرآن؛ ليحصُل التأهُّب لتلقِّي رمضان، وترتاض النُفُوس بذلك على طاعة الرحمن(٢).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٨) برقم (١٩٧٠) كتاب التوحيد باب صوم شعبان. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨١١) برقم (١١٥٦) كتاب الصيام باب صيام النبي صلى الله عليه وسلم في غير رمضان، واستحباب أن لا يخلي شهرا عن صوم. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي — بيروت.

(٢) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٣٤). لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ)، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م.

وتخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم لشهر شعبان في الصيام مقرون برفْع الأعمال إلى الله، أي إنَّ الأعمال تُرفَع إلى الله في شهر شعبان، بينما تُعرَض كلَّ اثنين وخميس من أيام الأسبوع، وتجدُر الإشارة إلى أنَّ رفْع الأعمال إلى الله يكون على ثلاثة أنواعٍ؛ فيُرفَع إليه عملُ النهار قبل عمل الليل، ويُرفَع إليه عملُ الليل قبل عمل النهار، كما تُرفَع إليه الأعمال يومي الاثنين والخميس، وتُرفَع أيضًا في شهر شعبان بالخصوص.قال العلماء: ورفْع الأعمال على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: رفْع يومي: ويكون ذلك في صلاتَي الصبح والعصر، وذلك لما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يُصلُّون، وأتيناهم وهم يُصلُّون" [(١)].

الدرجة الثانية: رفْع أسبوعي: ويكون ذلك في يومي الاثنين والخميس، وذلك لما رواه مسلم في صحيحه عن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" تُعْرَضُ الأعْمالُ في كُلِّ يَومِ خَمِيسٍ واثْنَيْنِ، فَيَغْفِرُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ في ذلكَ اليَومِ لِكُلِّ امْرِئٍ لا يُشْرِكُ باللَّهِ شيئًا؛ إلَّا امْرَءًا كانَتْ بيْنَهُ وبيْنَ أخِيهِ شَحْناءُ، فيُقالُ: اترُكوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحا، اترُكوا هَذَيْنِ حتَّى يَصْطَلِحا"[(٢)].

وقيل: بل يكون في يوم الخميس، وذلك لما رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ أعمال بني آدم تُعرَض كلَّ خميس ليلة الجمعة، فلا يَقبَلُ عملَ قاطعِ رحمٍ" [(٣)].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١٥) برقم (٥٥٥) كتاب مواقيت الصلاة باب فضل صلاة العصر. ومسلم في صحيحه (١/ ٤٣٩) برقم (٦٣٢) كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل صلاتي الصبح والعصر، والمحافظة عليهما.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٧) برقم (٢٥٦٥) كتاب البر والصلة والآداب باب النهي عن الشحناء والتهاجر.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٦/ ١٩١) برقم (١٠٢٧٢). والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٦٧٤). مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م. صَحِيحُ التَّرْغِيب وَالتَّرْهِيب، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتَبة المَعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

الدرجة الثالثة: رفْع سنوي: ويكون ذلك في شهر شعبان، وذلك لما رواه النسائي عن أسامة بن زيد– رضي الله عنه– قال: قلتُ: يا رسول الله؛ لم أركَ تصوم شهرًا من الشهور ما تصوم من شعبان، قال:" ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر تُرفَع فيه الأعمال إلى رب العالمين، فأحبُّ أن يُرفَع عملي وأنا صائم"(١).

وكان شهر شعبان من أكثر الشهور التي يحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على صيامها بعد شهر رمضان، والإكثار من العبادات والدعاء فيها، فعن عَائِشَةَ– رضي الله عنها – قَالَتْ:" لَمْ يَكُنْ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يَصُومُ شَهْرًا أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ، فَإِنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ، وَكَانَ يَقُولُ: خُذُوا مِنْ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَأَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مَا دُووِمَ عَلَيْهِ وَإِنْ قَلَّتْ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى صَلاةً دَاوَمَ عَلَيْهَا"(٢). رواه البخاري ومسلم.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ لليلة النصف من شعبان مكانةٌ عظيمةٌ.

ومن الأعمال المستحَبِ فعلُها في شهر شعبان قراءة القرآن؛ قال سلمة بن كهيل: كان يُقال: شهر شعبان شهر القُرَّاء، وكان حبيب بن أبي ثابت إذا دخل شعبان قال: هذا شهر القُرَّاء، وكان عمرو بن قيس الملائي إذا دخل شعبان أغلق حانوته وتفرَّغ لقراءة القرآن(٣).

كذلك صلة الأرحام والابتعاد عن المشاحنات في ليلة النصف من شعبان، وفي ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم:" يطَّلِعُ اللهُ إلى خَلقِه في ليلةِ النِّصفِ مِن شعبانَ فيغفِرُ لجميعِ خَلْقِه إلَّا لِمُشركٍ أو مُشاحِنٍ". رواه ابن حبان(٤).

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (٣/ ١٧٦) برقم (٢٦٧٨) كتاب الصيام، صوم المبي صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي، وذكر اختلاف الناقلين في ذلك. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن النسائي (٦/ ١). السنن الكبرى، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م. صحيح وضعيف سنن النسائي، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٨) برقم (١٩٧٠) كتاب التوحيد باب صوم شعبان. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨١١) برقم (١١٥٦) كتاب الصيام باب صيام النبي صلى الله عليه وسلم في غير رمضان، واستحباب أن لا يخلي شهرا عن صوم.

(٣) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٣٥).

(٤) رواه ابن حبان في صحيحه (١٢/ ٤٨١) برقم (٥٦٦٥) كتاب الحظر والإباحة، ذكر مغفرة الله جل وعلا في ليلة النصف من شعبان لمن شاء من خلقه إلا من أشرك به أو كان بينه وبين أخيه شحناء. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ٨٦). الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى،(لمكتبة المعارف)، عام النشر: جـ ١ – ٤: ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م،جـ ٦: ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م، جـ ٧: ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.



والحكمة من إكثار النبي صلى الله عليه وسلم من الصيام في شهر شعبان تتمثّل بإحياء أوقات الغفلة بالعبادة والطاعة، وفي ذلك قال الحافظ ابن رجب الحنبلي- رحمه الله-: إنَّ شهر شعبان يغفُل عنه الناس بين رجب ورمضان، حيث يكتنفه شهران عظيمان، الشَّهر الحرام رجب، وشهر الصِّيام رمضان، فقد اشتغل الناس بهما عنه، فصار مغفولًا عنه، وكثيرٌ منَ الناس يظنُّ أنَّ صيام رجب أفضل من صيامه؛ لأنَّ رجب شهر حرام، وليس الأمر كذلك[١].

قال الشاعر:

أمْطِـرْ بغَيْـثِ العَفْـوِ والغُفْـرانِ ... يا ربَّنـا في النِّصْـفِ مـن شَـعْبانِ

واجعلْ رمادَ الإثمِ يذروهُ الهدى ... وأنِـرْ دياجـي الـرَّانِ بالقُـرْآنِ

فيها تجلَّى اللهُ فادعـــوهُ يُجِبْ ... إنِّي أُجيبُ العبدَ حينَ دعـــاني[٢]

دعـــاني[٢]

ولقد بيَّنَ العلماء العديد من الأحكام والمسائل المتعلِّقة بشهر شعبان، فقد جمع الإمام ابن رجب- رحمه الله- بين تخصيص الرسول صلى الله عليه وسلم شهرَيْ شعبان ومُحرَّم في الصيام؛ فقال: رغم أنَّ البعض من الشافعية وغيرهم ذهبوا إلى القول بأفضلية الصيام في شهر مُحرَّم وباقي الأشهر الحُرُم على شهر شعبان، إلَّا أنَّ الأظهر أنَّ الصيام في شعبان أفضل من الصيام في شهر رجب، كما بيَّنَ ابن رجب بين تفضيل صيام داود- عليه السلام-، وصيام شعبان وصيام يومَي الاثنين والخميس؛ فقال بأنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم بيَّن أنَّ صفة صيام داود كانت لنصف الدهر فقط، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يُفرِّق بين أيام صيامه تحرِّيًا للأوقات والأيام الفاضلة[٣].

ولقد حفل شهر شعبان بالعديد من الأحداث التاريخية المهمَّة المتعلِّقة بالمسلمين؛ ففيه أمر الله تعالى المسلمين بالجهاد في سبيله، وأوجبه عليهم، وألزمهم به، كما حُوِّلت القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام في شهر شعبان، ومن الأحداث الواقعة في شهر شعبان غزوة بني المصطلق التي انهزم فيها المنافقون، وانكشفت خدعهم ومخطَّطاتهم، كما وقعت غزوة بدر الصغرى أيضًا في شهر شعبان التي لم يحصل فيها قتالٌ بين المسلمين والكفار.

(١) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٣٠).
(٢) من قصيدة بعنوان: ليلة النصف من شعبان. ينظر: موقع شبكة الألوكة:
(٣)) ينظر: لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٢٩).



وأخيرًا: يُعتبَر شهر شعبان منحة إيمانية، على كلِّ مسلمٍ أن يغتنم أيامها ولياليها في التقرُّب إلى الله بالطاعات في شتَّى أنواعها المختلفة؛ صيام وقيام، وصدقات وقراءة قرآن، وصلة أرحام، واستغفار ودعاء، فهو بمثابة فترة تدريبية للروح والبدن، وجعْلها مُستعِدَّة لاستقبال شهر رمضان.

٢ شعبان

مَن سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة أو سُنَّة سيئة

عن جرير بن عبد الله البَجَلي- رضي الله تعالى عنه- قال:" كنَّا في صدر النهار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء قومٌ عراةٌ، مُجتابي النِّمار- أو العَباء - مُتقلِّدي السيوف، عامَّتهم من مُضَر؛ بل كلُّهم من مُضَر، فتَمَعَّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بهم من الفاقَة، فدخل ثم خرج، فأمر بلالًا فأذَّن وأقام، فصلَّى، ثم خطب فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[(١)].قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[(٢)]. فتصدَّق رجلٌ من ديناره، من درهمه، من ثوبه، من صاع تمره، حتى قال: ولو بشقِّ تمرة. فجاء رجلٌ من الأنصار بصُرَّةٍ كادت كفُّه تعجز عنها؛ بل قد عجزتْ!! قال: ثم تتابع الناس، حتى رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يتهلَّل كأنَّه مُذْهَبَةٌ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حسنةً؛ فله أجرها وأجر مَن عمل بها بعده، من غير أن يُنقَص من أجورهم شيءٌ. ومَنْ سَنَّ في الإسلام سُنَّةً سيِّئةً؛ كان عليه وِزْرُها ووِزْرُ مَنْ عمل بها، من غير أن يُنقَص من أوزارهم شيءٌ". رواه مسلم[(٣)].

وقد سئل الشيخ ابن باز- رحمه الله- عن صحَّة هذا الحديث فقال: هذا الحديث صحيح، وهو يدلُّ على شرعية إحياء السنن، والدعوة إليها، والتحذير من البدع والشرور؛ لأنَّه صلى الله عليه وسلم يقول: مَن سَنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة كان له أجرها وأجر مَن عمل بها من بعده لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا، ومَن سَنَّ في الإسلام سُنَّة سيِّئة كان عليه وزرها ووزر مَن عمل بها من بعده لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئًا. خرَّجه مسلم في صحيحه[(٤)].

---

(١) النساء: ١.

(٢) الحشر: ١٨.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٤) برقم (١٠١٧) كتاب الزكاة باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار.

(٤) مجموع فتاوى ابن باز (٤/ ٣٧٢). مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويعر.



ومعنى الحديث: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم يحثُّ على الابتداء بالخير، وسنِّ السُّنن الحسنة، ويُحذِّر من اختراع الأمور الباطلة والمستقبَحة، ففي هذا الحديث بادرَ رجلٌ إلى الخير فبدأ هو بالصدقة، فتتابع الناس على التصدُّق بعده، فكان الفضل العظيم للبادئ بهذا الخير، والفاتح لباب هذا الإحسان، والنبي صلى الله عليه وسلم يُعطينا درسًا عمليًّا ونظريًّا فيما ينبغي أن تكون عليه شخصية الإنسان المسلم؛ ففي الجانب النظري يُصرّح صلى الله عليه وسلم بالقاعدة الأصلية التي ينبغي أن تنضبط بناءً عليها أعمال المسلم، وهي أنَّ المبادرة إلى الخير والحسنات تفتح باب الخير للمجتمع المسلم، وبالتالي لا بُدَّ من الحثِّ عليها، والعكس في فتْح باب الشرور والسيِّئات.

أمَّا الجانب العملي فتمثَّل في تعزيز النبي صلى الله عليه وسلم مبادرة الصحابي إلى الصدقة، وإظهار الاستبشار له؛ ترغيبًا لغيره في اتباع طريقته، ولقد جاء حديث "السُّنَّة الحسنة" ليُبيِّن للمسلمين أنَّ المحدَثات الباطلة والبدع المذمومة هي فقط التي حرَّمها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم.

والسُّنَّة الحسنة تنقسم قسمين: **الأوَّل السُّنَّة المشروعة** ثم تُترَك أو تموت، فيُجدِّدُها مَن يُجدِّدُها أو يُحييها مَن يُحييها كقيام رمضان بإمام، فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم شرع لأُمَّته في أوَّل الأمر الصلاة بإمام في قيام رمضان، ثم تخلَّف خوفًا من أن تُفرَض على الأُمَّة وذلك لشفقته على أُمَّته، ثم ترك ذلك في آخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكذا في عهد أبي بكر الصديق- رضي الله عنه-، ثم في أوَّل عهد الفاروق عمر- رضي الله عنه-، ثم رأى عمر- رضي الله عنه- أن يجمع الناس على إمام واحد في صلاة التراويح.

والقسم الثاني من السُّنن الحسنة أن يكون الإنسان أوَّل مَن يُبادِر إليها؛ مثل حال الأنصاري الذي بادر بالصدقة فكان هو الذي سَنَّها، فتتابع الناس بعد ذلك ووافقوه على ما فعل.

ومن الأمثلة على السُّنَّة الحسنة أيضًا: تعلُّم العلم النافع وتعليمه للناس، فالمعلِّم الذي يبتغي بعلمه وجه الله تعالى ينشر الخير بين المسلمين، ويُحبِّب إليهم طلب العلم، فيتنافس الناس في تعلُّمِه، فيثاب الجميع.

هذا وقد أخرج الامام مسلم في صحيحه عن أبي مسعود عقبة بن عامر- رضي الله عنه- قال: جَاءَ رَجُلٌ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فَقالَ: إنِّي أُبْدِعَ بي فَاحْمِلْنِي (أي انقطع بي السبيل فأعطني دابة أركبُها)، فَقالَ: ما عِندِي، فَقالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ اللهِ؛ أَنَا أَدُلُّهُ علَى مَن يَحْمِلُهُ، فَقالَ رَسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:" مَن دَلَّ علَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ"(١).

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٠٦) برقم (١٨٩٣) كتاب الإمارة باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله بمركوب وغيره، وخلافته في أهله بخير.



قال الإمام النووي- رحمه الله-: والمراد بمثل أجر فاعله؛ أنَّ له ثوابًا بذلك الفعل، كما أنَّ لفاعله ثوابًا، ولا يلزم أن يكون قدرُ ثوابهما سواءً[١].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا". رواه مسلم[٢].

والمراد بالسُّنَّة في قوله صلى الله عليه وسلم:" مَن سَنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة"؛ أي ابتدأ العمل بسُنَّة، وليس مَن أحدَثَ؛ لأنَّ مَن أحدَثَ في الإسلامِ ما ليس منه فهو ردٌّ، وليس بحسن، لكن المراد بمَن سَنَّها، أي: صار أوَّل مَن عمل بها، كهذا الرجل- رضي الله عنه- الذي جاء بالصُّرَّة.

والسُّنَّة لها معانٍ كثيرة، فالسُّنَّة هي الطريقة المسلوكة، فإمَّا أن تكون هذه الطريقة المسلوكة حسنة أو سيِّئة، ولذلك تقول: فلان يسير سيرًا حسنًا، أو يسير سيرًا سيِّئًا، أو يسير على طريقة حسنة، أو على طريقة سيّئة.

فقولك: على طريقة. أي: على سُنَّة؛ سواء كانت سُنَّة سيِّئة أو سُنَّة حسنة، والسُنَّة كذلك إنَّما تعني أقوال النَّبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وتقريراته، والسُّنَّة إمَّا أن تكون خيرًا وإمَّا أن تكون شرًّا.

وعند الفقهاء: السُّنَّة ما دون الفرض. تقول: هذا فرض، وهذا سُنَّة. صلاة الظُّهر فرض، ولها سُننٌ قبليَّة وبعديَّة. فالسُّنَّة عند الفقهاء غير السُّنَّة عند أهل اللغة، وكذا هي غير السُّنَّة عند الأصوليين والمحدِّثين، ولذلك السُّنَّة عند قومٍ: هي ما يُثاب فاعلُها ولا يُعاقَب تاركُها؛ فيتحدَّد المقصود والمراد من لفظ السُّنَّة إذا وردتْ في دليلٍ أو في نصٍّ من السياق، أو مِن سبب ورود هذا النصِّ.

قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: فيه التحذير من السُّنن السيِّئة، وأنَّ مَن سَنَّ سُنَّة سيِّئة فعليه وزرها ووزر مَن عمل بها إلى يوم القيامة، حتَّى لو كانت في أوَّل الأمر سهلة، ثم توسَّعتْ فإنَّ عليه وزر هذا التوسُّع، مثل لو أنَّ أحدًا من الناس رخَّصَ لأحدٍ في شيء من المباح الذي يكون ذريعة واضحة إلى المحرَّم وقريبًا، فإنَّه إذا توسَّع الأمر بسبب ما أفتى به الناس فإنَّ عليه الوزر، ووزر مَن عمل بها إلى يوم القيامة[٣].

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٣/ ٣٩). المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي(المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٠) برقم (٢٦٧٤) كتاب العلم باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة.

(٣) شرح رياض الصالحين (٢/ ٣٤٥). شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦هـ.

والخلاصة ما قاله الإمام النووي: وهذا الحديث من قواعد الإسلام، وهو: أنَّ كلَّ مَن ابتدع شيئًا مِن الشرِّ؛ كان عليه مثل وزر كلِّ مَن اقتدى به في ذلك العمل إلى يوم القيامة؛ فالأب الذي أساء تربية أولاده، وكان قدوة سيِّئة لهم، واقتدوا به في سلوكياته المنحرفة، يتحمَّل وزر أولاده، لأنَّه هو السبب في انحرافهم، وعلى الأولاد أيضًا وزر أفعالهم كاملًا، لا ينتقص منها شيء.

٣ شعبان

إيَّاكم ومُحدَّثات الأمور

لقد أكمل الله لنا الدين، وأتمَّ علينا النعمة فقال: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (١).

قال الإمام البخاري- رحمه الله-:" فَإِذَا تَرَكَ شَيْئًا مِنَ الكَمَالِ فَهُوَ نَاقِصٌ"(٢)، والنقصان في الدين أن يزيد الإنسان عملًا لم يأذن به الله، ولم يشرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال- عليه الصلاة والسلام-:" مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ". متفق عليه(٣)؛ فالدين ليس بحاجة إلى إكماله بإحداث بدع وضلالات مهما استحسنتها العقول، وحسَّنتْها النيات، ففي مسند الإمام أحمد أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ- رضي الله عنه- أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فَغَضِبَ وَقَالَ:" أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا؛ مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي"(٤).

والبدعة في اللغة: هي الأشياء التي يحدثها الإنسان بعد أن لم تكن موجودة. أمَّا في الشرع: فهي كلُّ مَن تعبَّدَ الله سبحانه وتعالى بغير ما شرع؛ عقيدةً، أو قولًا، أو فعلًا.

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) صحيح البخاري (١/ ١٧) كتاب الإيمان باب زيادة الإيمان ونقصانه.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٣) برقم (١٧١٨) كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور. ورواه البخاري تعليقًا، ينظر: صحيح البخاري (٣/ ٦٩) كتاب البيوع باب النجش، ومن قال: «لا يجوز ذلك البيع»

(٤) رواه أحمد في مسنده (٢٣/ ٣٤٩) برقم (١٥١٥٦). والحديث حسنه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٦/ ٣٤). إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى : ١٤٢٠هـ)، إشراف: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.



وعرَّفَ بعضُ أهل العلم البدعة على أنَّها كلُّ شيءٍ كان سببه موجودًا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يأتِ به النبي صلى الله عليه وسلم فهو بدعة، ولقد عرَّف الإمام الشاطبي- رحمه الله- البدعة الشرعية بقوله: طريقة في الدين مُختَرَعة تُضاهي الشرعية، يُقصَد بالسلوك عليها المبالغة في التعبُّد لله سبحانه.[١] وهذا على رأي مَن لا يُدخِل العادات في معنى البدعة، وإنَّما يخصُّها بالعبادات.
وأفضل تعريف للبدعة أنَّها (المحدَث في الدين) فهو مُطابِقٌ لقوله صلى الله عليه وسلم:" كلُّ مُحدَثةٍ بدعة". رواه أبو داود[٢]؛ إذن فإنَّ كلَّ عقيدةٍ أو عبادةٍ أو سلوكٍ أو قانونٍ مُخالِف للكتاب والسُّنَّة وهدي سلف الأمة الصالح- رحمهم الله- وقواعد الشريعة الإسلامية وأصولها الكلية؛ فهو بدعة.
والبدع المحدَثة في الدين بلا استثناء ضلال، قال صلى الله عليه وسلم:" مَن أحدَثَ في أمرنا ما ليس منه فهو ردٌّ". رواه البخاري ومسلم[٣]؛ فكلُّ مَن أحدَثَ شيئًا ونسبه إلى الدين، ولم يكن له أصلٌ من الدين يرجع إليه فهو ضلالة، والدين بريء منه، سواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة.

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: إنَّ كلَّ عبادةٍ فُعِلت على وجهٍ منهيٍّ عنه فإنَّها فاسدة؛ لأنَّه ليس عليها أمر الشارع، وإنَّ النهي يقتضي الفساد، وكل معاملة نهى الشارع عنها؛ فإنَّها مُلغاةٌ لا يُعتدُّ بها[٤].

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/ ٤٧). الاعْتِصَام، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق ودراسة: الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمن الشقير، الجزء الثاني: د سعد بن عبد الله آل حميد، الجزء الثالث: د هشام بن إسماعيل الصيني، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٣/ ٢٣٤) برقم (١٤٩٨٤). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٠٠) برقم (٤٦٠٧) كتاب السنة باب في لزوم السنة. والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ٣٨٠) برقم (١٧٩٩) كتاب صلاة العيدين، كيف الخطبة. وابن ماجه في سننه (١/ ١٨) برقم (٤٦) افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اجتناب البدع والجدل. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٣/ ٧٣). سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت. سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٨٤) برقم (٢٦٩٧) كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٣) برقم (١٧١٨) كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور.

(٤) بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار (ص: ١٨). بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، المؤلف: أبو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الكريم بن رسمي ال الدريني، دار النشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

ومُحدَثات الأمور: هي كلُّ ما أُحدِثَ في الدين على خلاف ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من عقيدة أو عمل، أو يُقال: هي كلُّ ما ليس له أصلٌ في الدين. وكلُّ عمل يَتقرَّبُ به العبدُ لله تعالى وليس عليه دليلٌ من الكتاب والسُّنَّة؛ فهو بدعة، وكلَّما تقرَّب بها العبد إلى الله تعالى كلَّما ازداد منه بُعدًا.

والمحدَثات على قسمين:

١- اعتقادية: وذلك باعتقاد خلاف الحقِ الذي أرسل الله به رسوله صلى الله عليه وسلم، وأنزل به كتابه، ومثال ذلك: ما أحدثته الجهميَّة ومَن قال بقولهم من نفْي الأسماء الحُسنى والصفات العُلا عن الله تعالى، وغير ذلك من البدع الاعتقادية، كالقول بخلْق القرآن، ونفْي رؤية الله تعالى يوم القيامة.

٢- تعبُّدية: وهي التعبُّد بما لم يأذِنِ الله به من الأوضاع والأعمال المحدَثة في الدين التي لا يقبل الله تعالى منها شيئًا، كالاحتفال بليلة النصف من شعبان، والاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك من البدع المحدَثة.

ولقد حذَّر أئمة الإسلام من خطورة البدع والإحداث في الدين؛ قال الإمام مالك- رحمه الله-: مَن أحدَثَ في هذه الأُمَّة شيئًا لم يكن عليه سلَفُها فقد زعم أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خان الدين، لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ فِي مَخۡمَصَةٍ غَيۡرَ مُتَجَانِفٖ لِّإِثۡمٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾(١)، فما لم يكن يومئذٍ دِينًا؛ لا يكون اليوم دِينًا(٢).

وقال سفيان الثوري- رحمه الله-: البدعة أحبُّ إلى إبليس من المعصية، المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها(٣). ويرحم الله الإمام الشافعي- رحمه الله- حين قال: لأن يلقى اللهَ العبدُ بكلِّ ذنبٍ خلا الشرك؛ خيرٌ من أن يلقاه بشيءٍ من الهوى(٤).

---

(١) المائدة: ٣.

(٢) الاعتصام للشاطبي (١/ ٦٢).

(٣) الاعتصام للشاطبي (٢/ ٣٢٠).

(٤) رواه ابن الجعد في مسنده (ص: ٢٧٢). مسند ابن الجعد، المؤلف: علي بن الجَعْد بن عبيد الجَوْهَري البغدادي (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: عامر أحمد حيدر، الناشر: مؤسسة نادر – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م.



فيجب على المسلم اتِّباع النبي صلى الله عليه وسلم والتقرُّب إلى الله بما جاء به، وهو مُقتضى شهادة أنَّ محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلُّ ما يعتقده النَّاس ممَّا خالف الكتاب والسُّنَّة فهو مجرد خُرافات وأوهام ومن وحي الشيطان، وكلُّ ما يَتقرَّبون به من ذلك فهو مجرد طقوس لا تُزكِّي نفسًا ولا تُطهِّر قلبًا، فالبدعة سرابٌ يحسبه الظمآنُ ماءً حتَّى إذا جاءه لم يجده شيئًا قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [١] لقد أمضت أُمَّة الإسلام قرونها الثلاثة الأولى التي زكَّاها النبي صلى الله عليه وسلم لم تعرف تخصيص يومٍ لذكرى مولده عليه الصلاة والسلام، وإنَّما أوَّل مَن أظهر هذه البدعة بنو عُبَيد في القرن الرابع، المتسَمُّون زورًا بالفاطميين؛ وهم مَن خرجوا على الخلافة العباسية، ولما خافوا من ثورة الناس عليهم، استمالوا قلوب الناس وكسْب عواطفهم بإحداث ذكرى مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وموالد لفاطمة وعليٍّ، والحسن والحُسين، ولجماعة من سلالة آل البيت- رضي الله عنهم وأرضاهم-.

وبنو عبُيد من ذرِيَّة عبد الله بن ميمون القداح؛ المعروف بالكفر والنفاق والضلال، والمشهور بعداوته لأهل الإيمان، ومعاونته لأهل الكفر والعدوان، قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- فيهم:" وهؤلاء القوم تشهد عليهم الأُمَّة وأئمتها أنَّهم كانوا مُلحِدين زنادقة، يُظهِرون الإسلام ويُبطنون الكفر"[٢].

والمؤمن في تعامُله مع أهل البدع؛ كمثل الطبيب في تعامُله مع المرضى، فيجب عليه نصحهم وتحذيرهم من البدع، ولفْت نظرهم إلى عظيم خطر حديث الرسول صلى الله عليه وسلم عن البدع، فإنَّ المسلم مع أهل البدع يدور بين الهجر والنصح، فأيُّهما كان وسيلة أقرب للعلاج استخدمه، فإن كان الهجر سببًا لترْك بدعته يهجُر، وإن كانت المداومة على النصيحة والتذكير بالله سببًا لترْك بدعته ينصح.

وقد قال الشاعر في ذمِّه لأهل البدع والأهواء:

قُل لِمَن خالفَ هديًا يُتَّبَعْ ومضـى في غَيِّـهِ حـتى ابتـدعْ

---

(١) النور: ٣٩.

(٢) مجموع الفتاوى (٣٥/ ١٢٨). مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

كلُّ خيرٍ في اتِّباع مَن مضى — كــلُّ شَــرٍّ في جهــولٍ اخــترعْ

سِرْ على سَيرِ الأولى ساروا — نهــجِ هادينــا الأمــينِ المتَّبَــعْ

على قَبَّحَ اللهُ أُناسًا بعدهمْ — أبــدلوا السُّــنَّةَ فينــا بالبِــدَعْ

أدخَلُوا في الدِّينِ شَيئًا لم يكُنْ — قبلُ مَوجودًا تُرى كيف وقــعْ[١]

وأخيرًا إنَّ الأمور المحدَثة في الدين ضلالٌ مُبينٌ وعملٌ مُشينٌ، سواء كانت عقيدة في القلوب تطمس أنوار الفطرة، أم كانت أعمالًا مردودة على أصحابها بعد التعب والنصب.

ثم إنَّها لو صدرتْ عن حُسْن نِيَّةٍ وسلامةٍ طويَّةٍ؛ ذنبٌ ومعصية، يُؤاخَذ بها المكلَّف، ويُحاسَب عليها شأنَ كلِّ قضية، ذلك لأنَّها مُخالِفة للكتاب والسُّنَّة، وهي أصلُ كلِّ بليَّةٍ، قال تعالى: ﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[٢].

(١) من قصيدة بعنوان "ذم البدع". ينظر: http://www.ahlalloghah.com/showthread.php?t=10419

(٢) النور: ٦٣.

٤ شعبان

إنَّما يُوفَّى الصابرون أجرهم بغير حساب

إنَّ من حكمة الله جل شأنه أن يبتلي عباده، وأن يمتحن صدق إيمانهم في كثير من الأمور؛ كالخوف، والجوع، والفقر، وفقْد الأحبَّة، والفراق، والخسارة في التجارة، ونقص الأموال، وغير ذلك من المصائب والشدائد، التي تحتاج إلى نفوسٍ قويَّةٍ بإيمانها، وعزائم جبَّارة تستطيع حمل هذه الأهوال والتعايُش معها، والصبر عليها دون تبرُّم، ودون أي اعتراض أو شكوى، بل رضاءً واحتسابًا لله، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾[١]. ولقد أثنى الله على هؤلاء الذين ثبتوا وصبروا وصابروا، فكانت لهم المغفرة، وقد وعدهم الله بالفوز العظيم، وبأنَّه سبحانه وتعالى سيُوفِّيهم أجورهم، وسيُعطيهم بتوسعة وبلا حساب، وبلا نهاية عظمى، يقول سبحانه:﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٞۗ وَأَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾[٢].قال سليمان بن القاسم: كلُّ عملٍ يُعرَف ثوابه إلَّا الصبر[٣]، وقال الأوزاعي: ليس يُوزن لهم ولا يُكال لهم، وإنَّما يُغرَف لهم غرفًا[٤].

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: وهذا عامٌّ في جميع أنواع الصبر؛ الصبر على أقدار الله المؤلِمة فلا يتسخَّطها، والصبر عن معاصيه فلا يرتكبها، والصبر على طاعته حتَّى يُؤدِّيها، فوعد الله الصابرين أجرهم بغير حساب، أي: بغير حدٍّ ولا عدٍّ ولا مقدارٍ، وما ذاك إلَّا لفضيلة الصبر ومحلِّه عند الله، وأنَّه مُعينٌ على كلِّ الأمور[٥].

---

(١) البقرة: ١٥٥- ١٥٧.

(٢) الزمر: ١٠.

(٣) ينظر: الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (ص: ٢٩). الصبر والثواب عليه، المؤلف: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (المتوفى: ٢٨١هـ)، المتوفى ٢٨١هـ، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، الناشر: دار ابن حزم، بيروت — لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٨٩). تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٥) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٢١). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.



والصبر من أعظم خصال الخير التي حثَّ الله عليها في كتابه العظيم، وأمر بها رسوله صلى الله عليه وسلم في سُنَّته المطهَّرة، وقد وردت مادة (صبر) في القرآن الكريم في مائة وأربعة مواضع، على تنوُّعٍ في مواردها وأسباب ذكْرها؛ فقد أمر الله تعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم بخُلُقِ الصبر فقال:﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾.(١)

وقال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(٢)، وأمر الله به المؤمنين، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ﴾(٣)، وأثنى على أهله، فقال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ (٤) وأخبر بمحبَّته للصابرين، فقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾(٥) ، ووعدهم أن يجزيهم أعلى وأوفى وأحسن ممَّا عملوه، فقال تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٦)، وأخبر أنَّ جزاءهم الجنَّة، فقال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴾(٧) وكذا الشأن في السُنَّة النَّبويَّة، فقد حثَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم أُمَّته على هذا الخُلُق الكريم، وكانت سيرته صلى الله عليه وسلم أنموذجًا يُحتذَى به في التخلُّق بخُلُق الصبر بشتَّى أنواعه وأعلى درجاته، ومَن قرأ في سيرته العمليَّة وسُنَّته القوليَّة؛ سيجد أنَّ للصبر شأنًا عظيمًا، قال

---

(١) النحل: ١٢٧.

(٢) الأحقاف: ٣٥.

(٣) آل عمران: ٢٠٠.

(٤) البقرة: ١٧٧.

(٥) آل عمران: ١٤٦.

(٦) النحل: ٩٦.

(٧) الإنسان: ١٢.



صلى الله عليه وسلم:" عَجَبًا لأَمْرِ المؤْمِنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وليسَ ذاكَ لأَحَدٍ إلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكانَ خَيْرًا له، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له". رواه مسلم(١).

فهذا الحديث يعمُّ جميع أقضيته لعبده المؤمن، وأنَّها خيرٌ له إذا صبر على مكروهها وشكر لمحبوبها، بل هذا داخلٌ في مُسمَّى الإيمان؛ كما قال بعض السلف:" الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر"(٢)، وإذا اعتبر العبد الدين كلَّه؛ رآه يرجع بجملته إلى الصبر والشكر.

وذلك لأنَّ الصبر ثلاثة أقسام:

صبر على الطاعة حتى يفعلها، فإنَّ العبد لا يكاد يفعل المأمور به إلَّا بعد صبرٍ ومصابرة ومجاهدة لعدوه الباطن والظاهر، فبحسب هذا الصبر يكون أداؤه للمأمورات وفعله للمُستحبَّات.

النوع الثاني: صبر عن المنهي عنه حتى لا يفعله، فإنَّ النفس ودواعيها، وتزيين الشيطان، وقرناء السوء؛ تأمره بالمعصية وتُجرِّئه عليها، فبحسب قوة صبره يكون تركه لها، قال بعض السلف: أعمال البِرِّ يفعلها البَرُّ والفاجر، ولا يقدر على ترْك المعاصي إلَّا صِدِّيق.

النوع الثالث: الصبر على ما يُصيبه بغير اختياره من المصائب، وهي نوعان: نوعٌ لا اختيار للخَلْق فيه، كالأمراض وغيرها من المصائب السماوية، فهذه يسهل الصبر فيها، لأنَّ العبد يشهد فيها قضاء الله وقدره، وأنَّه لا مدخل للناس فيها، فيصبر إمَّا اضطرارًا، وإمَّا اختيارًا، فإن فتح الله على قلبه باب الفكرة في فوائدها وما في حشوها من النعم والألطاف؛ انتقل من الصبر عليها إلى الشكر لها والرضا بها، فانقلبتْ حينئذٍ في حقِّه نعمة، وهذا يقوى ويضعف بحسب قوة محبَّة العبد لله وضعفها.

والمصائب نوعان:

النوع الأول: نوع لا اختيار للخلق فيه، كالأمراض وغيرها من المصائب السماوية، وهذا النوع يسهل الصبر فيه لأن العبد يشهد فيه قضاء الله وقدره، وأنه لا مدخل للناس فيه فيصبر إما اضطراراً وإما اختياراً.

النوع الثاني: أن يحصل له بفعل الناس في ماله أو عِرْضه أو نفسه؛ فهذا النوع يصعب الصبر عليه جدًّا، لأنَّ النفس تستشعر المؤذي لها، وهي تكره الغلبة، فتطلب الانتقام، فلا يصبر على هذا

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٩٥) برقم (٢٩٩٩) كتاب الزهد والرقائق باب المؤمن أمره كله خير.

(٢) روي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. ينظر: عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (ص: ١٠٨).

النوع إلَّا الأنبياء والصدِّيقون، وكان نبيُّنا صلى الله عليه وسلم إذا أوذي يقول:"يرحم الله موسى؛ لقد أُوذِي بأكثر من هذا فصبر". رواه البخاري ومسلم[١]، وأخبر عن نبيٍّ من الأنبياء أنَّه ضربه قومه فجعل يقول:" اللهمَّ اغفرْ لقومي فإنَّهم لا يعلمون". رواه البخاري ومسلم[٢][٣].

ومما يُعين العبد على الصبر [٤] أن يشهد أنَّ الله سبحانه وتعالى خالق أفعال العباد، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فانظر إلى الذي سلَّطهم عليك، ولا تنظر إلى فعْلهم بك، فتستريحَ من الهمِّ والغمِّ والحزن.

وأن يشهد معيَّة الله معه إذا صبر، ومحبَّة الله له ورضاه، ومَن كان الله معه؛ دفَعَ عنه من أنواع الأذى والمضرَّات ما لا يدفع عنه أحدٌ مِن خلقه، قال الله تعالى:﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٥] وأن يشهد العبد أيضًا حُسن الثواب الذي وعده الله لمن عفا وصبر، كما قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٦].

وختامًا؛ اعلم أنَّ للصبر ثمرات عظيمة منها: أنَّ الصابرون هم أهل الفوز والنجاة؛ قال تعالي عن المؤمنين الفائزين بالنعيم المقيم في الآخرة: ﴿إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١ قَٰلَ كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ﴾[٧] وكذلك بشَّرنا الله عزَّ وجلَّ بما يُقال لأهل الجنَّة يوم القيامة﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾[٨] ، وعن أبي موسى الأشعري- رضي الله

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧٣) برقم (٦٣٣٦) كتاب الدعوات باب قول الله تعالى: {وصل عليهم} [التوبة: ١٠٣] ومن خص أخاه بالدعاء دون نفسه. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٣٩) برقم (١٠٦٢) كتاب الزكاة باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٧٥) برقم (٣٤٧٧) كتاب أحاديث الأنبياء باب حديث الغار. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤١٧) برقم (١٧٩٢) كتاب الجهاد والسير باب غزوة أحد.

(٣) ينظر لأنواع الصبر الثلاثة وهذا النقل: جامع المسائل لابن تيمية (ص: ١٦٦). جامع المسائل – المجموعة الأولى، المؤلف: شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (٦٦١ – ٧٢٨ هـ)، تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع – مكة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٤) ينظر الأسباب المعينة على الصبر: جامع المسائل لابن تيمية (ص: ١٦٨).

(٥) الأنفال: ٤٦.

(٦) الشورى: ٤٠.

(٧) المؤمنون: ١١١.

(٨) الرعد: ٢٤.



عنه- أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال:"إِذَا مَاتَ وَلَدُ الْعَبْدِ قال الله لِمَلَائِكَتِهِ: قَبَضْتُم وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ. فَيَقُولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فَيَقُولَونَ: نعَمْ. فَيَقُولُ: مَاذَا قال عَبْدِي؟ فَيَقُولُونَ: حَمِدَكَ وَاسترْجَعَ. فَيَقُولُ الله: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ". أخرجه الترمذي[١].

وقد قال الشاعر:

اصبرْ على مضضِ الإدلاج في السحَرِ وفي الـرَّواحِ إلى الطّاعـاتِ في البكـرِ
إنّي رأيتُ وفي الأيام تجربةٌ للصَّبـر عاقبـةٌ محمـودةٌ الأثـرِ
وَقَلَّ مَن جـدَّ في أمـرٍ يُؤلمِهُ واستصحَّبَ الصَّبرَ إلَّا فاز بالظفرِ[٢]

كما أنَّ في الصبر والاحتساب تكفيرًا عن خطايا الإنسان، قال بعض السلف: لولا المصائب لوردنا الآخرة مفاليس، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- أنَّ النَّبِي صلى الله عليه وسلم قَالَ:" مَا يُصِيبُ الْمسلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حَزنٍ، وَلَا أَذىً، وَلَا غَمٍّ، حَتى الشوْكَةِ يُشَاكُهَا؛ إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ". أخرجه البخاري ومسلم[٣].

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٣/ ٣٣٢) برقم (١٠٢١) باب فضل المصيبة إذا احتسب. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣/ ٢١). سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م. صحيح وضعيف سنن الترمذي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني- من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٢) المستطرف في كل فن مستطرف (ص: ٣١٣). المستطرف في كل فن مستطرف، المؤلف: شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١١٤) برقم (٥٦٤١) كتاب المرضى باب ما جاء في كفارة المرض. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٢) برقم (٢٥٧٣) كتاب البر والصلة والآداب باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض، أو حزن، أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها.



٥ شعبان

وجوب إخلاص العمل لله

قد تُصيبُ نيَّةَ المسلم بعضُ الشَّوائب والعيوب التي تُحدِث خللًا فيها، ممَّا يُؤدِّي إلى حدوث النَّقص في عمله أو قوله، وبالتَّالي عدم قبولهما عند الله تعالى.

ومن هذه الشَّوائب: الرِّياء؛ والذي يُؤدِّي إلى حُبِّ الإنسان لإنجاز الأفعال، أو قول القول أمام النَّاس، طالبًا بذلك أن يُصبح له مكانٌ عندهم، وأن يشتهر بينهم بما يفعل، والرِّياء يُعَدُّ من صفات المنافقين، فقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(١).

والشَّائب الآخر هو رغبات نفس الإنسان، وهي قيامه بالفعل بهدف مدْح النَّاس له، وحُبِّه، والقُرْب منه، والابتعاد عن ذمِّه، وكلا هذين الشَّائبين فيهما خطورة تُؤدِّي إلى عدم قبول العمل عند الله تعالى، فهُنا يأتي دور الإخلاص لله تعالى في القول والعمل لتصفية النِّية وتنقيتها من هذه الشَّوائب.

والإخلاص في العمل هو الإتقان والإحكام، والإتقان هو معيار التميُّز بين المجتهد والمقصِّر، فكل الناس يُؤدُّون أعمالهم؛ ولكنَّ الفارق بينهم يكون في درجة إتقانهم للأعمال التي عليهم، ولأنَّ العبرة ليست في أداء العمل فقط، ولكن في الصفة التي أُدِّي بها العمل.

وقد قيل: الإخلاص هو استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن، والرياء: أن يكون ظاهرُه خيراً من باطنه، والإخلاص أن يتَّهم دائمًا نفسه بالتقصير، ولا يرى لها فضلًا، ويعلم أنَّ الفضل كلَّه لله، ولولا الله تعالى لهلك.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٢)، قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: ينبغي للعبد كلَّما فرغ من عبادة؛ أن يستغفر الله عن التقصير، ويشكره على التوفيق، لا كمن يرى أنَّه قد أكمل العبادة، ومنَّ بها على

(١) النساء: ١٤٢.

(٢) النور: ٢١.

ربِّه، وجعلتْ له محلًّا ومنزلة رفيعة، فهذا حقيق بالمقت وردِّ الفعل، كما أنَّ الأوَّل حقيق بالقبول والتوفيق لأعمال أُخَر[١].

وإنَّ ممَّا يُعين العبد على إتقان العمل أن يستشعر رؤية الله تعالى لعمله، كما قال تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[٢].كما أنَّ الإخلاص لله تعالى سرٌّ بديع من أسرار الإتقان، وتلك وصية النبي صلى الله عليه وسلم حينما سأله جبريل عن الإحسان، فقال:" أنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّه يَرَاكَ" رواه البخاري ومسلم[٣]، فإذا كان الإنسان لا يُتقن إلَّا إذا كان رئيسه في العمل فوق رأسه؛ فقد مات الضمير ودُفِنَ الإخلاص! والعبد لن يستطيع أن يصل إلى درجة الإحسان إلَّا بأن يعبد الله كأنَّه يُعاينه وينظر إليه، فإنَّه إذا استحضر ذلك عند أداء العبادة، فلن يترك شيئًا يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمْت واجتماع القلب والاعتناء بإتمام العبادة إلَّا أتى به، وبذلك يكون قد حقَّق تعريف الإخلاص في العمل. ومن صور تعريف الإخلاص في العمل؛ الحفاظ على أدوات العمل وممتلكاته وحقوقه من العبث والإهمال والإتلاف والتصرُّف الخاصِّ؛ فعن عبد الله بن مسعود- رضي الله عنه- قال: كنتُ أرعى غنمًا لعقبة بن أبي معيط، فمر بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:" يا غلام؛ هل من لبن؟" قال: قلتُ: نعم، ولكنِّي مُؤتَمَنٌ، قال:" فهل من شاة لم ينزُ عليها الفحل؟" فأتيتُه بشاةٍ فمسح ضرعها، فنزل لبن، فحلبه في إناء، فشرب وسقى أبا بكر، ثم قال للضرع:" اقلصْ" فقلصَ، أي اجتمع، قال: ثم أتيتُه بعد هذا فقلتُ: يا رسول الله؛ علِّمني من هذا القول، فمسح على رأسي وقال:" يرحمك الله، فإنَّك غُلَيِّمٌ مُعلَّمٌ". أخرجه أحمد[٤].

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٩٢).

(٢) التوبة: ١٠٥.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٩) برقم (٥٠) كتاب الإيمان باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة. ومسلم في صحيحه (١/ ٣٦) برقم (٨) كتاب الإيمان باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٦/ ٨٢) برقم (٣٥٩٨). والحديث حسنه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١٠/ ١٦٠). التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، مؤلف الأصل: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير أبو الحسن علي بن بلبان بن عبد الله، علاء الدين الفارسي الحنفي (المتوفى: ٧٣٩هـ)، مؤلف التعليقات الحسان: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

ومن صور تعريف الإخلاص في العمل أيضًا؛ أن يُؤدِّي ما وجب عليه أداؤه في عمله إلى أهله من غير محاباة أو مماطلة أو خيانة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الخازن الأمين الذي يُنفِذ- وربَّما قال: يُعطي- ما أُمِر به فيعطيه كاملًا مُوفَّرًا طيِّبة به نفسه فيدفعه إلى الذي أُمِر له به؛ أحدُ المتصدِّقين". رواه البخاري ومسلم(١).

وقد ذُكِر الإخلاص في كثيرٍ من الآيات في القرآن الكريم، حيث قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾(٢)، وفيما يتعلَّق بحكم الإخلاص فإنَّه واجبٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ، فقد أمر الله تعالى عباده بالإخلاص له بالعبادة، وذلك في قوله تعالى:﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾(٣) ، وأمر عباده أيضًا بالإخلاص له في الدُّعاء، وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ﴾(٤) وقد سُئل سماحة الشيخ ابن باز- رحمه الله: ما الطريق الصحيح لإخلاص العمل لله؟.

فأجاب: الطريق لذلك هو الإقبال على الله، وإحضار القلب بين يديه، وأن تعمل العمل تريد وجهه، تريد النجاة من النار، تريد رحمته وإحسانه، سواء كان العمل صلاة أو صومًا أو صدقة أو حجًّا أو عمرة أو غير ذلك، هذا هو الإخلاص؛ أن تقصد وجه ربِّك تريد التقرُّب إليه، تريد رحمته، تريد قبوله منك، تريد النجاة من النار، تريد الفوز بالجنة، لا تفعله رياء ولا سُمعة، ولكن تفعله تريد وجه الله، تريد الدار الآخرة، تريد النجاة، تريد براءة الذِّمَّة، هكذا المؤمن، فالواجب على كلِّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ أن يكون عمله لله، وأن يقصد بهذا العمل وجه ربِّه والقُربة لديه؛ لعله يرضى عنه، ولعله يتقبَّله منه(٥).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١١٤) برقم (١٤٣٨) كتاب الزكاة باب أجر الخادم إذا تصدق بأمر صاحبه غير مفسد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٠) برقم (١٠٢٣) كتاب الزكاة باب أجر الخازن الأمين، والمرأة إذا تصدقت من بيت زوجها غير مفسدة بإذنه الصريح أو العرفي.

(٢) البينة: ٥.

(٣) الزمر: ٢.

(٤) الأعراف: ٢٩.

(٥) ينظر: فتاوى نور على الدرب لابن باز (١/ ٧٧). فتاوى نور على الدرب، المؤلف: عبد العزيز بن عبد الله بن باز (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، جمعها: الدكتور محمد بن سعد الشويعر، قدم لها: عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ.



والخلاصة أنَّ الإخلاص يُنجيك من إضلال الشيطان وإغوائه؛ قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[(١)]، قرأ الكوفيون ونافعٌ والحسنُ والأعرجُ: (المخلَصين) بالفتح، وباقي السبعة والجمهورُ بالكسر: (المخلِصين).

كذلك الإخلاص يُورثك نعيم الجنة، قال تعالى: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ۝ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۝ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ۝ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۝ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۝ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ۝ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ۝ وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ۝ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾[(٢)].

والإخلاص يُطهّر قلبَك مِن الحقد والغلِّ والخيانة؛ روى أحمد وابن ماجه- وصحَّحه الألباني- عن زيد بن ثابت- رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" ثلاثٌ لا يُغِلُّ عليهن قلبُ امرئٍ مُسلمٍ: إخلاص العمل لله، والمناصحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم؛ فإنَّ دعوتهم تُحيط مِن ورائهم[(٣)]".

لَعَمْرُك إنَّ المجدَ والفخرَ والعُلا ... ونَيْلَ الأماني واكتسابَ الفضائلِ

لِمَنْ يُخلِصُ الأعمالَ للهِ وحدَهُ ... ويُكثِرُ مِن ذكْرٍ له في المنازلِ

وفي المساجدِ والأسواقِ يذكرُه ... وَيَشْغَلُهُمْ فِي ذِكْرِهِ فِي الْمَحَافِلِ[(٤)]

كذلك الإخلاص يُفرّج الهموم، ويزيل الكروب؛ وهذا واضحٌ من حديث الثلاثة الذين آووا إلى الغار؛ حيث نجَّاهم الله تعالى بإخلاصهم.

---

(١) ص: ٨٢ – ٨٣.

(٢) الصافات: ٣٩ – ٤٩.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٥/ ٤٦٧) برقم (٢١٥٩٠). وابن ماجه في سننه (١/ ٨٤) برقم (٢٣٠) افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب من بلغ علمًا. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (١/ ٣٠٢). صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب : برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية.

(٤) ينظر: موارد الظمآن لدروس الزمان (٢/ ٤٢١). موارد الظمآن لدروس الزمان، خطب وحكم وأحكام وقواعد ومواعظ وآداب وأخلاق حسان، المؤلف: عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، الطبعة: الثلاثون، ١٤٢٤هـ.

٦ شعبان

أسباب محبَّة الله للعبد

تُعدُّ محبة الله تعالى هي الغاية التي يقصدها المسلم؛ فهي غذاء الروح، وسبب السعادة، واطمئنان النفس، وهي الطريق للابتعاد عن المعصية، وقد بيَّن الله تعالى أنَّ حُبَّه شرطٌ من شُروط الإيمان، وأنَّ حُبَّ العبد لربِّه أعظم من أي شيءٍ آخر، ومحبَّة الله سبحانه هي أصل دين الإسلام، فبكمالها يكمل، وبنقصها ينقص توحيد الإنسان، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ﴾[١]، وروى البخاري ومسلم من حديث أنس بن مالك- رضي الله عنه- أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم:" ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه ممَّا سواهما، وأن يُحبَّ المرء لا يُحبُّه إلَّا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذَفَ في النار"[٢]. قال العلامة محمد بن صالح العثيمين- رحمه الله-: محبَّة الله مرتبة عالية عظيمة، ووالله إنَّ محبَّة الله لتُشترى بالدنيا كُلِّها، وهي أعلى من أن تُحِبَّ اللهَ، فكونُ اللهِ يُحبُّك أعلى من أن تُحبَّه أنتَ، ولهذا قال بعض العلماء: الشأن كلُّ الشأن في أنَّ الله يُحبُّكَ، لا أنَّك تُحبُّ الله[٣].

ولمحبَّة الله جلَّ جلاله أسبابٌ؛ منها: تقوى الله، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[٤] والتقوى هي: أن يجعل المسلم بينه وبين ما يخشاه من ربِّه من غضبه وسخطه وعقابه؛ وقاية تقيه من ذلك، وذلك بفعل طاعته واجتناب معاصيه، وقد سأل عمر بن الخطاب أُبَيَ بن كعب- رضي الله عنهما- فقال له: ما التقوى؟ فقال أُبَي: يا أمير المؤمنين؛ أما سلكتَ طريقًا فيه

---

(١) البقرة: ١٦٥.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢) برقم (١٦) كتاب الإيمان باب حلاوة الإيمان. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٦) برقم (٤٣) كتاب الإيمان باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان.

(٣) ينظر: شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (١/ ٢٢٦). شرح العقيدة الواسطية، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: السادسة، ١٤٢١هـ.

(٤) التوبة: ٤.

شوك؟ قال: نعم. قال: ما فعلتَ؟ قال عمر: أُشمِّر عن ساقي، وأنظر إلى مواضع قدمي، وأُقدِّم قدمًا وأُؤخِّر أخرى، مخافة أن تصيبني شوكة. فقال أُبَي بن كعب: تلك التقوى[(١)].!

وأهل التقوى هم أولياء الله في الحقيقة، قال الله تعالى فيهم: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴾[(٢)] فالمتقون هم أصحاب الولاية حقًّا، المجتهدون في فعل الطاعات والنوافل،" وما يَزالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوافِلِ حتَّى أُحِبَّهُ". رواه البخاري،[(٣)] وجاء في صحيح مسلم:" إنَّ الله يُحبُّ التقي الغني الخفي"[(٤)]. فالتقوى من أسباب محبَّة الله، والإحسان يكون بين العبد وبين ربِّه؛ بإخلاص العمل لله جلَّ وعلا أن يعبدَ المسلمُ ربَّه كأنَّه يراه، فإن لم يكن يراه، فاعلم- يا عبد الله- بأنَّه يراك، ويعلم سرَّك ونجواك، ولا يخفى عليه شيءٌ من أمرك، سواء كنتَ في غرفة مظلمة، أو في سفرة، أو في أي مكان من الأماكن، فإنَّ الله جلَّ في علاه ﴿ يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ﴾[(٥)] .

والإحسان يجلب محبَّة الله، فالقلوب قد جُبلتْ على محبَّة مَن أحسنَ إليها، وبُغْض مَن أساء إليها، ولا أحدَ أعظم إحسانًا على أحدٍ من الله عزَّ وجلَّ؛ فإنَّ إحسانه على عبده في كلِّ نفسٍ ولحظةٍ، والعبد يتقلَّبُ في نِعَمِ الربِّ دائمًا في كل الأحوال، ويكفي أنَّ بعض أنواع نعمِهِ- كالنَّفَس- لا تخطر على بال العبد، فما الظنُّ بالنِّعَمِ الأخرى إذا أردتَ أن تَعُدَّ؟ ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [(٦)] فكيف بالمضِرَّات التي يصرفها ويدفعها عنك؛ إضافة لهذه النعم والإحسان؟

ومن أسباب محبَّة الله اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم بتصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما نهي عنه وزجر؛ قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[(٧)]، قال ابن رجب- رحمه الله-: ومحبَّة الرسول صلى الله عليه وسلم على درجتين؛ إحداهما فرضٌ: وهي المحبَّة التي تقتضي قبول ما جاء به الرسول صلى الله

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ١٦٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٥) برقم (٦٥٠٢) كتاب الرقاق باب التواضع.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (/ ٤٢٢٧٧) برقم (٢٩٦٥) كتاب الزهد والرقائق.

(٤) غافر: ١٩.

(٥) النحل: ١٨.

(٦) النحل: ١٨.

(٧) آل عمران: ٣١.

عليه وسلم من عند الله، وتلقِّيه بالمحبَّة والرضا، والتعظيم والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية، ثم حُسْن الاتِّباع له فيما بلغه عن ربِّه من تصديقه في كلِّ ما أخبر به من الواجبات، والانتهاء عمَّا نهى عنه من المحرَّمات، ونصرة دينه، والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة، فهذا القدر لا بُدَّ منه، ولا يتمُّ الإيمانُ بدونه.

والدرجة الثانية فضْل: وهي المحبَّة التي تقتضي حُسْن التَّأسِّي به، وتحقيق الاقتداء بسُنَّته؛ في أخلاقه وآدابه، ونوافله وتطوُّعاته، وأكله وشربه ولباسه، وحُسْن معاشرته لأزواجه، وغير ذلك من آدابه الكاملة، وأخلاقه الطاهرة والراقية، والاعتناء بمعرفة سيرته وأيامه، واهتزاز القلب عند ذكره، وكثرة الصلاة والسلام عليه، لِما سكن في القلب من محبَّته، وتعظيمه وتوقيره، ومحبَّة استماع كلامه، وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين، ومن أعظم ذلك الاقتداء به في زهده في الدنيا الفانية، والاجتزاء باليسير منها، والرغبة في الآخرة الباقية(١).

ومن أسباب محبَّة الله للعبد التَّطهُّر؛ فلقد عني الإسلام كثيرًا بمعنى الطهارة روحيًّا وبدنيًّا، إذ يقول تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾(٢)، وكلمة التَّطهُّر بهذه الصيغة تُفيد قيام المسلم بأفعالٍ مقصودةٍ للوصول إلى حالة الطهارة بدنيًّا وروحيًّا، واقتران ذكْر الآية للتَّطهُّر وحُبِّ الله للمُتطهِّرين بحُبِّه للتَّوَّابين، لأنَّ التوبة تُطهِّر القلوب من أمراضها، كالغلِّ والبُغض، والحسد والرياء والنفاق، وغيرها من أمراض القلوب. أمَّا التَّطهُّر القلبيُّ فهو يبدأ من اللحظة التي تدرك فيها ما يُعكِّر صفو قلبك، كأن تشعر بالغيرة مثلًا، أو أن تشعر بالحقد تجاه أحدهم، ومن ثم تتَّبع ما تُفكِّر فيه، وتعالج الأفكار التي أدَّت بك إلى هذا الشعور، ثم تعزم على التوبة، وعلى أن تنشغل بنفسك عن خلْق الله.

كذلك من أسباب محبَّة الله للعبد؛ محبَّة الأخ في الله، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي- صلى الله عليه وسلم:" أنَّ رجلًا زار أخًا له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكًا، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها؟

(١) ينظر: استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس (ص ٣٢٤). استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس [مطبوع ضمن مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي]، المؤلف: زين الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (٧٣٦ - ٧٩٥ هـ)، دراسة وتحقيق: أبي مصعب طلعت بن فؤاد الحلواني، الناشر: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٢) البقرة: ٢٢٢.

قال: لا، غير أنِّي أحببتُه في الله عزَّ وجلَّ، قال: فإنِّي رسول الله إليك؛ أنَّ الله قد أحبَّك كما أحببتَه فيه". رواه مسلم[١].

ومن محبَّته أيضًا له أنَّه يُظلُّه في ظلِّ عرشه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه، قال صلى الله عليه وسلم:" سبعة يُظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظلَّ إلَّا ظلُّه، منهم: ورجلانِ تحابَّا في الله، اجتمعا عليه، وتفرَّقا عليه". رواه البخاري ومسلم[٢].

قال الشاعر:

الــــودُّ يبقى وحُبُّ الله يجمعُنا ... على الإخـاءِ وطيبُ القولِ قد عبقَا

والقلبُ يخفقُ إنْ هبَّتْ نسائمُكُم ... فصادقُ الودِّ يجلـو الهـمَّ والأرقَا

واللهُ يجــــزي أضعافًا مُضاعفَة ... لِمَن كان لصاحِبِه قد استبقَا[٣]

وأخيرًا؛ ليعلم العبد أنَّه إذا أحبَّ الله حقًّا فسيُحبُّه الله، قال العلَّامة محمد بن صالح العثيمين- رحمه الله-: إنَّنا نضمن أنَّه مَن أحبَّ الله حقًّا فسيُحبُّه الله؛ لأنَّ الله تعالى يقول:" إذا تَقَرَّبَ عَبْدِي مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ منه ذِراعًا، وإذا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِراعًا تَقَرَّبْتُ منه باعًا، أوْ بُوعًا،وإذا أتانِي يَمْشِي أتَيْتُهُ هَرْوَلَةً". رواه البخاري ومسلم[٤]، فإذا كانت محبَّتُك لله صادقة؛ فإنَّ محبَّة الله لك مضمونة[٥].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨٨) برقم (٢٥٦٧) كتاب البر والصلة والآداب باب في فضل الحب في الله.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٣٣) برقم (٦٦٠) كتاب الأذان باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٥) برقم (١٠٣١) كتاب الزكاة باب فضل إخفاء الصدقة.

(٣) لم أقف على قائلها

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١٥٧) برقم (٧٥٣٧) كتاب التوحيد باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وروايته عن ربه. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٧) برقم (٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى.

(٥) تفسير العثمين، آل عمران (٢/ ٢٧٦). تفسير القرآن الكريم (سورة آل عمران)، المؤلف: محمد بن صالح العثيمين، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة، ١٤٣٥هـ.

٧ شعبان

حادثة الإفك – دروس وعبر

سمَّى علماء السيرة النبوية حادثة اتِّهام أمِّ المؤمنين عائشة- رضيَ الله عنها- بحادثة الإفك، والإفك هو الكذب، وقد قال فيها الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾(١) ففي هذه الحادثة أراد عبد الله بن أُبيّ بن سلول أن يُغيِّر حقيقة سيرة عائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم الطاهرة المطهَّرة المبرَّأة، إلى الباطل المليء بالفواحش، وهذه الحادثة مع ما فيها من آلام شديدة؛ تركت وراءها العديد من الحِكم الجليلة، والفوائد الكثيرة، التي ينبغي الاستفادة منها في واقعنا كأفراد ومجتمعات، منها:

الدرس الأول: أن تعلم الأُمَّةُ أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب، شهر كامل ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلم شيئًا، ولا يعلم الخبر، ويسأل أصحابه عن عائشة- رضي الله عنها-، فقال عزَّ وجلَّ على لسان نبيّه- صلى الله عليه وسلم: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾(٢)ولقد أظهرت هذه الحادثة صدْقَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، وأنَّ القرآن من عند الله، إذ لو كان القرآن من كلامه صلى الله عليه وسلم؛ لكان من السهل عليه صلى الله عليه وسلم أن يُنهي هذه المحنة التي آذتْه وآذتْ زوجته والمسلمين من يوم وقوعها، لكنه لم يفعل، لأنَّه لا يملك ذلك؛ فماذا كان يمنعه- لو أنَّ أمْرَ القرآن بيده- أن ينطق بهذه الآيات من بداية هذا الإفك وهذه الإشاعة الكاذبة، ليحمي بها عرضه، ويقطع ألسنة الكاذبين؟! ولكنَّه ما كان ليترك الكذب على الناس ويكذب على الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ٤٤ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ٤٥ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ٤٦ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾(٣) وهكذا شاء الله أن تكون هذه المحنة دليلًا كبيرًا على بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم ونبوَّته في وقتٍ واحدٍ.

---

(١) النور: ١١

(٢) الأعراف: ١٨٨.

(٣) الحاقة: ٤٤ – ٤٧.



الدرس الثاني: ظهر في هذه الحادثة فضْل السيدة عائشة– رضي الله عنها–؛ فقد برَّأها الله من الإفك بقرآنٍ يُتلَى إلى يوم القيامة، يتعبَّد المسلمون بتلاوته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾(١) ، فكم ارتفعتْ منزلتها– رضي الله عنها– بذلك، وقد كانتْ تقول– كما روى الإمام البخاري–:" ولَكِنِّي واللَّهِ ما كُنْتُ أظُنُّ أنَّ اللَّهَ يُنْزِلُ في بَرَاءَتي وحْيًا يُتْلَى(٢)"، ومن ثَمَّ فمَنِ اتَّهمها بعد ذلك– بما برَّأها الله به– فهو مُكذِّبٌ لله، ومَن كذَّب الله فقد كفر.

ويقول تعالى:﴿ٱلۡخَبِيثَٰتُ لِلۡخَبِيثِينَ وَٱلۡخَبِيثُونَ لِلۡخَبِيثَٰتِۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾(٣) وحيث كان النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم أطيب الطيبين وخيرة الأولين والآخرين؛ تبيَّن كون الصِّدِّيقة– رضي الله عنها– مِن أطيب الطيبات بالضرورة، قال الشيخ السعدي– رحمه الله–: فالقدح في عائشة– رضي الله عنها– بهذا الأمر قدْحٌ في النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، وهو المقصود بهذا الإفك من قصْد المنافقين، فمجرد كونها زوجة للرسول صلى الله عليه وسلم؛ يُعلِم أنَّها لا تكون إلَّا طيِّبة طاهرة من هذا الأمر القبيح(٤). ولقد مدح حسان بن ثابت السيدة عائشة– رضي الله عنهما– فقال عنها:

حَصَانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبَةٍ ... وَتُصبحُ غَرثى مِن لُحومِ الغَوافِلِ
عَقيلَةُ حَيٍّ مِن لُؤَيِّ بنِ غالِبٍ ... كِرامِ المساعي مَجدُهُم غيرُ زائِلِ
مُهَذَّبَةٌ قَد طَيَّبَ اللهُ خِيمَها ... وَطَهَّرَها مِن كُلِّ سوءٍ وَباطِلِ
فَإِنْ كُنتُ قَد قُلتُ الَّذي قَد زَعَمتُمُ ... فلا رَفَعَتْ سَوطي إِلَيَّ أَنامِلي
فَكَيفَ وَوِدّي ما حَييتُ وَنُصرَتي ... لِآلِ رَسولِ اللَّهِ زَينِ المحافِلِ(٥)

---

(١) النور: ١١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١٤٤) برقم (٧٥٠٠) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {يريدون أن يبدلوا كلام الله} [الفتح: ١٥].

(٣) النور: ٢٦.

(٤) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٦٥).

(٥) ينظر: الروض الأنف (٧/ ٤٦). الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (المتوفى: ٥٨١هـ)، المحقق: عمر عبد السلام السلامي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.



الدرس الثالث: وجوب التثبُّت من الأقوال قبل نشرها؛ حتى لا يقع الإنسان في الكذب والظلم، ويكون سببًا في نشر الإشاعات والفواحش، قال تعالى﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾(١) ننظر إلى بلاغة الأداء القرآني في التعبير عن السرعة في إفشاء هذا الكلام وإذاعته دون وَعْي ودون تفكير، فمعلوم أنَّ تلقِّي الأخبار يكون بالأذن لا بالألسنة، لكن مِن سرعة تناقل هذا الكلام فكأنَّهم يتلقَّونه بألسنتهم، كأنَّ مرحلة السماع بالأذن قد أُلغيت، فبمجرد أن سمعوا قالوا؛ فلا تُقبَل الإشاعات إلَّا بدليل ولا تُنقَل بين الآخرين دون أنْ يُدقِّقوا فيه، وهذا الكلام ليس هيِّنًا كما تظنون، إنَّما هو عظيم عند الله؛ لأنَّه تناوُلُ عِرْض مؤمنٍ، وللمؤمن حُرْمتُه، فما بالُك إنْ كان ذلك في حَقِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

الدرس الرابع: تقديم الظن الحسن؛ قال تعالى: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴾(٢) يُوجِّهنا الحقُّ تبارك وتعالى إلى ما ينبغي أن يكون في مثل هذه الفتنة من ثقة المؤمنين بأنفسهم وبإيمانهم، وأنْ يظنُّوا بأنفسهم خيرًا، وينأَوا بأنفسهم عن مثل هذه الاتهامات التي لا تليق بمجتمع المؤمنين، فكان على أوَّلِ أُذنٍ تسمع هذا الكلام على أوَّلِ لسانٍ ينطق به أن يرفضه؛ لأنَّ الله تعالى ما كان ليُدلِّس على رسوله وصَفْوته من خَلْقه، فيجعل زوجته محلَّ شكٍّ واتِّهامٍ فضلًا عن رَمْيها بهذه الجريمة البشعة، والقرآن لا يحثُّهم على ظنِّ الخير برسول الله أو زوجته، وإنَّما ظنِّ الخير بأنفسهم هم؛ لأنَّ هذه المسألة لا تليق بالمؤمنين، فما بالُك بزوجة نبيِّ الله ورسوله صلى الله عليه وسلم؟!

الدرس الخامس: في محنة الإفك بيَّن الله جلَّ وعلا كيف يأتي بالفرج والسرور بعد الشدَّة والبلاء، لما تحيَّرتِ الصِّدِّيقة وأبوها وأمها- رضوان الله عليهم جميعًا- بماذا يُجيبون؛ أتاهم الله عزَّ وجلَّ بما تقرُّ به أعيُنُهم من الوحي الصادق على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنزل كالغيث الذي جاء بعد القحط والشدَّة. كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٣)، فإذا كان فيها شدَّة وألم؛ ففيها من الدروس والعبر والتربية للأُمَّة ما يفوق هذا الشرَّ

---

(١) النور: ١٥.

(٢) النور: ١٢.

(٣) النور: ١١.



بكثير، فكم ارتفعت عائشة- رضي الله عنها- حين نزل ببراءتها قرآنٌ يُتلَى إلى يوم القيامة، ومعنى كونه خيرًا لهم؛ أنَّهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم، لأنَّه كان بلاءً مُبينًا ومحنة ظاهرة، وأنَّه نزلت فيه ثماني عشرة آية، بما هو تعظيم لشأن النبي- صلى الله عليه وسلم- وتسلية له، وتنزيه لأُمِّ المؤمنين- رضي الله عنها-.

الدرس السادس: الفتن والابتلاءات تُظهِر المنافقين؛ بعد هذه المحنة ظهر المنافقون، فالمنافقون مُندسُّون في الصف، والمؤمنون يعرفون أعداءهم الظاهرين من أهل الكفر، لكنَّهم لا يعرفون المنافقين الذين يندسُّون في الصفوف، فتأتي المحن، وتأتي الفتن؛ لتُظهِر ما تُكنُّه الصدور من نفاق، ولتُظهِر ما تُكنُّه القلوب من حقدٍ على الإسلام وأهله، فظهر النفاق.

الدرس السابع: تشريع حدِّ القذف، فعندما وقعت حادثة الإفك أراد الله عزَّ وجلَّ أن يشرع بعض الأحكام التي تُساهم في المحافظة على أعراض المؤمنين؛ ومن ثَمَّ حرَّم الإسلام القذف، وأوجب على منِ اتَّهم عفيفًا أو عفيفة بالزنا- وهم منه براء- حَدَّ القذف، وهو الجلد ثمانين جلدة، وعدم قبول شهادته إلَّا بعد توبته توبة صادقة نصوحًا، وفي ذلك صيانة وحفظ للمجتمع من أن تشيع فيه ألفاظ الفاحشة، لأنَّ كثرة الحديث عن الفاحشة وترددها في الألسن؛ يُهوِّن أمرها لدى سامعيها، ويُجَرِّئُ ضعفاء النفوس على ارتكابها، أو رمْي الناس بها، وفي ذلك تربية للمجتمع الإسلامي الأوَّل ليكون نموذجًا للمجتمعات بعد ذلك.

٨ شعبان

ذِكْر الله تعالى بالغُدُوِّ والآصال

فإنَّ القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد، وتعتريها العلل والأمراض كما تعتري الأبدان، والمرء مُحاطٌ بنفسه الأمَّارة بالسوء وهواه والشيطان، فلا غنى له عمَّا يحفظه ويدفع عنه المخاوف ويُطمئنه؛ ألا وإنَّ من أكثر ما يدفع تلكم الأدواء، ويُحرز من الأعداء؛ كثرةَ ذِكْر الله عزَّ وجلَّ، زيَّن الله بذِكْره ألسنة الذاكرين؛ كما زيَّن بالنور أبصار الناظرين، واللسان الغافل كالعين العمياء، والأذن الصمَّاء، واليد الشلَّاء؛ ففي الحديث:" مثل الذي يذكر ربَّه والذي لا يذكر ربَّه؛ مثل الحيِّ والميت". رواه البخاري(١).وقد حثَّ الله عزَّ وجلَّ على ذِكْره بالغدوِّ والآصال؛ حيث قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾(٢)والمراد: يذكرون الله في أدبار الصلوات غدوًّا وعشيًّا، وفي المضاجع، وكلَّما استيقظ من نومه، وكلَّما غدا أو راح.

وذِكْر الله عزَّ وجلَّ هو العبادة السهلة اليسيرة لجميع الأوقات، ومختلف الأحوال والمناسبات. وفي صحيح البخاري ومسلم:" كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم(٣)"، وقال صلى الله عليه وسلم:" أحبُّ الأعمال إلى الله تعالى أدومُها وإن قلَّ". رواه البخاري ومسلم(٤).

والذِّكر مفهومه شامل، وله معنيان: معنًى عام؛ ويشمل كلَّ أنواع العبادات من صلاة، وصيام، وحج، وقراءة قرآن، وثناء، ودعاء، وتسبيح، وتحميد، وتمجيد، وغير ذلك من أنواع الطاعات؛ لأنَّها إنَّما تُقام لذكر الله تعالى، وطاعته، وعبادته.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٨٦) برقم (٦٤٠٧) كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل.

(٢) الأحزاب: ٤١ – ٤٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١٦٢) برقم (٧٥٣٧) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى: {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة} [الأنبياء: ٤٧]، وأن أعمال بني آدم وقولهم يوزن. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٢) برقم (٢٦٧٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٩٨) برقم (٦٤٦٤) كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٤١) برقم (٧٨٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره.



قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: كلُّ ما تكلَّم به اللسان، وتصوَّره القلب ممَّا يُقرِّب إلى الله من تعلُّم علمٍ، وتعليمه، وأمر بمعروف، ونهي عن منكر، فهو من ذكْر الله[١].

ومعنًى خاص؛ وهو ذكْر الله عزَّ وجلَّ بالألفاظ التي وردتْ عن الله من تلاوة كتابه، أو الألفاظ التي وردتْ على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وفيها تمجيد، وتنزيه، وتقديس، وتوحيد لله، والمقصود في هذه السُّنَّة هو المعنى الخاص.

وأفضل الذكر وأنفعه تلاوة القرآن الكريم، ثم ما ثبُتَ عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأذكار الجامعة النافعة.

وكان الصحابة مع القرآن بالغدوّ والآصال أحرص الناس عليه؛ فكانوا يتحسَّرون لفواته؛ فجعل لهم النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم فرصة يُعوِّضون بها ما فاتهم من القرآن، روى مسلم في صحيحه من حديث عمر بن الخطَّاب- رضي الله عنه- قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ أَوْ عَنْ شيءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَصَلاَةِ الظُّهْرِ؛ كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ[٢]".

وعن عبد الله بن عَمْرٍو- رضي الله عنه- قال: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" اقْرَأْ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً. قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي عِشرينَ لَيْلَةً، قَالَ: قُلْتُ: إِنِّي أَجِدُ قُوَّةً. قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ، وَلَا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ". رواه البخاري ومسلم[٣].

فجمعوا في ليلهم تلاوة كتاب الله تعالى، وسائر الأذكار المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فللَّه درُّه من ليلٍ طاب بإحياء أهله له، ويا لخسارتنا وتهاوننا وتفريطنا بليالينا وأسحارنا!

والذِّكر من حيث موضعه على نوعين: ذكْر مُقيَّد، وذكْر مُطلَق؛ فأذكار ما بعد الصلوات، أو الذِّكْر الذي يكون بعد الأذان، وكذا كلُّ ذكْر قاله النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في مكانٍ أو وقتٍ مُعيَّن، فإنَّه يُقدَّم على سائر الذِّكر المطلق؛ لأنَّه بهذا يحصل على اتِّباع النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فيفعل كفعله صلى الله عليه وسلم، فلو سلَّم من صلاته المفروضة فإنَّ الأفضل في حقِّه أن يأتي

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦٦١).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥١٥) برقم (٧٤٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٩٦) برقم (٥٠٥٤) كتاب فضائل القرآن باب في كم يقرأ القرآن. ومسلم في صحيحه واللفظ له (٢/ ٨١٤) برقم (١١٥٩) كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم.



بأذكار ما بعد الصلاة، ولا يأتي بغيره من الأذكار ولو كان فاضلًا كقراءة القرآن؛ لأنَّه هكذا فعَلَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم، والخير تمام الخير في التَّأسِّي به صلى الله عليه وسلم.

وينبغي للمسلم ألَّا يكون ممَّن قلَّ ذكْره لربِّه، ويُبادر للحفاظ على تلك النوائل العظيمة، والفضائل الجسيمة التي تكون في الذِّكْر، ويحاول شيئًا فشيئًا تعويد نفسه على هذه العبادة، فيُعوِّد نفسه التي لطالما نفهت من الطاعة، فيأخذ من سُنَّة النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم نوعًا، ويُحافظ عليه مُدَّة حتَّى إذا استمكن منه وصار هذا الذِّكر من عمله في يومه وليلته؛ حمل نفسه ورفع توقها، فتاقتْ لذكْرٍ آخرَ، وهكذا حتى يكون من (المفرِّدين)، وهم الذاكرون الله تعالى كثيرًا والذاكرات؛ فيكون من الذين سبقوا بقول النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم، كما روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال:" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَسِيرُ فِي طَرِيقِ مَكَّةَ، فَمَرَّ عَلَى جَبَلٍ يُقَالُ لَهُ (جُمْدَانُ)، فَقَالَ: سِيرُوا، هَذَا جُمْدَانُ، سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ. قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الذَّاكِرُونَ اللهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ[(١)]".

والمفرِّدون عرَّفهم النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم بالذاكرين الله تعالى كثيرًا والذاكرات، والمفرِّدون في اللغة من الانفراد، فكأنَّهم انفردوا عن غيرهم بذكْر الله تعالى؛ فلم يصلْ كثيرٌ من أقرانهم إلى ما وصلوا إليه.

وقبيحٌ أن يكون القلبُ خاليًا من ذكر الله تعالى، واللسانُ يابسًا من ذلك، وقد قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم لرجل جاءه قال له:" إِنَّ شرائِعَ الْإِسْلَامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيْنَا؛ فَبَابٌ نَتَمَسَّكُ بِهِ جَامِعٌ، قَالَ: لَا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ". رواه أحمد والترمذي[(٢)].

وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلبُ اللسانَ، وبعث على خشية الله وطاعته، يقول تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾[(٣)].

قال ابن القيم- رحمه الله- في كتابه مدارج السالكين في فصل (منزلة الذكْر): ومن منازل (إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين) منزلة الذِّكر، وهي منزلة القوم الكبرى، التي منها يتزوَّدون، وفيها

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٢) برقم (٢٦٧٦) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب الحث على ذكر الله تعالى.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٩/ ٢٢٦) برقم (١٧٦٨٠). والترمذي في جامعه (٥/٤٥٧) برقم (٣٣٧٥) أبواب الدعوات باب ما جاء في فضل الذكر. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٤٦) برقم (٣٧٩٣) كتاب الأدب، باب فضل الذكر. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٠٢).

(٣) آل عمران: ١٣٥.



يتَّجِرون، وإليها دائمًا يتردَّدون، والذِّكْر منشور الولاية، الذي مَن أُعطيه اتَّصل، ومَن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم، الذي متى فارقها صارت الأجساد لها قبورًا، وعمارة ديارهم التي إذا تعطَّلت عنه صارت بورًا، وهو جلاء القلوب وصقالها ودواؤها إذا غشيها اعتلالها، وكلَّما ازداد الذاكر في ذكره استغراقًا ازداد المذكور محبَّةً إلى لقائه واشتياقًا، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يُغلقْه العبد بغفلته[١].

يقول الشاعر أبو نواس في فضل الذكْر:

يَا ربِّ إنْ عَظُمَتْ ذُنُوبِي كَثْرَةً ... فلقد عَلِمْتُ بِأَنَّ عفوك أَعْظَمُ

إِنْ كَانَ لَا يَرْجُوكَ إِلَّا مُحْسِنٌ ... فَمَن الذي يَدْعُو ويَرْجُو المجرمُ

أَدْعُوكَ رَبِّ كمَا أمرتَ تَضَرُّعًا ... فَإِذَا رَدَدَّتَ يَدِي فمَن ذا يَرْحَمُ

مَالِي إِلَيْـــكَ وَسِيلَةٌ إِلَّا الرَّجَـــا ... وَجَمِيلُ عَفْـوِكَ ثُمَّ إِنِّي مُســـلِمُ[٢]

وأفضل ما نختم به وصية المصطفى صلى الله عليه وسلم لسيِّدنا معاذ بن جبل- رضي الله عنه- إذ قال له رسول الله- صلى الله عليه وسلم:" أوصيك يا معاذ؛ لا تدَعنَّ دُبرَ كلِّ صلاةٍ أن تقول: اللهمَّ أعنِّي على ذِكرك وشُكرك وحسن عبادتك". رواه أحمد وأبو داود والنَّسائي بسند قوي[٣].

(١) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢/ ٣٩٥- ٣٩٦). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، المحقق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٢) ينظر: البداية والنهاية (١٤/ ٨٣). البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، سنة النشر: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٤٣٠) برقم (٢٢١١٩). وأبو داود في سننه (٢/ ٨٦) برقم (١٥٢٢) باب تفريع أبواب الوتر باب في الاستغفار. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٤٧) برقم (٩٨٥٧) كتاب عمل اليوم والليلة، الحث على قول: «رب أعني على ذكرك، وشكرك وحسن عبادتك» دبر الصلوات. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٣/ ٤٣١).



٩ شعبان

أذكار الصباح والمساء

أذكار الصباح والمساء من أهمِّ الأذكار التي أنعم الله سبحانه وتعالى بها على الإنسان المسلم للتقرُّب منه؛ فالذكْر غذاء الروح، وهو الذي يُقوِّي صلتنا بالله تعالى، ويحمينا من وساوس الشياطين، ومن كلِّ أذى أو عارضٍ يُمكن أن يمُرَّ بنا، لذلك لا بُدَّ من قراءة أذكار الصباح والمساء يوميًّا، وفضلها مذكور في أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم.

فللمواظبة على قراءة أذكار الصباح والمساء في مواعيدها؛ فضل عظيم يعود على الإنسان في حياته، وكذلك يُؤثِّر على نفسيّته بالإيجاب، ويُهدِّئ من توتره وقلقه؛ لأنَّها من أحبِّ الأعمال إلى الله سبحانه وتعالى، حيث قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾[1]، ولقد بيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك من خلال بعض الأحاديث الشريفة التي أوضحت أنَّ المواظبة على قراءة أذكار الصباح والمساء تعمل على تحصين المسلم من الشياطين، وتُعلِّق قلب المسلم بالله أكثر فأكثر، وتعمل على زيادة البركة في الصحَّة، والمال، والأطفال، وفي البيت كلِّه عمومًا.

كما تساعد أذكار الصباح والمساء في زيادة الحسنات، وتعمل على محو السيئات، وتحمي الإنسان المسلم من شرِّ أيِّ مخلوقٍ سواء كان من الإنس أو الجن، كما أنَّها تعمل على تقريبه إلى الله سبحانه وتعالى ليعفو عنه ويغفر له، كما تُنير بصيرة المسلم؛ فاحرص دومًا أن تبدأ يومك بذكر الله سبحانه وتعالى حتى يبدأ يومك بالبركة والخير والرزق، كما أنَّها تُساعد على دفْع الإنسان معنويًّا بطريقة إيجابيَّة لبدء يومه في طاعة الرحمن، لكفِّ الأذى والحسد، ولحفظ النفس من كلِّ شرٍّ.

وترجع أهمية أذكار الصباح والمساء إلى أنَّها تكسب المسلم رضا الله سبحانه وتعالى، وتجلب الرزق للمسلم الملتزم بها، وتريح القلب، وتنشر الطمأنينة والراحة النفسية في قلب المسلم؛ كما تطرد الشيطان وتعيذ المسلم منه، وتزيل الهم والغم وتمنح القلب البهجة والسرور، وتنير الوجه، وتمنح القلب الاستشعار بعظمة الخالق جلَّ جلاله، وتُعيد المسلم إلى الله عزَّ وجلَّ، وتُقرِّبه منه سبحانه وتعالى، كذلك تُقوِّي خشوع المؤمن، وتُورثه الإنابة، وتساعد المسلم في المداومة على الذكر والتسبيح، فالله سبحانه وتعالى يكون بالقرُب من المسلم في الشدَّة إذا اقترب منه في الرخاء.

---

(١) ق: ٣٩.



كما تنجي المسلم من عذاب الله عزَّ وجلَّ، وتُؤمِّن العبد من فزع يوم القيامة، وتُنير للعبد طريقه في دنياه وآخرته وعند الصراط المستقيم، وتعمل على تطهير اللسان وإشغاله بالذكر عن الغيبة والنميمة والقول الفاسد، وتُزيل القسوة من قلب المسلم وتلين جانبه، فالذكر شفاء للقلب، وتساعد المسلم في المداومة على شكر الله سبحانه وتعالى على نعمه التي لا تُحصَى ولا تُعَدُّ، وهي أذكار بسيطة لا تأخذ من وقت المسلم وقتًا طويلًا، فأداؤها لا يحتاج لأكثر من عشر دقائق، والتزامها فيه متعة وراحة واطمئنان، فكلُّ مسلمٍ عليه أن يأخذ من وقته الصباحي والمسائي وقتًا قصيرًا لأداء هذه العبادة العظيمة التي تعود عليه بالخير والمنفعة، وتُرضي خالقه جلَّ وعلا.

واشتهر عن العلَّامة محمد بن صالح العثيمين- رحمه الله- قوله: أذكار الصباح والمساء أشدُّ من سُوْر يأجوج ومأجوج في التحصين لمن قالها بحضور قلب[1].

وأفضل أوقات قراءة أذكار الصباح من بعد صلاة الفجر حتى تطلع الشمس، حيث يُعتبَر هذا أفضل وقت لمناجاة الله والدعاء، وقال مجموعة من العلماء: إنَّه من الممكن أن يمتدَّ الوقت ليصبح قبل صلاة الظهر بقليل، حيث يختلف وقت بدء الصباح ونهايته.

ولا يشترط الوضوء أو حتَّى ارتداء الحجاب للمرأة عند قراءة أذكار الصباح، ولكن هناك مجموعة من الآداب التي يُفضَّل أن تحدث وقت القراءة مثل: فهْم الأذكار والقراءة بتعلُّمٍ وخشوعٍ.

والقراءة بصوت خافت؛ يسمعه مَن يقرأ فقط حتَّى يتردَّد الصوت في أذنه من دون أن يتسبَّب ذلك في تشويش أو إزعاج لمن حوله.

كما يُفضَّل قراءة أذكار الصباح بشكلٍ مُنفرِدٍ اتباعًا لسُنَّة النبيِّ محمد صلى الله عليه وسلم، وتكون عند الانتهاء من صلاة الفجر، يُفضَّل البدء في قراءة هذه السور والآيات حيث نبدأ بها قبل الأدعية والأذكار.

أمَّا قراءة أذكار المساء قبل النوم فهي تضمن للمسلم نومًا هانئًا، وعلاج الأرق ومشاكل النوم والاضطرابات التي تصيبه أثناء النوم؛ من عدم القدرة على النوم لساعات متواصلة أو النوم بعمق.

وهناك أوقات مُعيَّنة يُفضَّل فيها قراءة أذكار المساء؛ وهي من بعد صلاة العصر، حتى غروب الشمس في الأفق، وهناك قول آخر من العلماء أنَّه يُمكن قراءة أذكار المساء من بعد صلاة العصر حتى الثلث الأخير من الليل، والبعض الآخر من العلماء أكَّد أنَّ أفضل الأوقات لقراءة أذكار المساء هي من بعد غروب الشمس حتى الثلث الأخير من الليل.

---

(١) ينظر: حساب العلامة ابن عثيمين على تويتر:



وقد سُئل العلَّامة ابن عثيمين- رحمه الله-: ما هو وقت أذكار المساء؟ وما هو الوقت الأفضل لها؟ وهل تُقضَى عند نسيانها؟ فأجاب- رحمه الله-: الحمد لله، المساء واسع من بعد صلاة العصر إلى صلاة العشاء، كلُّها يُسمَّى مساء، وسواء قال الذكْر في الأول أو في الآخر إلَّا ما ورد تخصيصه بالليل؛ مثل آية الكرسي، فالذي يكون مُقيَّدًا بالليل يُقال بالليل، والذي يكون مُقيَّدًا بالنهار يُقال بالنهار، وأمَّا قضاؤها إذا نُسيَتْ فأرجو أن يكون مأجورًا عليه، وقد كان الصحابة- رضي الله عنهم- يقضون ما فاتهم من الأذكار التي كانوا يفعلونها في أوقات مخصوصة[١]؛ فعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَن نام عن حزبه، أو عن شيء منه، فقرأه ما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر؛ كُتب له كأنَّما قرأه من الليل". رواه مسلم[٢]، وقال سليمان الداراني- رحمه الله-: إذا فاتَك شيء من التطوُّع فاقضِ، فهو أحرى ألَّا تعود إلى تركه[٣].

قال الإمام النووي- رحمه الله-: اعلم أنَّ الأذكار المشروعة في الصلاة وغيرها- واجبة كانت أو مُستحبَّة- لا يُحسب شيءٌ منها ولا يُعتدُّ به حتى يتلفَّظ به بحيث يُسمِع نفسه، إذا كان صحيح السمع لا عارض له[٤]، والأصل في الأدعية والأذكار المأثورة التوقيف من حيث الصيغة والعدد، فلا يُزاد في العدد المحدَّد ولا يُنقَص منه، وكذلك يلتزم بألفاظها دون زيادة ولا نقص، ودون رواية لها بالمعنى؛ لأنَّنا نتعبَّد لله بذكْرها.

وقد سُئل العلَّامة ابن باز- رحمه الله-: ما الأفضل في الذكْر؟ هل مُلازمة ذكْر مُعيَّن والاستمرار عليه، أم التنويع في الأذكار؟ فأجاب: يُنوِّع الأذكار كما جاءت به النصوص، يأتي بالأذكار مُنوَّعةً كما جاءت به النصوص، وأفضلها:" سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر"، كما قال النبيُّ- صلى الله عليه وسلم:" أحبُّ الكلام إلى الله أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله،

---

(١) ينظر لهذا المعنى: لقاء الباب المفتوح (١٩٢/ ١٤، بترقيم الشاملة آليا). ولم أقف على نص الفتوى. لقاء الباب المفتوح، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : ١٤٢١هـ)، [لقاءات كان يعقدها الشيخ بمنزله كل خميس. بدأت في أواخر شوال ١٤١٢هـ وانتهت في الخميس ١٤ صفر، عام ١٤٢١هـ].

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥١٥) برقم (٧٤٧) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب جامع صلاة الليل، ومن نام عنه أو مرض.

(٣) ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٩/ ٢٦١). حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

(٤) الأذكار للنووي (ص: ١٣). الأذكار، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط رحمه الله، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.



والله أكبر". رواه مسلم[١]، وفي اللفظ الآخر:" الباقيات الصَّالحات: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلَّا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله[٢]" رواه ابن حبان، وأفضلها على الإطلاق:" لا إله إلَّا الله وحده، لا شريكَ له، له الملك، وله الحمد، يُحيي ويُميت، وهو على كل شيءٍ قدير"، كما قال صلى الله عليه وسلم:" الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة- أو قال: بضعٌ وستون شعبة- فأفضلها قول: لا إله إلَّا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شُعبة من الإيمان". رواه مسلم[٣]؛ ولأنَّ "لا إله إلَّا الله" هي أصل الدِّين، وهي أساس المِلَّة، وهي أفضل الكلام[٤].

خاتمة: حِفْظ الأذكار مُرتَّبة ترتيبًا ثابتًا يُعين الذاكر على أن يأتي بها غيبًا مُجتمعة دون أن يفوته منها شيء؛ فيجب أن يُواظِب عليها المسلم، لتحصين نفسه من العين والحسد، كما أنَّ الأذكار تُشعِر الإنسان أنَّه في معيَّة الله عزَّ وجلَّ، كما تُشعِره بالراحة النفسية.

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٣/ ١٦٨٥) برقم (٢١٣٧) كتاب الآداب باب كراهة التسمية بالأسماء القبيحة.

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه (٣/ ١٢١) برقم (٨٤٠). والحديث صححه الألباني بشواهده كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٧/ ٧٨٥). سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف)، عام النشر: جـ ١ - ٤: ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، جـ ٦: ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، جـ ٧: ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

(٣) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٦٣) برقم (٣٥) كتاب الإيمان باب شعب الإيمان.

(٤) من أسئلة لمحاضرة بعنوان: فوائد الذكر. ينظر موقع الشيخ ابن باز عليه رحمة الله.



١٠ شعبان

أذكار النوم

للذكْرِ معانٍ عديدة؛ منها: الثناء في الخير، ومنها الصلاة لله عزَّ وجلَّ، ومنها الطاعة والدعاء. ومعنى الذكْر في الاصطلاح: التخلُّص من الغفلة والنسيان.

وتتعدَّد أنواع الأذكار؛ فمنها ما هو غير مخصوصٍ بوقتٍ مُعيَّن، ومنها ما هو مخصوصٌ بوقت مثل: أذكار الصباح والمساء، والذكْر في هذين الوقتين مُستحَبٌّ؛ حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لَأَنْ أَقْعُدَ مع قَومٍ يَذْكُرُونَ اللهَ تعالى من صلاةِ الغَدَاةِ حتى تَطْلُعَ الشَّمسُ؛ أحَبُّ إلَيَّ من أنْ أَعْتِقَ أَرْبعةً من ولدِ إسماعيلَ، ولَأَنْ أَقْعُدَ مع قَومٍ يَذْكُرُونَ اللهَ من صلاةِ العَصْرِ إلى أنْ تَغْرُبَ الشَّمسُ؛ أحَبُّ إلَيَّ من أنْ أَعْتِقَ أَرْبعةً(١)" رواه أبو داود.

وكذلك أذكار النوم مخصوصة بنوم الليل، ولا حرج أن يأتي بها المسلم بنوم النهار إلَّا ما دلَّ الدليل على أنَّها من أذكار الليل، ولها فضائل عظيمة وجليَّة، ومن الوصايا والسُنن المستحبَّة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لذا يُستحَبُّ قبل دخول الفراش قراءة أذكار النوم والتحصين قبل الاضطجاع؛ لقول الله عز وجل في سورة آل عمران: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾(٢) فمن السُنن الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قراءة أذكار النوم والتحصين في الليل، ويُعدُّ الحرص على هذه الأذكار سببًا لجلب النفع والخير للمسلم ودفع الضرر والشرِّ عنه وتحفظه من كل مكروه، كما أنَّ من ضمن عبادته تعالى المحافظة على الدعاء والذكْر، وإنَّ مما يزيد المسلم أجرًا وبرًّا؛ ذكْر الله تعالى عند النوم وعند الاستيقاظ، مما يجعله- بإذن الله- محفوظًا من نَزَغَات الشيطان وشرِّه، ولا شكَّ أنَّ الذكْر يُقوِّي البدن، كما ذكر ابن القيم- رحمه الله تعالى-، ومصداق ذلك قصَّة عليٍّ وفاطمة- رضي الله عنهما؛ حيث اشتكت فاطمة- رضي الله عنها- للنبي صلى الله عليه وسلم ما تلقى من الرَّحى، وأنها تريد خادمًا، فأرشدها النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن تقول:"

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٣/ ٣٢٤) برقم (٣٦٦٧) كتاب العلم باب في القصص. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (٢/ ٨٩٩). صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.

(٢) آل عمران: ١٩١.

سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر ثلاثًا وثلاثين، ثم تختم المائة بقول: " الله أكبر[١]" والحديث في صحيح البخاري ومسلم بطوله، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله تعالى-: بلغَنا أنَّه مَنْ حافظ على هذه الكلمات؛ لم يأخذْه إعياءٌ فيما يُعانيه من شغل ومن غيره[٢].

وعن كيفية قراءة أذكار النوم فإنه يُستحبَّ بعد أن يدخل المسلم فراشه أن يبدأ بقراءة أذكار النوم، ولكن لو فعل هذا قبل أن يضطجع فلا يُعتبَر أمرًا مُحرَّمًا، ولكن من السُّنَّة أن تتمَّ قراءة أذكار النوم عند الاستلقاء، فقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون دعاء النوم آخر ما يتكلَّم به المسلم قبل نومه حيث قال:" إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أسْلَمْتُ وجْهِي إلَيْكَ، وفَوَّضْتُ أمْرِي إلَيْكَ، وأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إلَيْكَ، رَغْبَةً ورَهْبَةً إلَيْكَ، لا مَلْجَأَ ولَا مَنْجَا مِنْكَ إلَّا إلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بكِتَابِكَ الذي أنْزَلْتَ، وبِنَبِيِّكَ الذي أرْسَلْتَ، فإنْ مُتَّ مِن لَيْلَتِكَ؛ فأنْتَ علَى الفِطْرَةِ، واجْعَلْهُنَّ آخِرَ ما تَتَكَلَّمُ بهِ". رواه البخاري ومسلم[٣]، ولا بدَّ من التنويه على جواز الاستغفار والحمد بعد الإتيان بهذا الدعاء، أمَّا من تكلَّم بكلامٍ عاديٍّ ليس فيه ذكْرٌ لله عزَّ وجلَّ؛ فيُشرع له إعادة الأذكار مرَّة أخرى.

ولأذكار النوم العديد من الفوائد التي يجنيها المسلم، منها: نيل الأجر من الله سبحانه وتعالى؛ فكلما ذكَر الإنسان ربَّه ازداد أجره وثوابه، تقوية صلة العبد بربِّه من خلال ذكْره في جميع الأوقات حتَّى وقت الخلود للنوم، الحماية من كيد الشيطان؛ حيث لا يُمكن للشيطان أن يقترب ممَّن يذكرون الله قبل نومهم؛ كذلك تحمي المسلم من أيِّ شرٍّ قد يضرُّه، مضاعفة حسنات المسلم في الدنيا والآخرة، نيل رضا الله سبحانه وتعالى وشفاعة رسوله صلى الله عليه وسلم يوم القيامة، الشعور بالطمأنينة والراحة النفسية، الحماية من العين والحسد، غفران الذنوب، استشعار القُرْب من الله عز

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٦٥) برقم (٥٣٦٢) كتاب النفقات باب خادم المرأة. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩١) برقم (٢٧٢٧) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب التسبيح أول النهار وعند النوم.

(٢) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٥٨). المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٥٨) برقم (٢٤٧) كتاب الوضوء باب فضل من بات على وضوء. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨١) برقم (٢٧١٠) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.



وجل، وبالتالي الابتعاد عن كُلِّ ما هو مُحرَّم أو مكروه في الدين، شعور المسلم بقوة جسدية تجعله نشيطًا عند استيقاظه من نومه ليقوم بكافة الأعمال المطلوبة منه، تعلُّم الاتكال على الله في كُلِّ شيء؛ فالإنسان عندما يضع نفسه في الفراش فهو لا يعلم إن كان سيُصبِح في اليوم التالي أم يأخذه الموت فجأة، وهكذا فإنه يتعلَّم أن يُسلِم جميع أموره لله سبحانه وتعالى.

ومن الثابت في السنة النبوية أنَّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقرأ سورة الإخلاص والمعوِّذتين قبل النوم؛ حيث كان يرفع كفَّيه وينفُث فيهما أي ينفخ فيهما ثُم يقرأ هذه السور ثلاث مرات، وبعد أن ينتهي يمسح رأسه ووجهه وما استطاع من سائر جسده، وفي هذا الأمر فائدة للمُسلم حتى إذا ما باغته الموت خلال نومه؛ يكون قد مات على خير، إذ يكون آخر ما لفظ به لسانه هو آيات الله عز وجل، ولقد كان للرسول صلى الله عليه وسلم أفضل الأساليب في النوم، فقد قال ابن القيم- رحمه الله-: مَن تدبَّر نومه ويقظته- صلى الله عليه وسلم- وَجَدَه أعدل نوم، وأنفعه للبدن والأعضاء والقوى، فإنه كان ينام أول الليل، ويستيقظ أول النصف الثاني، فيقوم ويستاك، ويتوضَّأ ويُصلِّي ما كتب الله له، فيأخذ البدن والأعضاء والقوى حظَّها من النوم والراحة، وحظَّها من الرياضة مع وفور الأجر، وهذا غاية صلاح القلب والبدن، والدنيا والآخرة[١]، فقد قال صلى الله عليه وسلم:" إنَّ أحبَّ الصيام إلى الله صيام داود، وأحبَّ الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يومًا، ويُفطر يومًا". رواه البخاري ومسلم[٢]، واعتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينام وقت القيلولة، ويحثُّ الصحابة على ذلك.

وهناك بعض الأوقات التي يُكرَه فيها النوم، مثل النوم بين المغرب والعشاء، ونوم النهار ما عدا القيلولة، فقد قال ابن القيم- رحمه الله- في ذلك: ونوم النهار رديءٌ يورث الأمراض الرطوبية والنوازل، ويفسد اللون، ويورث الطحال، ويرخي العصب، ويكسل، ويضعف الشهوة إلا في الصيف وقت الهاجرة، وأردؤه نوم أول النهار، وأردأ منه النوم آخره بعد العصر، ورأى عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- ابنًا له نائمًا نومة الصبحة، فقال له: قمْ، أتنام في الساعة التي تُقسَّم فيها الأرزاق؟ وقيل: نوم

---

(١) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٢١٩). زاد المعاد في هدي خير العباد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥٩) برقم (١١٣١) كتاب التهجد باب من نام عند السحر. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨١٦) برقم (١١٥٩) كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم.



النهار ثلاثةٌ: خُلُقٌ، وحرقٌ، وحمقٌ، فالخُلُق: نومة الهاجرة، وهي خُلُق رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، والحرق: نومة الضحى، تشغل عن أمر الدنيا والآخرة، والحمق: نومة العصر، قال بعض السلف: مَن نام بعد العصر فاختلس عقله؛ فلا يلومنَّ إلَّا نفسه، لأن ذلك وقتٌ تطلب فيه الخليقة أرزاقها، وهو وقت قسمة الأرزاق، فنومه حرمانٌ إلَّا لعارض أو ضرورة، وهو مُضِرٌّ جدًّا بالبدن لإرخائه البدن، وإفساده للفضلات التي ينبغي تحليلها بالرياضة، فيُحدِث تكسُّرًا وعيًّا وضعفًا[١].

وقال الشاعر:

ألا إنَّ نومات الضحى تورث الفتى		خبالًا، ونومات العصير جنون[٢]

والخلاصة: أنَّ في أذكار النوم حصنا من الشيطان وأن من هذه الأذكار قراءة آية الكرسي، وقراءة سورة الإخلاص والمعوِّذتين.

وقول:" سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبِّي، بكَ وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَاغْفِرْ لَهَا، وإنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بما تَحْفَظُ به عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ". رواه البخاري ومسلم[٣].

وقول:" باسْمِكَ اللَّهُمَّ أمُوتُ وأَحْيَا". رواه البخاري[٤]، وقول:" الحمدُ للهِ الذي أطعَمنا وسقانا، وَكفانا وآوانا، فَكم مِمَّن لا كافِيَ لَهُ ولا مُؤوي[٥]". رواه مسلم.

وقول:" اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَرَبَّ الأَرْضِ وَرَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شيءٍ، فَالِقَ الحَبِّ وَالنَّوَى، وَمُنْزِلَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ، أَعُوذُ بكَ مِن شَرِّ كُلِّ شيءٍ أَنْتَ آخِذٌ بنَاصِيَتِهِ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الأوَّلُ فليسَ قَبْلَكَ شيءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فليسَ بَعْدَكَ شيءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فليسَ فَوْقَكَ شيءٌ، وَأَنْتَ البَاطِنُ فليسَ دُونَكَ شيءٌ، اقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الفَقْرِ". رواه مسلم[٦].

---

(١) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٢٢١).

(٢) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ٢٢١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧٠) برقم (٦٣٢٠) كتاب الدعوات باب التعوذ والقراءة عند المنام. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٤) برقم (٢٧١٤) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧١) برقم (٦٣٢٤) كتاب الدعوات باب ما يقول إذا أصبح.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٥) برقم (٢٧١٥) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٤) برقم (٢٧١٣) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع.



١١ شعبان

أم المؤمنين خديجة بنت خويلد

هي أمُّ المؤمنين[١]، وأولى زوجات النبيِّ محمد صلى الله عليه وسلم، وأمُّ أولاده، وخيرة نسائه، وأوَّل من آمن به وصدَّقه، هي سيدة نساء العالمين في زمانها؛ السيدة خديجة- رضي الله عنها- بنت خويلد بن أسد القرشيَّة، وأمُّها فاطمة بنت زائدة العامرية، كنيتها أمُّ القاسم، كانت تُلقَّب في الجاهلية بالطاهرة، وُلدت في مكة سنة ثمانٍ وستينَ قبل الهجرة، وكانت تَكبُرُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر عامًا، نشأت في بيت من البيوت الشريفة فغدت امرأة عاقلة جليلة، اشتهرت بالعزم والعقل والأدب الجم؛ لذلك كانت محطَّ أنظار كبار الرجال من قومها.

تزوَّجت قبل النبي صلى الله عليه وسلم من أبي هالة التميمي، فأنجبت منه هالة وهندًا، ثم مات فتزوَّجت من عتيق بن عائذ المخزومي فلبثت معه فترة من الزمن ثم افترقا، وقيل: مات عنها؛ ثم تقدَّم لها بعد ذلك كثيرون من أشراف قريش، لكنها آثرت الانصراف لتربية أولادها وإدارة شؤون حياتها؛ حيث كانت غنيَّة ذات مال.

كان ثراؤها وثراء آبائها وأجدادها معروفًا في بطون العرب، وكانت ترسل كلَّ عامٍ الرِّجال في تجارتها إلى بلاد الشَّام، وكانت ذات تدقيق وتبصُّرٍ فيمن تختاره منهم لِتأمَنَه على سلامة أموالها وربحها، فتختار ذوي الخبرة المخلِصين في عملهم، والمعروفين بنزاهتهم وأمانتهم، وعفَّة أنفسهم؛ فلما بلغها من صدق حديث محمد صلى الله عليه وسلم وعِظَم أمانته؛ عرضت عليه أن يخرج في مالها إلى بلاد الشَّام، فخرج في تجارتها إلى سوق بصرى ليتَّجر لها، وعاد غانمًا رابحًا، ولفت نظرها ما كان عليه صلى الله عليه وسلم من خُلُقٍ قويم، وحياءٍ وأمانة، فمالت نفسها إليه، ورغبت أن يكون زوجًا لها، وبعد هذا الزواج الميمون أنجبت خديجة- رضي الله عنها- زينب كبرى بنات النبيِّ صلى الله عليه وسلم، ثم رقيَّة، ثم أمَّ كلثوم، ثم فاطمة الزَّهراء، وولدت له من الأولاد الذكور القاسم، وبه كان يُكنَّى، وعبد الله الذي كان يُلَقَّب بالطَّيِّب والطَّاهر، وقد ماتا صغارًا، ومن الجدير بالذِّكر أن جميع أولاد النبي صلى الله عليه وسلم من خديجة إلا ولده إبراهيم؛ فهو من جاريته مارية.

---

(١) ينظر في سيرتها: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٤/ ١٨١٧)؛ أسد الغابة (٦/ ٧٨). الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م. أسد الغابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، عام النشر: ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.



كانت السيدة خديجة- رضي الله عنها- أوَّل من آمن به صلى الله عليه وسلم وصدَّقه؛ عندما أنزل الله وَحيه عليه- صلى الله عليه وسلم-، وذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل الذي بشَّره بأنه نبيُّ الأمَّة.

كانت السيدة خديجة- رضي الله عنها- نِعْم الزوجة في كل المواقف التي تعرَّض لها رسول الله- صلَّى الله عليه وسلَّم-، فخفّفت عن المسلمين ما أصابهم من المحن والابتلاءات، وخاصةً ما حلَّ بهم من مقاطعة قريش لبني هاشم وبني عبد المطلب؛ بعدم تزويجهم أو الزواج منهم، وعدم بيعهم أو الشراء منهم، وعدم الرأفة بهم أو قبول الصُلح منهم، وقد استمرت المقاطعة مدة ثلاث سنواتٍ، وقد تحمَّلت السيدة خديجة- رضي الله عنها- ذلك، وصبرت مع زوجها وساندته في ذلك، وعملت على تأمين الطعام للمسلمين المحاصرين في الشِعب بمعاونة ابن أخيها حكيم بن حزام، إذ كان يُرسل الطعام إلى عمَّته ليلًا.

ومن فضائلها- رضي الله عنها- سلام الله عليها على لسان جبريل- عليه السلام- حيث أتى جبريل يومًا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فقال:" يا رسول الله؛ هذه خديجة قد أتتْ معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا أتتْك فاقرأ عليها السلام من ربِّها ومنِّي، وبشِّرْها ببيت في الجنة من قصب؛ لا صخب فيه ولا نصب". أخرجه البخاري ومسلم(١).

وجاء في البداية والنهاية عند ابن كثير: قال السُّهَيْلي: وإنما بشَّرها ببيت في الجنة من قصب- وهو اللؤلؤ- لأنها حازت قصب السبق إلى الإيمان(٢).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يُكثِر من ذكْرها والثناء عليها: فقد قالت عائشة- رضي الله عنها-:"ما غِرت على امرأة للنبي صلى الله عليه وسلم ما غِرت على خديجة، فغرتُ يومًا فقلتُ: ما أكثر ما تذكرها حمراء الشدقين، قد أبدلك الله خيرًا منها، فقال- عليه الصلاة والسلام-: ما أبدلني الله خيرًا منها، قد آمنتْ بي إذ كفر الناس، وصدَّقتْني إذ كذبني الناس، وواستْني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني أولادها إذ حرمني أولاد النساء". أخرجه أحمد وأصله عند البخاري ومسلم(٣).

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٣٩) برقم (٣٨٢٠) كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٨٧) برقم (٢٤٣٢) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها.

(٢) البداية والنهاية (٤/ ٣١٧).

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤١/ ٣٥٦) برقم (٢٤٨٦٤). وأصله عند البخاري في صحيحه (٥/ ٣٩) برقم (٣٨٢١) كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٨٨) برقم (٢٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها.

وكان- عليه الصلاة والسلام- بارًّا بصويحبات خديجة- رضي الله عنها- وكان يُهدي لهنَّ من الشاة إذا ذبحها، وكان صلى الله عليه وسلم إذا ذكر خديجة- رضي الله عنها- لم يكن يسأم من الثناء عليها والاستغفار لها[١].

وكان لها الكثير من المواقف مع الرسول صلى الله عليه وسلم والتي تدلَّ على محبة الرسول صلى الله عليه وسلم لها، ومنها قول السيدة عائشة- رضي الله عنها-:" ما غِرتُ على أحدٍ من نساءِ النبي صلى الله عليه وسلم ما غِرتُ على خديجةَ، وما رأيْتُها، ولكن كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يُكثرُ ذِكرَها، وربما ذبح الشَّاةَ، ثمّ يُقَطِّعُها أعْضاءً، ثُمَّ يَبْعَثُها في صَدائِقِ خديجَةَ، فربَّما قُلْتُ له: كأنهُ لم يكُن في الدنيا امرأةٌ إلا خديجةُ، فيقول: إنَّها كانتْ، وكانتْ، وكان لي منها ولدٌ". رواه البخاري ومسلم[٢].

هذا الكلام يدلُّ على محبَّة الرسول صلى الله عليه وسلم للسيدة خديجة- رضي الله عنها- وحُسْن العِشرة لها، وحسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب، وإكرام أهل ذات الصاحب.

ومن فضلها أيضًا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أفضل نساء أهل الجنة: خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران". رواه أحمد والنسائي[٣].

يقول الشيخ محمد الغزالي: إن خديجة- رضي الله عنها- من نعم الله الجليلة على محمد صلى الله عليه وسلم، فقد آزرتْه في أحرج الأوقات، وأعانتْه على إبلاغ رسالته، وشاركتْه مغارم الجهاد المرِّ، وواستْه بنفسها ومالها؛ فهي صِدِّيقة النساء، حنَّتْ على رجلها ساعة القلق، وكانت نسمة سلام وبر، رطَّبتْ جبينه المتصبِّب من آثار الوحي، وبقيتْ ربع قرن معه، تَحْترِم قَبل الرسالةِ تَأَمُّلَهُ وعُزْلَته وشَمَائِلَه، وتتحمَّل بعدَ الرسالة كيد الخصوم، وآلام الحصار، ومتاعب الدعوة، وماتت والرسول صلى الله عليه وسلم في الخمسين من عمره، وهي تجاوزت الخامسة والستين، وقد أخلص لذكراها طول حياته[٤].

---

(١) ينظر مصادر الحديث السابق تخريجه قريبًا قبل هذا، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ٣٨) برقم (٣٨١٨) كتاب مناقب الأنصار باب تزويج النبي صلى الله عليه وسلم خديجة وفضلها رضي الله عنها. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٨٨) برقم (٢٤٣٥) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله تعالى عنها.

(٣) رواه أحمد في مسنده (٤/ ٤٠٩) برقم (٢٦٦٨). والنسائي في السنن الكبرى (٧/ ٣٨٨) برقم (٨٢٩٧) كتاب المناقب، مناقب مريم بنت عمران. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١٠/ ١٢١).

(٤) ينظر: فقه السيرة للغزالي (ص: ١٣١). فقه السيرة، المؤلف: محمد الغزالي السقا (المتوفى: ١٤١٦هـ)، الناشر: دار القلم – دمشق، تخريج الأحاديث: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧هـ.

قال الشاعر:

وَتُشرِقُ بَالتَّقوى خَديجَةُ وَالعُلا وَبِالمِصـــطفى الهـــادي المنـــيرِ مُحَمَّـــدِ
يُشَنِّفُ سَمعَ المجدِ ذِكرُ خَديجةٍ وَيُفعَـــمُ مِـــنْ عَـــذبِ الثَّنـــاءِ المـــرَدَّدِ
وَعَنْ أَسَدٍ تُروى فُصولُ بُطولَةٍ وَحَـــزمٍ وَإحســـانٍ وَحِلـــمٍ وَمُحتِـــدِ
وسَيِّدَةُ النِّســـــوانِ طـــاهِرَةٌ فَـــلا تَسَلْ عَنْ سَنا طُهـــرٍ وَلا ظِلِّ سُـؤْدَدِ(١)

تُوفِّيت السيدة خديجة بنت خويلد- رضي الله عنها- في العام الحادي عشر من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ودُفِنت في الحجون، وقد كان لوفاة السيدة خديجة- رضي الله عنها- أثر قوي على نفس رسول الله- صلى الله عليه وسلم-.

الخلاصة: تلك هي أم المؤمنين الأولى، التي اصطفاها ربُّ العالمين لتكون أوَّل من آمن برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وخير مَن نصر الإسلام في بدئه، وأفضل مَن وقف مع النبي المبعوث صلى الله عليه وسلم في بداية مبعثه، إنها سيدة نساء العالمين، حَمل إليها جبريل سلامًا خاصًّا من الله عز وجل، وبشارة بالجنَّة لقاء ما قدَّمتْ، وفضلًا من الله تعالى.

إنها أهل لتحزن على رحيلها القلوبُ، وتبكي على فقدانها العيونُ، وترثيها بعد وفاتها الألسُنُ.

---

(١) الأبيات من قصيدة بعنوان: سنا الطهر زظل السؤدد (قصيدة في مدح أم المؤمنين خديجة رضي الله عنه).



١٢ شعبان

معنى كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)

إنَّ العروة الوثقى في دين الله هي (لا إله إلا الله) التي جاءت مشتملة على الدين كلِّه، وعلى التوحيد كلِّه، وهي أعظم كلمة ذُكِرت في أعظم آية، فيها أعظم اسم، فهي الكلمة التي من أجلها خَلَقَ الله السموات والأرض، ومن أجلها خَلَقَ الله الملائكة والإنس والجانَّ، ومن أجلها بعث الله الرسل وأنزل الكتب، ومن أجلها تتزلزل الأرض وتُسيَّر الجبال، وتنشقُّ السماء وتنفطر، وتتطاير النجوم وتنكدر، ويُحشَر العباد وتتطاير الصحف، وتوضع الموازين، ويُنصَب الصراط، ومن أجلها خُلِقت الجنة والنار، واختصم فيها الناس إلى متَّقين وفجَّار، فمثوى المؤمنين بها جنات عند ربهم، ومثوى الكافرين النار، لذا كان أول واجب على العباد أن يعلموها حق العلم، وأن يعملوا بمقتضاها.

وأصل كلمة التوحيد من "وحد"، وكل معاني هذه المفردة في اللغة تدلُّ على الانفراد أو المنفِرد، أمَّا في الاصطلاح: فالتوحيد هو عبادة الله وحده لا شريك له، وإفراده بالعبادة، وإثبات أسمائه وصفاته، وإفراد خصائص الربوبيَّة له وحده، وهو ما جاء يؤَكِّده كلام الله سبحانه وكلام نبيِّه الكريم صلى الله عليه وسلم- وكلمة التوحيد: (لا إله إلا الله) معناها؛ أي: لا معبود بحقٍّ إلا الله، وعلى هذا فقد تضمَّنت هذه الكلمة نفيًا وإثباتًا؛ فأمَّا النفي ففي قوله: (لا إله)، تنفي بذلك جميع ما يُعبَد من دون الله، وأمَّا الإثبات ففي قوله: (إلا الله) تُثبت بذلك الإلهيَّة لله وحده، وقال الشيخ ابن باز- رحمه الله-: (لا إله إلا الله) هي أساس الدين، وهي الركن الأول من أركان الإسلام، مع شهادة أن محمدًا صلى الله عليه وسلم رسول الله، كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" بُنِي الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت". متفق عليه[(١)].

وفي الصحيحين عن ابن عبَّاس- رضي الله عنهما- أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذًا- رضي الله عنه- إلى اليمن، قال له:" إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنِّي رسول الله، فإن أطاعوك لذلك فأعلِمْهم أنَّ الله افترض عليهم خمس صلوات في

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١١) برقم (٨) كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس». ومسلم في صحيحه (١/ ٤٥) برقم (١٦) كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم بني الإسلام على خمس.



اليوم والليلة، فإن أطاعوك لذلك فأعلِمْهم أنَّ الله افترض عليهم صدقة؛ تُؤخَذ من أغنيائهم فتردُّ في فقرائهم". متفق عليه[١].

ومعنى شهادة أن لا إله إلا الله: لا معبود بحقٍّ إلَّا الله، وهي تنفي الإلهيَّة بحقٍّ عن غير الله سبحانه، وتُثبتها بالحقِّ لله وحده، كما قال الله عز وجل في سورة الحج: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾[٢] وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرۡهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[٣]، وقال أيضًا: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٤] وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾[٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وهذه الكلمة العظيمة لا تنفع قائلها ولا تخرجه من دائرة الشرك إلَّا إذا عرف معناها وعمل به وصدَّق به، وقد كان المنافقون يقولونها وهم في الدرك الأسفل من النار؛ لأنهم لم يؤمنوا بها ولم يعملوا بها، وهكذا اليهود تقولها وهم من أكفر الناس- لعدم إيمانهم بها-، وهكذا عُبَّاد القبور والأولياء من كفَّار هذه الأمة، يقولونها وهم يخالفونها بأقوالهم وأفعالهم وعقيدتهم، فلا تنفعهم ولا يكونون بقولها مسلمين؛ لأنهم ناقضوها بأقوالهم وأعمالهم وعقائدهم.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن شروطها ثمانية؛ جمعها في بيتين فقال:

علمٌ يقينٌ وإخلاصٌ وصدقُك ... محبَّةٍ وانقيادٍ والقبولِ لها

مع وزِيدَ ثامنَها الكُفرانُ منك بما ... سوى الإلهِ من الأشياءِ قد أُلها

وهذان البيتان قد استوفيا جميع شروطها:

الأول: العلم بمعناها المنافي للجهل.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٠٤) برقم (١٣٩٥) كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٠) برقم (١٩) كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

(٢) الحج: ٦٢.

(٣) المؤمنون: ١١٧.

(٤) البقرة: ١٦٣.

(٥) البينة: ٥.



الثاني: اليقين المنافي للشكِّ، فلا بُدَّ في حقِّ قائلها أن يكون على يقين بأنَّ الله سبحانه هو المعبود بالحقِّ. وقد حثَّ الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- على معرفتها فقال: الذين يقولون: (لا إله إلا الله) يجب أن يعرفوا معناها، وأنَّه لا معبود بحقٍ إلَّا الله، وأنَّ كلَّ ما يُعبَد من دون الله فهو باطل؛ لقول الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلۡبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ (١)(٢).

الثالث: الإخلاص، وذلك بأن يخلص العبد لربِّه في جميع العبادات، فإذا صرف منها شيئًا لغير الله من نبيٍّ أو وليٍّ أو ملكٍ أو صنمٍ أو جنِّيٍّ أو غيرها؛ فقد أشرك بالله ونقض هذا الشرط وهو شرط الإخلاص.

الرابع: الصدق، ومعناه أن يقولها وهو صادق في ذلك، يطابق قلبه لسانه، ولسانه قلبه، فإن قالها باللسان فقط، وقلبه لم يؤمن بمعناها؛ فإنها لا تنفعه، ويكون بذلك كافرًا كسائر المنافقين. قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: ويُشترَط أيضًا أن يقوم بما تقتضيه هذه الكلمة العظيمة، ومن أهمِّ ما يقوم به الصلاة؛ لأنَّ من ترك الصلاة فهو كافر؛ ولو قال: لا إله إلا الله، ثم إنَّ هذه الكلمة إذا قالها الإنسان وهو يفهم معناها فإنها تستلزم أن يقوم بطاعة الله عز وجل؛ لأن معنى (لا إله إلا الله) لا معبود حقًّا إلَّا الله، وهذا يقتضي أن يعبد هذا الإله الحقَّ. هذا هو الوجه الذي أمر به مُخلِصًا له الدين، مُتَّبِعًا لخاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم(٣).

الخامس: المحبَّة، ومعناها أن يُحبَّ الله عز وجل، فإن قالها وهو لا يُحبُّ الله صار كافرًا لم يدخل في الإسلام كالمنافقين، ومن أدلَّة ذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ (٤)وقوله سبحانه ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾(٥)، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) الحج: ٦٢.

(٢) فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين (٥/ ٥). فتاوى نور على الدرب، المؤلف : فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله.، الناشر : مؤسسة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين الخيرية، الطبعة: الإصدار الأول [١٤٢٧-٢٠٠٦].

(٣) فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين (٥/ ٥).

(٤) آل عمران: ٣١.

(٥) البقرة: ١٦٥.

السادس: الانقياد لما دلَّت عليه من المعنى، ومعناه أن يعبد الله وحده وينقاد لشريعته ويؤمن بها، ويعتقد أنَّها الحقُّ؛ فإن قالها ولم يعبد الله وحده، ولم ينقَدْ لشريعته بل استكبر عن ذلك؛ فإنه لا يكون مسلمًا كإبليس وأمثاله.

السابع: القبول لما دلَّت عليه، ومعناه: أن يقبل ما دلَّت عليه من إخلاص العبادة لله وحده، وترك عبادة ما سواه، وأن يلتزم بذلك ويرضى به.

الثامن: الكفر بما يُعبَد من دون الله، ومعناه أن يتبرَّأ من عبادة غير الله ويعتقد أنَّها باطلة، كما قال الله سبحانه: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[١] وصحَّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:" من قال: لا إله إلَّا الله، وكفر بما يُعبَد من دون الله؛ حُرِّم ماله ودمه، وحسابه على الله"[٢]، وفي رواية عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال:" مَن وحَّد الله وكفر بما يُعبَد من دون الله حُرِّم مالُه ودمُه". أخرجهما مسلم. [٣].

وختامًا: فالواجب على جميع المسلمين أن يُحقِّقوا هذه الكلمة بمراعاة هذه الشروط، ومتى وُجِد من المسلم معناها والاستقامة عليه فهو مسلم حرام الدم والمال، وإن لم يعرف تفاصيل هذه الشروط؛ لأنَّ المقصود وهو العلم بالحقِ والعمل به، وإن لم يعرف المؤمن تفاصيل الشروط المطلوبة.

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٣) برقم (٢٣) كتاب الإيمان باب باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(٣) ينظر فتوى الشيخ ابن باز عليه رحمة الله وكلامه عن هذه الشروط الثمانية: مجموع فتاوى ابن باز (٧/ ٥٤- ٥٧).



١٣ شعبان

فضل كلمة التوحيد

إنَّ خير الكلمات وأجلَّها على الإطلاق؛ كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، فهي الكلمة التي لأجلها قامت الأرض والسماوات، وخُلقت جميع المخلوقات، وبها أُرسلت الرسل وأُنزلت الكتب وشُرعت الشرائع، ولأجلها نُصبت الموازين، ووُضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وانقسمت الخليقة إلى مؤمنين وكفَّار، وأبرار وفجَّار، وهي منشأ الخلْق والأمر، والثواب والعقاب، وعنها يُسأل الأولون والآخرون يوم القيامة، وهي العروة الوثقى، وكلمة التقوى، وهي كلمة الشهادة، ومفتاح دار السعادة، وأساس الدين، وأصله ورأس أمره؛ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[١] ، وكم لهذه الكلمة العظيمة، من الفضائل الجليلة الكريمة، والمزايا الجمَّة، ممَّا لا يُمكن استقصاؤه ولا الإحاطة به، وقد تضمَّنت هذه الكلمة العظيمة أنَّ ما سوى الله ليس بإلهٍ، وأنَّ إلهيَّة ما سوى الله أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، ومنتهى الضلال؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾[٢] ، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٣] والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، ولا ريب أنَّ صرف العبادة لغير الله ظلم؛ لأنَّه وضعٌ لها في غير موضعها، بل إنَّه أظلم الظلم، وأخطره على الإطلاق.

وممَّا ورد في فضل هذه الكلمة:

١- أنها هي القول الثابت الذي يُثبِّت الله به الذين آمنوا؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾[٤] وعن البراء بن عازب- رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" المسلم إذا سُئل في القبر؛ شهد أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسول الله، فذلك قوله: [٥] وقال الله

---

(١) آل عمران: ١٨.

(٢) الأحقاف: ٥ – ٦.

(٣) لقمان: ١٣.

(٤) إبراهيم: ٢٧.

(٥) إبراهيم: ٢٧.

تبارك وتعالى:﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[١] ، قال العلَّامة السعدي- رحمه الله-:" هي شهادة أن لا إله إلَّا الله وفروعها، {كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ} وهي النخلة، {أَصْلُهَا ثَابِتٌ} في الأرض، {وَفَرْعُهَا} منتشر {فِي السَّمَاءِ}، وهي كثيرة النفع دائمًا"، وقال ابن عبَّاس–رضي الله عنهما–:"كلمة التوحيد لا شيء أحلى منها، كشجرة طيبة وهي النخلة، وليس في الثمار أحلى من الرطب[٢] ، ولذلك شبَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن في حلاوته ولينه وقوَّته وثبات أصله بالنخلة فقال:" لا يسقط ورقها، مثلها كمثل المؤمن". رواه البخاري ومسلم[٣].

٢- أنَّ مَن أتى بها لا يُخلَّد في النار حتَّى ولو كان عمل من الخير قليلًا؛ ما دام أنَّه مُوحِّد؛ لحديث أنس- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة". رواه البخاري ومسلم[٤].

وعن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" يُوضع الصراط بين ظهري جهنم عليه حسك كحسك السعدان، ثم يستجيز الناس فناجٍ مسلم، ومجدوح به، ثم ناج ومحتبس به منكوس فيها، فإذا فرغ الله عز وجل من القضاء بين العباد؛ يفقد المؤمنون رجالًا كانوا معهم في الدنيا يُصلُّون بصلاتهم، ويُزكُّون بزكاتهم، ويصومون صيامهم، ويَحجُّون حجَّهم، ويغزون غزوهم، فيقولون: أي ربَّنا؛ عبادٌ من عبادك كانوا معنا في الدنيا يُصلُّون صلاتنا، ويُزكُّون زكاتنا، ويصومون صيامنا، ويَحُجُّون حجَّنا، ويغزون غزونا؛ لا نراهم، فيقول: اذهبوا إلى النار، فمن وجدتم فيها منهم فأخرجوه؛ قال: فيجدونهم قد أخذتهم النار على قدر أعمالهم، فمنهم من أخذته إلى قدميه، ومنهم من أخذته إلى نصف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى ركبتيه، ومنهم من أزرته،

---

(١) إبراهيم: ٢٤.

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٢٥).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢٢) برقم (٦١) كتاب العلم باب قول المحدث: حدثنا، وأخبرنا، وأنبأنا. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٦٤) برقم (٢٨١١) كتاب صفة القيامة والجنة والنار باب مثل المؤمن مثل النخلة.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ١٢١) برقم (٧٤١٠) كتاب التوحيد باب قول الله تعالى:{لما خلقت بيدي} [ص: ٧٥]. ومسلم في صحيحه (١/ ١٨٢) برقم (١٩٣) كتاب الإيمان باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها.



ومنهم من أخذته إلى ثدييه، ومنهم من أخذته إلى عنقه، ولم تغش الوجوه، فيستخرجونهم منها فيُطرَحون في ماء الحياة، قيل: يا رسول الله؛ وما ماء الحياة؟ قال: غسل أهل الجنة، فينبتون نبات الزرعة، وقال مرَّة فيه: كما تنبت الزرعة في غثاء السيل، ثم يشفع الأنبياء في كلِّ من كان يشهد أن لا إله إلَّا الله مُخلِصًا فيخرجونهم منها، قال: ثم يتحنَّن الله برحمته على من فيها، فما يترك فيها عبدًا في قلبه مثقال حبَّة من إيمان إلَّا أخرجه منها". رواه أحمد وابن ماجه[1].

وعن أبي ذر- رضي الله عنه- قال:" أتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثوب أبيض، فإذا هو نائم، ثم أتيتُه أُحدِّثه فإذا هو نائم، ثم أتيتُه وقد استيقظ، فجلستُ إليه فقال:" ما من عبد قال: لا إله إلَّا الله، ثم مات على ذلك إلَّا دخل الجنة. قلتُ: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلتُ: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق ثلاثًا، ثم قال في الرابعة: على رغم أنف أبي ذر، فخرج أبو ذر- رضي الله عنه- يجرُّ إزاره وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر، فكان أبو ذر- رضي الله عنه- يُحدِّث بهذا بعد ويقول:" وإن رغم أنف أبي ذر". رواه البخاري ومسلم[2].

٣- أنها سببٌ في عصمة الدم لحديث أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أُمِرتُ أن أُقاتِل الناس حتَّى يقولوا: لا إله إلَّا الله، فمن قال: لا إله إلَّا الله؛ فقد عصم منِّي نفسه وماله إلَّا بحقِّه، وحسابه على الله". رواه البخاري ومسلم[3].

٤- حصول شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لحديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أنه قال: قيل: يا رسول الله؛ مَن أسعدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لقد ظننتُ يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحدٌ أوَّل منك؛ لما رأيتُ من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلَّا الله؛ خالصًا من قلبه أو نفسه". رواه البخاري[4].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٧/ ١٤١) برقم (١١٠٨١). وابن ماجه في سننه مختصرًا (٢/ ١٤٣٠) برقم (٤٢٨٠) كتاب الزهد باب ذكر البعث. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ٢٨٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ١٤٩) برقم (٥٨٢٧) كتاب اللباس باب الثياب البيض. ومسلم في صحيحه (١/ ٩٥) برقم (٩٤) كتاب الإيمان باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات مشركا دخل النار.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ١٠٥) برقم (١٣٩٩) كتاب الزكاة باب وجوب الزكاة. ومسلم في صحيحه (١/ ٥١) برقم (٢٠) كتاب الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٣١) برقم (٩٩) كتاب العلم باب الحرص على الحديث.



٥- كلمة التوحيد من أفضل أنواع الذكْر لله تعالى لحديث جابر بن عبد الله- رضي الله عنهما- يقول: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" أفضل الذكْر لا إله إلَّا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله". رواه الترمذي[١].

وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" من قال: لا إله إلَّا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على شيء قدير؛ في يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكُتبت له مائة حسنة، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزًا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي، ولم يأتِ أحدٌ بأفضل ممَّا جاء به إلَّا أحدٌ عَمِل أكثر من ذلك". رواه البخاري ومسلم[٢].

قال العلَّامة ابن رجب- رحمه الله-: فأمَّا كلمة التوحيد فإنَّها تهدم الذنوب، وتمحوها محوًا، ولا تُبقي ذنبًا، ولا يسبقها عمل، وهي تعدل عتق الرقاب الذي يُوجب العتق من النار[٣].

وختامًا: التوحيد أول دعوة الرسل، وأول منازل الطريق، وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله عز وجل، ولهذا كان أول واجب يجب على المكلف، وأول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:" مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّة". رواه أبو داود[٤]، فهو أوَّل واجب، وآخر واجب؛ فالتوحيد أوَّل الأمر وآخره، نعني توحيد الألوهية.

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٤٦٢) برقم (٣٣٨٣) أبواب الدعوات باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٣٠٦) برقم (١٠٥٩٩) كتاب عمل اليوم والليلة، أفضل الذكر، وأفضل الدعاء. وابن ماجه في سننه مختصرًا (٢/ ١٢٤٩) برقم (٤٢٨٠) كتاب الأدب باب فضل الحامدين. والحديث حسنه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٢٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٤/ ١٢٦) برقم (٣٢٩٣) كتاب بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده. ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧١) برقم (٢٦٩١) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٣) طائف المعارف لابن رجب (ص: ٢١٤).

(٤) رواه أبو داود في سننه (٣/ ١٩٠) برقم (٣١١٦) كتاب الأدب باب في التلقين. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٧/ ١١٦). صحيح وضعيف سنن أبي داود، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مصدر الكتاب: برنامج منظومة التحقيقات الحديثية – المجاني – من إنتاج مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية

١٤ شعبان

آداب الدعاء

يُعتبَر الدعاء عبادة من العبادات التي تُقرِّب العبد من الله سبحانه وتعالى، فإنَّ الدعاء يُحقِّق للعبد طلبه وسؤاله، فيتوسَّل إلى الله لينال حاجته، ولقد وعدنا الله عز وجل بالاستجابة، فإنَّ الدعاء يكون بسؤال الله الحاجات، والأخذ بالأسباب التي تُؤدِّي إلى تحقيق المرجو، فما هو الدعاء؟

الدعاء هو إظهار التوسُّل والحاجة لله سبحانه وتعالى، والرجوع إليه، وهو افتقار العبد إلى الله عز وجل، وطلب كشف الغُمَّة، وتحقيق الحاجة من الله، ولقد شرع الله تعالى الدعاء لعباده باعتباره العبادة التي يتمكَّن المسلم من خلالها من التقرُّب إلى الله سبحانه، والحصول على المنفعة بالدنيا والآخرة، وتحقيق سؤاله ومطلبه، يبتهل به إلى الخالق ويتضرَّع إليه لينال حاجته، وقد وعد الله جل وعلا الداعي من عباده بأن يستجيب له؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(١) والدعاء من أفضل العبادات؛ حيث يتوجَّه المسلمون إلى ربِّهم بالدعاء بملء إرادتهم، وهو أحد أهمِّ الوسائل التي يتَّصل بها العبد إلى ربِّه، وهو ما ورد في الكثير من الأحاديث النبوية الشريفة والنصوص الشرعية، كما جاء في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" لا يردُّ القضاءَ إلَّا الدُّعاءُ، ولا يزيدُ في العمرِ إلَّا البرُّ". صحيح الترمذي(٢).

والدعاء ينقسم إلى دعاء ثناء، ودعاء مسألة؛ أمَّا دعاء الثناء فهو: دعاء الله تعالى بأسمائه وصفاته؛ لتحقيق ما يُحبُّه الداعي، أو دَفْع ما يكرهه، أمَّا دعاء المسألة فهو: طلب المنافع من الله تعالى، وطلب دَفْع الأضرار عن الداعي، وفي كلا النوعَين يُعَدُّ عبادة، ولكن لكي يستجيب الخالق لدعاء العبد؛ هناك بعض الشروط والآداب، عليه أن يتعرَّف عليها أوَّلًا، ومن ثَمَّ اتِّباعها لكي يحصل على أجر تلك العبادة العظيمة، وتلبية حاجته من الله عز وجل:

---

(١) البقرة: ١٨٦.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٤٤٨) برقم (٢١٣٩) أبواب القدر باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ١٣٩).

١- أن يبدأ بحمد الله، ويُصلِّي على النبي صلى الله عليه وسلم، ويختم بذلك: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجُلًا يُصلِّي فمجَّد الله وحمده، وصلَّى على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أيُّها المصلِّي؛ ادعُ تُجَبْ، وَسَلْ تُعْطَ". رواه النسائي(١).

٢- الدعاء في الرخاء والشدَّة: قال صلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة- رضي الله عنه-:" مَن سرَّه أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب؛ فلْيُكثِر الدعاء في الرخاء". رواه الترمذي(٢).

٣- يخفض صوته بالدعاء بين المخافتة والجهر: قال تعالى: ﴿ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴾(٣)

كذلك أن يتضرَّع إلى الله في دعائه؛ قال تعالى:﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٤)، وأن يُلِحَّ على ربِّه في الدعاء؛ فعن أنس- رضي الله عنه- يرفعه:" ألظوا بيا ذا الجلال والإكرام". رواه أحمد والترمذي(٥).

٤- الاعتراف بالذنب والنعمة حال الدعاء: كما في الحديث عن شدَّاد بن أوس- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: سيد الاستغفار أن تقول:" اللهمَّ أنت ربِّي، لا إله إلَّا أنت، خلقتَني وأنا عبدُك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعتُ، أعوذ بك من شرِّ ما صنعتُ، أبوء لك بنعمتك عليَّ وأبوء بذنبي، فاغفر لي؛ فإنَّه لا يغفر الذنوب إلَّا أنت"، قال: ومَن قالها من النهار مُوقنًا بها، فمات من يومه قبل أن يُمسي فهو من أهل الجنة، ومَن قالها من الليل وهو موقن بها، فمات قبل أن يُصبح فهو من أهل الجنة". رواه البخاري(٦).

---

(١) رواه النسائي في السنن الكبرى (٢/ ٧١) برقم (١٢٠٨) كتاب المساجد، التحميد، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة. والحديث حسن إسناده الألباني كما في أصل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم (٣/ ٩٩٠). أصل صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة: الأولى ١٤٢٧هـ – ٢٠٠٦م.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٤٦٢) برقم (٣٣٨٢) أبواب الدعوات باب ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٧/ ٣٨٢).

(٣) الأعراف: ٥٥.

(٤) الأنعام: ٤٣.

(٥) رواه أحمد في مسنده (٢٩/ ١٣٨) برقم (١٧٥٩٦). والترمذي في جامعه (٥/ ٥٤٠) برقم (٣٥٢٥) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ٢٥).

(٦) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٦٧) برقم (٦٣٠٦) كتاب الدعوات باب أفضل الاستغفار.



٥- أن يتوسَّل إلى ربّه تعالى بأنواع الوسائل المشروعة: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ﴾[١] ومعنى ابتغاء الوسيلة كما قال العلَّامة السعدي- رحمه الله: أي القُرْب منه، والحظوة لديه، والحبُّ له، وذلك بأداء فرائضه القلبية- كالحبِّ له وفيه، والخوف والرجاء، والإنابة والتوكُّل-، والبدنية- كالزكاة والحج- والمركَّبة من ذلك- كالصلاة ونحوها من أنواع القراءة والذِّكْر-، ومن أنواع الإحسان إلى الخَلْق بالمال والعلم، والجاه والبدن، والنُّصح لعباد الله، فكلُّ هذه الأعمال تُقرِّب العبد إلى الله، ويستجيب الله له الدعاء[٢].

٦- الدعاء ثلاثًا: وقد قال عليه السلام:" اللهمَّ عليك بقريشٍ؛ ثلاث مرات". رواه البخاري ومسلم[٣].

٧- أن يستقبل القبلة: فعن عبد الله بن زيد- رضي الله عنه- قال:" خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا المصلَّى يستسقي، فدعا واستسقى، ثم استقبل القبلة فقلب رداءه". رواه البخاري ومسلم[٤].

٨- رفْع اليدين بالدعاء: عن سلمان- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ ربَّكم تبارك وتعالى حييٌّ كريمٌ، يستحي من عبده إذا رفع يديه إليه أن يرُدَّهما صفرًا". رواه أبو داود والترمذي[٥].

٩- الوضوء قبل الدعاء إن تيسَّر: عن أبي موسى- رضي الله عنه- قال:" لما فرغ النبي- صلى الله عليه وسلم- من حُنين؛ بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاس، فلقي دُريد بن الصمة، فقُتِلَ دُريدٌ، وهزم الله أصحابه. قال أبو موسى: بعثني مع أبي عامر، فرُمِي أبو عامر في ركبته، رماه

---

(١) المائدة: ٣٥.

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٣٠).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٥٧) برقم (٢٤٠) كتاب الوضوء باب إذا ألقي على ظهر المصلي قذر أو جيفة، لم تفسد عليه صلاته ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤١٨) برقم (١٧٩٤) كتاب الجهاد والسير باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٧٥) برقم (٦٣٤٣) كتاب الدعوات باب الدعاء مستقبل القبلة. ومسلم في صحيحه (٢/ ٦١١) برقم (٨٩٤) كتاب صلاة الاستسقاء.

(٥) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٧٨) برقم (١٤٨٨) باب تفريع أبواب الوتر باب الدعاء. والترمذي في جامعه (٥/ ٥٥٦) برقم (٣٥٥٦) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٧١) برقم (٣٨٦٥) كتاب الدعاء باب رفع اليدين في الدعاء. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٣٩).



جشميٌّ بسهم فأثبته في ركبته، فانتهيتُ إليه فقلتُ: يا عمِّ؛ مَن رماكَ؟ فأشار إلى أبي موسى فقال: ذاك قاتلي الذي رماني، فقصدتُ له فلحقتُه، فلما رآني ولَّى فاتبعتُه، وجعلتُ أقول: ألا تستحي؟ ألا تثبت؟ فكفَّ، فاختلفنا ضربتين بالسيف، فقتلتُه، ثم قلتُ لأبي عامر: قتل الله صاحبك. قال: فانزع هذا السهم، فنزعتُه فنزا منه الماء فقال: يا ابن أخي؛ انطلِقْ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقرِئْه منِّي السلام، وقل له: يقول لك أبو عامر: استغفرْ لي. قال: واستعملني أبو عامر على الناس فمكث يسيرًا، ثم مات، فرجعتُ فدخلتُ على النبي صلى الله عليه وسلم في بيته على سرير مُرْمَلٍ وعليه فراش، قد أثَّر رمال السرير في ظهره وجنبه، فأخبرتُه بخبرنا وخبر أبي عامر، وقلتُ له: قال: قلْ له: استغفرْ لي، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بماء فتوضَّأ منه، ثم رفع يديه فقال: اللهمَّ اغفرْ لعبيد بن عامر، ورأيت بياض إبطيه، ثم قال: اللهمَّ اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك ومن الناس. فقلتُ: ولي يا رسول الله فاستغفرْ، فقال: اللهمَّ اغفرْ لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخلْه يوم القيامة مُدخلًا كريمًا". رواه البخاري ومسلم[١].

١٠- البكاء في الدعاء من خشية الله: فعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما-:" أن النبي- صلى الله عليه وسلم- تلا قول الله عز وجل في إبراهيم[٢]:وقال عيسى ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[٣] ، فرفع يديه، وقال:" اللهمَّ أُمَّتي أُمَّتي. وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريل؛ اذهبْ إلى محمد- وربُّك أعلم- فسلْه ما يُبكيك؟ فأتاه جبريل- عليه السلام- فسأله، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قال وهو أعلم، فقال الله: يا جبريل؛ اذهبْ إلى محمد؛ فقلْ: إنَّا سنُرضيك في أُمَّتك ولا نسوؤك". رواه مسلم[٤].

والخلاصة: قول العلَّامة ابن باز- رحمه الله-: الدعاء له آدابٌ في الإسلام، آدابٌ عظيمة، وهي: الإقبال على الله، وحضور القلب في الدعاء؛ أن تُحضِر قلبك في الدعاء، وأن تستقبل القبلة، وأن ترفع يديك، تلحّ بالدعاء، وتُكرِّر الدعاء، تبدأ بحمد الله، والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم تدعو، كلُّ هذا من آدابه، وإذا كنتَ على طهارة فهو أكمل[٥].

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٥/ ١٥٥) برقم (٤٣٢٣) كتاب المغازي باب غزوة أوطاس. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٤٣) برقم (٢٤٩٨) كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم باب من فضائل أبي موسى وأبي عامر الأشعريين رضي الله عنهما.

(٢) إبراهيم: ٣٦.

(٣) المائدة: ١١٨.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ١٩١) برقم (٢٠٢) كتاب الإيمان باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، وبكائه شفقة عليهم.

(٥) ينظر موقع الشيخ عليه رحمة الله:



١٥شعبان

ليلة النصف من شعبان وما ورد فيها

عرف العرب الأشهُر الهجرية، وسمُّوها واعتمدوها في تقويمهم وتأريخهم، وورد في القرآن الكريم ذكرٌ لتعداد هذه الأشهُر وتصنيفها، فهي اثنا عشر شهرًا، مُقسَّمة إلى أشهُرٍ حُرُمٍ وعددها أربعة، وأشهر حلٍّ أو حلالٍ وعددها ثمانية، كما جاء في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[١] وشهر شعبان هو الشَّهر الثامن في ترتيب أشهر السَنة الهجريَة، ويأتي بعد شهر رجبٍ وقبل شهرِ رمضان، وأما سبب تسميته فقد اختُلِف فيه على قولَين؛ فهناك من قال: إنَّ التّسمية عائدة لتشعُّب العرب في المناطق والأنحاء؛ طلبًا للماء، وهناك من أرجع سبب التسمية إلى تشعُّب العرب في المناطق للقتال بعد أن كان ممنوعًا عليهم ومحظورًا في رجب.

وإنَّ لشهر شعبان فضلًا وميزةً مُتمثّلةً بكونه الشهر السابق لأفضل شهور السنة شهرِ رمضان المبارك؛ حيث يكون شعبان شهر الاستعداد لرمضان وتهيئة النفس لاستقباله، وقد كان النَّبي- عليه الصَّلاة والسَّلام- يُكثِر من الصِيام في شعبان، ومن ذلك ما روته عنه أمُّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها- قالت:"كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول: لا يُفطِرُ، ويفطرُ حتى نقولَ: لا يصومُ، وما رأيتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم استكمل صيامَ شهرٍ قطُّ إلا رمضانَ، وما رأيتُه في شهرٍ أكثرَ منه صيامًا في شعبانَ". رواه مسلم[٢].

وورد عن النَّبي صلى الله عليه وسلم أنَّ كثيرين يغفلون عن شهر شعبان وعن فضله؛ فهو شهرٌ تُرفَع فيه الأعمال إلى الله تعالى؛ لذا أحبَّ الرسول صلى الله عليه وسلم الصيام فيه، كما روى عنه أبو هريرة- رضي الله عنه- قال:" قلتُ: يا رسولَ اللهِ؛ أراك تصومُ في شهرٍ ما لم أرَكَ تصومُ في شهرٍ مثلَ ما تصومُ فيه؟ قال: أيُّ شهرٍ؟ قلتُ: شعبانَ، قال: شعبانُ بين رجبَ ورمضانَ، يغفلُ الناسُ عنه، تُرفَعُ فيه أعمالُ العبادِ، فأُحِبُّ أن لا يرفع عملي إلَّا وأنا صائمٌ". رواه النسائي[٣].

---

(١) التوبة: ٣٦.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٢/ ٨١٠) برقم (١١٥٦) كتاب الصيام باب صيام النبي صلى الله عليه وسلم في غير رمضان، واستحباب أن لا يخلي شهرا عن صوم.

(٣) رواه النسائي في السنن الكبرى (٣/ ١٧٦) برقم (٢٦٧٨) كتاب الصيام، صوم النبي صلى الله عليه وسلم بأبي هو وأمي، وذكر اختلاف الناقلين في ذلك. والحديث حسن إسناده الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٤/ ٥٢٢).



وذهب بعض العلماء إلى تعظيم ليلة النصف من شعبان، والاستزادة فيها من الطاعات، والإكثار من القربات، بما فيها قيام الليل، ومنهم من ذهب إلى عدم جواز تخصيص ليلة النصف من شعبان بالقيام لذاتها؛ لعدم ثبوت ذلك بحديثٍ صحيحٍ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم، مما يجعل تخصيص ليلة النصف من شعبان لذاتها بالقيام من قبيل البدعة، أمَّا إن قام المسلم ليلة النصف من شعبان بقصد العبادة بوجهٍ عامٍّ دون اعتقاد فضلٍ لهذه الليلة أو تخصيصٍ لها، فذلك جائزٌ لا حرج فيه. وعن حكم صيام يوم النصف من شعبان يقول العلماء: إنْ صام المسلم يوم النصف من شهر شعبان على أنَّه من الأيام البيض الثلاثة التي يستحبُّ صومها من كلِّ شهرٍ (الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر من كلِّ شهرٍ هجريٍّ) فإنَّ ذلك مستحب؛ لأن صيام هذه الأيام من قبيل صيام النافلة، أمَّا إفراد وتخصيص يوم النصف من شهر شعبان بالصيام؛ اعتقادًا لفضله، فلا يصحُّ ذلك؛ للروايات الواردة في النهي عن صيام نصف شعبان حتى آخره، وذلك فيما رُوي عن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم:" إذا انتصف شعبان؛ فلا تصوموا حتى يكون رمضانُ". رواه أحمد وأبو داود[(١)]، وذهب العلماء الذين قالوا بصحَّة هذا الحديث إلى أنَّ النهي عن صيام نصف شعبان وما بعده لمن أراد ابتداء الصيام من النصف، أمَّا من صام قبلها فلا حرج، ويُستثنى من النهي مَن أراد صيام يوم النصف من شعبان بقصد القضاء، أو صادف منتصف شعبان يوم الإثنين أو الخميس، وكان من عادته صيامهما.

وقد وردت روايات كثيرة في فضل النصف من شعبان، إلا أن العلماء لم يُصححوها، ومن هذه الروايات ما يأتي: ما روي عن كردوس بن عمرو قال:" مَن أحيا ليلتَي العيدِ وليلةَ النِّصفِ من شعبانَ؛ لم يَمُت قلبُهُ يومَ تموتُ فيهِ القلوبُ" رواه ابن الجوزي في العلل المنتهية، عن كردوس، ولا يصح وفيه آفات[(٢)].

---

(١) ينظر: صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ١٣٢) وأشار إلى أنه أخرجه أحمد وأصحاب السنن. وقد رواه أهل السنن مختصرًا، ينظر: مسند أحمد (١٥/ ٤٤١) برقم (٩٧٠٧). سنن أبي داود (٢/ ٣٠١) برقم (٢٣٣٧) كتاب الصوم باب في كراهية ذلك. جامع الترمذي (٣/ ١٠٦) برقم (٧٣٨) أبواب الصوم باب ما جاء في كراهية الصوم في النصف الباقي من شعبان لحال رمضان. السنن الكبرى للنسائي (٣/ ٢٥٤) برقم (٢٩٢٣) كتاب الصيام، صيام شعبان. سنن ابن ماجه (١/ ٥٢٨) برقم (١٦٥١) كتاب الصيام باب ما جاء في النهي أن يتقدم رمضان بصوم، إلا من صام صوما فوافقه.

(٢) العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (٢/ ٧٢). العلل المتناهية في الأحاديث الواهية، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: إرشاد الحق الأثري، الناشر: إدارة العلوم الأثرية، فيصل آباد، باكستان، الطبعة: الثانية، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.



وما رُوِي عن عليٍّ بن أبي طالب- رضي الله عنه- قال:" إِذَا كَانَتْ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَقُومُوا لَيْلَهَا ، وَصُومُوا نَهَارَهَا ، فَإِنَّ اللهَ يَنْزِلُ فِيهَا لِغُرُوبِ الشَّمْسِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ، فَيَقُولُ : أَلاَ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ لِي ، فَأَغْفِرَ لَهُ ، أَلاَ مُسْتَرْزِقٌ ، فَأَرْزُقَهُ ، أَلاَ مُبْتَلًى فَأُعَافِيَهُ ، أَلاَ كَذَا ، أَلاَ كَذَا ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ". رواه ابن ماجه وضعفه الألباني في ضعيف ابن ماجه(١).

وما رُوِي عن أبي أمامة الباهليِّ- رضي الله عنه- قال:" خَمْسُ لَيَالٍ لا تُرَدُّ فيهن الدعوةُ: أولُ ليلةٍ من رجبٍ، وليلةُ النِّصفْ من شعبانَ، وليلةُ الجُمُعةِ، وليلةُ الفِطْرِ، وليلةُ النحرِ". ضعفه الألباني في ضعيف الجامع(٢).

وما رُوِي عن عائشة أمِّ المؤمنين- رضي الله عنها- قالت:" إذا كان ليلةُ النصفِ من شعبانَ؛ يغفرُ اللهُ منَ الذنوبِ أكثرَ منْ عددِ شعرِ غنمِ كَلْبٍ" رواه الترمذي وضعفه الألباني(٣).

وما رُوِي أيضًا عن عائشة- رضي الله عنها- أنَّها قالت:" قام رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم من اللَيلِ يُصلِّي، فأطال السُّجودَ حتَّى ظننتُ أنَّه قد قُبِض، فلمَّا رأيتُ ذلك قُمتُ حتَّى حرَّكتُ إبهامَه فتحرَّك فرجعتُ، فلمَّا رفع إليَّ رأسَه من السُّجودِ وفرغ من صلاتِه، قال: يا عائشة- أو يا حُميراءُ- أظننتِ أنَّ النَّبيَّ قد خاس بك؟ قلتُ: لا واللهِ يا رسولَ اللهِ؛ ولكنَّني ظننتُ أنَّكَ قُبِضْتَ لطولِ سجودِك، فقال: أتدرين أيُّ ليلةٍ هذه؟ قلتُ: اللهُ ورسولُه أعلمُ، قال: هذه ليلةُ النِّصفِ من شعبانَ، إنَّ اللهَ- عزَّ وجلَّ- يطَّلِعُ على عبادِه في ليلةِ النِّصفِ من شعبانَ، فيغفِرُ للمُستغفِرين، ويرحمُ المسترحِمين، ويؤخِّرُ أهلَ الحقدِ كما هُم" ضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب(٤).

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ٤٤٤) برقم (١٣٨٨) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في ليلة النصف من شعبان. والحديث قال عنه الألباني: "ضعيف جدًا" كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٣/ ٣٨٨).

(٢) قال عنه الألباني: "موضوع" كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٣/ ٦٤٩). وينظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: ٤٢٠). سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، دار النشر: دار المعارف، الرياض – الممكلة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م. ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: المجددة والمزيدة والمنقحة.

(٣) أخرجه الترمذي في السنن ٣/ ١٦٩، كتاب الصوم ، باب ما جاء في فيام شهر رمضان ، الحديث (٨٠٦)، ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: ٩٤).

(٤) ينظر: ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ٣١٥).



وما رُوي عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما-:" من قرأ ليلةَ النِّصفِ من شعبانَ ألفَ مرَّةٍ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[(١)] في مائةِ ركعةٍ لم يخرجْ من الدُّنيا حتَّى يبعثَ اللهُ إليه في منامِه مائةَ ملَكٍ: ثلاثون يُبشِّرون بالجنَة، وثلاثون يُؤمِّنون من النَّارِ، وثلاثون يعصِمونه من أن يُخطِئَ، وعشرةٌ يكيدون من عاداه". ذكره ابن الجوزي في الموضوعات[(٢)].

الخلاصة: إذا لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم تخصيصه هذه الليلة بعبادة، وكان عامَّة ما ورد فيها إمَّا موضوع أو ضعيف، ولم يثبت عن الصحابة رضوان الله عليهم شيء في هذا؛ فلا وجه إذن لاتخاذ ليلة النصف من شعبان شعيرة للعبادة تضاهي أيام الجمعة والأعياد وصلاة التراويح، فما قارب الصحيح غاية ما فيه الحثُّ على الإقلاع عن كبيرتين من كبائر الذنوب هما: الشرك، والشحناء.

فمن كان حريصًا على بلوغ أجر هذه الليلة فعليه العمل بموجب ما ثبت من الأثر، وما جاء الحثُّ عليه، أمَّا اختراع عبادة وطاعة لم تثبت، ولم يدل عليها حديث صحيح؛ فليس إلا بُعدًا عن السُّنَّة والعمل الصالح، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ". رواه البخاري ومسلم[(٣)].

---

(١) الإخلاص: ١.

(٢) الموضوعات لابن الجوزي (٢/ ١٢٨). الموضوعات، المؤلف: جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، ضبط وتقديم وتحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الناشر: محمد عبد المحسن صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى، جـ ١، ٢: ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، جـ ٣: ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٨٤) برقم (٢٦٩٧) كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٣) برقم (١٧١٨) كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور.

١٦ شعبان

التفكُّر في عظيم مخلوقات الله تعالى

إن التفكُّر في مخلوقات الله عزَّ وجلَّ يكشف عن عظمة الخالق، ويجعل المرءَ يقرُّ بوحدانية الله عزَّ وجلَّ، ويتواضع لعظمته، ويحاسب نفسَه على أخطائها؛ فيزداد إيمانًا وصفاء، ويورث الحكمة، ويحيي القلوب، ويورث فيها الخوف والخشية من الله عزَّ وجلَّ، فما طالت فكرة امرئ إلا علم، وما علم امرؤ قطُّ إلا عمل، ولو تفكَّر الناس في عظمة الله عزَّ وجلَّ ما عصوه.

والتفكُّر الشرعي هو إعمال العقل في أسرار ومعاني الآيات الشرعية والكونية عن طريق التأمُّل، والتدبُّر، وملاحظة وَجْه الكمال والجمال، ومشاهدة الدقة، وحسن التنظيم، والسنن الكونية، والتماس الحكمة، والعبرة من وراء ذلك.

قال العلَّامة ابن عثيمين- رحمَه الله-: التَّفكُّرُ: هو أن الإنسان يُعمِل فكره في الأمر، حتى يصل فيه إلى نتيجة، وقد أمر الله تعالى به- أي: بالتَّفكُّرِ وحثَّ عليه في كتابه-؛ لما يتوصَّل إليه الإنسان به من المطالب العالية والإيمان واليقين[١] ، ولقد دعا الله تعالى الكافرين في القرآن الكريم للتفكُّر فيما حولهم من أسرار الكون لعلهم يتَّعظون ويعودون عن الشرك بالله، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾[٢]

ويُعتبَر التفكُّر في خلق الكون هو أحد العبادات التي قد شرعها الله عز وجل لكي يقوم الإنسان بها؛ فالله قد خلق العباد لكي يقوموا بعبادته من خلال الصلاة التي قد فرضها على العباد، ولكن هناك عبادات أخرى أيضًا، فليست جميع العبادات تكون قلبية ظاهرية؛ بل هناك عبادات باطنة تكون داخل الإنسان، وتلك العبادات الباطنة قد تتمثَّل في التفكُّر في خلق الكون والتأمُّل في مخلوقات الله التي قد وهبها في هذا الكون لنرى عظمة وقدرة الخالق في الأشياء التي قد وهبها في هذا الكون. وتلك العبادة قد تكمن في النفس، وهذه العبادة قد لا يعرفها البعض، ولكنها لا تقلُّ أهمية عن العبادات الأخرى التي قد سخَّرها الله لنا في الكون؛ بل إن الله سبحانه وتعالى قد تحدَّث عن هذه العبادة في كتابه العزيز فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي

---

(١) شرح رياض الصالحين (١/ ٥٧٦). شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: ١٤٢٦ هـ.

(٢) لأعراف: ١٨٥.



خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[١] وهنا يتحدَّث الله من خلال هذه الآية الكريمة عن الأشخاص الذين يتأمَّلون ويتفكَّرون في خلق هذه السماوات والأرض وما عليها، وكم أن الله عز وجل لم يخلق أي شيء من هذه الأشياء بدون هدف أو غاية، ويتأمَّلون من الله ويطلبون ويدعون أن يرحمهم وينجيهم من النار، وبالرغم من أن تلك العبادة تكون كامنة وداخلية في النفس؛ إلا أنها تُعتبَر من أقوى العبادات حيث إنه قد يتمُّ التحدُّث فيها مع الله، والتفكير فيما قدَّمه في هذا الكون، دون أن يُحرِّك أيًّا من جوارحه أو أعضائه.

ويمكن للإنسان أن يتأمَّل في كثيرٍ من المجالات ليحصل على منافع عبادة التأمُّل منها: التأمُّل بالكون وما فيه من إبداعٍ وإتقانٍ وجمالٍ؛ كالتأمُّل في خلق الجبال والأشجار والطبيعة بما فيها من مناظر خلَّابة، والتفكُّر بجريان الأنهار وتقلُّب الليل والنهار وما يصاحب ذلك من تغيُّر في أحوال الأرض، حيث يعلم الإنسان بذلك كيف أنَّ كل ما في الكون يسير وفق نظام دقيق لا يتبدَّل ولا يتخلَّف، وأيضًا التأمُّل في آيات القرآن وما فيها من دقة في التشريع، وفصاحة في اللغة، وأسلوب عظيم في إيصال قضايا التوحيد والأخلاق وغيرها. كذلك التأمُّل في خلْق الله تعالى للإنسان، وما فيه من آيات، حيث إن الله تعالى خلَقَ الإنسان في أحسن صورةٍ، فتكاملت أعضاؤه وانسجمت بحيث تؤدِّي كلٌّ منها وظيفتها بدرجةٍ عاليةٍ من الدقة والإتقان، والتأمُّل في طبائع البشر كيف أنَّ الله عز وجل جبلهم على أمورٍ عديدةٍ؛ منها: حب المال والشهرة والرئاسة وحب الخلود والحرص على التملُّك وعمارة الأرض، والتأمُّل في الكائنات الحية بأشكالها وأنواعها وأساليب حياتها حيث إن الله تعالى هيَّأ لها الأحوال والظروف المناسبة لتعيش حياتها الخاصة، والتفكُّر في الدنيا وسرعة فنائها، وما فيها من أكدار وصعوبات ومشاق وابتلاءات، فمن افتُتن بها وجرى خلفها لم يجد فيها إلَّا الخسران والمهانة، والتفكُّر فيما أخبر الله تعالى من قصص الأمم السابقة، كيف أنهم اغترُّوا بأنفسهم واستكبروا عن عبادة الله عز وجل، فأهلكهم الله وأبادهم، ولم يُبقِ منهم إلَّا آثارهم حتَّى يعتبر الناس بها.

أمَّا عن حال السلف الصالح مع عبادة التأمُّل؛ فلقد ضرب السلف الصالح أمثلةً كثيرةً في الحرص على عبادة التأمُّل والتفكُّر في خلق الله عز وجل، ووردت عنهم عدَّة أقوال تدل على أهميتها لديهم، منها: قول أبي سليمان الداراني- رحمه الله-:" إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري على شيء إلَّا رأيتُ لله عليَّ فيه نعمة، ولي فيه عبرة"[٢].

---

(١) آل عمران: ١٩١.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٤).



وكان ابن عباس- رضي الله عنهما- يقول:" إنَّ تأمُّل ساعة في خلق الله عزَّ وجلَّ وسُنَنِه في الكون والشرع خيرٌ من قيام ليلةٍ كاملةٍ"(١).

وكان بِشر الحافي يقول:" إنَّ الناس لو تفكَّروا وتأمَّلوا في عظمة الله عز وجل لم يعصوه"(٢).

وكان عمر بن عبد العزيز- رحمه الله- يرى أنَّ التفكُّر والتأمُّل في نِعم الله على العبد من أفضل أنواع العبادات(٣). بكى ذات مرةً فرآه أصحابه وسألوه عن سبب بكائه، فقال:" فكَّرت في الدنيا ولذَّاتها وشهواتها فاعتبرت منها بها، ما تكاد شهواتها تنقضي حتى تُكدِّرَها مرارتُها، ولئن لم يكن فيها عبرةٌ لمن اعتبر؛ إنَّ فيها مواعظ لمن ادَّكر"(٤).

ولهذا ندب الله تعالى في آياتٍ كثيرة إلى التفكُّر والنظر في مخلوقاته، فالله تعالى قد نوَّع للعباد الآيات التي تدلُّ عليه، فمنها آيات متلوة مقروءة مسموعة وهو كلامه جل في علاه، ومنها آيات منظورة مشاهدة مبصرة وهي ما بثَّه سبحانه وبحمده في الآفاق وفي النفس من آياته الدالَّة على عظمته، قال الله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾(٥). وقال سبحانه:﴿ سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾(٦) وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ﴾(٧) والآيات في هذا كثيرة التي تدعو الإنسان إلى التفكُّر في كل ما يشاهده من آيات الله، حتى الأعمى ينظر في خلقه وما تدركه بقية حواسه مما يدلُّ على عظمة الله عزَّ وجلَّ، لكن القلوب إذا غفلت عميت فلم تبصر؛ كما قال تعالى:﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي

---

(١) رواه بمعناه: أبو الشيخ الأصبهاني في كتابه العظمة (١/ ٢٩٨). العظمة، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني (المتوفى: ٣٦٩هـ)، المحقق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، الناشر: دار العاصمة – الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين (٤/ ٤٢٥). إحياء علوم الدين، المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين (٤/ ٤٢٥).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٥).

(٥) الذاريات: ٢١.

(٦) فصلت: ٥٣.

(٧) الغاشية: ١٧ – ١٩.

ٱلصُّدُورِ﴾[١]، وإذا انفتحت عين القلب ورأى ما يشاهده من آيات الله كان وقَّافًا عند هذه الآيات مُعتبِرًا بخلاف ذاك الغافل، قال تعالى:﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾[٢].

لله فـــي الآفـــاق آياتٌ لعـل أقلَّهـا مـا هـو إلـيه هَـداكا
وإذا ترى الجبل الأشمَّ مُناطِحًا قممَ السحابِ فسلْه مَن أرساكا
وإذا ترى صخرًا تفـجَّر بالمياه فســلْه مَن بالماء شقَّ صفاكا[٣]

(١) الحج: ٤٦.

(٢) يوسف: ١٠٥.

(٣) ينظر: موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق (١/ ٢٢١). موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق ، (قصص تربوية من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين)، المؤلف: ياسر عبد الرحمن، الناشر: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.



١٧ شعبان

هلك المتنطِّعون (الاقتصاد في العبادة)

إن الإيمان والتقوى والصلاح والاستقامة؛ تُوجب علينا أن نوازن بين ديننا ودنيانا، وأن نتعبَّد الله تعالى بمراعاة سُننه الكونية، وأن لا نهمل ديننا على حساب دنيانا، ونتبع المادِّيين، ولا نغلو في ممارسة العبادات، فنكون كالزاهدين، فالزهد في الدنيا ليس بالابتعاد عنها، إنما بالابتعاد عن ملذاتها الدنيئة، وشهواتها الوضيعة، وماعدا ذلك كله مباح للإنسان في إطار التوازن الشرعي بين الدين والدنيا، والجسد والروح، وهذا ما نجده في سلوك نبيِّ الأمَّة، ومُعلِّم البشرية، وهادي الناس أجمعين، ودين الله وسط بين الجافي عنه والغالي فيه كالوادي بين جبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين، فكما أن الجافي عن الأمر مُضيّع له، فالغالي فيه مُضيّع له؛ هذا بتقصيره عن الحدِّ، وهذا بتجاوزه الحدَّ، ولقد دعا الإسلام إلى التوسُّط والاعتدالِ في كل أُمور الدينِ والدنيا، فأرشد النبيُّ صلى الله عليه وسلم أُمَّته إلى ما ينفعهم مِن الأعمال، وعلَّمنا كيف تُؤدَّى هذه الأعمال دون إفراط أو تفريط.

والتنطَّع هو التكلُّف والمغالاة في القول والفعل، والمتنطِّعون هم الخائضون في ما لا يعنيهم، وقيل: هم المبالغون في عبادتهم بحيث يخرجون عن قوانين الشريعة قولًا أو فعلًا، لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم:" هلك المتنطِّعون، قالها ثلاثًا". رواه مسلم[١] ، والمعنى أنهم هلكوا في الدين كما هلكت الرهبانية ونحوهم، ودافع التنطُّع حبُّ التديُّن، ولكن عن غير بصيرة وهدى من الله تعالى، وهو في الحقيقة تزيُّد على الإسلام الذي جاء سمحًا سهلًا، مُنسجِمًا مع الفطرة الإنسانية التي فطر الناس عليها، فهؤلاء أهلكوا أنفسهم فيما لا ينفعهم؛ لأن الله تعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصًا لوجهه، وعلى وفق ما شرعه، كما يشير لذلك قوله سبحانه:﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًاۖ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ كُرۡهٗا وَوَضَعَتۡهُ كُرۡهٗاۖ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗ قَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَصۡلِحۡ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[٢]، والصالح هو الذي يكون على وفق السُّنَّة، والمرضِي هو الخالص لله تعالى، وكما دلَّ صراحة على ذلك قوله– عليه الصلاة والسلام:" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٥) برقم (٢٦٧٠) كتاب العلم باب هلك المتنطعون.

(٢) الأحقاف: ١٥.



فيه؛ فهو ردٌّ". رواه البخاري ومسلم[١]، أي هو مردود عليه، ومعنى ليس عليه أمرنا؛ أي شرعنا الذي جئنا به، فإنه شرع وافٍ كافٍ، لا يحتاج إلى مزايدة، كما لا يقبل النقص.

وقد ظهرت صور من هذا التنطُّع في عهده- عليه الصلاة والسلام-، كان الحامل عليه الرغبة في العبادة وإرادة الخير،" فقد جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، يسألون عن عبادة النبي- صلى الله عليه وسلم، فلما أُخبِروا، كأنهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟! قد غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، فقال أحدهم: أمَّا أنا فإني أصلِّي الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوَّج أبدًا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم، فقال: أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنّي أصوم وأفطر، وأصلِّي وأرقد، وأتزوَّج النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني". رواه البخاري ومسلم[٢]، فهو صلى الله عليه وسلم أتقى خلق الله لله، فلا يمكن أن يزيد عليه أحدٌ في التعبُّد.

وقد كانت عبادته بحسب الطاقة والوسع، فلم تمنعه ممَّا يحتاجه الجسد من الراحة والمتعة؛ لأن ذلك هو مراد الله تعالى من عباده، كما قال سبحانه: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[٣] ، ولو أراد منَّا غير ذلك لخلقنا كالملائكة الكرام الذين لم يُخلَقوا إلَّا للعبادة، فلا غرائز لهم، فلذلك هم لا يفترون من عبادة الله تعالى، بخلاف البشر المخلوقين بغرائز، ومُكلَّفين بعمارة الأرض كما كُلِّفوا بعمارة الدين، وهكذا وجَّه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنه- الذي كان قد رغب في زيادة التعبُّد والتزهُّد، فكان يصوم الدهر ويقوم الليل كلَّه، فقال له صلى الله عليه وسلم:" إنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين، ونفهت له النفس- أي أعيت وكلَّت، لا صام من صام الدهر"[٤]، ولما جادل النبيَّ صلى الله عليه وسلم في زيادة التعبُّد؛ قال

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٨٤) برقم (٢٦٩٧) كتاب الصلح باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٤٣) برقم (١٧١٨) كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٧/ ٢) برقم (٥٠٦٣) كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح. ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٢٠) برقم (١٤٠١) كتاب النكاح باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم.

(٣) القصص: ٧٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٠) برقم (١٩٧٩) كتاب الصوم باب صوم داود عليه السلام. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨١٥) برقم (١١٥٩) كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم.



له:" فإنَّ لزوجك عليك حقًّا، ولزورك- أي ضيفك- عليك حقًّا، ولجسدك عليك حقًّا"، قال: فشدَّدتُ، فشُدِّد عليَّ، وفي رواية قال لي النبي صلى الله عليه وسلم:" إنك لا تدري لعلك يطول بك عمر"، قال:" فصرتُ إلى الذي قال لي النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما كبرتُ وددتُ أني كنتُ قبلتُ رخصة نبي الله صلى الله عليه وسلم". رواه البخاري ومسلم(١).

قال الشيخ ابن باز- رحمه الله-: فالواجب على أهل الإيمان التأسِّي بالنبيِّ صلى الله عليه وسلم، والحذر من الغلو والتكلُّف وما يُؤدِّي إلى المشقة التي نهى الله عنها(٢).

ومن التنطُّع: الامتناع من المباح مطلقًا كالذي يمتنع من أكل اللحم والخبز، ومن لبس الكتان والقطن، ولا يلبس إلا الصوف، ويمتنع من نكاح النساء، ويظن أن هذا من الزهد المستحَبِّ.

قال الشيخ تقي الدين: فهذا جاهل ضالٌّ(٣). يعني: أن الإنسان إذا بالغ في مجانبة الأمور التي قد يُخيَّل إليه أنَّ تركها أحبُّ إلى الله، وهو في ذلك ليس على دليل؛ لأن الإنسان في كل ما يتعبَّد به يجب أن يكون على دليل، ولا يجوز أن يعمل برأيه أو بقياسه أو بالنظر إلى ما الناس عليه؛ لأن العبد مُقيَّدٌ في عبادة الله جلَّ وعلا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، سواء قدر على فعل ذلك أو لم يقدر؛ لأنه ليس كل إنسان يستطيع أن يأتي بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا يقول صلى الله عليه وسلم:" ما أمرتُكم به فأتوا منه ما استطعتم، وما نهيتُكم عنه فاجتنبوه". رواه البخاري ومسلم(٤)، فقيَّد الفعل بالمستطاع، أمَّا الترك فيجب أن يجتنب جميعًا، ولا يقول: ما استطعتُ أن أترك هذا، فكل منهي عنه يستطيع أن يجتنبه، فالإنسان إذا لم يكن مُتقيِّدًا بالشرع فهو على خطر عظيم، ولا بدَّ أن يقع في التقصير أو يقع في التفريط، إمَّا أن يقع في البدع أو يقع في المعاصي، ولا يخلو من ذلك إذا لم يكن مُتقيِّدًا بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

إن رغبة النفس في التنطُّع لا تعني التديُّن بحال، بل تعني هوى النفس، وذلك لا يُرضِي نبيَّنا صلى الله عليه وسلم، فعلى المسلم الحريص على دينه أن لا يُزايد عليه، بل يحافظ على الفرائض كمحافظته

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٩) برقم (١٩٧٥) كتاب الصوم باب حق الجسم في الصوم. ومسلم في صحيحه (٢/ ٨١٣) برقم (١١٥٩) كتاب الصيام باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به أو فوت به حقا أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم، وإفطار يوم.

(٢) من شرح الشيخ رحمه الله لكتاب رياض الصالحين. ينظر موقع الشيخ رحمه الله:

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٢/ ١٣٤).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٩/ ٩٤) برقم (٧٢٨٨) كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باب الاقتداء بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٧٥) برقم (١٣٣٧) كتاب الحج باب فرض الحج مرة في العمر.

على نفسه، ويحافظ على السُّنن ما استطاع بحيث لا يرهق نفسه فيُؤدِّيه إلى الانقطاع والملل، أو العجز عن المواصلة، فذلكم هو بالغ التديُّن المطلوب الذي أرشد إليه المصطفى صلى الله عليه وسلم لمن سأله عن أحبِّ الأعمال إلى الله؛ فقال:" أدومُها وإن قلَّ". رواه البخاري ومسلم[١]، وقال:" اكلفوا من الأعمال ما تطيقون". رواه البخاري ومسلم[٢]، وصدق ابن العماد إذ يقول :

وما التنطُّع إلَّا نزغةٌ وردتْ ... من مكرِ إبليسَ فاحذرْ سوءَ فتنتِهِ

إن تستمعْ قوله فيما يوسوسُه ... أو نصح رأيٍ له ترجعْ بخيبتِهِ

القصدُ خيرٌ، وخيرُ الأمرِ أوسطُه ... دعِ التعمُّقَ واحذرْ داءَ نكبتِهِ[٣]

والخلاصة أنَّ الإسلام قد حثَّ في كثير من الآيات والأحاديث على التيسير وعدم التشديد في أمور الدين والدنيا، قال سبحانه:﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾.[٤]، وقال- صلى الله عليه وسلم-:" إنَّ الدين يُسرٌ، ولن يُشادَّ الدين أحدٌ إلَّا غلبه، فسدِّدوا وقاربوا، وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة".رواه البخاري[٥]،ولهذا فالمسلم يلتزم في دائرة الوسطية والاعتدال، ولا يتَّخذ ذلك ذريعة لتمييع أحكام الدين بحجَّة الوسطيَّة، إنَّما المقصود تبنِّي المنهج الوسط العدل من غير إفراط ولا تفريط.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٩٨) برقم (٦٤٦٥) كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٤١) برقم (٧٨٣) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٩٨) برقم (٦٤٦٥) كتاب الرقاق باب القصد والمداومة على العمل. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٧٤) برقم (١١٠٣) كتاب الصيام باب النهي عن الوصال في الصوم.

(٣) ينظر: إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (١/ ١٥٤). إعانة الطالبين على حل ألفاظ فتح المعين (هو حاشية على فتح المعين بشرح قرة العين بمهمات الدين)، المؤلف: أبو بكر (المشهور بالبكري) بن محمد شطا الدمياطي (المتوفى: بعد ١٣٠٢هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوريع، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

(٤) البقرة: ١٨٥.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٩) كتاب الإيمان باب الدين يسر.

١٨ شعبان

الدين النصيحة

قال الإمام الخطابي: النصِيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له[١]، وقال الجرجاني: النصح إخلاص العمل عن شوائب الفساد، والنصيحة: هي الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهي عما فيه الفساد[٢].

والفرق بين النصيحة والتعيير: أنَّ النصيحة والتعيير يشتركان في أن كلًّا منهما ذكْر للإنسان بما يكره ذكْره، ويفترقان في أنَّ النصيحة فيها مصلحة لعامة المسلمين أو لخاصتهم أو مصلحة المنصوح نفسه، أمَّا التعيير فالمقصود منه مجرد الذم والعيب، وإظهار السوء وإشاعته- وإن ظهر في قالب النصح-. ولقد رغَّب القرآن الكريم في النصيحة، قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [٣] قال الشيخ السعدي- رحمه الله- في تفسيره: أي: وظيفتي تبليغكم، ببيان توحيده وأوامره ونواهيه، على وجه النَّصِيحَة لكم والشفقة عليكم[٤]، وقال سبحانه حكاية عن هود عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[٥] ، أي: ناصح لكم فيما أدعوكم إليه، أمين على ما أقول لكم لا أكذب فيه، وقوله أيضًا حكاية عن صالح عليه السلام: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾[٦]، وكذلك قوله حكاية عن شعيب عليه السلام: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنۡهُمۡ وَقَالَ يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ

---

(١) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (١/ ١٨٩). أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري)، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي (ت ٣٨٨ هـ)، المحقق: د. محمد بن سعد بن عبد الرحمن آل سعود، الناشر: جامعة أم القرى (مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي)، الطبعة: الأولى، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.

(٢) التعريفات (ص: ٢٤١). كتاب التعريفات، المؤلف: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

(٣) الأعراف: ٦١ — ٦٢.

(٤) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٩٣).

(٥) الأعراف: ٦٧ — ٦٨.

(٦) الأعراف: ٧٩.



كَٰفِرِينَ ﴾ [(١)]، فهذه النصوص القرآنية تفيد أنَّ النصيحة من أبلغ ما يُوجِّهها الأنبياء عليهم السلام إلى قومهم، وأنها تُؤدِّي ثمارها في حالة السلب والإيجاب بالنسبة للناصح، فإنْ قبلها القوم؛ عاد نفعُها عليه وعليهم في الدنيا والآخرة، وإن رفضوها فالنتيجة الحتمية هي العذاب لهم، والأجر للناصح. إذًا فكل ناصح مأجورٌ على نصيحته مهما كانت النتائج، وذلك إذا خلصت نيَّته، وعمل بتوجيهات الربِّ سبحانه وتعالى.

وعن تميم الداري- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" الدين النَّصِيحَة. قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامَّتهم". رواه مسلم[(٢)].

قال الإمام الخطابي: فمعنى النَّصِيحَة لله سبحانه صحَّة الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته، والنَّصِيحَة لكتاب الله الإيمان به والعمل بما فيه، والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم التصديق بنبوته، وبذْلُ الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه، والنصيحة لأئمة المؤمنين أن يطيعهم في الحقِّ، وأن لا يرى الخروج عليهم بالسيف إذا جاروا، والنصيحة لعامَّة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم[(٣)].

قال النووي: هذا حديثٌ عظيم الشأن، وعليه مدار الإسلام.

وأمَّا ما قاله جماعات من العلماء أنه أحد أرباع الإسلام أي: أحد الأحاديث الأربعة التي تجمع أمور الإسلام فليس كما قالوه، بل المدار على هذا وحده[(٤)]، وعن جرير بن عبد الله- رضي الله عنه- قال:" بايعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والنصح لكلِّ مسلم". رواه البخاري ومسلم[(٥)].

قال الخطابي: جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم النصيحة للمسلمين شرطًا في الذي يبايع عليه كالصلاة، والزكاة، فلذلك تراه قرنها بهما[(٦)]، وتعود أهمية النصيحة في ديننا الإسلامي؛ كما قال ابن

---

(١) الأعراف: ٩٣.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٧٤) برقم (٥٥) كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة.

(٣) معالم السنن (٤/ ١٢٦). معالم السنن، وهو شرح سنن أبي داود، المؤلف: أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف بالخطابي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، الناشر: المطبعة العلمية – حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١هـ – ١٩٣٢م.

(٤) شرح النووي على مسلم (٢/ ٣٧).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢١) برقم (٥٧) كتاب الإيمان باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: "الدين النصيحة: لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم". ومسلم في صحيحه (١/ ٧٤) برقم (٥٥) كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة.

(٦) أعلام الحديث (شرح صحيح البخاري) (١/ ١٨٧).

بطال: إنَّ النصيحة تُسمَّى دينًا وإسلامًا، وإنَّ الدين يقع على العمل كما يقع على القول، قال: والنصيحة فرض يُجزئ فيه من قام به، ويسقط عن الباقين، قال: والنصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه يُقبَل نصحه، ويُطاع أمره، وأمن على نفسه المكروه، فإن خشي على نفسه أذًى فهو في سَعة، والله أعلم(١).

وللنصيحة فضائل عديدة؛ منها: أنها من علامات كمال الإيمان؛ كما قال صلى الله عليه وسلم:" لا يؤمن أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه" رواه البخاري ومسلم، وأنها من حقوق المسلم على أخيه المسلم قال- صلى الله عليه وسلم-:" للمؤمن على المؤمن ستُّ خصال: وينصح له إذا غاب أو شهد". أخرجه الترمذي والنسائي(٢).

والنصيحة تكون لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم ولأئمة المسلمين وعامَّتهم. قال الحسن البصري: ما زال لله ناسٌ ينصحون لله في عباده، وينصحون لعباد الله في حقِّ الله عليهم، ويعملون له في الأرض بالنصيحة، أولئك خلفاء الله في الأرض(٣)، والنصيحة لرسوله صلى الله عليه وسلم: تكون بتصديق رسالته، والإيمان بجميع ما جاء به، وطاعته في أمره ونهيه، ونصرته حيًّا وميتًا، ومعاداة من عاداه، وموالاة من والاه، وإعظام حقِّه وتوقيره، وإحياء طريقته وسُنَّته، وبثِّ دعوته، ونشْر شريعته.

وقال الآجري: والنصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهين: فنصيحة مَن صاحَبَه وشاهَدَه، ونصيحة من لم يرَه؛ فأمَّا صحابتُه فإنَّ الله شرَطَ عليهم أن يُعزِّروه ويُوقِّروه وينصروه، ويُعادوا فيه القريب والبعيد، وأن يسمعوا له ويُطيعوا، وينصحوا كل مسلم، فوفَّوا بذلك، وأثنى الله عليهم به، وأمَّا نصيحة من لم يرَه فأن يحفظوا سُنَّته على أُمَّته، وينقلوها، ويُعلِّموا الناس شريعته ودينه، ويأمروهم بالمعروف وينهوهم عن المنكر، فإذا فعلوا ذلك، فهم ورَثة الأنبياء(٤).

---

(١) ينظر: شرح صحيح البخارى لابن بطال (١/ ١٢٩). شرح صحيح البخارى لابن بطال، المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار النشر: مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٢) برقم (١٣) كتاب الإيمان باب: من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٧) برقم (٤٥) كتاب الإيمان باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير.

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٥/ ٨٠) برقم (٢٧٣٧) أبواب الأدب باب ما جاء في تشميت العاطس. والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ٤٢٧) برقم (٢٠٧٦) كتاب الجنائز، النهي عن سب الأموات. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٢٣٧).

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١/ ١٣٠).



والنصيحة لأئمة المسلمين: تكون بمعاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه، وترْك الخروج عليهم، وتألُّف قلوب الناس لطاعتهم، وأن يُدعَى لهم بالصلاح.

وللنّصيحة آدابٌ ينبغي على الناصح مراعاتها أثناء نصحه: منها الإخلاص لله تعالى، فعلى الناصح أن لا يكون متعاليًا في نصيحته، أو أن يكون مُظهِرًا للتفضُّل عليه بالنصح، وعليه أن يعلم أنَّ نصيحته منَّة من الله تعالى أجراها على لسانه.

كما يجب عليه التأكُّد من صحة النصيحة من الناحية الشرعية، فالنصيحة أمانة، وعلى الناصح أن لا يغشَّ المنصوح فيها، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- أن النّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال:" كَفَى بالمَرْءِ كَذِبًا أنْ يُحَدِّثَ بكُلِّ ما سَمِعَ". رواه مسلم(١).

واختيار الوقت المناسب للنصيحة، فليس كل وقت مناسبًا للنصيحة، والناصح الفطن من ينتبه لهذه المسألة.

كذلك إظهار المحبَّة للمنصوح قبل نصحه، فإنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كان إذا نصح أحدًا من أصحابه أظهر له الودَّ والمحبَّة، وهذا حتى تكون النّصيحة أكثر قبولًا.

أيضًا أن تكون النصيحة بالسرِّ؛ حتَّى تكون أدعى للاستجابة وأكثر قبولًا، فإنَّ النصيحة أمام الناس فضيحة. قال الشافعي- رحمه الله-:" من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه(٢)". ولله در القائل:

تعمَّدْني بنصحك في انفرادي ... وجنِّبْني النصيحــة في الجمــاعَةْ
فإنَّ النصـــح بين الناسِ نوعٌ ... من التوبيخِ لا أرضى استماعَهْ(٣)

وعمل الناصح بما ينصح، فقد ذمَّ الله سبحانه مَن يأمرون بالفعل وهم ممتنعون عنه؛ كذلك تقدير ظروف المنصوح والتماس العذر له، فمن الأدب ألَّا يُضيِّق الناصح على المنصوح وألَّا يحرجَه.

وأخيرًا الدعاء للمنصوح قبل النصيحة وبعدها بأن يشرح الله صدره ويُوفِّقه لما فيه الخير.

وأختم الكلام بأنَّ النصيحة ركنٌ من أركان الدين، ودلَّ على هذا قوله صلى الله عليه وسلم:" الدين النصيحة". رواه مسلم(٤)، فجعل النصيحة قوام الدين وعماده.

---

(١) رواه مسلم في مقدمة صحيحه (١/ ٦٧) باب النهي عن الحديث بكل ما سمع.

(٢) ينظر: الآداب الشرعية والمنح المرعية (١/ ٢٨٧). الآداب الشرعية والمنح المرعية، المؤلف: محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الرامينى ثم الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٧٦٣هـ)، الناشر: عالم الكتب.

(٣) ديوان الشافعي (ص: ٧٤). ينظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (١٠/ ٣٤٠). مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، المؤلف: أحمد قبش بن محمد نجيب.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٧٤) برقم (٥٥) كتاب الإيمان باب بيان أن الدين النصيحة.

١٩ شعبان

أدِّ الأمانة إلى من ائتمنك

إنَّ الأمانة هي من أجمل الأخلاق التي يجب أن يتحلَّى بها كل إنسان، ولقد حثَّنا الدين الحنيف على الأمانة، وإنَّ الأمانة لمن مكارم الاخلاق، وهي: التَّعفُّف عمَّا يتصرَّف الإنسان فيه مِن مال وغيره، وما يُوثَق به عليه مِن الأعراض والحُرُم مع القدرة عليه، وردُّ ما يُستودَع إلى مودعه.

وقد وردت الأمانة في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث نظرًا لأهمية صفة الأمانة. قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا﴾[١] قال ابن تيمية- رحمه الله-: قال العلماء: نزلت في ولاة الأمور: عليهم أن يُؤدُّوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكموا بين النَّاس أن يحكموا بالعدل، وإذا كانت الآية قد أوجبت أداء الأمانات إلى أهلها والحكم بالعدل، فهذان جماع السياسة العادلة والولاية الصالحة[٢].وقوله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾[٣]. قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: في هذه الآية عظَّم تعالى شأن الأمانَة، التي ائتمن الله عليها المكلَّفين، التي هي امتثال الأوامر، واجتناب المحارم، في حال السِّرِّ والخفية، كحال العلانية، وأنه تعالى عرضها على المخلوقات العظيمة؛ السماوات والأرض والجبال، عَرْض تخيير لا تحتيم، وأنكِ إن قمتِ بها وأديِّتِها على وجهها؛ فلكِ الثَّواب، وإن لم تقومي بها، ولم تُؤدِّيها فعليك العقاب. فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا أي: خوفًا أن لا يُقمنَ بما حُمِّلْنَ، لا عصيانًا لربِّهنَّ، ولا زهدًا في ثوابه، وعَرَضَها الله على الإنسان، على ذلك الشَّرط المذكور، فقَبِلها، وحملها مع ظلمه وجهله، وحمل هذا الحمل الثقيل[٤].

ولقد حثَّنا الدين الحنيف على حفظ الأمانة، لما لها من أهمِّيَّة للفرد والجماعة، وقد ظهر ذلك جليًّا في عدد من الأحاديث الشريفة؛ فعن عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما- عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قال:" آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان". رواه

(١) النساء: ٥٨.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٨/ ٢٤٥- ٢٤٦).

(٣) الأحزاب: ٧٢.

(٤) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٦٧٣).



البخاري ومسلم[١]. قال العلَّامة ابن عثيمين- رحمه الله-: يعني إذا ائتمنه النَّاس على أموالهم أو على أسرارهم أو على أولادهم أو على أي شيء مِن هذه الأشياء؛ فإنَّه يخون- والعياذ بالله-، فهذه مِن علامات النِّفاق[٢]وتُعتبَر الأمانة من صفات الأنبياء والرسل، حيث كان الرسول صلى الله عليه وسلم يُسمَّى الصادق الأمين؛ لذا علينا الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، وعن ابن عباس- رضي الله عنه- أيضًا قال:" بينما النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم في مجلس يُحدِّث القوم، جاء أعرابي فقال: متى السَّاعة؟ فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحدِّث. فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه قال: أين أُراه السَّائل عن السَّاعة؟ قال: ها أنا يا رسول الله. قال: فإذا ضُيِّعتِ الأمَانَة فانتظرِ السَّاعة. قال: كيفَ إضاعتُها؟ قال: إذا وُسِّدَ الأمرُ إلى غير أهله فانتظرِ السَّاعة". رواه البخاري[٣]. والأمانة تبدأ من الشخص نفسه؛ وهي أن يقيم الفرد شعائر الدين بشكل صحيح، وكذلك حفظ الدين، قال الشَّافعي: آلات الرِّياسة خمس: صِدق اللهجة، وكتمان السِّرِّ، والوفاء بالعهد، وابتداء النصيحة، وأداء الأمانة[٤]، ويرجع أصل الأمانة إلى أمرين: الأول أمانة في حقوق الله: وهى أمانة العبد في عبادات الله عزَّ وجلَّ، والثاني: أمانة في حقوق البشر، وفيما يلي تفصيل بعض ما يدخل تحتهما من صور:

فمن الأمانة ما ائتمنه الله على عباده مِن العبادات التي كلَّفهم بها، فإنها أمانة ائتمن الله عليها العباد، ومن الأمانة: العفَّة عمَّا ليس للإنسان به حقٌّ مِن المال، وتأدية ما عليه مِن حقٍّ لذويه، وتأدية ما تحت يده منه لأصحاب الحقِّ فيه، وتدخل في البيوع والديون والمواريث والودائع والرهون والعواري والوصايا وأنواع الولايات الكبرى والصُّغرى وغير ذلك.

ومن الأمانة في الأعراض: العفَّة عمَّا ليس للإنسان فيه حقٌّ منها، وكفُّ النفس واللسان عن نيل شيء منها بسوء، كالقذف والغيبة.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٣) كتاب الإيمان باب: علامة المنافق. ومسلم في صحيحه (١/ ٧٨) برقم (٥٩) كتاب الإيمان باب بيان خصال المنافق.

(٢) شرح رياض الصالحين (٤/ ٤٨).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢١) برقم (٥٩) كتاب العلم باب من سئل علما وهو مشتغل في حديثه، فأتم الحديث ثم أجاب السائل.

(٤) ينظر: شرح مسند الشافعي (١/ ١٩). شرحُ مُسْنَد الشَّافِعِيّ، المؤلف: عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم، أبو القاسم الرافعي القزويني (المتوفى: ٦٢٣هـ)، المحقق: أبو بكر وائل محمَّد بكر زهران، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إدارة الشؤون الإسلامية، قطر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.



ومِن الأمَانَة في الولاية: تأدية الحقوق إلى أهلها، وإسناد الأعمال إلى مُستحقِّيها الأكفاء لها، وحفظ أموال النَّاس وأجسامهم وأرواحهم وعقولهم، وصيانتها ممَّا يؤذيها أو يضرُّ بها، وحفظ الدِّين الذي ارتضاه الله لعباده مِن أن يناله أحدٌ بسوء، وحفظ أسرار الدَّولة وكلِّ ما ينبغي كتمانه مِن أن يُسرَّب إلى الأعداء، إلى غير ذلك مِن أمور.

قال العلَّامة ابن عثيمين- رحمه الله-: ومِن الأمَانَة- أيضًا- أمانة الولاية، وهي أعظمها مسؤوليَّة، الولاية العامَّة والولايات الخاصَّة، فالسُّلطان- مثلًا الرَّئيس الأعلى في الدَّولة- أمينٌ على الأمَّة كلِّها، على مصالحها الدِّينيَّة، ومصالحها الدنيويَّة، على أموالها التي تكون في بيت المال، لا يُبذِّرها ولا ينفقها في غير مصلحة المسلمين وما أشبه ذلك، وهناك أمانات أخرى دونها، كأمانة الوزير- مثلًا- في وزارته، وأمانة الأمير في منطقته، وأمانة القاضي في عمله، وأمانة الإنسان في أهله[١]، وتكون الأمانة في الشَّهادة بتحمُّلها بحسب ما هي عليه في الواقع، وبأدائها دون تحريف أو تغيير أو زيادة أو نقصان، وتكون الأمَانَة في القضاء بإصدار الأحكام وفْقَ أحكام العدل التي استُؤْمِن القاضي عليها، وفُوِّض الأمر فيها إليه[٢]، وتكون الأمانة فيها بكفِّها عن العدوان على أصحاب الحقوق، وبحفظها عن معصية الله فيها، وبتوجيهها للقيام بما يجب فيها مِن أعمال، فاستراق السمع خيانة، واستراق النَّظر إلى ما لا يحلُّ النظر إليه خيانة[٣]، واستراق اللَّمس المحرَّم خيانة.

ومِن صور الأمَانَة أن تنصح مَن استشارك، وأن تَصْدُق مَن وَثَقَ برأيك، فإذا عرض عليك أحدٌ مِن الناس موضوعًا مُعيَّنًا، وطلَبَ منك الرَّأي والمشورة والنَّصيحة؛ فاعلم أن إبداء رأيك له أمانة، فإذا أشرتَ عليه بغير الرَّأي الصحيح؛ فذلك خيانة، وقد قال الرَّسول صلى الله عليه وسلم:" المستشار مُؤتَمَن". رواه أحمد وأبو داود[٤][٥].

---

(١) شرح رياض الصالحين (٢/ ٤٦٣)

(٢) ينظر: موسوعة الأخلاق الإسلامية (١/ ٨٩). موسوعة الأخلاق الإسلامية، إعداد: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنتdorar.net .

(٣) الحديث الموضوعي (ص ٢٨٤). الحديث الموضوعي، كود المادةGHDT :٥١٣٣، المرحلة: ماجستير، المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية، الناشر: جامعة المدينة العالمية.

(٤) رواه أحمد في مسنده (٣٧/ ٤٣) برقم (٢٢٣٦٠). وأبو داود في سننه (٤/ ٣٣٣) برقم (٥١٢٨) كتاب الأدب باب في المشورة. والترمذي في جامعه (٥/ ١٢٥) برقم (٢٨٢٢) أبواب الأدب باب أن المستشار مؤتمن. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٣٣) برقم (٣٧٤٥) كتاب الأدب باب المستشار مؤتمن. والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢١٢) برقم (٦٥٨٣) كتاب الوليمة، استقبال من قد دعي. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١١/ ١٢٨).

(٥) ينظر: موسوعة الأخلاق الإسلامية (١/ ٩٠).

ومن فوائد الأمانة: كمال الإيمان وحسن الإسلام، فهي محور الدِّين، وامتحان رب العالمين، وبالأمانة يُحفَظ الدين والأعراض، والأموال، والأجسام والأرواح، والمعارف والعلوم، والولاية والوصاية، والشَّهادة، والقضاء والكتابة، كذلك الأمين يُحبُّه الله ويُحبُّه النَّاس.

قال صالح بن عبد القدوس:

أدِّ الأمَانَـة والخيانـة فاجْتَنِـبْ ... واعْـدِلْ ولا تظلـمْ يَطِـبْ لـك مكسـبُ

وإذا بُلِيْتَ بِنكبَةٍ فاصـــبرْ لها ... مَن ذا رأيتَ مســــلَّمًا لا يُنكَــبُ[1]

ختامًا: فإن الأمانة من الأمور العظيمة والهامة جدًّا، والتي يجب أن يتحلَّى بها الأفراد؛ قال-صلى الله عليه وسلم-:" أدِّ الأمانةَ إلى مَن ائتمنَك ، ولا تَخُنْ من خانَك". رواه أحمد وأبو داود والترمذي[2]؛ فهي حفْظ ما حرَّم الله في السِّرِّ والعلن، وكذلك تجعل هناك ثقة بين أفراد المجتمع وتُقوِّي المحبَّة بين الناس، وعلينا أن نعلم أن الأمانة ليست في حفظ الأموال فقط، ولكن في حفظ الجوارح، وحفظ اللسان عن أعراض الناس. كذلك تُعتبَر تربية الأبناء أمانة، والزوج والزوجة أمانة، كل هذه من أشكال الأمانة.

لذا احفظ امانتك، حتَّى يرضى عنك الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وأيضًا الأمانة تجعل المجتمع أكثر تماسُكًا، وإنَّنا مهما تحدَّثنا وتكلَّمنا فلن نوفي هذه الكلمة العظيمة حقَّها.

---

(١) ينظر: موسوعة الأخلاق الإسلامية (١/ ٩٦).

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٤/ ١٥٠) برقم (١٥٤٢٤). وأبو داود في سننه (٣/ ٢٩٠) برقم (٣٥٣٤) أبواب الإجارة باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده. والترمذي في جامعه (٣/ ٥٥٦) برقم (١٢٦٤) أبواب البيوع باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٣٣) برقم (٣٧٤٥) كتاب الأدب باب المستشار مؤتمن. والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢١٢) برقم (٦٥٨٣) كتاب الوليمة، استقبال من قد دعي. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٥/ ٣٨١).

٢٠ شعبان

إِنِّي حرَّمتُ الظلم على نفسي وجعلتُه بينكم مُحرَّمًا

عن أبي ذر- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربِّه عزَّ وجلَّ أنَّه قال:" يَا عِبَادِي؛ إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا". رواه مسلم(١)، هذا الحديث من أشرف الأحاديث القدسية، وموضوعه بيان غنى الله وفقر العباد إليه، قال الإمام أحمد بن حنبل: هو أشرف حديث لأهل الشام(٢)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: هذا الحديث قد تضمَّن من قواعد الدين العظيمة في العلوم والأعمال، والأصول والفروع؛ فإن تلك الجملة الأولى وهي قوله:"حرَّمتُ الظلم على نفسي" تتضمَّن جُلَّ مسائل الصفات والقدر؛ إذا أُعطيت حقَّها من التفسير(٣).

قوله:"يا عبادي؛ إِنِّي حرَّمتُ الظلم على نفسي" هذا يدلُّ على امتناع وقوعه من الله جل جلاله" وجعلتُه بينكم مُحرَّمًا فلا تظالموا"، حرَّمه على نفسه، وحرَّمه بإطلاق على الخلْق، والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه، وكلُّ مَن وضع شيئًا في غير موضعه فقد ظلم، هذا أصل معناه في اللغة، ومنه قول الشاعر:

وقائلةٍ ظلمتُ لكم سقائي وهل يخفى على العَكدِ الظليمُ(٤)

والظلم عبارة عن التعدِّي عن الحق إلى الباطل، وهو الجور. وقيل: هو التصرُّف في ملك الغير، ومجاوزة الحدِّ، والنصوص الواردة في ذمِّ الظلم والظالمين كثيرة ومُتنوِّعة؛ فمنها:

آياتٌ وردتْ في تنزيه الله تعالى نفسه عن الظلم، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (٥) أي: ليس بظالم لهم، بل هو الحَكَم العدل الذي لا يجور؛ لأنه القادر على كل شيء، العالم بكل شيء، فلا يحتاج مع ذلك إلى أن يظلم أحدًا من خلقه، وقال سبحانه:﴿إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٤) برقم (٢٥٧٧) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم.

(٢) ينظر: الأذكار للنووي (ص: ٤١٣).

(٣) مجموع الفتاوى (١٨/ ١٥٧).

(٤) ينظر: مجمع الأمثال (٢/ ٤٠٦). مجمع الأمثال، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (المتوفى: ٥١٨هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: دار المعرفة - بيروت، لبنان.

(٥) غافر: ٣١.



لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[١].قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: يُخبِر تعالى عن كمال عدْله وفضْله وتنزُّهه عمَّا يضاد ذلك من الظلم القليل والكثير فقال:" إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ" أي: ينقصها من حسنات عبده أو يزيدها في سيئاته، كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾[٢] "وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا"، أي: إلى عشرة أمثالها، إلى أكثر من ذلك، بحسب حالها ونفْعها وحال صاحبها، إخلاصًا ومحبَّة وكمالًا. " وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا" أي: زيادة على ثواب العمل بنفسه من التوفيق لأعمال أُخَر، وإعطاء البر الكثير والخير الغزير[٣]. ولقد دلَّت السُّنَّة على أحاديث تُحرِّم الظلم؛ منها: عن أمِّ المؤمنين عائشة- رضي الله عنها-:" أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: مَن ظَلَمَ قِيد شبرٍ من الأرض طُوِّقَه من سبع أرضين". رواه البخاري ومسلم[٤]، وعن جابر- رضي الله عنه- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" اتَّقوا الظلم؛ فإنَّ الظلمَ ظلماتٌ يوم القيامة، واتَّقوا الشحَّ؛ فإنَّ الشحَّ أهلك مَن كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم، واستحلُّوا محارمهم". رواه مسلم[٥].

قال ابن القيم- رحمه الله-: سبحان الله! كم بكتْ في تنعُّم الظالم عينُ أرملة، واحترقتْ كبدُ يتيم، وجرتْ دمعةُ مسكين، كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِين، ما ابيضَّ لونُ رغيفهم حتى اسوَّد لونُ ضعيفهم، وما سمنتْ أجسامُهم حتى انتحلت أجسام ما استأثروا عليه، لا تحتقرْ دعاء المظلوم، فشرر قلبه محمول بعجيج صوته إلى سقف بيتك، ويحك! نبال أدعيته مصيبة، وإن تأخَّر الوقت، قوسه قلبه المقروح، ووتره سواد الليل، وأستاذه صاحب (لأنصرنَّك ولو بعد حين)، وقد رأيتَ ولكن لستَ تعتبر، احذرْ عداوة مَن ينام وطرفه باكٍ، يُقلِّب وجهه في السماء، يرمي سهامًا ما لها غرض سوى الأحشاء منك، فربَّما ولعلها إذا كانت راحة اللذَّة تُثمر ثمرة العقوبة لم يحسن تناولها، ما تساوي لذَّة سنة غمَّ ساعة، فكيف والأمر بالعكس، كم في يمِّ الغرور من تمساح، فاحذرْ يا غائص، ستعلم أيها الغريم قصَّتك عند علق الغرماء بك:

---

(١) النساء: ٤٠.

(٢) الزلزلة: ٧، ٨.

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٧٩).

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٣٠) برقم (٢٤٥٣) كتاب المظالم والغصب باب إثم من ظلم شيئًا من الأرض. ومسلم في صحيحه (٣/ ١٢٣١) برقم (١٦١٢) كتاب المساقاة باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٦) برقم (٢٥٧٨) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم.

إذا التقى كلُّ ذي دَينٍ وماطله ستعلَمُ ليلى أيُّ دينٍ تداينتْ[١]

وعن أبي موسى- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إنَّ الله ليُملي للظالم، فإذا أخذه لم يُفلتْه. ثم قرأ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[٢] "رواه البخاري ومسلم. قال العلَّامة ابن عثيمين- رحمه الله-: (يُملي له) يعني: يُمهل له حتى يتمادى في ظلمه، والعياذ بالله، فلا يُعجِّل له العقوبة، وهذا من البلاء نسأل الله أن يُعيذنا وإياكم، فمن الاستدراج أن يُملي للإنسان في ظلمه، فلا يُعاقِب له سريعًا حتى تتكدَّس على الإنسان المظالم، فإذا أخذه الله لم يُفلتْه، أخذه أخْذ عزيز مُقتدِر، ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾[٣][٤] فعلى الظالم أن لا يغترَّ بنفسه، ولا بإملاء الله له، فإنَّ ذلك مصيبة فوق مصيبته؛ لأنَّ الإنسان إذا عُوقِب بالظلم عاجلًا؛ فربما يتذكَّر ويتَّعظ ويدع الظلم، لكن إذا أُملي له واكتسب آثامًا، أو ازداد ظلمًا ازدادت عقوبته، والعياذ بالله، فيُؤخَذ على غرَّة حتى إذا أخذه الله لم يُفلتْه.والظلم ثلاثة أقسام:

الأول: ظلم النفس بالتسوية بين حقِ الخالق وحقِ المخلوق بإشراك غيره معه وهو أعظم الظلم كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٥]، والله لا يغفر هذا الظلم أبدًا، ويخلد صاحبه في النار إلَّا بالتوبة منه قبل الممات، وسُمِّي الشرك ظلمًا لأن المشرك خلقه الله لعبادته وشرَّفه بهذا العمل، فأنزل نفسه إلى أخسِّ المراتب، وعبد المخلوق الذليل الذي لا يضرُّ ولا ينفع من دون الله، وتعلَّق بالأوهام، وقابل الإحسان بالإساءة، وجحد حقَّ الله وكفر بنعمته.

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ٢٤٢). بدائع الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

(٢) هود: ١٠٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ٧٤) برقم (٤٦٨٦) كتاب تفسير القرآن باب قوله: {وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد} [هود: ١٠٢]. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٧) برقم (٢٥٨٣) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم.

(٤) هود: ١٠٢.

(٥) لقمان: ١٣.



الثاني: ظلم النفس بارتكاب الذنوب الكبائر والصغائر وتضييع الفرائض؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾(١) ، وهذا الظلم تحت مشيئة الله؛ إن شاء عذَّب العاصي، وإن شاء غفر له يوم القيامة.

الثالث: ظلم الناس بالتعدِّي على أموالهم ودمائهم، وأعراضهم وحقوقهم، وهذا الظلم لا يترك منه الله شيئًا، ولا بدَّ فيه من القصاص يوم القيامة إلَّا أن يتحلَّل الظالم من المظلوم في الدنيا. قال النبي صلى الله عليه وسلم:" مَن كانت عنده مظلمة لأخيه من عِرْضه أو من شيء؛ فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخِذَ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه". رواه البخاري(٢).

قال الشيخ ابن باز- رحمه الله-: فالواجب الحذر من الظلم في جميع الأحوال: في النفس والمال والعِرْض، في النفس: بالقتل أو غيره، وفي المال: بالسرقة وغيرها، وفي العِرْض: بالغيبة والشتم ونحو ذلك؛ فالواجب على المسلم أن يحذر أنواعَ الظلم كلها، وأن يتَّقي الله في ذلك، يرجو رحمته، ويخشى عقابه عزَّ وجلَّ(٣).

وختامًا؛ يُستفاد من الحديث: تحريم الظلم، وأنَّ الله حرَّم الظلم على نفسه؛ لكمال عدله، وتحريم ظلم الإنسان لأخيه بالاعتداء على ماله أو عِرْضه أو نفسه؛ فالظلم كلُّه حرام.

---

(١) الطلاق: ١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٩) برقم (٢٤٤٩) كتاب المظالم والغصب باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له، هل يبين مظلمته.

(٣) من شرح الشيخ على كتاب رياض الصاحلين. ينظرموقع الشيخ عليه رحمة الله:

٢١ شعبان

سَتْر عورات المسلمين والتحذير من إشاعتها

إنَّ الستر نعمة من نعم الله وهباته، لا تطيب حياة الناس إلا به، ولا تسعد النفوس إلا تحت ظلاله، فهو زينة وجمال، وبهاء وجلال، به تَحفظ الأمةُ كيانَها، وترابُطَها وبنيانَها، والستر هو تغطية العيوب وإخفاء الهَنَات، وكتم المساوئ والزَّلات، قولًا وعملًا، حسًّا ومعنًى، ولقد اتَّصف ربُّنا بهذه الصفة الجليلة؛ فهو سبحانه السِتِّير، ففي سنن أبي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إنَّ الله عز وجل حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يُحبُّ الحياءَ والسترَ[١]".

والستر لغة: تغطية الشيء، وستَر الشيءَ يستُرُه سترًا؛ أي: أخفاه.

والستر اصطلاحًا: عرَّفه النووي- رحمه الله- بأنه: الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممَّن ليس هو معروفًا بالأذى والفساد[٢]، ولقد كثُرَت النصوصُ التي تحثُّ على ستر المسلم، وتُحذِّر مِن تتبُّع عوراته وزلاته ليُفضَح بين الناس، مِن ذلك قوله تعالى:﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾[٣] فكلُّ ما كان سيِّئًا من القول؛ فالجهر به لا يُحبُّه الله عزَّ وجلَّ؛ لأن هذا فيه نشرٌ للرذيلة بين العباد، فإذا أَذنَبَ شخصٌ ذنبًا أو ارتكب كبيرة؛ كأن قتل نفسًا بغير حق، أو زنا أو سرق، فبابُ التوبة مفتوح للعبد، وقال صلى الله عليه وسلم:" مَن ستَر مسلمًا ستَرَه اللهُ يومَ القيامة". رواه البخاري ومسلم[٤].

ومعنى الستر في الحديث يشير إلى الستر المندوب على المسلم الذي لا يُجاهِر بالمعاصي والفساد وأذى الناس، أمَّا من عُرِف بالفساد والأذى فلا يُستحَبُّ الستر عليه، بل يجب رفع أمره إلى ولاة الأمر، حتى تتمَّ محاسبته إن لم يترتَّب على ذلك مفسدة، لأنَّ ذلك قد يُشجِّعه على ارتكاب مزيد من

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٩) برقم (٤٠١٢) كتاب الحمام باب النهي عن التعري. والنسائي في السنن الصغرى (١/ ٢٠٠) برقم (٤٠٦) كتاب الغسل والتيمم، باب الاستتار عند الاغتسال. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٩/ ١٢). المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، المؤلف: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٣٥).

(٣) النساء: ١٤٨.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ١٢٨) برقم (٢٤٤٢) كتاب المظالم والغصب باب: لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٦) برقم (٢٥٨٠) كتاب البر والصلة والآداب باب تحريم الظلم.



الإيذاء، وقد يُؤَدِّي السكوت عنه إلى تشجيع غيره على أن يقتديَ به في أفعاله، وهذا يكون في حالة المعاصي التي تنقضي وتذهب، أمَّا إذا رأى المسلمُ رجلًا يرتكب معصية، أو مُنكَرًا فيجب عليه أن يُنكرَ عليه ذلك الفعل، فإن عجِز عن ذلك رفع أمره إلى ولاة الأمر.

وقد سُئِل الإمام ابن باز- رحمه الله- عن معنى هذا الحديث فقال: إذا رأى الإنسان من أخيه في الله أو أخته في الله عورة- يعني: معصية- فلا يفضحْه، ولا ينشرْها بين الناس، بل يستر عليه وينصحه، ويُوجِّهه إلى الخير، ويدعوه إلى التوبة إلى الله من ذلك، ولا يفضحه بين الناس، ومن فعل هذا وستر على أخيه ستره الله في الدنيا والآخرة؛ لأن الجزاء من جنس العمل؛ أمَّا الذين يُظهِرون المعاصي ولا يستحيون، ويُظهِرونها بين الناس؛ فهؤلاء فضحوا أنفسهم فليسوا محلًّا للستر، كالذي يشرب الخمر بين الناس في الأسواق، وفي المحلَّات والاجتماعات، هذا قد فضح نفسه- نسأل الله العافية-، وهكذا من يعمل المعاصي الأخرى جهرة ولا يُبالي، هذا يُرفَع أمره إلى ولاة الأمور إذا كانوا يَردعون مثله ويُقيمون عليه الحد، يُرفع أمره، وليس محلَّ الستر مَن أظهر فاحشته وأعلنها- نسأل الله العافية-(١).

وعن ابن عباس- رضي الله عنهما- عن النبي صلى الله عليه وسلم:" مَن ستَر عورةَ أخيه المسلمِ سَتَرَ اللهُ عورتَه يومَ القيامة، ومَن كشفَ عورةَ أخيه المسلم كشفَ اللهُ عورتَه حتى يفضحه بها في بيته". رواه ابن ماجه(٢)، وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" يا معشر مَن أسلم بلسانه ولم يُفْضِ الإيمانُ إلى قلبه؛ لا تؤذوا المسلمين، ولا تُعَيِّروهم، ولا تتَّبعوا عوراتهم؛ فإنَّه مَن يتَّبع عثراتِ أخيه المسلمِ يتبعِ اللهُ عورتَه، ومَن يتبعِ اللهُ عورتَه يفضحه ولو في جوف رَحْلِه". رواه الترمذي(٣).

والستر هنا عام لا يتقيَّد بالستر البدني فقط، أو الستر المعنوي فقط، بل يشملهما جميعًا، فمن ستَر مسلمًا ستَرَه الله في الدنيا والآخرة؛ ستر بَدَنه كأن رأى منه عورة مكشوفة فستَرَها، أو رأتِ امرأةٌ شيئًا مِن جسدِ أختِها مكشوفًا غيرَ منتبهة إليه فغطَّته، وستَره معنويًّا فلم يُظهِر عيبَه، فلم يسمح لأحدٍ أن يَغتابه ولا أن يَذمَّه، مَن فعل ذلك ستَرَه الله في الدنيا والآخرة، فلم يفضحه بإظهار

---

(١) سؤال وجه للشيخ عليه رحمة الله في برنامج نور على الدرب. ينظر موقع الشيخ عليه رحمة الله.

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ٨٥٠) برقم (٢٥٤٦) كتاب الحدود باب الستر على المؤمن ودفع الحدود بالشبهات. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٦/ ٤٦).

(٣) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٧٨) برقم (٢٠٣٢) أبواب البر والصلة باب ما جاء في تعظيم المؤمن. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ٣٢).



عيوبه وذنوبه، قال سَماحة العلَّامةِ الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: العورة هنا هي العورة المعنوية؛ لأن العورة نوعان: عورة حسيَّة، وعورة معنويَّة؛ فالعورة الحسيَّة: هي ما يَحرُم النظر إليه؛ كالقُبُل والدُبُر، وما أشبه ذلك مما هو معروف في الفقه، والعورة المعنويَّة: وهي العيب والسُّوء الخُلقي أو العملي[١].ولقد بلغتْ عناية الإسلام بهذا الجانب الاجتماعي الراقي إلى الحثِّ على أن يستر المظلوم على الظالم. ولقد أجمع العلماء على أنَّ مَن اطَّلع على عيبٍ أو ذنبٍ أو فجورٍ لمؤمن مِن ذوي الهيئات، أو نحوهم ممَّن لم يُعرَف بالشرِّ والأذى، ولم يشتهر بالفساد، ولم يكن داعيًا إليه؛ كأن يَشرب مُسْكِرًا أو يزني أو يفجُر مُتخوِّفًا مُتخفِّيًا غير مُتهتِّك ولا مجاهر؛ يُندَب له أن يستُره، ولا يكشِفه للعامَّة أو الخاصَّة، ولا للحاكم أو غير الحاكم؛ كما قال صلى الله عليه وسلم:" مَن عَلِمَ مِن أخيه سيِّئة فسترها عليه؛ ستر الله عليه يوم القيامة". رواه أحمد[٢].

ومن مظاهر الستر: ألَّا يتتبَّع عورات المسلمين، فإن تتبُّع عورات المسلمين علامة من علامات النفاق، ودليل على أن الإيمان لم يستقر في قلب ذلك الإنسان الذي همُّه أن يُنقِّب عن مساوئ الناس ليُعلنها بين الملأ؛ لأن الأصل في المسلم أن يُحبَّ لأخيه ما يُحبُّ لنفسه. كذلك أن يُخلص له النصيحة والدعاء بالهداية، وأن يدعو له بالاستقامة والصلاح، وأن ينصحه في السِّرِّ، فهذا أَحرى لقبول النصيحة.

ومن مظاهره أيضًا دواعي الستر على الناس، وتذكُّر المرء عيوب نفسه؛ قال الشاعر:

إِذَا شِـئْتَ أَنْ تَحْيَـا سَـلِيمًا مِـنَ الأَذَى ... وَذَنْبُــكَ مَغْفُــورٌ وَعِرْضُــكَ صَــيِّنُ
فَلَا يَنْطَلِقْ مِنْكَ اللِّسَــانُ بِسَوْءَةٍ ... فَكُلُّــكَ سَــوْءَاتٌ وَلِلنَّــاسِ أَلْسُــنُ
وَعَيْنُكَ إِنْ أَبْدَتْ إِلَيْكَ مَعَايِبًا ... لِقَوْمٍ فَقُــلْ: يَا عَيْنُ لِلنَّــاسِ أَعْيُنُ[٣]

كذلك التفكُّر في فضل الستر على الناس: فعن أبي هريرة- رضِي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا يَستُر عبدٌ عبدًا في الدنيا إلا ستَرَه اللهُ يوم القيامة". رواه مسلم[٤].

---

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥).

(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٣٤٩) برقم (٩٦٢). والحديث صححه لغيره الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٨٧). المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار النشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية.

(٣) ينظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر (ص: ٣٦٢). النور السافر عن أخبار القرن العاشر، المؤلف: محي الدين عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العَيْدَرُوس (المتوفى: ١٠٣٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥هـ.

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٠٢) برقم (٢٥٩٠) كتاب البر والصلة والآداب باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا،



قال الفضيل بن عياض- رحمه الله-:" المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويُعيِّر[١]".

وليعلم أنَّ عدم الستر على العاصي قد يدفعه لمزيدٍ من المعصية؛ فيندب للمسلم إذا وقعتْ منه هفوة أو زلَّة أن يَستر على نفسه، ويتوب بينه وبين الله عزَّ وجلَّ، وألَّا يَرفع أمْره إلى السلطان، ولا يكشفه لأحدٍ كائنًا ما كان؛ لأنَّ هذا مِن إشاعة الفاحشة التي توعَّد الله تعالى فاعلها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢]، ولأنه هتكٌ لستر اللهِ سبحانه وتعالى، ومجاهَرة بالمعصية؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم:" اجْتَنِبوا هذه القاذورة، فمَن ألَمَّ فليستترْ بستر الله وليتُبْ إلى الله؛ فإنَّ مَن يُبدِ لنا صفحتَه نُقِم عليه كتابَ الله". أخرجه الحاكم[٣].

الخلاصة: يُحبُّ اللهُ سبحانه وتعالى الستر على الخلْق، ويأمُر به. وفضل الستر على المسلمين عظيم، فهو سببٌ لستر الله في الدنيا والآخرة، وأنَّ عقوبة تتبُّع عورات المسلمين والتجسُّس عليهم؛ أنَّ مَن فعَل ذلك فإنَّ الله يفضحه ويُظهِر للناس ما يستره عنهم.

بأن يستر عليه في الآخرة.

(١) جامع العلوم والحكم (ص: ٨٢). جامع العلوم والحكم، المؤلف : أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الناشر : دار المعرفة – بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ.

(٢) النور: ١٩.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (٤/ ٢٧٢) برقم (٧٦١٥). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٩٣).



٢٢ شعبان

من كان في حاجة أخيه (قضاء حوائج الناس)

جاء الإسلام ليُتمِّم مكارم الأخلاق، فأبقى على بعض الأخلاق الفاضلة التي كانت منتشرة عند العرب قبل الإسلام؛ مثل: الشجاعة، والكرم، وإغاثة الملهوف، ومساعدة الآخرين، فالمجتمع الإسلامي مجتمع متكافل، ويُعَدُّ جميع أفراده شبكةً واحدةً يتعاونون معًا لقضاء حاجات بعضهم البعض، وأمر الله تعالى بالسعي لقضاء حاجات الناس، وجعلها من باب التعاون على البر والتقوى، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[(١)]، قال سَماحة العلَّامةِ الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: والمراد بالحوائج: ما يحتاجه الإنسانُ ليكمل به أموره، وأمَّا الضروريات فهي ما يضطر إليه الإنسان ليدفع به ضرره، ودفْع الضرورات واجبٌ؛ فإنه يجب على الإنسان إذا رأى أخاه في ضرورة أن يدفع ضرورته؛ فإذا رآه في ضرورة إلى الطعام، أو إلى الشراب، أو إلى التدفئة، أو إلى التبردة؛ وجب عليه أن يقضي حاجته، ووجب عليه أن يُزيلَ ضرورته ويرفعها[(٢)]، وقضاء حاجات الناس لا يقتصر على النواحي المادية فقط، بل يشمل كل ما يمكن أن يفيد الشخص المحتاج سواءً من الناحية المادية والحسية، أم من الناحية النفسية، مثل: النفع بالعلم أو النصيحة أو الرأي أو المشورة، وإن قضاء الحوائج واصطناع المعروف باب واسع يشمل كل الأمور المعنوية والحسية التي حثَّنا الإسلام عليها ، قال العلَّامة السعدي- رحمه الله- : أي ليُعِنْ بعضكم بعضًا على البر؛ وهو اسم جامع لكل ما يُحبُّه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة من حقوق الله وحقوق الآدميين[(٣)]، وهو نوع من الإيثار الذي مدح الله تعالى به المؤمنين فقال: ﴿لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن

---

(١) المائدة: ٢.

(٢) شرح رياض الصالحين (٣/ ٢٣).

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢١٩).



يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[١] ، ولقد ضرب النبي- صلى الله عليه وسلم- المثل والنموذج الأعلى في الحرص على الخير والبر والإحسان، وفي سعيه لقضاء حوائج الناس وبخاصة للضعفاء والأيتام والأرامل، عَنْ أَنَسٍ- رضي الله عنه-" أَنَّ امْرَأَةً كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ:يَا رَسُولَ اللهِ؛ إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً، فَقَالَ: يَا أُمَّ فُلَانٍ؛ انْظُرِي أَيَّ السِّكَكِ شِئْتِ، حَتَّى أَقْضِيَ لَكِ حَاجَتَكِ، فَخَلَا مَعَهَا فِي بَعْضِ الطُّرُقِ، حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا".رواه مسلم[٢].

ولقد اقتدى الصحابة الكرام- رضوان الله عليهم- بالنبي صلى الله عليه وسلم في الحرص على السعي لقضاء حوائج الناس، وكانوا يكتبون إلى ولاتهم بذلك، فقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري- رضي الله عنهما-:" إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ لِلنَّاسِ وُجُوهٌ يَرْفَعُونَ حَوَائِجَ النَّاسِ إِلَيْهِمْ؛ فَأَكْرِمْ وُجُوهَ النَّاسِ، فَبِحَسْبِ الْمُسْلِمِ الضَّعِيفِ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يُنْصَفَ فِي الْحُكْمِ وَالْقِسْمَةِ[٣]".

ولا يقتصر السعي في قضاء حوائج الناس على النفع المادي فقط، ولكنه يمتدُّ ليشمل النفع بالعلم، والنفع بالرأي، والنفع بالنصيحة، والنفع بالمشورة، والنفع بالجاه، والنفع بالسلطان.

ومن نعم الله تعالى على العبد أن يجعله مفتاحًا للخير والإحسان، عَنْ سهل بن سعد- رضي الله عنه- عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:" عِنْدَ اللَّهِ خَزَائِنُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، مَفَاتِيحُهَا الرِّجَالُ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلْخَيْرِ، وَمِغْلَاقًا لِلشَّرِّ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَهُ مِفْتَاحًا لِلشَّرِّ، وَمِغْلَاقًا لِلْخَيْرِ". أخرجه ابن ماجه[٤]، وأن يُسخِّره لقضاء حوائج الناس، عَنِ ابْنِ عُمَرَ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:"إِنَّ لِلَّهِ أَقْوَامًا اخْتَصَّهُمْ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ، وَيُقِرُّهَا فِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا عَنْهُمْ وَحَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ". رواه الطبراني[٥].

ولقضاء الحوائج آداب كثيرة؛ منها:

---

(١) الحشر: ٨ – ٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨١٢) برقم (٢٣٢٦) كتاب الفضائل باب قرب النبي عليه السلام من الناس وتبركهم به.

(٣) رواه الإمام أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٤١٧). فضائل الصحابة، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: د. وصي الله محمد عباس، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ – ١٩٨٣.

(٤) رواه ابن ماجه في سننه (١/ ٨٧) برقم (٢٣٨) افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب من كان مفتاحًا للخير. والحديث حسنه لغيره الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٣٥).

(٥) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١٣/ ٢٠٧) برقم (١٣٩٢٥). والحديث ضعفه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة (٦/ ١٣٤). المعْجَمُ الكَبِير للطبراني المجَلَّدان الثَّالِثَ عَشَرَ والرابع عشر، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، تحقيق: فريق من الباحثين بإشراف وعناية د/ سعد بن عبد الله الحميد و د/ خالد بن عبد الرحمن الجريسي.



الإخلاص في الأعمال وعدم المنِّ بها؛ قال عبد الله بن عباس- رضي الله عنهما-: لا يتمُّ العمل إلَّا بثلاث: تعجيله وتصغيره وستره، فإنه إذا عجَّله هنَّأه، وإذا صغَّره عظَّمه، وإذا ستره تمَّمه(١).

واعلم أنَّ من علامات الإخلاص: استواء المدح والذم من العامَّة، ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال، واقتضاء ثواب الأعمال في الآخرة(٢).

ومن الأدب طلب الحاجة من الكريم دون اللئيم: فعندما يُطلَب منك أي عمل فاعلم أن الحاجة لا تُطلَب إلَّا من كريم، وقد أحسن الظنَّ بك من طلب منك أداء العمل، واستمع إلى قول ابن عباس- رضي الله عنهما-: ثلاثة لا أكافئهم: رجل بدأني بالسلام، ورجل وسَّع لي في المجلس، ورجل اغبرَّت قدماه في المشي إرادة التسليم عليَّ، وأمَّا الرابع فلا يكافئه عني إلَّا الله عز وجل، قيل فمَن هو؟ قال: رجلٌ نزل به أمرٌ، فبات ليلته يُفكِّر بمَن ينزله، ثم رآني أهلًا لحاجته فأنزلها بي(٣). أراد بذلك مَن طلب المعونة منه(٤).

وكان يُقال: لا تصرفْ حوائجك إلى مَن معيشته في رؤوس المكاييل والموازين. وصدق الشاعر(٥):

لا تطلُبَنَّ إلى لئيمٍ حاجةً ... واقعدْ فإنَّك قائمٌ كالقاعد
يا خادعَ البخلاءِ عن أموالِهم ... هيهاتَ تضربُ في حديدٍ بارد(٦)

وقال آخر:

وإذا طلبتَ إلى كريمٍ حاجةً ... فلقاؤه يكفيكَ والتسليمُ
وإذا طلبتَ إلى لئيمٍ حاجةً ... فألِحَّ في رفقٍ وأنت مُديمُ

---

(١) ينظر: المجالسة وجواهر العلم (٣/ ٧١). المجالسة وجواهر العلم، المؤلف : أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري المالكي (المتوفى : ٣٣٣هـ)، المحقق : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر : جمعية التربية الإسلامية (البحرين – أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت – لبنان)، تاريخ النشر : ١٤١٩هـ.

(٢) ينظر: الأذكار للنووي (ص: ٧).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٣/ ٣١١)، ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٤/ ٣٦٥).

(٤) ينظر: عيون الأخبار (٣/ ١٩٧). عيون الأخبار، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية –بيروت، تاريخ النشر: ١٤١٨ هـ.

(٥) ينظر: بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: ٦٨). بهجة المجالس وأنس المجالس، المؤلف : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي.

(٦) ينظر هذه الأبيات والتي قبلها في: بهجة المجالس وأنس المجالس (ص: ٦٨).



ومن الآداب الشكر والثناء: وهذا أدب لصاحب الحاجة يفتقر إليه بعض الناس، وكان من الواجب على صاحب الحاجة أن يُبالغ في الشكر والثناء لمن قضى له حاجته، ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله، قال صلى الله عليه وسلم:" من صُنِعَ إليه معروف، فقال لفاعله: جزاك الله خيرًا؛ فقد أبلغ في الثناء". رواه الترمذي(١).

فالساعي في قضاء حوائج إخوانه المؤمنين يقضي الله حوائجه في الدنيا والآخرة، ومن كان في عون أخيه كان الله في عونه، ومن فرَّج عن أخيه كربة فرَّج الله عنه، لما روي عن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- أنه قال:" مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا؛ نَفَّسَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ؛ يَسَّرَ اللَّهُ عليه في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا؛ سَتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ ". رواه مسلم(٢).

يُبيّن هذا الحديث الفضل والأجر العظيم للساعي في قضاء حوائج النّاس؛ فمن خفَّف ورفع عن أخيه المسلم الشدَّة والتعب والعناء؛ أعطاه الله من فضله وإحسانه في الآخرة، ورفع عنه من كرب يوم القيامة، ومن أمهل مُعسرًا إلى حين ميسرته، أو أسقط عنه الدَّين، أو أعطاه من ماله لفكِّ عُسرته، يسَّر الله تعالى أموره في الدنيا والآخرة، وقد بيَّن الحديث أيضًا مظهَرًا آخر من مظاهر مساعدة الآخرين وقضاء حوائجهم؛ ويتمثّل ذلك بستر أحوالهم، وعيوبهم، وأسرارهم، وذنوبهم، ليستر الله تعالى عليه عيوبه في الدنيا، ويستره في الآخرة، ومن سعى في قضاء حوائج غيره من الناس في دفع الضرِّ عنهم، أو مساعدتهم في جلب منفعة لهم؛ يتولَّاه الله تعالى في كلِّ أموره وحوائجه؛ فإنَّ مَن يقضي حوائج إخوانه المؤمنين يقضي الله حوائجه في الدنيا والآخرة، ومن يُنفِّس عن كربهم يُنفِّس الله عن كربه في الدنيا والآخرة، وييسِّر له أموره، ويبارك له في أعماله، ويوفِّقه ويبارك له في حياته؛ فلا تتردَّدْ في قضاء حوائج إخوانك، والسعي لهم؛ فإنها نعمة عظيمة، فحافِظْ عليها بشكرها، وداوِمِ العمل بلوازمها.

---

(١) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٨٠) برقم (٢٠٣٥) أبواب البر والصلة سنن الترمذي باب ما جاء في المتشبع بما لم يعطه. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ٧٨) برقم (٩٩٣٧) كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول لمن صنع إليه معروفًا. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٥/ ٢٨٨).

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤) برقم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

٢٣ شعبان

الحياء من الإيمان

الحياء خصلة من خصال الإيمان، وخُلُقٌ من أخلاق الإسلام، من اتَّصف به حسُن إسلامه، وعلتْ أخلاقه، من اتَّصف به هجر المعصية خجلًا من ربِّه، وأقبل على طاعته بوازع الحُبِّ والتعظيم، إنها خصلة تُبعدك عن فضائح السيِّئات وقبيح المنكرات، إنها من شُعَب الإيمان، إنها تكسوك وقارًا واحترامًا، خصلة هي دليل على كرم السجيَّة وطيب النفس، بل هي صفة من صفات الأنبياء والصالحين ، إنها صفة جميلة في الرجال، وفي النساء أجمل، كسْبُها يجعل القبيح جميلًا، وفقْدها يجعل الجميل قبيحًا، والحياء هو: انقباض النفس من شيءٍ وتركه حذرًا عن اللوم فيه.

والحياء محلُّه الوجه، ومنبعه من القلب، وهو صفة من صفات الله عز وجل، وهي صفة كمال تدلُّ على الكرم والفضل، والجود والجلال، عن سلمان- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيِيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إذا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا". رواه أبو داود وابن ماجه(١).

قال الهرَّاس: وحياؤه تعالى وصف يليق به، ليس كحياء المخلوقين، الذي هو تغيُّر وانكسار يعتري الشخص عند خوف ما يُعاب أو يُذمُّ، بل هو ترْك ما ليس يتناسب مع سعة رحمته، وكمال جوده وكرمه، وعظيم عفوه وحلمه؛ فالعبد يُجاهره بالمعصية مع أنه أفقر شيء إليه وأضعفه لديه، ويستعين بنعمه على معصيته، ولكنَّ الربَّ سبحانه مع كمال غناه وتمام قدرته عليه؛ يستحي من هتك ستره وفضيحته، فيستره بما يهيِّؤه له من أسباب الستر، ثم بعد ذلك يعفو عنه ويغفر(٢).

والفرق بين الحياء والخجل: أنَّ الخجل معنى يظهر في الوجه لغمٍّ يلحق القلب عند ذهاب حجة، أو ظهور على ريبة وما أشبه ذلك، فهو شيء تتغيَّر به الهيئة، والحياء: هو الارتداع بقوة الحياء، ولهذا يقال: فلان يستحي في هذا الحال أن يفعل كذا، ولا يُقال: يخجل أن يفعله في هذه الحال، لأن هيئته لا تتغيَّر منه قبل أن يفعله، فالخجل مما كان، والحياء مما يكون، وقد يُستعمَل الحياء موضع الخجل توسُّعًا.

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٧٨) برقم (١٤٨٨) باب تفريع أبواب الوتر باب الدعاء. والترمذي في جامعه (٥/ ٥٥٦) برقم (٣٥٥٦) أبواب الدعوات باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٢٧١) برقم (٣٨٦٥) كتاب الدعاء باب رفع اليدين في الدعاء. والحديث صححه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٢٣٩).

(٢) شرح القصيدة النونية (٢/ ٨٦). شرح القصيدة النونية، الناظم: شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الشارح: الدكتور محمد خليل هراس (المتوفى: ١٣٩٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية /١٤١٥هـ.



ومن أهمية الحياء وفضائله: حُبُّ الله تعالى: عَنْ يَعْلَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَأَى رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَازِ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَلِيمٌ حَيِيٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ، فَإِذا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَتِرْ". رواه أبو داود(١).

والحياء هو خُلُق الإسلام: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلاَمِ الْحَيَاءُ". رواه ابن ماجه(٢).

والحياء مفتاح لكل خير: رُوي عن عمران بن حصين- رضي الله عنه- قال النبي صلى الله عليه وسلم:" الحياء لا يأتي إلَّا بخير". رواه البخاري ومسلم(٣)، يقول ابن حجر- رحمه الله-: إذا صار الحياء عادة وتخلَّق به صاحبه؛ يكون سببًا يجلب الخير إليه، فيكون منه الخير بالذات والسبب(٤).

وهو مغلاق لكل شرٍّ: عن أبي مسعود- رضي الله عنه- قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إنَّ ممَّا أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستحِ فاصنعْ ما شئت". رواه البخاري(٥).قال الإمام ابن القيم- رحمه الله-: خُلق الحياء من أفضل الأخلاق وأجلِّها، وأعظمها قدرًا، وأكثرها نفعًا، بل هو خاصَّة الإنسانية، فمن لا حياء فيه فليس معه من الإنسانية إلَّا اللحم والدم وصورتهما الظاهرة، كما أنَّه ليس معه من الخير شيء(٦).

والحياء يُكسِب محبَّة الله تعالى: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الله عزَّ وجلَّ إذا أنعم على عبد نعمة؛ يُحبُّ أن يرى أثر النعمة عليه، ويكره البؤس والتباؤس، ويبغض السائل الملحِف، ويُحبُّ الحيي العفيف المتعفِّف". رواه البيهقي في شعب الإيمان(٧).

---

(١) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٩) برقم (٤٠١٢) كتاب الحمام باب النهي عن التعري. والنسائي في سننه الصغرى (١/ ٢٠٠) برقم (٤٠٦) كتاب الغسل والتيمم باب الاستتار عند الاغتسال. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٧/ ٣٦٧).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (٢/ ١٣٩٩) برقم (٤١٨١) كتاب الزهد باب الحياء. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٩/ ١٨١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٩) برقم (٦١١٧) كتاب الأدب باب الحياء. ومسلم في صحيحه (١/ ٦٤) برقم (٣٧) كتاب الإيمان باب شعب الإيمان.

(٤) فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٥٢٢). فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٩) برقم (٦١٢٠) كتاب الأدب باب إذا لم تستحي فاصنع ما شئت.

(٦) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ٢٧٧). مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٧) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٨/ ٢٦٣) برقم (٥٧٩١). والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٣/ ٣١٠). شعب الإيمان، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.



والحياء يُدخِل الجنة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم:" الْحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ". رواه أحمد وأبو داود والترمذي(١).

وينقسم الحياء باعتبار محلِّه إلى قسمين:

١- حياء فطري: وهو الذي يُولد مع الإنسان متزودًا به، ومن أمثلته: حياء الطفل عندما تنكشف عورته أمام الناس، وهذا النوع من الحياء منحة أعطاها الله لعباده.

٢- حياء مُكتسَب: وهو الذي يكتسبه المسلم من دينه، فيمنعه من فعل ما يُذمُّ شرعًا، مخافة أن يراه الله حيث نهاه، أو يفقده حيث أمره، وينقسم باعتبار مُتعلِّقه إلى قسمين:

١- الحياء الشرعي: وهو الذي يقع على وجه الإجلال والاحترام، وهو محمود.

٢- الحياء غير الشرعي: وهو ما يقع سببًا لترْك أمر شرعي، وهذا النوع من الحياء مذموم، وهو ليس بحياء شرعي، وإنما هو ضعف ومهانة.

ومن فوائده: أنَّ الحياء من خصال الإيمان، هجر المعصية خجلًا من الله سبحانه وتعالى، الإقبال على الطاعة بوازع الحبِّ لله عزَّ وجلَّ، يُبعِد عن فضائح الدنيا والآخرة، أصل كلِّ شُعَب الإيمان، الحياء يكسو المرء الوقار؛ فلا يفعل ما يُخلُّ بالمروءة والتوقير، ولا يؤذي من يستحق الإكرام، كما أنه لا يمنع من مواجهة أهل الباطل ومرتكبي الجرائم، بل هو دليل على كرم السجيَّة وطيب المنبت، فضلًا عن كونه من صفات الأنبياء والصحابة والتابعين، ويُعَدُّ صاحبه من المحبوبين عند الله وعند الناس، وأخيرًا فهو يمنع الشخص عن الفواحش، ويجعله يستتر بها إذا هو سقط في شيء من أوحالها.

والحياء المحمود من الصفات الحميدة، والأخلاق النبيلة، التي حثَّنا عليها الشرع، والتي تدلُّ على ترك القبيح، ولهذه الصفة صور، نذكر منها:

١- الحياء من الله: وذلك بالخوف منه ومراقبته، وفعل ما أمر واجتناب ما نهى عنه، وأن يستحي المؤمن أن يراه الله حيث نهاه، وهذا الحياء يمنع صاحبه من ارتكاب المعاصي والآثام لأنه مرتبط بالله يراقبه في حلِّه وترحاله.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٦/ ٣٠٥) برقم (١٠٥١٢). وأبو داود في سننه (٣/ ٢٩٠) برقم (٣٥٣٤) أبواب الإجارة باب في الرجل يأخذ حقه من تحت يده. والترمذي في جامعه (٤/ ٣٦٥) برقم (٢٠٠٩) أبواب البر والصلة باب ما جاء في الحياء. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٤٠٠) برقم (٤١٨٤) كتاب الزهد باب الحياء. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/ ٧٦).



٢- الحياء من الملائكة: وذلك عندما يستشعر المؤمن بأن الملائكة معه يرافقونه في كل أوقاته، ولا يفارقونه إلَّا عند الغائط وعندما يأتي الرجل أهله، فهذا يدل على قوة إيمان المؤمن، وهو بهذا يستحي أن يقترف ما حرَّم الله.

٣- الحياء من الناس: وهو دليل على مروءة الإنسان؛ فالمؤمن يستحي أن يؤذي الآخرين سواء بلسانه أو بيده، فلا يقول القبيح ولا يتلفَّظ بالسوء، ولا يطعن أو يغتاب أو ينمُّ على الآخرين، وكذلك يستحي من أن تنكشف عوراته فيطَّلع عليها الناس.

٤- الحياء من النفس: وذلك عندما يكون الإنسان وحده بعيدًا عن أنظار الناس، فيستحي عن اقتراف الذنوب والآثام حياء من نفسه التي بين جنبيه، وهذا الحياء هو الذي يثبت حقيقة الحياء من الله، والحياء موجود في فطرة الإنسان، وعلينا أن نجعله رفيقًا لنا في كل أقوالنا وأفعالنا.

أخيرًا: إنَّ ما تعانيه المجتمعات اليوم من المحن، وتتابع الفتن، واستباحة المحرَّمات، ومعانقة الرذيلة؛ ما ذاك إلَّا بسبب فقْد الحياء. إنَّ منزوع الحياء لا تراه إلَّا على قبيح، ولا تسمع منه إلَّا لغوًا وتأثيمًا، عين غمَّازة، ونفس همَّازة، ولسان بذيء؛ يتركه الناس اتِّقاء فحشه، مجالسته شرٌّ، وصحبته ضُرٌّ، وفعله عدوان، وحديثه بذاء.

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي ... وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ
فَلا وَاللَّهِ مَا فِي العَيْشِ خَيْرٌ ... وَلا الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الحَيَاءُ
يَعِيشُ المَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ ... وَيَبْقَى العُودُ مَا بَقِيَ اللِّحَاءُ[١]

(١) ينظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٣/ ٢٠٨).

٢٤ شعبان

مكارم الأخلاق

إن دعوةَ النبي صلى الله عليه وسلم انطلقت من كونها تدعو إلى مكارمِ الأخلاق، فقد جاء في الحديث الشريف قوله- عليه الصلاة والسلام-:" إنَّما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ- وفي رواية (صالحَ)- الأخلاقِ" أخرجه أحمد[١]؛ فالأخلاق الحسنة أساس بناء المجتمع، وهي من أهمِّ ما يدعو له الدين الإسلامي؛ فكأنَّما الأخلاق بناء شيَّده الأنبياء على مر العصور، وجاءت بعثة النبي صلى الله عليه وسلم مُتمِّمة لهذا البناء، وكأنما حصر النبي- صلى الله عليه وسلم- الهدف الأساس من بعثته في تعليم الناس مكارم الأخلاق، وفي هذا دلالة على مكانتها العظيمة في الشريعة الإسلامية.

والمقصود بمكارم الأخلاق: يعني الأخلاق الحسنة التي يتمثَّل بها الإنسان، والأخلاق الحسنة هي أنماط السلوك الحسن الخيِّر والمعروف في الحياة، وسواء كان هذا السلوك باطنًا أو ظاهرًا، وهي تصدُر عن الإنسان بإرادته، وتكون لأجلِ تحقيق غاية وهدف مُعيَّن خيِّر، وهناك علم يُعنَى بدراسة الأخلاق الإسلامية، والتي تكون مأخوذةً من آياتِ القرآن الكريم والأحاديث التي تُبيِّن الخير والشرَّ، وأسس المقارنة بينهما.

ومن أبرز مكارم الأخلاق التي وجب التحلِّي بها: القناعة، والرضا، والبرُّ، والإحسان، والصدق، والأمانة، والصبر، والحلم، والأناة، والشجاعة، والتحمُّل، والتروِّي، والكرم، والاعتدال، والإيثار، والعدل، والحياء، والشكر، وحفْظ اللسان والجسد، والشورى، والوفاء، والعفَّة، والتواضع، والعزَّة، والقوَّة، والتعاون، والتسامح، وفعْل الخير، والبُعْد الشر، والمساعدة، والنيَّة الحسنة، وكفُّ الأذى عن الناس، وطاعة الوالدين، ونشْر المحبَّة، والستر، وحفظ السِّرِّ، والمحافظة على الدين، والصلاة، والتقرُّب إلى الله، والبُعد عن النميمة والغيبة وشتْم الناس.

ولمكارمِ الأخلاق فضائل عظيمة، وقد بيَّنها العلماء من خلال القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبويَّة منها:

مكارم الأخلاق من الأعمال التي تُدخِل المسلم الجنة، بل وهي من الأعمال الموصِّلة للفردوس الأعلى، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم:" أَنا زعيمٌ ببيتٍ في ربَضِ الجنَّةِ لمن ترَكَ المراءَ وإن كانَ مُحقًّا، وببيتٍ في وسطِ الجنَّةِ لمن ترَكَ الكذبَ وإن كانَ مازحًا، وببيتٍ في أعلى الجنَّةِ لمن حسَّنَ خُلقَهُ". رواه أبو داود[٢].

---

(١) رواه أحمد في مسنده (١٤/ ٥١٢) برقم (٨٩٥٢). والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع الصغير وزياداته (١/ ٤٦٤).

(٢) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٥٣) برقم (٤٨٠٠) كتاب الأدب باب في حسن الخلق. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٣٠٠).



مكارم الأخلاق سببٌ لمحبَّة الله تعالى لعباده، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم:" أَحَبُّ عبادِ اللهِ إلى اللهِ أحسَنُهُمْ خُلُقًا" أخرجه الطبراني(١).

ومكارم الأخلاق سببٌ لمحبَّة الرسول صلى الله عليه وسلم والقُرْب منه يوم القيامة، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم:" إنَّ مِن أحبِّكم إليَّ وأقربِكُم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ أحاسِنُكم أخلاقًا، وإنَّ أبغَضَكم إليَّ وأبعدَكم منِّي مجلسًا يومَ القيامةِ الثَّرثارونَ والمتشدِّقون والمتفَيهِقونَ. قالوا: يا رسولَ اللهِ؛ قد علِمنا الثَّرثارونَ والمتشَدِّقون، فما المتفَيهِقونَ؟ قال: المتكبِّرونَ". رواه الترمذي(٢).

مكارم الأخلاق كذلك أثقل شيء في الميزان يوم القيامة، فقد قال صلى الله عليه وسلم:" ما من شيءٍ في الميزانِ أثْقلُ من حُسْنِ الخُلُقِ". رواه أبو داود(٣).

مكارم الأخلاق سببٌ لمضاعفة الأجور والثواب، فقد قال صلى الله عليه وسلم:" إنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرجاتِ قائمِ اللَّيْلِ صائمِ النَّهارِ". رواه أحمد وأبو داود(٤).

ولأنَّ الأخلاقَ يمكن اكتسابها؛ فهناك وسائل يستطيع الإنسان من خلالها أن يكتسب حُسن الخُلُق؛ ومن ذلك ما يلي:

سلامة العقيدة: فشأنُ العقيدةِ عظيم، وأمرها جلل؛ فالسلوك- في الغالب- ثمرة لما يحمله الإنسانُ من فكر، وما يعتقدُه من مُعتقَد، وما يدينُ به من دين، والانحرافُ في السلوكِ إنما هو ناتجٌ عن خللٍ في المعتقَد، ثم إنَّ العقيدةَ هي الإيمان، وأكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم أخلاقًا، فإذا صحَّتِ العقيدةُ حسُنت الأخلاق تبعًا لذلك.

كذلك الدعاء: فالدعاءُ باب عظيم، فإذا فُتِح للعبدِ تتابعت عليه الخيراتُ، وانهالت عليه البركاتُ، فمن رغب في التحلِّي بمكارم الأخلاق، ورغب في التخلِّي عن مساوئ الأخلاق؛ فلْيلجأ إلى ربِّه، وليرفعْ

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ١٨١) برقم (٤٧١) بلفظ: "قالوا: فمن أحب عباد الله إلى الله؟ قال: «أحسنهم خلقا»". والحديث صححه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٠).

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٣٧٠) برقم (٢٠١٨) أبواب البر والصلة باب ما جاء في معالي الأخلاق. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٥/ ١٨).

(٣) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٢٥٣) برقم (٤٧٩٩) كتاب الأدب باب في حسن الخلق. والترمذي في جامعه (٤/ ٣٦٣) برقم (٢٠٠٣) أبواب البر والصلة باب ما جاء في حسن الخلق. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (١٠/ ٢٩٩).

(٤) رواه أحمد في مسنده (٤٢/ ٣٤٦) برقم (٢٥٥٣٧). وأبو داود في سننه (٤/ ٢٥٢) برقم (٤٧٩٨) كتاب الأدب باب في حسن الخلق. والحديث صححه الألباني كما في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها (٢/ ٤٢١).

إليه أكفَّ الضراعة، ليرزقه حُسْنَ الخُلُق، ويصرف عنه سيِّئه، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم كثيرَ الضراعة إلى ربِّه يسأله أن يرزقه حُسْن الخُلُق، وكان يقول في دعاء الاستفتاح:" اللهم اهدني لأحسنِ الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلَّا أنت، واصرف عني سيِّئها، لا يصرفُ عنِّي سيِّئها إلَّا أنت" رواه مسلم[١]. كذلك المجاهدة: ذلك أنَّ الخُلُق الحَسَن نوعٌ من الهدايةِ يحصلُ عليه المرء بالمجاهدة، قال عز وجل: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾،[٢] فمن جاهد نفسه على التحلِّي بالفضائل، وجاهدها على التخلِّي عن الرذائلِ، حصل له خير كثير، واندفع عنه شرٌّ مستطير. والمحاسبة: وذلك بنقْدِ النفس إذا ارتكبت أخلاقًا ذميمة، وحمْلها على ألَّا تعود إلى تلك الأخلاقِ مرَّةً أخرى، مع أخْذها بمبدأ الثوابِ إذا أحسنتْ، وأخْذها بمبدأ العقابِ إذا توانتْ وقصَّرتْ، فإذا أحسنتْ أراحها وأجمَّها، وأرسلها على سَجِيتها بعضَ الوقت في المباح، وإذا أساءتْ وقصَّرتْ أخذها بالحزمِ والجدِّ، وحرمها من بعضٍ ما تريد. كما أنَّ المرءِ إذا رغب في مكارم الأخلاق، وأدرك أنها من أولى ما اكتسبتْها النفوس، وأجلُّ غنيمة غنمها الموفَّقون؛ سهُل عليه نيلُها واكتسابُها، وعلو الهمَّة يستلزم الجدَّ والإباء، ونشدان المعالي، وتطلاب الكمال، والترفُّع عن الدنايا، والصغائر، ومُحقِّرات الأمور، والهمَّةُ العالية لا تزالُ بصاحبِها تضربه بسياط اللوم والتأنيب، وتزجرُه عن مواقفِ الذل، واكتساب الرذائل، وحرمان الفضائل، حتى ترفعه من أدنى دركاتِ الحضيض إلى أعلى مقامات المجدِ والسؤدد. قال ابن القيم- رحمه الله-:" فمن علت همَّتُه، وخشعت نفسُه؛ اتَّصف بكلِّ خُلُق جميل، ومن دنت همَّتُه، وطغت نفسُه؛ اتَّصفَ بكلِّ خلق رذيل[٣]".

قال العلَّامة ابن عثيمين- رحمه الله-: وحُسْن الخُلُق يكون بالطبع ويكون بالتطبُّع، وأنَّ حُسْن الخُلُق بالطبع أكمل من حُسْن الخُلُق بالتطبُّع، وذكرنا لذلك دليلًا؛ وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم للأشج بن عبد القيس:" بل جبلك الله عليهما". رواه أبو داود[٤]، وكذلك لأنَّ حُسْن الخُلُق

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٥٣٤) برقم (٧٧١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

(٢) العنكبوت: ٦٩.

(٣) الفوائد لابن القيم (ص: ١٤٤). الفوائد، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

(٤) رواه أبو داود في سننه (٤/ ٣٥٧) برقم (٥٢٢٥) كتاب الأدب باب في قبلة الرجل. والحديث صححه الألباني كما في تخريج أحاديث شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٥٠٢). تخريج أحاديث شرح العقيدة الطحاوية، المؤلف : محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، الطبعة : الثانية –١٤١٤هـ.



بالطبع لا يزول عن الإنسان، لكن حُسْن الخُلُق بالتطبُّع قد يفوت الإنسان في مواطن كثيرة، لأنَّه يحتاج إلى ممارسة، وإلى معاناة، وإلى رياضة ومجاهدة، وإلى تذكُّر ذلك عند حدوث كلِّ ما يثير الإنسان، ولهذا جاء رجل إلى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسول الله؛ أوصني. قال:" لا تغضب". فردَّد مرارًا. قال:" لا تغضب". رواه البخاري[١][٢].

قال الشاعر:

لِكُلِّ شَـــيءٍ زِينَةٌ فِي الْـــوَرَى ... وَزِينَةُ الْمَرْءِ تَمَـــــــامُ الْأَدَبِ

قَـــدْ يَشْـــرُفُ الْمَـــرْءُ بِآدَابِهِ ... فِينَـا وَإِنْ كَـانَ وَضِـيعَ النَّسَـبِ

كُنِ ابْنَ مَنْ شِئْتَ وَاكْتَسِبْ أَدَبًا ... يُغْنِيكَ مَحْمُـــودُهُ عَـنِ النَّـسَبِ[٣]

الخاتمة: إنَّ الأخلاق الحميدة هي من أجمل السُّبُل التي تُوصِّلنا إلى طريق الله عزَّ وجلَّ، فتكون سببًا في كسْب حُبِّه ورضاه، وسبيلًا إلى الجنة، فهي دليل على صفاء النفس وطيبتها، ومن جانب آخر هي ما يقودنا إلى التحضُّر والرُّقي، والازدهار بين المجتمعات، لذلك يجب علينا أن نغرس هذه الأخلاق في نفوس أطفالنا حتى يكبروا عليها، ونتذكَّر دائمًا أقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم وصفاته الكريمة، ولنجعلها دافعًا لنا؛ لنكون قدوة بأخلاقنا الكريمة لكلِّ مَن رآنا.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٨) برقم (٦١١٦) كتاب الأدب باب الحذر من الغضب.

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢٦/ ٥٠٤). مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى : ١٤٢١هـ)، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، الناشر: دار الوطن - دار الثريا، الطبعة: الأخيرة - ١٤١٣هـ.

(٣) ينظر: المستطرف في كل فن مستطرف (ص: ٣١). المستطرف في كل فن مستطرف، المؤلف: شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي أبو الفتح (المتوفى: ٨٥٢هـ)، الناشر: عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.

٢٥ شعبان

وقل ربِّ زدني علمًا (الحثُّ على طلب العلم وفضله)

يُعدُّ العلم من أهم الأمور التي تنهض بالأمم، وترفع من قدرها، حيث إنَّ وسام العلم هو السبيل لتحقيق كل طموح مراد، وكل أمر مرغوب به، لذلك فقد كان العِلم نورًا، هو نور يُضيء المستقبل والحياة، ويمحو الظلام الذي يُسبِّبه الجهل، فكل جهل منبوذ، وفي سبيل ذلك كان العِلم هو الوسيلة التي تُربِّي البشرية نفسها به، حيث يصبح الفرد منَّا في بداية عمره طالبًا للعِلم، فطلب العلم بمثابة المسؤولية، وبذلك كانت هناك بعض الأمور والوصايا التي تساعد طالب العلم في مسيرته، منها الإخلاص في العِلم، والتدرُّج في طلب العلم حيث البدء بالأهمِّ فالأهمِّ، ثم الدراسة على يد أهمِّ العلماء والأدباء، وغيرها من الوصايا التي تنهض بالفرد في سبيل العِلم، فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾[(١)]، ومن رحمته جلَّ وعلا أن ركز في فِطَرِ الناس وخِلْقَتِهم ما يدعوهم إلى التعلُّم، وإلى المعرفة التي بها تصلح أمورهم ويدركون بها مصالح معاشهم؛ ولهذا كان من أمر الله تعالى الذي فَطَر عليه الخلق أن يسعوا إلى إدراك المعارف التي بها يحصل أصل المعاش؛ لهذا يخرج الطفل من بطن أمِّه لا عهد له بطعام ولا بشراب، يخرج على نحوٍ من الفقر والفاقة والحاجة؛ ما لا يُمكن أن يُسدَّ إلَّا برحمة الله عزَّ وجلَّ، وبما يسَّره من الأسباب التي تكفيه، ومن ذلك تعليمه الرضاع أول ما يكون، ثم بعد ذلك تعليمه ما يحتاج إلى تعلُّم؛ تدرُّجًا حتى يكتمل في معرفة مصالحه التي بها يحفظ حياته، ويدرك بها مصالح معاشه، وهذا الجانب من جوانب العلم هو كسْبي من جهة الممارسة والتلقِّي، والأخذ عن البيئة والمحيط الذي يدرك به الإنسان منافعه ومصالحه؛ ولهذا لا خصوصية للإنسان في هذا الجانب فيما يتعلَّق بالجانب المعاشي.

فالناس بل الحيوان على وجه الإجمال يدرك من مصالح معاشه بالفِطْرة والجبلة، وما فطر الله تعالى عليه الخَلْق من طلب مصالحهم، والنأي عن كل ما يضرُّهم.وقد امتنَّ الله تعالى على البشر بمَنٍ عظيمة، أو بِنِعمٍ كثيرة، لكن ليس ثمَّة نعمة امتنَّ الله تعالى بها على الناس تبلغ منزلة العلم بالقرآن؛ ولهذا كان أول ما ذكره الله تعالى من المِنَح التي منَّ بها على الإنسان أن علَّمه القرآن، في سورة الرحمن وهي السورة المتضمِّنة لألوان من المنح والنِّعم، والفضائل والهبات، والعطايا الخلقية

---

(١) النحل: ٧٨.



والكونية، الدينية والدنيوية، يقول الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾[1] ولقد قدَّم تعليم القرآن على الخَلْق؛ لأنه بالخَلْق دون العلم ليس ثمة تميُّز، ولا هناك سمو، ولا هناك ما يوجب المدح والفضل، بل المدح والفضل فيما يُعمِّر به هذا الفؤاد، فيما يسكن نفس الإنسان من هذه المعارف، وينطق بها لسانه؛ ولذلك قال: ﴿**عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾؛ فهذه الآية التي تخصُّ امتنان الله عزَّ وجلَّ على الإنسان كانت في تعليمه القرآن الذي به يصلح باطنُه؛ وقدَّم ذلك لأنَّه الأصل، ثم بتعليمه البيان الذي يَجمُل به ظاهره؛ ولذلك أخَّره لأن جمال الظاهر العاري عن جمال الباطن لا ينفع الإنسان شيئًا، ولقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يستكثر من العلم؛ فدعا ربَّه؛ قال تعالى :﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا﴾[2].قال الإمام الآلوسي: واستدلَّ بالآية على فضل العلم حيث أُمِرَ صلى الله عليه وسلم بطلب زيادته، وذكر بعضهم أنه ما أُمِر صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شيء إلَّا العلم. وأخرج الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:" اللهمَّ انفعني بما علَّمتَني، وعلِّمْني ما ينفعني، وزدني علمًا، والحمد لله على كل حال"، وعن ابن مسعود- رضي الله عنه- أنه كان يدعو:" اللهمَّ زدْني إيمانًا وفقهًا ويقينًا وعلمًا"، وما هذا إلا لزيادة فضْل العلم، وفضْله أظهر من أن يُذكَر، نسأل الله تعالى أن يرزقنا الزيادة فيه ويُوفِّقنا للعمل بما يقتضيه[3].

قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: ويُؤخذ من هذه الآية الكريمة: الأدب في تلقِّي العلم، وأنَّ المستمِع للعلم ينبغي له أن يتأنَّ ويصبر حتى يفرغ المملي والمعلِّم من كلامه المتَّصل بعضه ببعض، فإذا فرغ منه سأل إن كان عنده سؤال، ولا يبادر بالسؤال وقطع كلام ملقي العلم، فإنَّه سبب للحرمان، وكذلك المسئول، ينبغي له أن يستملي سؤال السائل، ويعرف المقصود منه قبل الجواب، فإن ذلك سبب لإصابة الصواب[4]، وطلب العلم يتراوح ما بين فرض عين وفرض كفايةٍ، أي أنّه لا بُدَّ من طلب العلم في الإسلام، وقد حثَّ ورغَّب الإسلام في طلب العِلم والسعي وراء الحِكمة والمعرفة، فهي

---

(١) الرحمن: ١ – ٣.

(٢) طه: ١١٤.

(٣) تفسير الألوسي = روح المعاني (٨/ ٥٧٧). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثان، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ.

(٤) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥١٤).

ضالة المؤمن التي يبحث عنها، وقد جاء في أقوال الأقدمين:" اطلبوا العِلم ولو في الصِّين"، فالعلم غاية النفوس المحبَّة للمعرفة والتَنوير، فبالعلم يُعرَف الخالق جلَّ وعلا، وبه يُعبَد ويُعظَّم، والعلم النافع أداة طيِّعة في يد الإنسان يُذلِّل بها صِعاب الحياة، وتُعينه على تقليل الوقت والمجهود، ولكي يُشجِّع الإسلام الناس على طلب العِلم فقد نصَّت العديد من الآيات في القرآن الكريم على فضل العِلم، ومكانة العلماء وفضلهم على سائر الناس قال تعالى﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[١] أمَّا فضْل السعي لطلب العِلم والسفر لأجله من بلد لآخر؛ أن الطرقات التي يسلكها المتعلِّم تصل به في الدنيا إلى مراده العلمي، وفي الآخرة هذه الطُرقات هي دربه للجنة، قال صلى الله عليه وسلم:" مَن سلك طريقًا يلتَمِس فيه علمًا سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنَّة". رواه مسلم[٢].

ولقد اعتنى أحمد شوقي في قصائده بالحديث عن فضْل العِلم، ومدى أهمية العلم في حياتنا، وأنَّ الثقافة هي عزُّ الشعوب والسبيل في استقلالها ونهضتها، فيقول:

عـزُّ الشـعوب بِعلـمٍ تَستقلُّ بـه ... يا ذُلَّ شـعبٍ عليـهِ العِلـمُ قـد هـانا
فعلِّموا الناس إنْ رُمتُم فلاحهـم ... إنَّ الفـلاحَ قـرين العلـمِ مُـذ كـانا
لا تُطرِ حيًّا ولا ميتًا وإنْ كرُمـا ... حتى ترى لهمـا بالخَلْق إحسـانا[٣]

والخلاصة: أنَّ فضائل طلب العلم عظيمة وثماره قويمة، يكفي شرفًا لأهل العلم أنَّ الله عزَّ وجلَّ استشْهَدهم على ما شَهِدَ به هو تبارك وتعالى؛ قال عزَّ وجلَّ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٤] الملائكة شهدوا وأولوا العلم أيضًا شهدوا أن لا إله إلا الله. وأنَّ العلماء هم ورثة الأنبياء، قال النبي صلى الله عليه وسلم:" وإنَّ العُلَماءَ ورثةُ الأنبياءِ، وَإنَّ الأنبياءَ لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، إنَّما ورَّثوا العلمَ، فمَن أخذَهُ

(١) الزمر: ٩.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤) برقم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

(٣) الأبيات من قصيدة لأحمد شوقي بعنوان (العلم والبر هذا مهرجانهما). ينظر: https://www.aldiwan.net/poem7124.html.

(٤) آل عمران: ١٨.

أخذَ بحظٍّ وافرٍ". رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه[١]، والأنبياء لم يتركوا لنا مالًا أو جواهر، أو ذهبًا أو فضة، وإنَّما تركوا لنا العلم، الذي عنده العلم قد أخذ أوفر الحظوظ، فلا شيء في الدنيا أشرف من العلم. كما رفَع الله عزَّ وجلَّ قدر أهل العلم لا لحسب ولا لجاه ولا لمال، وإنَّما بسبب العلم﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾[٢].

(١) رواه أبو داود في سننه (٣/ ٣١٧) برقم (٣٦٤١) كتاب العلم باب الحث على طلب العلم. والترمذي في جامعه (٥/ ٤٨) برقم (٢٦٨٢) أبواب العلم باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة. وابن ماجه في سننه (١/ ٨١) برقم (٢٢٣) افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم. والحديث حسنه الألباني كما في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (١/ ٢٠٤).

(٢) المجادلة: ١١.

٢٦ شعبان

آداب المُعلِّم والمُتعلِّم

كلُّنا يعلم أنَّ أول ما نزل من القرآن الكريم أن أمَر الله تعالى نبيَّه صلى الله عليه وسلم بالقراءة﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ② ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ③ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ④ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[١]، ثم أقسم في سورة القلم بالكتابة وأدواتها فقال تعالى﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[٢]، ثم تتالت الآيات في بيان فضل العلم كقوله تعالى﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ﴾[٣]، وفي الحثِّ على التعلُّم كقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ﴾[٤]، وتمَّت معجزة الدين بالقضاء على ظلام الجهل والخرافة والأمِّيَّة، ونشْر مشاعل العلم والحكمة، والحضارة والمعرفة، في أرجاء الأرض، وليس هناك من دين سماوي، أو نظام وضعي، حضَّ على العلم وقدَّسه، وأمر بتحصيله وتحكيمه، في كل خطوة من خطوات الحياة، وفي كل ميادينها كما فعل الإسلام؛ ففي وقت كان العلم محظورًا على الرعاع من الناس، ومقصورًا على طبقة الأشراف والنبلاء، لم يُبح الإسلام العلم؛ وإنَّما جعله فريضة على جميع معتنقيه، قال صلى الله عليه وسلم:" طلب العلم فريضة على كل مسلم". رواه ابن ماجه[٥]. وجعل العلم طريقًا إلى الفوز بالجنة فقال صلى الله عليه وسلم:" من سلك طريقًا يطلب فيه علمًا سلك الله به طريقًا إلى الجنة". رواه مسلم[٦]، وجعل طالبه حبيب الملائكة الذين يقومون بتأييده ومعونته، قال صلى

---

(١) العلق: ١ – ٥.

(٢) القلم: ١.

(٣) الأنعام: ١٤٨.

(٤) التوبة: ١٢٢.

(٥) أخرجه ابن ماجه في السنن ١/ ٨١، المقدمة، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (١٧)، الحديث (٢٢٤). في الزوائد: إسناده ضعيف، لضعف حفص بن سليمان. وقال السيوطي: سُئل الشيخ محي الدين النوويّ رحمه الله تعالى عن هذا الحديث، فقال: إنه ضعيف، أي سندًا، وإن كان صحيحًا، أي معنى. وقال تلميذه جمال الدين المزّيّ: (هذا الحديث روي من طرق تبلغ رتبة الحسن). وهو كما قال، فإني رأيت له خمسين طريقًا، وقد جمعتها في جزء. انتهى كلام السيوطي. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩١٣).

(٦) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤) برقم (٢٦٩٩) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

الله عليه وسلم:" إنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع". رواه أحمد والترمذي[(١)]، وبيَّن أنَّ القليل منه خير من كثير العبادة فقال صلى الله عليه وسلم:"يَا أَبَا ذَرٍّ؛ لَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ؛ وَلَأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ بِهِ؛ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ". رواه ابن ماجه[(٢)].

والعلم عبادة، ومن الواجب أن يكون القصد فيه خالصًا لله تعالى خاليًا من الشوائب والغايات الدنيوية، فلا يكون فيه رياء وطلب سمعة وشهرة، وإنما يُقصَد به وجه الله وحده، ومن الأغراض الدنيوية التي تقدح في هذا الإخلاص التعلُّم بقصد حب الظهور، والتفوُّق على الآخرين، أو لنوال منصب أو جاه أو مال أو تعظيم، وكذلك يجب على المتعلِّم ألا يطلب العلم ليحصل على إعجاب الناس وثنائهم، فهذه الأهداف تُفسد النية وتذهب بركة العلم، إنما الواجب أن تكون الغاية هي طلب رضا الرحمن بالاشتغال بالعلم، ولمحو الجهل عن النفس وعن الآخرين.

إن للعالم والمتعلِّم آدابًا ينبغي أن يتحلَّيا بها، ويمكن أن نوجز آداب العالم في نفسه في الأمور التالية:

أن يقصِد بتعليمه وجه الله تعالى، ولا يقصد توصُّلًا إلى غرضٍ دنيوي؛ كتحصيل مالٍ أو جاهٍ أو شهرةٍ أو سمعةٍ أو تميُّزٍ عن الأشباه، أو تكثُّر بالمشتغلين عليه، أو نحو ذلك، وأن يتخلَّق بالمحاسن التي ورد الشرع بها، وحثَّ عليها، والخصال الحميدة، والشِّيم المرضية التي أرشد إليها مِن التزهُّد في الدنيا، والتقلُّل منها، وعدم المبالاة بفواتها، والسخاء والجود، ومكارم الأخلاق، وطلاقة الوجه من غير خروجٍ إلى حدِّ الخلاعة، والحلم والصبر، وملازمة الورع والخشوع، والسكينة والوقار، والتواضع والخضوع، واجتناب الضَّحِك والإكثار مِن المزاح. كذلك ملازمة الآداب الشرعية الظاهرة والخفيَّة؛ كالتنظيف بإزالة الأوساخ، وتنظيف الإبط، وإزالة الروائح الكريهة، واجتناب الروائح المكروهة، وتسريح اللِّحية، والحذَر مِن الحسد والرياء والإعجاب واحتقار الناس، وإن كانوا دونه بدرجاتٍ. وأيضًا دوام مراقبتِه لله تعالى في علانيتِه وسرِه، ومحافظته على قراءة القرآنِ، ونوافل الصلوات والصوم وغيرهما، مُعتمِدًا على اللهِ تعالى في كل الأحوال.

---

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٠/ ٩) برقم (١٨٠٨٩). والترمذي في جامعه (٥/ ٥٤٥) برقم (٣٥٣٥) أبواب الدعوات باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/ ٣٥).

(٢) رواه ابن ماجه في سننه (٧٩/١) برقم (٢١٩) افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل من تعلم القرآن وعلمه. والحديث ضعفه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (١/ ٢٩١).

أمَّا عن آداب العالم مع طلَّابه: فيجب على المعلِّم أن يقصد بتعليمه وجه الله تعالى، وينبغي أن يحُثَّ طلابَه على الإخلاص في طلب العلم، وفي جميعِ أمور حياتهم، وينبغي أن يُرغّب الطالب في العلم، ويُذكِّره بفضائله وفضائل العلماء وأنهم ورثة الأنبياء، ولا رتبة في الوجود أعلى من هذه، وأن يحنو على الطالب، ويعتني بمصالحه كاعتنائه بمصالح نفسِه وولده، ويُجريه مجرى ولده في الشَّفقة عليه، والاهتمام بمصالحه، والصبر على جَفائه وسوءِ أدَبه، ويعذِره في سوءِ أدبٍ وجفوةٍ تعرِضُ منه في بعض الأحيان، وأن يكون سَمْحًا ببذْل ما حصَّله من العلم، سهلًا بإلقائه إلى مبتغيه، متلطِّفًا في إفادتِه طالبيه؛ مع رِفْقٍ ونصيحةٍ وإرشادٍ إلى المهمَّات، ولا يدَّخِر عن طلَّابه من أنواع العلم شيئًا يحتاجون إليه، إذا كان الطالبُ أهلًا لذلك، وأن يكون حريصًا على تعليم طلابه، مهتمًّا بهم، مؤثِرًا لهم على حوائجِ نفسه ومصالحه، ما لم تكن ضرورة، ويرحب بهم عند إقبالهم إليه، ويُظهِر لهم البِشْر وطلاقة الوجه، ويُحسِن إليهم بعلمه وماله وجاهه بحسب التيسير، وينبغي أن يُحرِّض طلابه على الاشتغال في كل وقت، ويطالبهم في أوقات بإعادة محفوظاتهم، ويسألهم عما ذكَره لهم من المهمَّات، فمَن وجده حافظه مراعيًا له أكرمه وأثنى عليه، وأشاع ذلك، ما لم يَخَفْ فساد حاله بإعجابٍ ونحوه، ومَن وجده مُقصِّرًا عنَّفه، إلا أن يخافَ تنفيره، ويُعيده حتى يحفظه حفظًا راسخًا.

أما عن آداب طالب العلم: فالإخلاص لله تعالى في طلب العلم، وأن يقطع العلائق الشاغلة عن كمال الاجتهاد في التحصيل، ويرضى باليسير من القُوت، ويصبِر على ضِيق العيش، وينبغي له أن يتواضع للعلم وللمعلِّم؛ فبتواضعه يناله، ويجب أن ينظر إلى مُعلِّمِه بعين الاحترام.

كذلك مِن آداب المتعلِّم أن يتحرَّى رضا المعلِّم، وإن خالف رأيَ نفسه، ولا يغتابَ عنده أحدًا، ولا يفشيَ له سرًّا، وأن يردَّ غَيبتَه إذا سمعها، فإن عجز فارق ذلك المجلس، ولا يدخل الطالب على العالم بغير إذن، وإذا دخل جماعة قدَّموا أفضلهم وأكبرهم سنًّا، وأن يدخل على الشيخِ كامل الهَيبة، فارغ القلب مِن الشواغل، وهو حسن المظهر والرائحة، ولا يرفع الطالب صوته في مجلس شيخه رفعًا شديدًا من غير حاجة، ولا يضحك ولا يكثر الكلام بلا حاجة، ولا يعبَث بيده ولا غيرها، ولا يلتفِت بلا حاجة، ويُقبل الطالب على الشيخ مُصغيًا إليه، ولا يسبقه إلى شرحِ مسألة، أو جواب سؤال، إلا أن يعلَمَ رضَا الشيخِ عن ذلك، وينبغي على الطالب أن يصبر على جفوة شيخه، وسُوء خُلقه، ولا يصُدَّه ذلك عن ملازمته، وإذا جاء الطالب مجلس الشيخِ فلم يجِدْه؛ انتظَره ولا يفوت درسَه، إلا أن يخافَ كراهةَ الشيخ لذلك، بأن يعلَمَ مِن حاله الإقراءَ في وقت بعينه، فلا يشق عليه



بطلب القراءةِ في غيره، قال الخطيبُ: إذا وجَد الشيخَ نائمًا لا يستأذن عليه، بل يصبِرُ حتى يستيقظَ أو ينصرف، والاختيار: الصَّبر(١).

كما ينبغي على الطالب أن يغتنم التحصيل في وقت الفراغ والنشاط، وحال الشباب وقوَّة البدن وقلَّة الشواغل، وأول ما يبتدئ به الطالب هو حفظ القرآنِ العزيز؛ فهو أهمُّ العلوم، وكان السلف لا يُعلِّمون الحديث والفقه إلا لمن حفظ القرآن، وإذا حفظه فليحذَرْ من الاشتغال عنه بالحديث والفقه وغيرهما اشتغالًا يُؤدِّي إلى نسيانِ شيء منه، أو تعريضه للنسيان، وبعد حِفظ القرآنِ يحفظ الطالب مِن كلِّ فنٍّ مُختصرًا، ويبدأ بالأهمِّ، ومن أهمِّها الفقه والنحو، ثم الحديث والأصول، ثم الباقي على ما تيسَّر، وينبغي على الطالب أن يُرشدَ رفقته وغيرهم من الطلبة إلى مواطن الاشتغال والفائدة، ويذكر لهم ما استفاده على جهةِ النصيحة والمذاكرة، وبإرشادهم يُبارَك له في علمه، ويستنير قلبه، وتتأكَّد المسائل معه، مع جزيل ثوابِ الله عز وجل، ولا يحسد أحدًا، ولا يحتقره، ولا يُعجَب بفهمه؛ فإن العُجْبَ آفةُ العِلم. وعليه أوَّلًا وأخيرًا باحترام المعلِّم:

قُمْ للمعلِّمِ وفِّه التبجيلا ... كاد المعلِّمُ أن يكونَ رسولا
أرأيتَ أعظمَ أو أجلَّ مِن الذي ... يَبني ويُنشئُ أنفُسًا وعُقُولا(٢)

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (١/ ١٥٨). الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، المؤلف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، المحقق: د.محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض.

(٢) ينظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٧/ ٣٠٠).

٢٧ شعبان

آفات العلم

الجدُّ في السير إلى الله لا شكَّ أنه يحتاج إلى زاد، وإنَّ من أفضل الزاد الذي يقلُّ فيه الفساد على طول المكث هو العلم الصحيح المبنيُّ على الكتاب والسُّنَّة الذي يحثُّ حامله على العمل ويطرق في قلبه بمطارق الرجاء الحقَّ والأمل ، وينفض عنه شوائب الإحباط والكسل، ويحول بينه وبين القسوة وطول الأمد؛ فإذا بدأ السائر على الدرب في جمْع هذا الزاد؛ لا شك أنه يواجه العقبات، وتعتريه الآفات، فوجب عليه تنقية الحِمْل ممَّا علق به، حتى إذا حان الموعد، وبدأ الرحيل؛ وجد ما حمَل في أنقى صورة، وأبهى سريرة، فسُرَّ به وسعد.

والآفة لغة:كل ما يصيب شيئًا فيفسده من عاهة أو مرض أو قحط، ويقال:آفة العلم النسيان[(١)]. واصطلاحًا: هي جملة من المظاهر، والآداب التي تتناقض مع أخلاقيات العلم المرغوبة، والتي تُفسِد المقصد من العلم، وتُحرِّف مساره السليم، ومن أبرز آفات العلم:

١- عدم إخلاص النية لله تعالى في طلب العلم: ولقد حذَّر النبي صلى الله عليه وسلم من أن يكون مقصد العلم لغير وجه الله تعالى فقال:" من تعلَّم علمًا ممَّا يُبتغَى به وجه الله، لا يتعلَّمه إلا ليصيب به عرضًا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة" يعني ريحها، رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه[(٢)]. قال سماحة الشيخ ابن باز- رحمه الله-: هذا الحديث من أحاديث الوعيد التي عند السلف تجرى على ظاهرها؛ لأن ذلك أعظم في الزجر، وحكمه حكم سائر أهل المعاصي[(٣)]. فأهل العلم مطالبون بتصحيح النية حتى يخلُص العمل لله وحده، لا يشوبه شيء من حب المال، أو حب الجاه والمنزلة والشهرة عند الناس.

---

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ١٣٩). معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٢) رواه أحمد في مسنده (١٤/ ١٦٩) برقم (٨٤٥٧). وأبو داود في سننه (٣/ ٣٢٣) برقم (٣٦٦٤) كتاب العلم باب في طلب العلم لغير الله تعالى. وابن ماجه في سننه (١/ ٩٢) برقم (٢٥٢) افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب الانتفاع بالعلم والعمل به. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٨/ ١٦٤).

(٣) من أسئلة وجهت للشيخ عليه رحمة الله ضمن برنامج نور على الدرب. ينظر موقع الشيخ رحمه الله:



قال الإمام الغزالي- رحمه الله-: اعلم أنَّ الرياء مشتق من الرؤية، والسُّمعة مشتقة من السماع، وإنما الرياء أصله طلب المنزلة في قلوب الناس بإيرائهم خصال الخير؛ إلا أنَّ الجاه والمنزلة تُطلَب في القلب بأعمال سوى العبادات، وتُطلَب بالعبادات(١).

٢- كتمان العلم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾(٢)، قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: هذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب، وما كتموا من شأن الرسول صلى الله عليه وسلم وصفاته، فإن حكمها عام لكل من اتَّصف بكتمان ما أنزل الله {مِنَ الْبَيِّنَاتِ} الدالات على الحق المظهِرات له، {وَالْهُدَى}، وهو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم، ويتبيَّن به طريق أهل النعيم من طريق أهل الجحيم، فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم، بأن يُبيِّنوا للناس ما منَّ الله به عليهم من علم الكتاب ولا يكتموه، فمن نبذ ذلك وجمع بين المفسدتين: كتمِ ما أنزل الله، والغشِّ لعباد الله؛ فأولئك {يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ} أي: يُبعدهم ويطردهم عن قُرْبه ورحمته، {وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} وهم جميع الخليقة، فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة، لسعيهم في غشِّ الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم من رحمة الله، فجُوزوا من جنس عملهم، كما أنَّ مُعلِّم الناس الخير، يُصلِّي الله عليه وملائكته، حتى الحوت في جوف الماء، لسعيه في مصلحة الخَلْق، وإصلاح أديانهم، وقُرْبهم من رحمة الله، فجُوزي من جنس عمله، فالكاتم لما أنزل الله، مضاد لأمر الله، مُشاقٌّ لله، يُبيِّن الله الآيات للناس ويُوضِّحها، وهذا يطمسها، فهذا عليه هذا الوعيد الشديد(٣).

٣- القول على الله بلا علم: وهو عين الكذب عليه تعالى، ولم يُبحِ الله عزَّ وجلَّ لأحدٍ أن يتقوَّل عليه، ولا أن يرفع إليه ما لم يقُلْه، حتى قال عن خليله وصفيِّه محمد صلى الله عليه وسلم، وقد عصمه؛ قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَقَوَّلَ عَلَيۡنَا بَعۡضَ ٱلۡأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذۡنَا مِنۡهُ بِٱلۡيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذۡكِرَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعۡلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ﴾(٤) قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: لا أحد أعظم ظلمًا، ولا أكبر جرمًا، ممَّن كذب على الله بأن

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٢٩٧).

(٢) البقرة: ١٥٩ – ١٦٠.

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٧٧).

(٤) الحاقة: ٤٤ – ٤٩.



نسب إلى الله قولًا أو حكمًا وهو تعالى بريء منه، وإنما كان هذا أظلم الخَلْق؛ لأن فيه من الكذب، وتغيير الأديان أصولها وفروعها ونسبة ذلك إلى الله ما هو من أكبر المفاسد(١).

قال ابن القيم- رحمه الله-: القول على الله بلا علم هو أشدُّ هذه المحرَّمات تحريمًا وأعظمها إثمًا، ولهذا ذُكِر في المرتبة الرابعة من المحرَّمات التي اتَّفقت عليها الشرائع والأديان، ولا تباح بحال، بل لا تكون إلا مُحرَّمة، وليست كالميتة والدم ولحم الخنزير، الذي يباح في حال دون حال(٢).

٤- إذلال أهل العلم للعلم: لقد قعَّد السلف- رضوان الله عليهم- قاعدة من القواعد الجامعة فقالوا: العلم يُؤتَى إليه، ولا يأتي إلى أحد. قال الإمام الشافعي ناصحًا:

اِرحَل بِنَفسِكَ مِن أَرضٍ تُضامُ بِها ... وَلا تَكُن مِن فِراقِ الأَهلِ في حُرَقِ
وَالكُحلُ نَوعٌ مِنَ الأَحجارِ تَنظُرُهُ ... في أَرضِهِ وَهوَ مُرمِيٌّ عَلى الطُرُقِ
لَمّا تَغَرَّبَ حازَ الفَضلَ أَجمَعَهُ ... فَصارَ يُحمَلُ بَينَ الجَفنِ وَالحَدَقِ(٣)

٥- فقد الخشية فيه: قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾(٤)، وعن ابن مسعود- رضي الله عنه- أنه قال: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية(٥).

٦- المراء والمخاصمة والجدال: وعن أبي أمامة- رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" مَا ضَلَّ قومٌ بعدَ هُدًى كانوا عليهِ إلَّا أوتوا الجدَلَ، ثمَّ تلا رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم هذهِ الآيةَ" مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ" ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ (٦). رواه أحمد والترمذي(٧) وابن ماجه، وكان الإمام الشافعي- رحمه الله- يحلف ويقول: ما ناظرت أحدًا إلا على النصيحة(٨).

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٦٥).
(٢) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (١/ ٣٧٨).
(٣) نظر: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي (٨/ ٦٩).
(٤) فاطر: ٢٨.
(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٥٤٥).
(٦) الزخرف: ٥٨.
(٧) رواه أحمد في مسنده (٣٦/ ٤٩٣) برقم (٢٢١٦٤). والترمذي في جامعه (٥/ ٣٧٨) برقم (٣٢٥٣) أبواب تفسير القرآن باب ومن سورة الزخرف. وابن ماجه في سننه (١/ ١٩) برقم (٤٨) افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة والعلم باب اجتناب البدع والجدل. والحديث حسنه الألباني كما في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٦٩).
(٨) ينظر: آداب الشافعي ومناقبه (ص: ٦٩). آداب الشافعي ومناقبه، المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ)، كتب كلمة عنه: محمد زاهد بن الحسن الكوثري، قدم له وحقق أصله وعلق عليه: عبد الغني عبد الخالق، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٧- النِّسْيَانُ: فعن ابن عمر- رضي الله عنهما- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الإِبِلِ المعَقَّلَةِ، إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ". متفق عليه. قال النسابة البكريّ: إن للعلم آفة ونكدًا وهُجْنَة واستجاعة، فآفته نسيانه، ونكده الكذب فيه، وهُجْنته نَشْره فِي غير أهله، واستجاعته أن لا تشبع منه[1].

٨- الغرور: وهو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى، ويميل إليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان، وآفة الغرور لأهل العلم من خفِيّ التلبيس. قال ابن الجوزي- رحمه الله-: إنَّ أقوامًا علت هممهم فحصَّلوا علوم الشرع من القرآن والحديث والفقه والأدب وغير ذلك، فأتاهم إبليس يُخفي التلبيس فأراهم أنفسهم بعين عظيمة؛ لما نالوا وأفادوا غيرهم، فمنهم من يستفزُّه لطول عنائه فِي الطلب، فحسَّن لَهُ اللذَّات وقال لَهُ: إِلَى متى هَذَا التعب؟ فأرحْ جوارحك من كلف التكاليف، وافسح لنفسك من مشتهاها، فإن وقعتَ فِي زلة فالعلم يدفع عنك العقوبة، وأورد عَلَيْهِ فضل العلماء، فإن خذل هَذَا العبد وقبل هَذَا التلبيس يهلك، وقد لبس إبليس عَلَى أقوام من المحكمين فِي العلم والعمل من جهة أخرى؛ فحسَّن لهم الكبر بالعلم، والحسد للنظير، والرياء لطلب الرياسة، فتارة يريهم أن هَذَا كالحق الواجب لهم، وتارة يُقوِّي حُبَّ ذلك عندهم، فلا يتركونه مَعَ علمهم بأنه خطأ[2].

الخلاصة: لما كان العلماء وطلبة العلم هم صفوة الصفوة من الناس؛ كان قليل الزلل في أخلاقهم كبيرًا عند الناس، فقد وجب أن يُطهِّروا النفوس، لا من أجل أن ينتفعوا هم بالعلم، ولكن من أجل أن ينفع الله بعلمهم، ويفتح لهم قلوب خلقه.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٦/ ١٩٣) برقم (٥٠٣١) كتاب فضائل القرآن باب: استذكار القرآن وتعاهده. ومسلم في صحيحه(١/ ٥٤٣) برقم (٧٨٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الأمر بتعهد القرآن، وكراهة قول نسيت آية كذا، وجواز قول أنسيتها.

(٢) ينظر: تلبيس إبليس (ص: ١١٦).

٢٨ شعبان

صوم يوم الشك

يُعدُّ شهر رمضان المبارك من الشهور التي فضَّلها الله عز وجل وميَّزها عن غيرها، فهو الشهر الذي أنزل فيه القرآن الكريم؛ هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان.

وفي هذا الشهر تتنزَّل رحمات المولى عز وجل على عباده؛ فيتلمس المسلمون خيراتها، حيث يطَّلع سبحانه على الصائمين والقائمين فيغفر لهم، ويكتب لهم عتقًا من النار، ويحرص المسلمون في كل بقاع الأرض على تحرِّي هلال شهر رمضان؛ لأن الصيام يشرع تبعًا لرؤيته، ولكن بعض المسلمين ينوي صيام يومٍ قبل تأكيد رؤية الهلال؛ ليضمن صيام رمضان كلِّه، ويخرج من الشك إلى اليقين، فما هو يوم الشك؟ وما حكم صيامه؟

أما عن تعريف وتحديد يوم الشك؛ فقد اختلف أهل العلم في تعريفه على أقوال:

القول الأول: أن يوم الشك هو يوم الثلاثين من شعبان؛ إذا كانت ليلته صافية ليس فيها غيم، ولم يتراءَ الناس الهلال، أو شهد برؤيته من لا تُقبَل شهادته، وبه قال الشيخ البهوتي فقال: يوم الشك يوم الثلاثين من شعبان إن لم يكن في السماء مطلع الهلال من غيم أو قتر ونحوهما، ولم يُرَ الهلال أو شهد به من رُدَّت شهادته بفسق ونحوه، وكذا في الإنصاف للمرداوي[1].

القول الثاني: يوم الشك هو اليوم الذي تراءى الناس الهلال ولم يثبت حتى جاوز وقت الرؤية، وكان دون منظر الهلال شيء من سحاب أو غيره، وهو الذي يُسمَّى يوم الإغمام، وهذا اليوم الذي انفرد الإمام أحمد عن الجمهور بصومه، وليس صوم يوم الشك، وقد التبس على كثير من المؤلِّفين، ونسبوا لمذهب أحمد الصوم يوم الشك، وهذا خطأ على الإمام أحمد وعلى مذهبه، فإنَّ مذهبه تحريم صوم يوم الشك.

---

(١) ينظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٧/ ٥٣٥)، كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ٣٤١). الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (المطبوع مع المقنع والشرح الكبير)، المؤلف: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان بن أحمد المرْداوي (المتوفى: ٨٨٥ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي - الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة - جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م كشاف القناع عن متن الإقناع، المؤلف: منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتى الحنبلى (المتوفى: ١٠٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية.



القول الثالث: وهو قول جمهرة فقهاء المسلمين، وهو قول علي بن أبي طالب، وعائشة، وابن عمر- رضي الله عنهم أجمعين-، وابن سيرين، وبه قال الإمام أبو حنيفة. قال السرخسي: ومعنى الشك أن يستوي طرف العلم وطرف الجهل بالشيء، وإنما يقع الشك من وجهين: إما إن غم هلال شعبان فوقع الشك أنه اليوم الثلاثين منه، أو الحادي والثلاثون، أو غم هلال رمضان فوقع الشك في اليوم الثلاثين أنه من شعبان أو رمضان(١).

قال النووي: قال أصحابنا يوم الشك هو يوم الثلاثين من شعبان إذا وقع في ألسنة الناس أنه رُئي، ولم يقلْ عدلٌ إنه رآه، أو قاله عدد من النساء، أو الصبيان، وهذا الحد لا خلاف فيه عند أصحابنا، قالوا: فأمَّا إذا لم يتحدَّث برؤيته أحد فليس بيوم شك، سواء كانت السماء مصحية أو أطبق الغيم، هذا هو المذهب، وبه قطع الجمهور(٢).

وإلى هذا ذهب سماحة الشيخ ابن باز- رحمه الله-، وقد نصَّ بقوله: يوم الثلاثين من شعبان إذا لم تثبت رؤية الهلال؛ فإنه يوم شك لا يجوز صومه في أصح قولي العلماء، سواء كان صحوًا أو غيمًا(٣).

ويوم الشك بين الحساب الفلكي والرؤية البصرية مسألة تظهر قبيل حلول شهر رمضان في كل عام؛ وهي مسألة اعتماد الحساب الفلكي بهدف الخروج من دائرة الشك في ثبوت دخول الشهر الفضيل، إلَّا أنَّ للعلماء في هذه المسألة بيانًا وتفصيلًا، فإن الاعتماد على الحساب الفلكى فى إثبات دخول شهر رمضان ينطوي على مخاطر جسيمة، ولعل أهمها: إسقاط الرؤية البصرية كمرجع في المسألة، وهي العلَّة الشرعية المعتبَرَة الموجِبة للصوم والإفطار، وهذا يعني إحداث علَّة جديدة للصوم والفطر لم يشرعها الله تعالى، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن أبي هريرة- رضي الله عنه-:" صوموا لرؤيَتِهِ وأفطِروا لرؤيتِهِ، فإنْ غُبِّيَ عليكم فأكملوا

---

(١) ينظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٢/ ٥٥٣). شرح الزركشي، المؤلف: شمس الدين محمد بن عبد الله الزركشي المصري الحنبلي (المتوفى: ٧٧٢هـ)، الناشر: دار العبيكان، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٢) المبسوط للسرخسي (٣/ ٦٣). المبسوط، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٣) المجموع شرح المهذب (٦/ ٤٠١). المجموع شرح المهذب ((مع تكملة السبكي والمطيعي))، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، الناشر: دار الفكر.



عدةَ شعبانَ ثلاثينَ". رواه البخاري ومسلم[١]، وللحديث عن عبد الله بن عمر- رضي الله عنهما- أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إذا رأَيتُموه فصوموا، وإذا رأَيتُموه فأَفطِروا، فإن غُمَّ عليكم فاقدُروا له". رواه البخاري ومسلم،[٢].

والمقصود من هذه الأحاديث الشهادة البيِّنة العادلة، لا أن يرى كلُّ واحد الهلال بنفسه، والاعتماد على الحساب الفلكي إهدار لهذا المطلب والمقصد الشرعي، بل إسقاط لحجية الرؤية الشرعية، وهو كذلك شذوذ عن إجماع من يُعتدُّ به من أهل الفقه في المذاهب المعتبَرة، ولقد أجمع الفقهاء على وجوب الالتزام بالعلَّة الشرعية للشروع بالصوم، وهي الرؤية البصرية للهلال، وأجمعوا على رفض الأخذ بالحساب الفلكي سواء كان ذلك في حالة الصحو وصفاء السماء أم في حالة الغيم واضطراب الرؤية، وشذّ عن الإجماع طائفة من المتأخِّرين، ولا عبرة بمعارضتهم وشذوذهم مع انعقاد الإجماع الفقهي قبله، فضلًا عن أنه جرى العمل عبر العصور الإسلامية السالفة على اعتماد الرؤية البصرية بالرغم من كونهم قد برعوا في علم الفلك، وأنشأوا له المراصد، لكنهم منعوه من الدخول فى مجال العلل الشرعية للأحكام. هذا وقد تباينت مذاهب الفقهاء في مسألة صيام آخر يومٍ في شهر شعبان على أقوال عدَّة، وبيانها فيما يأتي:

القول الأول: النهي عن صيامه بحقِّ مَن نوى صيامه من باب الاحتراز لإدراك شهر رمضان من أوله، وقد فرَّق عبد الله ابن عمر- رضي الله عنهما- في المسألة من حيث كون يوم الثلاثين من شهر شعبان صحوًا أم غيمًا[٣]، ووافقه في ذلك أحمد بن حنبل- رحمه الله-[٤].

---

(١) مجموع فتاوى ابن باز (١٥/ ٤٠٨).

(٢) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٧) برقم (١٩٠٩) كتاب الصوم باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إذا رأيتم الهلال فصوموا، وإذا رأيتموه فأفطروا». ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٦٢) برقم (١٠٨١) كتاب الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، والفطر لرؤية الهلال، وأنه إذا غم في أوله أو آخره أكملت عدة الشهر ثلاثين يوما.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٥) برقم (١٩٠٠) كتاب الصوم باب: هل يقال رمضان أو شهر رمضان، ومن رأى كله واسعا. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٦٠) برقم (١٠٨٠) كتاب الصيام باب وجوب صوم رمضان لرؤية الهلال، والفطر لرؤية الهلال، وأنه إذا غم في أوله أو آخره أكملت عدة الشهر ثلاثين يوما.

(٤) ينظر: كشف اللثام شرح عمدة الأحكام (٣/ ٤٨٥)؛ عون المعبود وحاشية ابن القيم (٦/ ٣٢٨). كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، المؤلف: شمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ)، اعتنى به تحقيقا وضبطا وتخريجا: نور الدين طالب، الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - الكويت، دار النوادر — سوريا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، المؤلف: محمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، الناشر: دار



القول الثاني: ذهب جمهور أهل العلم إلى إباحة صيامه لمن كان له عادة صيام في أيام التطوُّع والنوافل، مثل يومَي الإثنين والخميس ووافق يوم الشك صيام تطوُّع، أو كان صيامه بسبب قضاء واجب فائت، أو كان بنيَّة أداء كفارة أو نذرٍ ونحو ذلك(١).

القول الثالث: ذهبت طائفة من السلف إلى النهي عن صيام يوم الشك مطلقًا؛ وذلك لضرورة الفصل بفطر قبل البدء بصوم شهر رمضان(٢).

القول الرابع: كره بعض السلف صوم يوم الشك بنيَّة التطوُّع المطلَق، بينما لم يرَ الإمام مالك- رحمه الله- بأسًا ولا حرجًا في ذلك، وذهب الإمام الشافعي- رحمه الله- إلى التفريق في المسألة، فأباحه بحق من وافق عادة صيام عنده دون سواه(٣).

وخلاصة القول: أن أكثر المحقِّقين من أهل العلم ذهبوا إلى النهي عن تقديم شهر رمضان بصوم يوم أو يومين، إلَّا لمن كانت عادته صيامه لموافقته لسُنَّة راتبة، واستندوا في ذلك لحديث أبي هريرة- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لا تقْدُموا رمضانَ بصومِ يومٍ ولا يومينِ، إلَّا رجلٌ كان يصومُ صومًا، فلْيصمْه". رواه البخاري ومسلم(٤).

وأختم كلامي بسؤال وُجِّه لسماحة الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- عن صيام يوم الشك فقال: وأمَّا صيام يوم الشك، وهو يوم الثلاثين من شعبان، إذا كانت الليلة ليلة الثلاثين مغيمة أو فيها ما يمنع رؤية القمر، فإنه منهيٌ عنه، لقول عمار بن ياسر- رضي الله عنه-:" من صام اليوم الذي يشكُّ فيه فقد عصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم". رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه(٥)(٦).

الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ.

(١) ينظر: شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٢/ ٥٥٣)؛ لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٤٤).

(٢) ينظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٧/ ٥٣٣).

(٣) نظر: كشف اللثام شرح عمدة الأحكام (٣/ ٤٨٥).

(٤) ينظر تفصيل المسألة في: لطائف المعارف لابن رجب (ص: ١٤٣- ١٤٤)؛ الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٧/ ٥٣٣).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٢٨) برقم (١٩١٤) كتاب الصوم باب: لا يتقدم رمضان بصوم يوم ولا يومين. ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٦٢) برقم (١٠٨٢) كتاب الصيام باب لا تقدموا رمضان بصوم يوم ولا يومين.

(٦) رواه أبو داود في سننه (٢/ ٣٠٠) برقم (٢٣٣٤) كتاب الصوم باب كراهية صوم يوم الشك. والترمذي في جامعه (٣/ ٦١) برقم (٦٨٦) أبواب الصوم باب ما جاء في كراهية صوم يوم الشك. والنسائي في السنن الكبرى (٣/ ١٢٣) برقم (٢٥٠٩) كتاب الصيام، صيام يوم الشك. وابن ماجه في سننه (١/ ٥٢٧) برقم (١٦٤٥) كتاب الصيام باب ما جاء في صيام يوم الشك. والحديث صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/ ١٢٥).

٢٩ شعبان: السلام آداب وأحكام

قد شرع الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لنا تحية تُميِّزنا عن غيرنا، ورتَّب على فعلها الثواب، وجعلها حقًّا من حقوق المسلم على أخيه، فتحوَّلت هذه التحية من عادة من العادات المجرَّدة إلى عمل يفعله العبد تقرُّبًا إلى الله تعالى، واستجابة لأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، والسلام هو التحية الإسلامية التي يُحيي المسلمون بها بعضهم بعضًا، وهي تحيتهم في الدنيا والآخرة، وتحية الملائكة لأهل الجنة؛ فلا يصحُّ أن تُبدَّل هذه التحية العظيمة بعبارات أخرى لا تُؤدِّي ما تُؤدِّيه تحية الإسلام المباركة. مثل: صباح الخير، أو مساء الخير، أو مرحبًا، أو غير ذلك، ممَّا قد يستعمله بعض الناس جهلًا أو إعراضًا، وتحية الإسلام هي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، هذا أكملها، وأقلُّها: السلام عليكم، والسلام سُنَّة مُؤكَّدة، وردُّه واجبٌ عينًا، إذا قُصِد به شخص واحد، وعلى الكفاية إن قُصِد به جماعة، فإن ردَّ جميعهم فهو أفضل. وللسلام المنزلة العالية في الإسلام، حيث أمرنا الله به، فقال: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَسِيبًا﴾[١]، وحثَّنا عليه رسوله صلى الله عليه وسلم، وكان الأمر بإفشاء السلام من أوَّل الأشياء التي أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دخل المدينة، فعن عبد الله بن سلام- رضي الله عنه- قال:" لما قدمَ النَّبيُّ- صلى الله عليه وسلم- المدينةَ؛ انجَفلَ النَّاسُ قِبلَهُ، وقيلَ: قد قدمَ رسولُ اللَّهِ، قد قدمَ رسولُ اللَّهِ، قد قدمَ رسولُ اللَّهِ ثلاثًا، فَجِئْتُ في النَّاسِ، لأنظرَ، فلمَّا تبيَّنتُ وجهَهُ، عرفتُ أنَّ وجهَهُ ليسَ بوَجهِ كذَّابٍ، فَكانَ أوَّلُ شيءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ، أن قالَ: يا أيُّها النَّاسُ؛ أفشوا السَّلَامَ، وأطعِموا الطَّعامَ، وصِلوا الأرحامَ، وصلُّوا باللَّيلِ والنَّاسُ نيامٌ، تدخلوا الجنَّةَ بسَلامٍ". رواه الترمذي وابن ماجه[٢].

وبيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الإيمان لا يكمل إلا بالتحابِّ، وإن أعظم شيء يُعين على هذا التحابِّ هو إفشاء السلام لمن عرفت ومن لم تعرف، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- قال:

---

(١) النساء: ٨٦.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٤/ ٦٥٢) برقم (٢٤٨٥) أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم باب بدون ترجمة. وابن ماجه في سننه (٢/ ١٠٨٣) برقم (٣٢٥١) كتاب الأطعمة باب إطعام الطعام. والحديث صححه الألباني كما في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه (٧/ ٢٥١).



قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-:" لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم". رواه مسلم[١].

والسلام في أصل اللغة هو السلامة، ولهذا سُمِّيت الجنة بدار السلام؛ لأنها دار السلامة من الآفات، ولعظيم معاني السلام كان من أسماء الله الحسنى السلام؛ لأنه سبحانه سالم من الآفات والنقائص، ولأنه هو الذي يهب السلام للناس، وكان من صفات عباد الرحمن أنهم إذا خاطبهم الجاهلون قالوا: سلامًا، وكان المفلح من العباد مَن جاء الله يوم القيامة بقلب سليم.

ولقد تكاثر ورود لفظ السلام في القرآن والسُّنَّة مُتنوِّعًا مُتفنِّنًا في اللفظ والمعنى، ولعظيم منزلته فقد شُرِع للناس أن يُلقوا على أنفسهم السلام إذا تلاقوا لتحُلَّ عليهم السكينة، وتغشاهم الطمأنينة، وتنتشر بينهم المحبَّة، وكلما ابتعدوا عن السلام نقصت المحبَّة بينهم، قال أهل العلم:" معنى سلامٌ عليكم، سلمتَ مني أن أضرَّك أو آذيك بظاهري وباطني"[٢].

ومن فوائد إفشاء السلام: حصول الألفة، فتتآلف الكلمة، وتعمُّ المصلحة، وتقع المعاونة على إقامة شرائع الدين وإخزاء الكافرين، وهي كلمة إذا سُمِعتْ أخلصت القلب الواعي لها غير الحقود إلى الإقبال على قائلها[٣].

ولأهمِّيَّة السلام فإن له آدابًا يجب على الجميع معرفتها؛ منها:

الراكب يُسلِّم على الماشي: قال صلى الله عليه وسلم:" يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ علَى المَاشِي، والمَاشِي علَى القاعِدِ، والقَلِيلُ علَى الكَثِيرِ". رواه البخاري ومسلم[٤]، قال الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله-: وقد كان من هدي النبي- صلى الله عليه وسلم- أنه يُسلِّم على الصبيان إذا مرَّ بهم. وفي ذلك فائدة عظيمة، منها التواضع، أن الإنسان يضع نفسه إذا سلَّم على من هو دونه، ومنها الرحمة؛ لأنَّ سلامك على الصغار نوع

---

(١) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٧٤) برقم (٥٤) كتاب الإيمان باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون، وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سببا لحصولها.

(٢) ينظر: فيض القدير (٢/ ٢٣). فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦هـ.

(٣) لم أقف عليه عند الطبراني، وقد عزته الألباني إليه في عدد من كتبه، ينظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٣/ ٢٤١) وذكر أن إسناده حسن.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٨/ ٥٢) برقم (٦٢٣٢) كتاب الاستئذان باب: تسليم الراكب على الماشي. ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٣) برقم (٢١٦٠) كتاب السلام باب يسلم الراكب على الماشي والقليل على الكثير.



من الرحمة، ومنها: تعويد السلام لهؤلاء الصبيان، يعني: أنَّ الصبي يعرف أنَّ شعار المسلمين أن يُسلِّم بعضهم على بعض، فيأخذ من هذا أدبًا وخُلُقًا، ينتفع به في شبابه وبعد هرمه(١).

ومن الآداب أيضًا: الإحسان في الردِّ على السلام؛ يُستحبُّ للمسلم أن يردَّ السلام بتحيَّةٍ أحسنَ منها؛ كأن يقول:" وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته"، وله أن يردَّ بنفس التحيَّة التي سلَّم بها عليه الآخر، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا﴾(٢)، قال الشيخ السعدي- رحمه الله-: التحيَّة هي: اللفظ الصادر من أحد المتلاقيين على وجه الإكرام والدعاء، وما يقترن بذلك اللفظ من البشاشة ونحوها. وأعلى أنواع التحيَّة ما ورد به الشرع، من السلام ابتداء وردًّا؛ فأمر تعالى المؤمنين أنَّهم إذا حُيُّوا بأي تحيَّة كانت؛ أن يردُّوها بأحسن منها لفظًا وبشاشة، أو مثلها في ذلك، ومفهوم ذلك النهي عن عدم الردِّ بالكلية أو ردِّها بدونها.

ويُؤخَذ من الآية الكريمة الحثُّ على ابتداء السلام والتحيَّة من وجهين؛ أحدهما: أن الله أمر بردِّها بأحسن منها أو مثلها، وذلك يستلزم أنَّ التحيَّة مطلوبة شرعًا. الثاني: ما يُستفاد من أفعل التفضيل وهو "أحسن" الدالُّ على مشاركة التحيَّة وردُّها بالحسن، كما هو الأصل في ذلك(٣).

كذلك من الآداب: السلام عند دخول البيت؛ قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٤). ومن الآداب مصاحبة السلام بشاشة الوجه وانشراح الصدر، بدليل قوله صلى الله عليه وسلم:"لا تَحْقِرَنَّ مِنَ المعروفِ شيئًا، ولو أنْ تَلْقَى أخاكَ بوَجْهٍ طَلْقٍ". رواه مسلم(٥).

---

(١) تفسير العثيمين: الحجرات – الحديد (ص: ١٤٤). تفسير الحجرات – الحديد، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ – ٢٠٠٤م.

(٢) النساء: ٨٦.

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٩١).

(٤) النور: ٦١.

(٥) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٢٦) برقم (٢٦٢٦) كتاب البر والصلة والآداب باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء.



والتسليم ثلاثًا إذا لم يُسمَع سلامه، حيث يُكرِّر المسلم سلامه إذا لم يسمعه من أُلقِي عليه السلام، فعن أنس بن مالك- رضي الله عنه- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كان:" إِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عليهم؛ سَلَّمَ عليهم ثَلَاثًا". رواه البخاري(١).

ومن الآداب عدم السلام والردِّ أثناء قضاء الحاجة؛ فقد كره النبي صلى الله عليه وسلم ردَّ السلام وذِكْر الله واسمه السلام أثناء قضاء الحاجة، فعن عبد الله بن عمر- رضي الله عنه-:" أنَّ رَجُلًا مَرَّ ورَسولُ اللهِ- صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ- يَبُولُ، فَسَلَّمَ، فَلَمْ يَرُدَّ عليه". رواه مسلم(٢).

وإلقاء السلام قبل مفارقة المجلس ومغادرته من السُّنَّة، فعن أبي هريرة- رضي الله عنه- عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إذا انتهَى أحدُكم إلى مجلِسٍ فليُسلِّم، فإنَّ بَدا له أن يجلِسَ فليجلِس، ثمَّ إذا قامَ فليُسلِّم، فلَيسَتِ الأولَى بأحقِّ من الآخرةِ". رواه أحمد وأبو داود والترمذي(٣).

والجهر بالسلام وردُّه؛ ولقد كان هدي النبي صلى الله عليه وسلم في السلام أن يرفع صوته ويجهر به، وكذلك في الردِّ على من سلَّم عليه، وإنَّ من معاني إفشاء السلام؛ إظهاره وإشهاره بين الناس، وذلك بأن يكون مسموعًا. ومن السُّنَّة إلقاء السلام، بل هو من حقِّ المسلم على أخيه المسلم؛ لقوله صلى الله عليه وسلم:" حَقُّ المسْلِمِ علَى المسْلِمِ سِتٌّ، قيلَ: ما هُنَّ يا رَسولَ اللهِ؟ قالَ: إذا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عليه... الحديث". رواه مسلم(٤)، وكذلك فَعَلَ النبي صلى الله عليه وسلم، وفَعَلَ صحابته- رضوان الله عليهم-، وشهرة ذلك تُغنينا عن إيراد النصوص.

أخيرًا: على المسلمين أن يلتزموا عمليًّا بهذه السُّنَّة الطيِّبة، وأن يفشوا السلام بينهم في كل مكان في السفر أو الحضر، في الرخاء أو البأساء، لينعموا بالسلام، وينتشر الأمن والأمان، والعدل والاستقرار، ولهذا لم يُحسَد المسلمون على شيءٍ مثلما حُسِدوا على السلام.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٣٠) برقم (٩٥) كتاب العلم باب من أعاد الحديث ثلاثا ليفهم عنه.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (١/ ٢٨١) برقم (٣٧٠) كتاب الحيض باب التيمم.

(٣) رواه أحمد في مسنده (١٢/ ٤٧) برقم (٧١٤٢). وأبو داود في سننه (٤/ ٣٥٣) برقم (٥٢٠٨) كتاب الآداب باب في السلام إذا قام من المجلس. والترمذي في جامعه (٥/ ٦٢) برقم (٢٧٠٦) أبواب الاستئذان والآداب باب ما جاء في التسليم عند القيام وعند القعود. والنسائي في السنن الكبرى (٩/ ١٣٥) برقم (١٠١٠٢) كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول إذا انتهى إلى قوم فجلس إليهم. والحديث قال عنه الألباني: "حسن صحيح" كما في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٦/ ٢٠٦).

(٤) رواه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٠٥) برقم (٢١٦٢) كتاب السلام باب من حق المسلم للمسلم رد السلام.



٣٠ شعبان

صلاة التراويح

صلاة التراويح فرصة للمسلم لقيام رمضان إيمانا واحتسابا وفرصة لأن يُكثر من دعائه في شهر رمضان الذي تُجاب فيه الدعوات، وتُفتَّح فيه أبواب الجنات، وتُضاعَف فيه الحسنات، وتُقال فيه العثرات، وتُرفَع فيه الدرجات، وتُغفَر فيه السيِّئات، وفيه ليلة خيرٌ من ألف شهر، ولهذا حثَّنا النبي صلى الله عليه وسلم على قيام الليل، كما أنَّه لم يُحدِّد عددًا من الركعات فيه، فمن أحبَّ أن يُصلِّي إحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة ركعة، أو ثلاثًا وعشرين، أو أكثر من ذلك أو أقل فلا حرج عليه، وفي ذلك إشارة من الرسول صلى الله عليه وسلم بأهمية قيام الليل، وكثرة الدعاء في ليالي رمضان.

والتراويح هي عبارة عن صلاة يُؤدِّيها المسلمون بعد ما ينتهون من صلاة العشاء مباشرة، وهي تُصلَّى في جماعة بالمساجد في شهر رمضان، وشُرِعت في آخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم بناء على ظاهر المنقول بشأنها، وكانت بداية الأمر جماعة؛ ثم رأى النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يُصليها جماعة بالمسلمين؛ فقد صحَّ من حديث عائشة- رضي الله عنها- أنَّه صلى الله عليه وسلم صلَّاها بالناس ثلاث مرَّات، وفي اليوم الرابع لم يخرج إليهم، فسأله بعض أصحابه عن ذلك، فقال:" خَشِيتُ أنْ تُفْتَرَضَ علَيْكُم، فَتَعْجِزُوا عَنْهَا، فَتُوُفِّيَ رَسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم والأمْرُ علَى ذلكَ". رواه البخاري ومسلم[(١)].

وتُعدُّ صلاة التراويح من شعائر الإسلام العظيمة التي تُؤدَّى في شهر رمضان المبارك، وقد أجمع العلماء على أنَّها سُنَّة مُؤكَّدة، فقد صلَّاها النبي صلى الله عليه وسلم وصلَّاها الصحابة معه جماعة أيامًا، ثم جرت السُّنَّة على أن يُصلِّيها المسلمون مُنفرِدين، واستمرَّ الأمر كذلك بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي عهد عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- رآهم يُصلُّون مُتفرِّقين، ورأى أن بعضهم لا يُحسِن القراءة؛ فجمَعَهم على إمام، ورأى أن ذلك أفضل من صلاتهم مُتفرِّقين، وكان ذلك أول اجتماع للمسلمين على إمام واحد في صلاة التراويح باستثناء تلك الليالي التي صلَّاها المسلمون جماعة بإمامة النبي صلى الله عليه وسلم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٥) برقم (٢٠١٢) كتاب صلاة التراويح باب فضل من قام رمضان. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٢٤) برقم (٧٦١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح.



لماذا سُمِّيت صلاة التراويح بهذا الاسم؟ ذكر الإمام ابن حجر العسقلاني في شرحه لصحيح البخاري أن تسمية صلاة التراويح بهذا الاسم ترجع إلى ما كان من فِعْل الصحابة- رضي الله عنهم؛ إذ كانوا يستريحون في قيام رمضان، وذلك أول ما شُرِعت تلك الصلاة؛ فسُمِّيت تراويح جمع ترويحة، وهي المرَّة الواحدة من الراحة كتسليمة من السلام[١]، وهي في الأصل اسم للجلسة مطلقًا، ثم سُمِّيت بها الجلسة التي بعد أربع ركعات في ليالي رمضان لاستراحة الناس بها، ثم سُمِّيت كل أربع ركعات ترويحة مجازًا، وقد ذهب الحنفية إلى أن حكم هذه الاستراحة مندوب، وعلى المصلِّي إشغالها بالسكوت، أو الصلاة، أو التسبيح، أو قراءة القرآن[٢]، في حين يرى الحنابلة بجواز ترك الاستراحة بعد كل أربع ركعات، ولا يُسنُّ لمن جلس للاستراحة أن يدعو بدعاءٍ مُعيَّنٍ، وقيل: إنها مأخوذة عن السلف وأهل الحرمين، فإنَّ أهل مكة يطوفون سبعًا بين كل ترويحتين، وأخرج البيهقي في سُننه بسنده عن عائشة- رضي الله عنها- قالت:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُصلِّي أربع ركعات في الليل[٣]، ثم يتروَّح، فأطال حتى رحمتُه، فقلتُ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله؛ قد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر، قال: أفلا أكون عبداً شكورًا"[٤].

وممَّا جاء في فَضل صلاتها أنَّها سببٌ في مغفرة الذُّنوب؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم:" مَن قامَ رمضانَ إيمانًا واحتِسابًا؛ غُفِرَ لَهُ ما تقدَّمَ مِن ذنبِهِ". رواه البخاري ومسلم[٥]، كما أنَّ من صلَّاها

---

(١) ينظر: فتح الباري لابن حجر (٤/ ٢٥٠).

(٢) ينظر: المبسوط للسرخسي (٢/ ١٤٥)؛ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١/ ٢٩٠). المبسوط، المؤلف: محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ)، الناشر: دار المعرفة – بيروت، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المؤلف: علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

(٣) ينظر: مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى (١/ ٥٦٤). مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى، المؤلف: مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي شهرة، الرحيبانى مولدا ثم الدمشقي الحنبلي (المتوفى: ١٢٤٣هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

(٤) ينظر: المغني لابن قدامة (٢/ ٦٠٤). المغني، المؤلف : أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد ، الشهير بابن قدامة المقدسي (المتوفى : ٦٢٠هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، والدكتور عبد الفتاح محمد الحلو، ط: عالم الكتب، الرياض – السعودية، الطبعة: الثالثة، سنة النشر: ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٥) رواه البيهقي في السنن الكبرى للبيهقي (٥/ ٣٣٢) برقم (٤٦٨٥). السنن الكبير، المؤلف: أبو بكر أحمد بن الحُسَين بن عليٍّ البيهقي (٣٨٤ - ٤٥٨هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية (الدكتور / عبد السند حسن يمامة)، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.



مع الإمام وبقي معه حتى ينصرف؛ كتب الله تعالى له أجر قيام الليل جميعه، قال النبي صلى الله عليه وسلم:" مَن قامَ معَ الإمامِ حتَّى ينصرفَ فإنَّهُ يعدلُ قيامَ ليلةٍ". رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه(١).

واتَّفق جمهور أهل العلم على مشروعية الجماعة في صلاة التراويح؛ لما ثبت من فعل النبي- عليه الصلاة والسلام-، ولفعْل الصحابة الكرام منذ زمن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه-، ولاستمرار العمل بذلك عبر التاريخ الإسلامي حتى الآن، بل ذهب أهل العلم إلى أنَّ أداء صلاة التراويح جماعة سُنَّة، وفصَّلوا في ذلك؛ فالحنفية قالوا بأنَّ صلاة التراويح بالجماعة سُنَّة على الكفاية في الأصح، فإنْ تركها الكل فقد أساءوا، ولو تركها رجل من أفراد الناس وأدَّاها في بيته فقد ترك الفضيلة، حتى وإن كانت صلاته في بيته جماعة؛ فإنَّه لا يتحصَّل على فضل جماعة المسجد(٢)، أما المالكية فقد ندبوا صلاة التراويح في البيت؛ لحديث النبي صلى الله عليه وسلم بتفضيل صلاة السُّنَّة في البيت إن لم يكن هناك تعطيل لها في المساجد، وأن لا يكون تركها تكاسلًا وقعودًا عن الصلاة نتيجة عدم خروجه إلى المسجد، ويرى الشافعية سُنيَّة الجماعة في صلاة التراويح(٣)، أما الحنابلة فيرون تفضيل صلاتها جماعة على صلاتها فُرادى، وإن تعذَّر عليه أن يُصلِّيها في الجماعة؛ فله أن يُصلِّيها وحده(٤).

ووقت صلاة التراويح يرى جمهور الفقهاء أن وقتها يكون من بعد صلاة العشاء، وقبل صلاة الوتر؛ لأنَّها سُنَّة تابعة للعشاء، ويمتدُّ وقتها إلى قبل طلوع الفجر؛ لفعْل الصحابة، وقد نقِل ذلك

---

(١) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٦) برقم (٣٧) كتاب الإيمان باب: تطوع قيام رمضان من الإيمان. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٢٣) برقم (٧٥٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب الترغيب في قيام رمضان، وهو التراويح.

(٢) رواه الترمذي في جامعه (٣/ ١٦٠) برقم (٨٠٦) أبواب الصوم باب ما جاء في قيام شهر رمضان. والنسائي في السنن الكبرى (٢/ ١١٤) برقم (١٣٠٠) كتاب قيام الليل وتطوع النهار، قيام شهر رمضان. وابن ماجه في سننه (١/ ٤٢٠) برقم (١٣٢٧) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في قيام شهر رمضان. والحديث قال صححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديثمنار السبيل (٢/ ١٩٣).

(٣) ينظر: المحيط البرهاني في الفقه النعماني (١/ ٤٥٧). المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه، المؤلف: أبو المعالي برهان الدين محمود بن أحمد بن عبد العزيز بن عمر بن مَازَةَ البخاري الحنفي (المتوفى: ٦١٦هـ)، المحقق: عبد الكريم سامي الجندي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٤) ينظر: تحبير المختصر وهو الشرح الوسط لبهرام على مختصر خليل (١/ ٣٩٣)؛ شرح مختصر خليل للخرشي (٢/ ٧). تحبير المختصر وهو الشرح الوسط على مختصر خليل في الفقه المالكي، المؤلف: تاج الدين بهرام بن عبد الله بن عبد العزيز الدميري (المتوفى: ٨٠٣هـ)، المحقق: د. أحمد بن عبد الكريم نجيب . د. حافظ بن عبد الرحمن خير، الناشر: مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م. شرح مختصر خليل للخرشي، المؤلف: محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (المتوفى: ١١٠١هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة – بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.



عنهم(١)، ومن صلَّاها بعد المغرب وقبل العشاء فإنها لا تُجزئ عن التراويح، وتكون بمقام النافلة كما يرى المالكية(٢)، وفي روايةٍ عند الحنفية أنها تُجزئ عن صلاة التراويح؛ لأنَّ وقتها جميع الليل واسمها قيام الليل، وأفضل وقتها يكون بعد ثلث الليل أو نصفه عند الحنفية والشافعية، وفي رواية عند الحنفية أنها تُكرَه بعد نصف الليل؛ لأنَّها تبعٌ للعشاء، والأصح عندهم أنَّها لا تُكرَه، والأفضل تأخيرها إلى آخر الليل، ويرى الحنابلة أنَّ أفضل أوقاتها أول الليل؛ اتِّباعًا لفعل الناس في عهد عمر- رضي الله عنه-(٣)، وهي تصحُّ قبل الوتر وبعده دون كراهة، إلَّا أنَّ الأفضل أن تكون قبله باتفاق الجمهور، وخالف المالكية في ذلك فقالوا بأنها تُصلَّى قبل الوتر وبعد العشاء(٤)، ويُكرَه تأخيرها عن الوتر؛ لقوله- عليه الصلاة والسلام-:" اجْعَلُوا آخِرَ صَلَاتِكُمْ باللَّيْلِ وِتْرًا". رواه البخاري ومسلم(٥)، وإن خرج وقتُها فإنَّها لا تُقضَى على قول الجمهور، في حين يرى الشافعية جواز قضائها.

وأمَّا عن عددها؛ فقد فصَّل ذلك الشيخ ابن عثيمين- رحمه الله- فقال: وأمَّا عددها فإحدى عشرة ركعة، لما في الصحيحين عن عائشة- رضي الله عنها- أنها سُئِلت كيف كانت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان؟ فقالت:" ما كان يزيد في رمضان ولا

---

(١) ينظر: حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء (٢/ ١٤٤). حلية العلماء في معرفة مذاهب الفقهاء، المؤلف: سيف الدين أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي القفال، حققه وعلق عليه: الدكتور ياسين أحمد إبراهيم درادكه، الأستاذ المساعد في كلية الشريعة – الجامعة الأردنية، الناشر: مكتبة الرسالة الحديثة – المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الطبعة: الأولى، ١٩٨٨م.

(٢) ينظر: الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل (١/ ١٤٧). الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: موسى بن أحمد بن موسى بن سالم بن عيسى بن سالم الحجاوي المقدسي، ثم الصالحي، شرف الدين، أبو النجا (المتوفى: ٩٦٨هـ)، المحقق: عبد اللطيف محمد موسى السبكي، الناشر: دار المعرفة بيروت – لبنان.

(٣) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع (١/ ٢٨٨)؛ الجوهرة النيرة على مختصر القدوري (١/ ٩٩)؛ البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق وتكملة الطوري (٢/ ٧٣). الجوهرة النيرة، المؤلف: أبو بكر بن علي بن محمد الحدادي العبادي الزَّبِيدِيّ اليمني الحنفي (المتوفى: ٨٠٠هـ)، الناشر: المطبعة الخيرية، الطبعة: الأولى، ١٣٢٢هـ. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، المؤلف: زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ)، وفي آخره: تكملة البحر الرائق لمحمد بن حسين بن علي الطوري الحنفي القادري (ت بعد ١١٣٨ هـ)، وبالحاشية: منحة الخالق لابن عابدين، الناشر: دار الكتاب الإسلامي، الطبعة: الثانية – بدون تاريخ.

(٤) ينظر: ضوء الشموع شرح المجموع (١/ ٤٣٣). ضوء الشموع شرح المجموع في الفقه المالكي، المؤلف: محمد الأمير المالكي، بحاشية: حجازي العدوي المالكي، المحقق: محمد محمود ولد محمد الأمين المسومي، الناشر: دار يوسف بن تاشفين – مكتبة الإمام مالك[موريتانيا – نواكشوط]، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

(٥) ينظر: الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل (١/ ١٤٧).

غيره على إحدى عشرة ركعة[١]" رواه البخاري ومسلم، وإن صلَّاها ثلاث عشرة ركعة فلا بأس، لقول ابن عباس- رضي الله عنهما-:" كانت صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة ركعة" يعني من الليل، رواه البخاري،[٢] والإحدى عشرة هي الثابتة عن عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- كما في الموطأ بإسنادٍ مِن أصح الأسانيد[٣]، وإن زاد على ذلك فلا بأس، لقول النبي صلى الله عليه وسلم حين سُئل عن صلاة الليل قال:

"مثنى، مثنى"[٤] رواه البخاري ومسلم[٥]، ولم يُحدِّد، وقد ورد عن السلف في ذلك أنواع، والأمر في ذلك واسع لكن الأفضل الاقتصار على ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وهي الإحدى عشرة أو الثلاث عشرة، ولم يصح أنَّ النبي- صلى الله عليه وسلم- كان يُصلِّي هو أو أحد من الخلفاء ثلاثًا وعشرين، بل الثابت عن عمر- رضي الله عنه-إحدى عشرة، حيث أمر أُبي بن كعب وتميمًا الداري- رضي الله عنهما- أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة، وهذا هو اللائق بمثل عمر- رضي الله عنه- أن تكون سيرته في هذا سيرة رسول الله- صلى الله عليه وسلم-. ولا نعلم أنَّ الصحابة- رضي الله عنهم- زادوا على ثلاث وعشرين ركعة، بل الظاهر خلاف ذلك، وقد سبق قول عائشة- رضي الله عنها- أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم " ما كان

---

(١) ينظر: لوامع الدرر في هتك استار المختصر (٢/ ٣٧٢). لوامع الدرر في هتك أستار المختصر [شرح «مختصر خليل» للشيخ خليل بن إسحاق الجندي المالكي (ت: ٧٧٦ هـ)]، المؤلف: محمد بن محمد سالم المجلسي الشنقيطي (١٢٠٦ - ١٣٠٢هـ)، تصحيح وتحقيق: دار الرضوان، راجع تصحيح الحديث وتخريجه: اليدالي بن الحاج أحمد، المقدمة بقلم حفيد المؤلف: الشيخ أحمد بن النيني، الناشر: دار الرضوان، نواكشوط- موريتانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

(٢)) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٢٥) برقم (٩٩٨) أبواب الوتر باب: ليجعل آخر صلاته وترًا. ومسلم في صحيحه (١/ ٥١٧) برقم (٧٥١) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة الليل مثنى مثنى، والوتر ركعة من آخر الليل.

(٣) رواه البخاري في صحيحه (٣/ ٤٥) برقم (٢٠١٣) كتاب صلاة التراويح باب: فضل من قام رمضان. ومسلم في صحيحه (١/ ٥٠٩) برقم (٧٣٨) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة الليل، وعدد ركعات النبي صلى الله عليه وسلم في الليل، وأن الوتر ركعة، وأن الركعة صلاة صحيحة.

(٤) رواه البخاري في صحيحه (٢/ ٥١) برقم (١١٣٨) كتاب التهجد باب: كيف كان صلاة النبي صلى الله عليه وسلم؟ وكم كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي من الليل؟.

(٥) ينظر: موطأ مالك (٢/ ١٥٩). الموطأ، المؤلف: مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية - أبو ظبي — الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤ م.(٣) رواه البخاري في صحيحه (١/ ١٠٢) برقم (٤٧٢) كتاب الصلاة باب الحلق والجلوس في المسجد. ومسلم في صحيحه (١/ ٥١٦) برقم (٧٤٩) كتاب صلاة المسافرين وقصرها باب صلاة الليل مثنى مثنى، والوتر ركعة من آخر الليل.

يزيد في رمضان ولا غيره على إحدى عشرة ركعة"، وإما إجماع الصحابة- رضي الله عنهم- فلا ريب أنَّه حجَّة؛ لأنَّ فيهم الخلفاء الراشدين الذين أمر النبي صلى الله عليه وسلم باتِّباعهم، ولأنَّهم خير القرون من هذه الأمَّة[١].

والخلاصة أنَّ الخلاف في عدد ركعات التراويح ونحوها ممَّا يسوغ فيه الاجتهاد، فلا ينبغي أن يكون مثارًا للخلاف والشقاق بين الأُمَّة، خصوصًا وأنَّ السلف اختلفوا في ذلك، وليس في المسألة دليل يمنع جريان الاجتهاد فيها، وما أحسن ما قال أحد أهل العلم لشخص خالفه في الاجتهاد في أمر سائغ: إنَّك بمخالفتك إيَّاي قد وافقتَني، فكلانا يرى وجوب اتِّباع ما يرى أنَّه الحقُّ حيث يسوغ الاجتهاد.

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٤/ ١٨٧).




تم بحمد الله